العتبة العلوية المقدسة
العميد
إصدارات العميد ٣٢

الأربعون حديثاً

تأليف

الميرزا إبراهيم بن الحسين الأردبيلي الخوئي
المستشهد سنة ١٣٢٥ هـ

الجزء الأول

تعليق وتحقيق

الشيخ باسم محمد آل الله أسدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأربعون حديثا

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدّسة

الطبعة الأولى: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥م
دار الكتاب الاسلامي للطباعة والنشر - قم المقدسة

الأربعون حديثاً

الشيخ إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئيُ

تعليق وتحقيق الشيخ باسم محمد مال الله الأسدي

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنيّة- وزارة الثقافة - بغداد لسنة ٢٠١٥م : ٢١١٠

مركز كربلاء للدراسات والبحوث - مجمع الأمام الحسين (عليه السلام) العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام)
كربلاء المقدّسة - شارع السدرة - فندق دار السلام
هاتف: ٠٧٧١١٧٣٣٣٥٤

إصدارات المجمع: ٣٢

الأربعون حديثاً

تأليف
لميرزا إبراهيم بن الحسين الأذنبلي الخوئي
المستشهد سنة ١٣٢٥ هـ

الجزء الأول

تعليق وتحقيق
الشيخ باسم محمد مال الله الأسدي

إشراف
مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام

مصدر الفهرسة: IQ-KaPL ara IQ-KaPLI rad
رقم التصنيف LC: BP 143.9. D 35 2015
المؤلف الشخصي: الدنبلي الخوئي؛ ابراهيم بن حسين، ١٢٤٧ - ١٣٢٥ هجرياً.
العنوان: الأربعون حديثاً.

بيان المسؤولية: تأليف ابراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي؛ تحقيق وتعليق الشيخ باسم محمد مال الله الأسدي.
بيانات الطبعة: الاولى.
بيانات النشر: كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة - مجمع الامام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث اهل البيت عليهم السلام.
الوصف المادي: ٢ مجلد.
سلسلة النشر: (مجمع الامام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام؛ ٣٢٤).
تبصرة ببليوغرافية: يحتوي على هوامش - لائحة المصادر (الصفحات ج.٢. ٤٩٦ - ٥٠٥).
موضوع شخصي: محمد صلى الله عليه وآله ، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ هجرياً - فضائل - أحاديث.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب عليه السلام، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - فضائل - أحاديث.
موضوع شخصي: علي بن ابي طالب عليه السلام، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - إثبات خلافة.
مصطلح موضوعي: الأربعون حديث - الشيعة الإمامية.
مصطلح موضوعي: أحاديث الشيعة الامامية - القرن ١٤ هجرياً.
مصطلح موضوعي: أحاديث أخلاقية - الشيعة.
مصطلح موضوعي: الآداب الإسلامية - أحاديث.
مصطلح موضوعي: الاسلام - مسائل متفرقة - احاديث.
مؤلف إضافي: الأسدي، باسم محمد مال الله، محقق.

الإخراج الفني: السيد علي حسين المعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجمع

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلائق أجمعين، حبيبنا وحبيب إله العالمين محمّد وعترته الطاهرين المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

لأهمية الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل الأربعين حديثاً الذي قال فيه صلى الله عليه وآله: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» فقد أُلّف العديد من الكتب في هذا المجال، لينالوا الفضل والدرجة التي جاءت في الحديث، وقد جرت العادة في تأليف كتاب الأربعين يجمع الأحاديث وصولاً لرقم الأربعين، واستمرّ ذلك لعدة قرون إلى أن غُيّر هذا المنهاج وظهر كتاب الأربعون حديثاً بصورة أخرى، ومن الذين غُيّروا هذه الطريقة الشيخ البهائي والماحوزي في كتابهم الأربعين، حيث قاما بجمع الأحاديث وشرحها، وقد اتّبع مؤلّف هذا الكتاب «**كتاب الأربعون حديثاً**» الشيخ إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئيُ، الفقيه

الأصولي، المستشهد سنة ١٣٢٥ هـ، حيث شرح الأحاديث بصورة موسعة إضافة إلى انتقائه لأحاديث مهمّة جداً وذات مواضيع متنوعة من علم الكلام والفلسفة والفقه والعقائد والتفسير واللغة و .... . حتى أطلق الشيخ الطهراني في الذريعة على كتابه اسم : «**الأربعون حديثاً مع الشرح والبيان**».

لذا يسرّ مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي أن يقدّم هذا النبراس المضيء في شرح أحاديث العترة الطاهرة، وقد انبرى لتحقيق هذا الأثر النفيس الشيخ الفاضل المحقّق باسم محمّد مال الله الأسدي، حيث أخرجه بحلّة جديدة مع تخريج لمصادره الأصلية وبعض التعليقات القيّمة، وفّقه الله ونحن لتحقيق وإحياء المزيد من تراث أهل بيت العصمة والطهارة إنّه سميعٌ مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين المنتجبين المعصومين.

مجمع الإمام الحسين (عليه السلام) العلمي
لتحقيق تراث أهل البيت(عليهم السلام)
١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله ما اختَلَفَ الملَوان وتَعاقَبَ العَصران، وَكَرَّ الجَديدانِ، واستَقبَلَ الفرقَدانِ، وَبَلّغ رُوحَهُ وَأرواحَ أهلِ بَيتِهِ منّا التّحيّةَ والسّلام.

إنّ كتاب أو موضوع: الأربعون حديثاً، قد كتب أو ألّف فيه الكثير من العلماء؛ وذلك لقول الرسول ﷺ: «من حفظ من أمّتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه من أمر دينهم، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»[1].

ولذلك فإنّنا نرى أنّ العلماء السابقين رحمهم الله والمتقدّمين حفظهم الله، قد اهتمّوا بجمع أربعين حديثاً من الأحاديث النبويّة والألفاظ الإماميّة بما اشتهر منها في النقل الصحيح عنهم صلوات الله عليهم وبألفاظ مختلفة.

---

(١) الخصال للصدوق: ٥٤١/ أبواب الأربعين فما فوق ـ ح ١٥، ثواب الأعمال: ١٣٤، الاختصاص للشيخ المفيد: ٦١.

مثل كتاب «الأربعون حديثاً» لمنتجب الدين بن بابويه، و«الأربعون حديثاً» للشهيد الأوّل و ...[١]

وإذا نظرنا إلى العنوان: «الأربعون حديثاً» نجده مؤلّفاً من كلمتين، أربعون وحديثاً، وكلّ واحدة منها لها سرّ خاص، فالمراد بالحديث هنا ـ وكما هو المعلوم ـ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وكلام عترته الطاهرة عليهم السلام ولا غير، أي فقط كلام المعصوم عليه السلام؛ لأنّهم هم الناطقون بكلام الوحي المقدّس، وهم عدل القرآن وخزنة علم الله ووحيه، فكلامهم نور تهتدي به البشريّة لعبادة الله الواحد القهّار جلّ جلاله.

وأمّا كلمة الأربعون فلا تخلو من سرّ، كشفه يحتاج إلى تدقيق وتأمّل: فحفظ حديث النبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين ممدوح جدّاً وجاء المدح مؤكّداً في حفظ أربعين حديثاً، فلماذا الأربعين، فعلمها عند الله عزّ وجلّ والمعصوم عليه السلام.

وربّما إذا تتبعنا كلمة الأربعين في مصادرنا الإسلاميّة، بل في مصادر الأديان السماويّة، قد نحصل على بعض المعلومات التي تفيدنا في معرفة بعض السرّ منها.

أمّا الواقع فإنّه لا يعلم سرّه إلّا من ارتضاه الله سبحانه وتعالى من خلقه ـ وكما قلنا سابقاً ـ وهم المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) لمعرفة المزيد من أسماء الكتب التي ألّفت عن الأربعين من قبل علمائنا الأعلام، انظر الذريعة ١: ٤٠٩ ـ ٤٣٥/ ٢١٢٦ ـ ٢٢٠٤.

عزيزي القارئ:

الكتاب الماثل بين يديك على نمط كتب الأربعين، ولكنّه يختلف عنها بأنّ المصنّف ﷺ قام بشرح هذه الأحاديث بأحاديث أخرى منقولة عن النبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك بالاعتماد على كلام بعض العلماء، معتمداً على مصادرنا وكذلك على مصادر العامّة، وعلى كتب التأريخ والنحو و... .

فهو كما قال عنه الشيخ الطهراني في الذريعة: الأربعون حديثاً مع الشرح والبيان[1].

وهذا الكتاب قد شابه بأسلوبه كثيراً لكتاب: الأربعون حديثاً للشيخ البهائي المتوفّى سنة ١٠٣٢هـ، فهو أيضاً قام بشرح الأحاديث وبيان أحوالها ولغاتها ورجالها.

وبما أنّ المصنّف ﷺ ـ وكما يأتي في ترجمته ـ كان فقيهاً أصوليّاً، يشار له بالبنان، فإنّه جمع أربعون حديثاً، حوت مواضيع جوهريّة من الفقه ـ مع ما فيه من أبواب كثيرة ـ وعقائد وكلام ورجال وزيارات وأدعية ومواعظ وعرفان وتفسير وغير ذلك، مع بيانها بشكل مفصّل.

فحقّاً يعتبر هذا الكتاب موسوعة دينيّة يحتاجها الطالب والباحث والقارئ في كلّ زمان ومكان، فهي تغذّيه بكلّ ما يحتاج إليه من معلومات في مواضيعه القيّمة المهمّة، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا نسير على خط محمّد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، وأن يستفاد من هذا الكتاب كلّ من يقع بين يديه، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآل الطيّبين الطاهرين المعصومين.

---

(١) الذريعة ١: ٤٠٩/٢١٢٦.

ترجمة المؤلّف

إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي

اسمه ونسبه وكنيته

هو العلّامة الشيخ الميرزا إبراهيم بن الحسين بن عليّ بن الغفّار الدنبلي الخوئي، المولد والمسكن والمشهد، الشهيد في فتنة الأكراد بخوي سنة ١٣٢٥هـ المتولّد سنة ١٢٤٧هـ[١].

دُنْبُل: كقُنْفُذ: قبيلة من الأكراد بنواحي الموصل[٢].

وقال الزبيدي في تاج العروس: دنبل، كقنفذ أهمله الجوهري: وقال أئمّة النسب: قبيلة من الأكراد، بنواحي الموصل، منهم الإمام شمس الدين أبوالعبّاس أحمد بن نصر بن الحسين الفقيه الشافعي حجّ سنة ٥٩٥ هـ، وناب في القضاء ببغداد، ومات بعد الستمائة، وفي طبقات ابن السبكي ما نصّه: توفّي بالموصل سنة ٥٩٨ هـ، ومنهم: علي بن أبي بكر بن سليمان المحدّث سَمِع السِّلَفِيّ، وأخوه سليمان حدّث أيضاً الدُّنبليّان[٣].

---

(١) انظر مرآة الكتب: ٧/١٠٩، الذريعة ١: ٢١٢٦/٤٠٩ وج٦: ٨٢٤/١٥٢ وج٨: ١١٢ و٢٢: ٦٧٤٣/٢١٤، الأعلام للزركلي ١: ٣٧، معجم المؤلفين لعمر كحالة ١: ٢٤، أعيان الشيعة ٢: ١٨٩/١٣٥ وج٢: ٢٥٤.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٣٧٧.

(٣) تاج العروس ١٤: ٢٤٠ـ٢٤٥، دنبل.

وعن كتاب أنساب الأكراد لأبي حنيفة الدينوري: إنّ كبار هذه الطائفة يقال لهم عيسى بكلو، وقيل: إنّ سلسلة نسبهم تنتهي إلى البرامكة وزراء بني العبّاس [١].

وقال السيّد محسن الأمين: وفي كتاب آثار الشيعة الإماميّة: الدنابلة قبيلة كبيرة تتفرّع عنها قبائل مختلفة الأسماء منها: قبيلة دنبلي يحيى أولاد يحيى، وقبيلة شمسكي أولاد شمس الملك وقبيلة عيسى بكلو أولاد الأمير عيسى، وقبيلة بكزاد كان من نسل الأمير فريدون، وقبيلة أيوبخاني من سلسلة أيوب خان، وغير هؤلاء كثير تفرّقوا في قاشان وخراسان وخبوشان وشيروان وكنجة وقراباغ وقراجه داغ بأمر المأمون العبّاسي والأمير تيمور والسلطان سليم [٢].

خوي: وادٍ يفرغ من فلج من وراء حفر أبي موسى، وخوي أيضاً: بلد مشهور من أعمال أذربيجان، حصن كثير الخير والفواكه، ينسب إليها الثياب الخوية، وينسب إليها أيضاً أبو معاد عبدان الطبيب الخوي، يروي عن الجاحظ [٣].

الثناء عليه

قال التبريزي: الحاج ميرزا إبراهيم بن الحسين بن عليّ الدنبلي الخوئي، من مشائخ علماء العصر، إلى أن قال: وهو أوّل من تلبّس بلباس العلماء من عشيرته؛ لأنّ سلسلته كانت على غير زي العلماء.

---

(١) انظر أعيان الشيعة ٣: ١٩٢.

(٢) أعيان الشيعة ٣: ١٩٢.

(٣) معجم البلدان ٢: ٤٠٨.

وبالجملة هو من معمّري علماء خوي، وله ثروة عظيمة، وليس له عقب؛ ولذا وقف كتبه وبعضاً من أملاكه، وله خيرات ومبرّات ووجاهة عند أهل بلده، وتأليفاته أكثرها منقولات[١].

وقال السيّد الأمين: كان من أكابر العلماء، عاش سعيداً، ولقي ربّه شهيداً، بذل نفسه في سبيل الدين وإحياء آثار الأئمّة الطاهرين[٢].

وقال في موضع آخر: وكان كريماً جواداً باراً بالفقراء والمعوزين ينفق عليهم نحو تسعة أعشار عائداته على كثرتها وينفق على نفسه العشر فقط[٣].

قال الزركلي: إبراهيم بن الحسين بن علي الدنبلي الخوئي، فاضل، من أهل خوي بإيران، قتل بالرصاص في داره[٤].

وعبّر عنه عمر كحالة في معجمه: عالم، فقيه[٥].

أساتذته

الشيخ الشهيد الخوئي: كان فقيهاً، أصولياً، مشاركاً في الحديث والرجال وغيرهما، درس مبادئ العلوم، وارتحل إلى النجف الأشرف وهو ابن عشرين سنة تقريباً، وتتلمّذ شيخنا الشهيد على يد جماعة من الأساتذة الكبار منهم:

---

(١) مرآة الكتب: ١٠٩ ـ ١١٠/٧.

(٢) أعيان الشيعة ٢: ١٣٥.

(٣) أعيان الشيعة ٢: ٢٥٤.

(٤) الأعلام ١: ٣٧.

(٥) معجم المؤلفين ١: ٢٤.

١ ـ الفقيه السيّد حسين الكوهكمري التبريزي ثمّ النجفي (المتوفّى سنة ١٢٩٩هـ)، من أكابر علماء عصره في الفضل والتحقيق في علم الأصول، وكان معروفاً بـ(السيّد حسين الترك)[١].

٢ ـ استاذ الفقهاء والمحقّقين الشيخ مرتضى بن محمّد أمين الدزفولي، الشهير بالشيخ الأنصاري (المتوفّى سنة ١٢٨١هـ)[٢].

٣ ـ أجازة له بالرواية عن الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء (توفّي سنة ١٢٨٩هـ)، وقد ذكره المصنّف ﷺ في آخر كتابه (ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال)[٣].

٤ ـ كذلك أجاز له بالرواية عن الشيخ محمّد حسين بن الشيخ هاشم العاملي أصلاً، الكاظمي مولداً ومنشأً، النجفي مسكناً ومدفناً (توفّي سنة ١٣٠٨هـ).

أيضاً ذكره المصنّف ﷺ في آخر كتابه (ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال)[٤].

هذا وكما نقل في كتاب مرآة الكتب: بأنّه من معمري علماء خوي، إنّه لم ير مثله، وقد رأى خمسة من المشايخ العظام في المشهد المقدّس الغروي[٥].

---

(١) انظر أعيان الشيعة ٢: ٢٥٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ١١.

(٢) انظر أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، الذريعة ٦: ٨٢٤/١٥٢.

(٣) انظر أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، الذريعة ٢٢: ٦٧٤٣/٢١٤.

(٤) انظر أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، الذريعة ٢٢: ٦٧٤٣/٢١٤.

(٥) مرآة الكتب: ١١٠.

مرحلة مهمّة من حياته ﵀

حكي عن السيّد علي آغا نجل الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، أنّه جرت بين الشيخ الشهيد الخوئي وبين والده الميرزا الشيرازي مباحثة في بعض المسائل عند زيارة الشيخ الشهيد للمشاهد الشريفة خالف فيها الشيخ الشهيد نظر الميرزا، وبعد ذهابه من سامرا إلى الكاظميّة أرسل إليه الميرزا: أنّ الحقّ معه[١].

مؤلّفاته

١ ـ «الأربعون حديثاً» مع الشرح والبيان، هو منتخب من أحاديث المعصومين ﵈، وهو الكتاب الذي بين يديك[٢]، وقد ذكر باسم شرح الأربعون حديثاً[٣].

٢ ـ جنگ (عربي / متفرقات)، احتوى على موضوعات متفرّقة: فقهيّة، أصوليّة، أدبيّة، عقائديّة[٤].

٣ ـ الحاشية على فرائد الأصول (لشيخه الأنصاري)[٥].

٤ ـ الدرّة النجفيّة في شرح نهج البلاغة الحيدريّة، فرغ منه سنة (١٢٩١هـ)[٦].

---

(١) أعيان الشيعة ٢: ٢٥٤.

(٢) الذريعة ١: ٢١٢٦/٤٠٩.

(٣) أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، مرآة الكتب: ١١٠، الأعلام للزركلي ١: ٣٧، معجم المؤلفين ١: ٢٤.

(٤) موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٢.

(٥) الذريعة ٦: ٨٢٤/١٥٢.

(٦) الذريعة ٨: ٤١٢/١١٢، أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، مرآة الكتب: ١١٠، معجم المطبوعات العربيّة ١: ٨٨٨، الأعلام للزركلي ١: ٣٧، معجم المؤلّفين ١: ٢٤.

وقد ذكر باسم آخر هو: شرح النهج[١].

٥ ـ الدعوات (عربي / أدعية)[٢].

٦ ـ رسالة في الأصول (عربي)[٣].

٧ ـ شرح الشرائع (عربي / فقه)[٤].

٨ ـ ملخص بحار الأنوار (عربي / حديث)[٥].

٩ ـ ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال[٦].

شهادته

لقد كان الشيخ الشهيد إبراهيم الدنبلي الخوئي، علماً بارزاً في سماء العلم والعلماء، وكان محط أنظار أهالي خوي، ما إن تسلّط أشرار الأكراد على خوي في حوادث المشروطة، حتّى أردوه قتيلاً شهيداً، بطلقات ناريّة من مسدس وذلك قبل صلاة الظهر في داره، وكان ذلك في سنة ١٣٢٥هـ، وحملت جنازته إلى النجف الأشرف ودفن بوادي السلام[٧].

---

(١) الذريعة ١٤: ١١٣/ذيل ١٩٣٢، أعيان الشيعة ٨: ٣٠/٢٤٦.

(٢) موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٣.

(٣) مرآة الكتب: ١١٠، الأعلام للزركلي ١: ٣٧، أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٣.

(٤) موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٣.

(٥) موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٣.

(٦) الذريعة ٢٢: ٦٧٤٣/٢١٤، أعيان الشيعة ٢: ١٣٥، الأعلام للزركلي ١: ٣٧، معجم المؤلفين ١: ٢٤، موسوعة مؤلفي الإماميّة ـ مجمع الفكر الإسلامي ١: ٢٠٣.

(٧) انظر أعيان الشيعة ٢: ١٣٥.

وقال التبريزي: توفّي في شهر جمادى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة بعد الألف في بلد خوي، قتيلاً بيد الأشرار، وذلك عند الاختلال العام في خوي ونواحيها وتسلّط الأشرار عليها[١].

وقال الشيخ الطهراني عنه في الذريعة: المولود (١٢٤٧هـ) والشهيد في فتنة الأكراد بخوي في (٦ ـ شعبان ـ ١٣٢٥هـ)[٢].

وقد رثاه العلّامة الأديب الميرزا محمّد علي الأوردبادي بأبيات من الشعر قائلاً:

خطب ألم غداة جاء عظيما ... فأصاب فيها الندب «إبراهيما»

للّه رزء هد أركان الهدى ... فانصاع يرقل مقعداً ومقيما

عصفت أعاصير الضلال بربعه ... فالتاح تذروه الرياح هشيما

إلى آخر القصيدة.

عملنا في الكتاب

أ ـ النسخ المعتمدة في التحقيق

حصلنا على نسختين لهذا الأثر المهم ألا وهو: كتاب الأربعون حديثاً، وكانت كالتالي:

١ ـ صورة للنسخة الخطيّة المحفوظة في مكتبة مدرسة النمازي ـ بخوي /

---

(١) انظر مرآة الكتب: ١١٠.

(٢) انظر الذريعة ٨: ٤١٢/١١٢.

إيران برقم: ٢٩٢، ورقم المصورة في مركز إحياء التراث الإسلامي: ٤٣٧، وهي بخطّ المصنّف ﷺ، فرغ من كتابتها يوم الأربعاء من ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٩٤هـ.

تحتوي على ٦١٧ صفحة، أبعاد حجم الكتابة ١٨ × ٢٢/٥ سم، وبما أنّها بخطّ المؤلّف ﷺ رمزنا لها بالحرف «م».

٢ ـ صورة للنسخة الخطيّة المحفوظة في مكتبة مدرسة النمازي ـ خوي / إيران، برقم: ٢١٣، ورقم المصورة في مركز إحياء التراث الإسلامي: ٤٢٣، وهي بخط محمّد علي بن فخر الحاج حاجي نقي، نسخة سنة ١٢٩٨هـ.

تحتوي على (٤٢١) صفحة، أبعاد حجم الكتابة ١٨ × ٢٧.

اعتمدنا على هذه النسخة لأنّ نسخة المؤلّف ﷺ في بعض صفحاتها غير واضحة وصعبة القراءة، أمّا هذه النسخة فهي ذات خط جيّد جداً، ورمزنا لها بالحرف «ت».

ب ـ منهج التحقيق

تمّ العمل بهذا الكتاب وفق المراحل والخطوات التالية:

١ ـ قابلتُ نسخة الأصل «م» التي هي بخطّ المصنّف ﷺ مع النسخة «ت» مع المصادر التي ينقل منها المصنّف ﷺ، وثبتُّ الاختلافات فيما بينها في الهامش.

٢ ـ خرجت الآيات القرآنيّة، ووضعتها بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾.

٣ ـ أحاديث المعصومين عليهم الصلاة والسلام وضعتها بين قوسين « »، وقمت بتخريج الأحاديث من المصادر التي ذكرها المصنّف ﷺ في متن كتابه.

وضعنا الهامش على أوّل الحديث، مثلاً: الحديث الأوّل، كان الهامش عليه، وقد نقل المصنّف ﷺ كثيراً ـ وهو إشارة إلى ذلك في المتن ـ عن الوسائل لذا في بعض الأحيان نذكر الجزء والصفحة والباب ثمّ رقم الحديث، وعند تكرار النقل اكتفينا بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث فقط خوفاً من أثقال الهامش، وكذلك قد أشرنا في أكثر من مورد إلى نقولات الحرّ العاملي في الوسائل عن أي مصدر نقل.

٤ ـ شرح بعض الكلمات المبهمة أو الغامضة والتي تحتاج إلى توضيح، وكذلك تعريف بعض أسماء المدن والبلدان بالاعتماد على أهمّ المعجم اللغوية.

٥ ـ كتبنا في الهامش الاختلافات فيما بين النسخ والمصادر، وقلنا مثلاً: في نسخة «م»: (كذا) وإذا كان الاختلاف أكثر من كلمتين فقلنا: في «م» (كذا وكذا) بدل من: (كذا وكذا).

وإذا كلمة أو أكثر غير موجودة في النسخة أو المصدر، وهي لم تؤثّر على المعنى قلنا مثلاً: (كذا) لم ترد في «ت» أو المصدر، وإذا كانت عبارة أكثر من سطر قلنا مثلاً: من قوله (كذا) إلى هنا لم يرد في «ت» أو المصدر، وإذا الكلمة تؤثّر على المعنى، قلنا مثلاً: (كذا) ساقط من «ت» أو المصدر وإذا كانت عبارة أكثر من سطر قلنا مثلاً: من قوله (كذا) إلى هنا ساقط من «ت» أو المصدر.

٦ ـ لم نستخدم الأقواس في المتن لكي لا نشتّت ذهن القارئ، فكلّ كلمة أو أكثر أضفناها عن النسخ أو المصدر، كتبنا في الهامش مثلا: (كذا) من «م» أو المصدر.

أمّا إذا كانت العبارة أكثر من سطر قلنا: من قوله (كذا) إلى هنا أثبتناه من «م» أو المصدر.

٧ ـ وضعنا العناوين الموجودة في حاشية النسختين فوق المطالب وحصرناها بين « ».

٨ ـ وضعنا عنوان لكلّ حديث من الأحاديث الأربعون وحصرناها بين « » معتمدين على فهرست المصنّف في فهرسته لمطالب الكتاب.

٩ ـ الكتب التي ذكرها المصنّف ﷺ في المتن بيّناها بخط بارز.

١٠ ـ تمّ تنظيم الفهارس الفنّيّة لتسهيل تناول المطالب في الكتاب.

وفي الختام

لقد بذلت قصارى جهدي في تحقيق هذا السفر الجليل، وإخراجه إلى عالم النور بحلّة جديدة وبأفضل شكل ممكن، فما وُجد فيه من خلل أو خطأ فهو عن قصور لا تقصير، راجياً من المولى عزّ وجلّ أن يتقبّل منّا ويوفّقنا في خدمة وإحياء ونشر المزيد من تراث نبيّنا وآله صلوات الله عليهم أجمعين إنّه سميع مجيب.

ولا يسعني إلّا أن أتقدّم بجزيل الشكر للدكتور أحمد معين شهيدي مسؤول مؤسسة ثامن في مشهد الرضا عليه السلام لتهيئته النسخ الخطيّة لتحقيق هذا التراث المهم، وكذلك للأخ سامر ثامر عوض الحلّي، وأخي عامر أبو رقيّة لمساعدتهم إياي في مقابلة النسخ، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يوفقهم لكلّ خير إنّه سميع مجيب.

وكذلك أتقدّم بالشكر الجزيل للعتبة الحسينيّة المقدّسة وعلى رأسها الأمين العام سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه)، ولمجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث آل البيت عليهم السلام حيث فتح لنا أبوابه لنشر المزيد من تراث آل البيت عليهم السلام، فجزاهم الله خير الجزاء ووفّقهم لخدمة مذهب الحق مذهب محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين.

باسم محمّد مال الله الأسدي

٣/ شعبان/ ١٤٣٦هـ، يوم ولادة خامس

أصحاب الكساء شهيد كربلاء الإمام الحسين عليه السلام

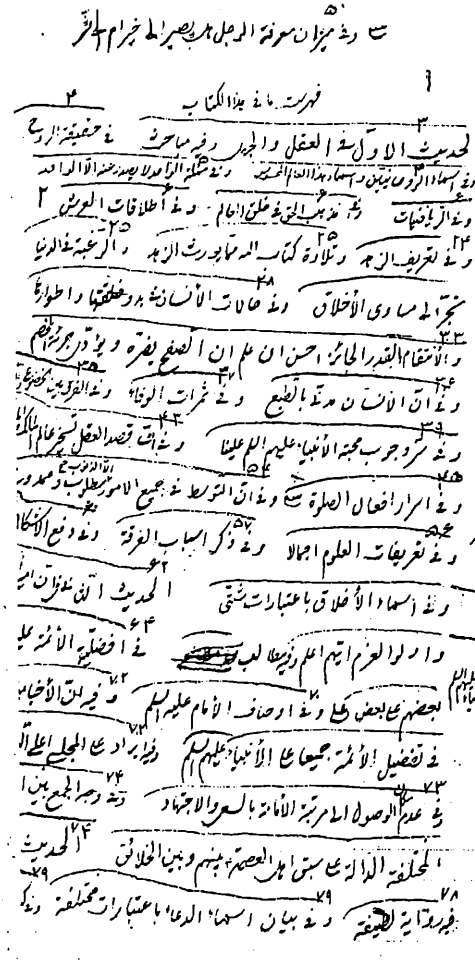

الصفحة الأولى من نسخة «م»

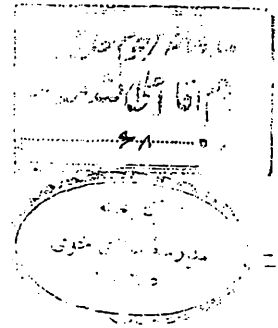

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لتلقي [illegible] الدينية والنظر في الأحاديث النبوية
ومعرفة صحيحها ومشهورها المقتضي عليه أكثر المحدثين أما بعد فإن من أهم العلوم
الحقيقية بالاعتناء بها وذلك من أعظم القربات وأنفع المثوبات
الآخرية وحث الشرع سيدنا محمد أشرف البرية وآله العترة العلوية أما بعد
فلا خلاف بين أولي الألباب والعقول ولا ارتياب عند ذوي المعارف
والفضول أن علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية
قدرا وأحسنها ذكرا وأكملها نفعا وأعظمها أجرا وأنه أحد
أقطاب الإسلام التي يدور عليها ومعاقده التي أضيف إليها وإنه
فرض من فروض الكفايات يجب التزامه وحق من حقوق الدين
يتعين أحكامه وهو على هذه الحال من الاهتمام البين والالتزام
المتعين ينقسم قسمين أحدهما معرفة الفاظه والثاني معرفة معانيه
ولا شك أن معرفة الفاظه مقدمة في الرتبة لأنه الأصل الذي الوقاية
وبها يحصل النظام فإذا عرف ترتب المعاني عليها فكان الاهتمام

بداية المتن من نسخة «م»

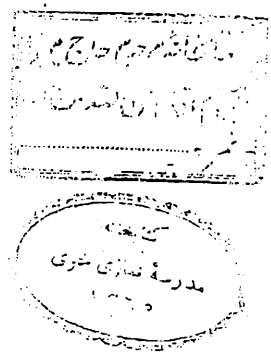

الصفحة الأخيرة من نسخة «م»

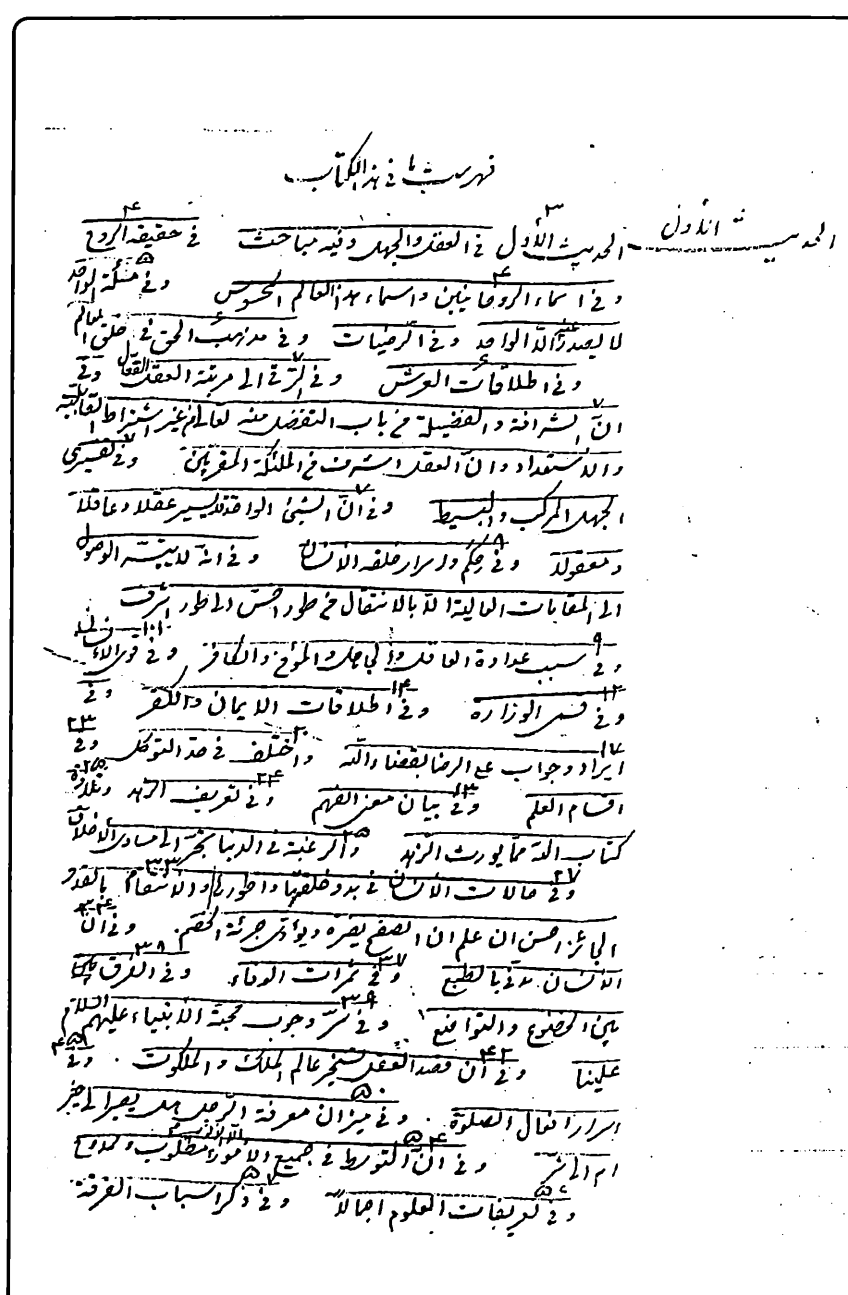

فهرست ما في هذا الكتاب

الحديث الأول في العقل والجهل وفيه مباحث ... في حقيقة الروح ... وفي أسماء الروحانيين وأسماء هذا العالم المحسوس ... وفي مسألة الواحد لا يصدر إلا الواحد ... وفي الرضيات ... وفي مذهب الحق في خلق العالم ... وفي إطلاقات العرش ... وفي الترقي إلى مرتبة العقل الفعال ... وفي أن الشرافة والفضيلة في باب التقدم منه لعالم غير الشرائط العقلية ... وفي أن الاستعداد وأن العقل أشرف في الملائكة المقربين ... وفي تقسيم الجهل المركب والبسيط ... وفي أن الشيء الواحد قد يصير عقلاً وعاقلاً ومعقولاً ... وفي حكم وأسرار خلقة الإنسان ... وفي أنه لا يمكنه الوصول إلى المقامات العالية إلا بالانتقال في أطوار أحسن وأطوار أشرف ... وفي سبب عداوة العاقل وإلى جهل الموفق والكافر ... وفي نور الإيمان ... وفي قسم الوزارة ... وفي إطلاقات الإيمان والكفر ... واختلف في حد التوكل ... وفي إيراد وجواب عن الرضا بقضاء الله ... وفي تعريف الزهد وتلازمه ... وفي أقسام العلم ... وفي بيان معنى الفهم ... وفي تعريف الزهد ... كتاب الله مما يورث الزهد ... والرغبة في الدنيا بحسب الأسباب الأخلاقية ... وفي حالات الإنسان في بدو خلقها وأطوارها والانتهاء بالقدر ... الباعث لحسن أن علم أن الصفع يضره ويؤذي جرئة الخصم ... وفي أن الإنسان مدني بالطبع ... وفي ثمرات الوفاء ... وفي الفرق بين التواضع والتواضع ... وفي سر وجوب محبة الأنبياء عليهم السلام علينا ... وفي أن قصد العقل تسخير عالم الملك والملكوت ... أسرار أفعال الصلوة ... وفي ميزان معرفة الرجل بهذا يصير أخيراً ... وفي أن التوسط في جميع الأمور مطلوب ... وفي تعريفات العلوم إجمالاً ... وفي ذكر أسباب الغرفة

الصفحة الأولى من نسخة «ت»

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية المتن من نسخة «ت»

٤٦٦

ومستعينه وعلى كل ناظر فيه ان لا ينسانى من اهداء الدعوات
والاكثار من الترحم على واسأل الله ان يجعلنى واياهم من
السعداء فى وسادس الأرقام وصفت طويته فى الدارين
يا عدتنا فى الحمد المحيط للاعمال المؤدى الى افسح المآل و
يسر
بالخلافة على اهل والآل ويذهب الغش فى القلوب ويوجب
علام الغيوب فانه اسمع سميع واكرم مجيب والحمد لله رب العالمين
وصلوته على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين وقد وفقت باتمام هذا
الكتاب بعون الملك الوهاب فى يوم الأربعاء فى شهر ذى الحجة الحرام
فى شهور سنة اربع وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة وانا العبد
الذليل المحتاج الى عفو ربه الجليل ابراهيم بن السيد بن على بن
الغفار
الدنيا الحرى فى اراد الاطلاع على تفصيل احوال المؤلف فعليه بكتاب
ملخص المقال فى تحقيق احوال الرجال والحمد لله اولاً وآخراً وباطناً
وظاهراً

تمت كتاب الأربعين بعون الملك الحق المبين فى سنة ١٢٩٦ الف
والسلام على محمد وآله الطاهرين وعلى اعاديهم وغاصبى حقوقهم ومنكرى فضائلهم الى الآن
١١٢
رب اغفر لعبدك الفقير محمد ابن فخر الحاج صاحب نقد عفا الله عنهما آمين
محمد وآله الطاهرين
آمين يا رب
العالمين
مم
م

إصدارات المجمع: ٣٢

الأربعون حديثاً

تأليف

الميرزا إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي

المستشهد سنة ١٣٢٥ هـ

الجزء الأول

تعليق وتحقيق

الشيخ باسم محمد مال الله الأسدي

إشراف

مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام

فهرست ما في هذا الكتاب

الحديث الأوّل: في العقل والجهل

وفيه مباحث: في حقيقة الروح، وفي أسماء الروحانيّين وأسماء هذا العالم المحسوس، وفي مسألة الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، وفي الرياضيات، وفي مذهب الحقّ في خلق العالم، وفي إطلاقات العرش، وفي الترقّي إلى مرتبة العقل الفعّال، وفي أنّ الشرافة والفضيلة من باب التفضّل منه تعالى من غير اشتراط القابليّة والاستعداد وأنّ العقل أشرف من الملائكة المقرّبين، وفي تفسيرَي الجهل المركّب والبسيط، وفي أنّ الشيء الواحد قد يسير عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، وفي حِكَم وأسرار خلقة الإنسان، وفي أنّه لا يتيسّر الوصول إلى المقامات العالية إلّا بالانتقال من طور أخسّ إلى طور أشرف، وفي سبب عداوة العاقل والجاهل والمؤمن والكافر، وفي قوى الإنسان، وفي قسمي الوزارة، وفي إطلاقات الإيمان والكفر، وفي إيراد وجواب على الرضا بقضاء الله، واختلف في حدّ التوكّل، وفي أقسام العلم، وفي بيان معنى الفهم، وفي تعريف الزهد، وتلاوة كتاب الله ممّا يورث الزهد، والرغبة في الدنيا تجرّ إلى مساوي الأخلاق، وفي حالات الإنسان في بدو خلقتها وأطوارها، والانتقام بالقدر

الجائز أحسن إن علم أنّ الصفح يضرّه ويؤدّي جرأة الخصم، وفي أنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، وفي ثمرات الوفاء، وفي الفرق بين الخضوع والتواضع، وفي سرّ وجوب محبّة الأنبياء عليهم السلام علينا، وفي أنّ قصد العقل تسخير عالم الملك والملكوت، وفي أسرار أفعال الصلاة، وفي ميزان معرفة الرجل هل يصير إلى خير أم إلى شرّ، وفي أنّ التوسّط في جميع الأُمور إلّا الذنوب مطلوب وممدوح، وفي تعريفات العلوم إجمالاً، وفي ذكر أسباب الفرقة، وفي دفع الإشكال عن الدعاء، وفي أسماء الأخلاق باعتبارات شتّى.

الحديث الثاني: في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وأُولوا العزم أيّهم أعلم؟

وفيه مطالب: في أفضليّة الأئمّة عليهم السلام بعضهم على بعض، وفي أنّ الإسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً قسّمها بين الأنبياء عليهم السلام، وفي أوصاف الإمام عليه السلام، وفيه أنّ الأخبار متواترة في تفضيل الأئمّة جميعاً على الأنبياء عليهم السلام، وفيه إيراد على المجلسيّ أعلى الله مقامه، وفي عدم إمكان الوصول إلى مرتبة الإمامة بالسعي والاجتهاد، وفي وجه الجمع بين الروايات المختلفة الدالّة على سبق أهل العصمة عليهم السلام بينهم وبين الخلائق.

الحديث الثالث: في علم الأئمّة عليهم السلام

فيه رواية لطيفة: وفي بيان أسماء الدعاء باعتبارات مختلفة، وفي كيفيّة تولّد الإمام عليه السلام، وفي كيفيّة خلقة الإمام عليه السلام، وفي كيفيّة علم الإمام عليه السلام بما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها وما دون العرش، وفي اختلاف العلماء في علمهم عليهم السلام الغيب، وفي أقسام المعلومات إجمالاً، وفي اعتقادات المجلسي رحمه الله في إحاطة علم الإمام عليه السلام.

الحديث الرابع : في أوصاف النبيّ ﷺ في الزبر السالفة

في أوصاف النبي ﷺ على لسان عيسى عليه السلام، وفي صحيفة آدم عليه السلام المذكور فيها أوصاف النبي ﷺ، وفي ذكر عدد الشرائع، وفي صحيفة شيث الكبرى التي انتهى ميراثها إلى إدريس وكان كتابتها بالقلم السرياني، وفي اختلاف أولاد آدم في أنّ أيّ الخلق عندكم أكرم عند الله منزلة، وفي تابوت إبراهيم عليه السلام المتضمّن لأوصاف النبيّ ﷺ، وفي ما أُنزل على موسى عليه السلام من التوراة في أوصاف النبي ﷺ، وفي أوصاف النبي ﷺ في إنجيل المسيح، وفي وصف النبي ﷺ بأنّه كثير الأزواج قليل الأولاد، وفيه إيراد على المجلسي رحمه الله، وفيه أنّ أكثر علمائنا بل كلّهم قائلون بأنّ أئمّتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء سوى نبيّنا ﷺ.

الحديث الخامس : في أصل حقيقة أمر الخلافة بعد النبي ﷺ.

الحديث السادس : في أنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى.

الحديث السابع : في أنّ خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى والناس نيام.

الحديث الثامن : في أنّ قضاء حوائج الإخوان موجب من الله سبحانه الزيادة

وفيه استجابة دعاء الإمام عليه السلام.

الحديث التاسع : في أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون والفساد

وفيه أنّ اليمين مأخوذ من أيّ شيء، وفيه أنّ الذنوب منحصرة في أربعة أوجه.

الحديث العاشر : في فضيلة الصلاة ووجوبها في تشهّد الصلاة واختيارها على غيرها من الأعمال

وفيه استحباب الصلاة عليهم يوم الجمعة ألف مرّة وفي كلّ يوم مائة مرّة،

وفيه أنّ الصلاة على محمّد وآله سبب قضاء مائة حاجة؛ ثلاثون منها للدنيا، وفيه من صلّى على النبيّ ﷺ بهذه الصلاة خرج من الذنوب كهيئة يوم ولدته أُمّه، وفيه استحباب ذكر الرسول والأئمّة عند ذكر الله وفي كلّ مجلس، وفيه استحباب الصلاة على محمّد وآله في أوّل الدعاء ووسطه وآخره، وفيه استحباب تقديم الصلاة على محمّد وآل محمّد كلّما ذكر أحد من الأنبياء وأراد أن يصلّي عليه، وفيه أنّه هل يجب الصلاة على النبيّ ﷺ حيث ما ذكر أم يستحبّ؟

الحديث الحادي عشر: في تنزيه الأنبياء عليهم السلام

وفيه أنّ النصارى مثلّثون أي يجعلون ابناً وأُمّاً وهو تعالى ثالثهم.

الحديث الثاني عشر: في أنّ يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضاه

وفيه أنّه كان فراش رسول الله ﷺ عباءة.

الحديث الثالث عشر: في وصيّة عليّ عليه السلام

ولو لم يكن في هذا الكتاب إلّا هذا لكفى موعظة لمن اتّعظ وعبرة لمن اعتبر، وفيه أنّ الفاكهة قبل الطعام أوفق بالطبّ وأبعد عن الضرر، وفيه الفرق بين الخوف والخشية، دفع إشكال عن توبة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

الحديث الرابع عشر: في الحديث القدسي، قال الله عزّ وجلّ: «يا بني آدم، كلّكم ضالّ إلّا من هديت»

وفيه أنّ أقسام الهداية خمس، وفيه أنّ العُجب من المهلكات العظيمة، وفي ردّ الملائكة عن السماوات عمل الغير الخالص من الشوائب.

الحديث الخامس عشر: فيما يُدعى به لقضاء الدين.

الحديث السادس عشر: في قول الحواريّين لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من نُجالِس؟

الحديث السابع عشر: في مرور عيسى بن مريم على قرية مات أهلها.

الحديث الثامن عشر: في مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله من الأكل على الجنابة وغيرها

وفيه تفسير طينة خبال، وفيه ذكر الغيبة ومواضع جوازها، وفيه معنى الإصرار، وفيه نقل آراء في تحقيق الكبائر.

الحديث التاسع عشر: فيما وعظ الله عزّ وجلّ به عيسى عليه السلام

وفيه وجه تسمية مسيح عليه السلام، وفيه البركة من متواترات معجزاته صلى الله عليه وآله، وفيه وجه تسمية مكّة بكّة، وفيه معنى الحنيف، وفيه أنّ اليهوديّة سَمَّت النبيّ صلى الله عليه وآله.

الحديث العشرون: في المداراة

وفيه من زار قبر أخيه وقرأ «إنّا أنزلناه» سبع مرّات أمن من الفزع الأكبر.

الحديث الحادي والعشرون: في أنّ من لم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم

وفيه تعريف الإسلام والفرق بينه وبين الإيمان.

الحديث الثاني والعشرون: في أنّ من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافيته ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا.

الحديث الثالث والعشرون: في أنّه لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث خصال

وفيه تفسير السنّة.

الحديث الرابع والعشرون: في كيفيّة الصلاة

وفيه دعا له الكاظم عليه السلام بالدار والزوجة والولد والخادم والحجّ خمسين سنة فبلغ ذلك.

الحديث الخامس والعشرون: في اختيار مجالسة الأخيار والاجتناب عن مجالسة الأشرار.

الحديث السادس والعشرون: في اختلاف الناس في الفضائل النفسانيّة

وفيه درجات الإيمان.

الحديث السابع والعشرون: في أنّ عمل الإنسان قرينة في قبره ونشره.

الحديث الثامن والعشرون: في تأكّد استحباب المواظبة على صلاة الليل

وفيه فوائد صلاة الليل في الدنيا والآخرة، وفيه الساعة التي يستجاب فيها الدعاء، وفيه نصيحة مهدية.

الحديث التاسع والعشرون: في استحباب كثرة الزوجات

وفيه عدد أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وتفضيل بعضها على بعض، وفيه أنّ النكاح مستحبّ مؤكّد لمن تاقت نفسه إليه، وفيه أنّ النكاح أفضل من التخلّي في العبادة.

الحديث الثلاثون: في كيفيّة الوضوء

وفيه إيراد على الشيخ البهائيّ رحمه الله، وفيه استدلال الغاسلين والماسحين، وفيه مناظرة الغاسلين والماسحين.

الحديث الحادي والثلاثون: في ثواب الحجّ

وفيه إيراد على البهائيّ رحمه الله، وفيه أنواع البلايا مسبّبة عن الذنوب، وفيه فضيلة زيارة الحسين بن عليّ عليه السلام، وفيه دعاء صادقيّة للزائرين، وفيه أنّ الزائر لم يسأل الله حاجة إلّا قضاها، وفيه أنّ الله سبحانه عوّض الحسين بن عليّ عليه السلام من قتله أنّ الإمامة من ذرّيّته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره ولا تعدّ أيّام زائريه

جائياً وراجعاً من عمره، وفيه أنّ زوّار الحسين عليه السلام يدخلون الجنّة قبل الناس بأربعين عاماً، وفيه أنّ الله يكتب لزوّاره عليه السلام بكلّ خطوة حجّة وكلّ ما رفع قدماً عمرةً، وفيه غير ذلك، وفيه وجه الجمع بين الأخبار المختلفة الدالّة بعضها على أنّ زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجّة وعمرة، وبعضها على عشرين حجّة، وبعضها على خمسين حجّة، وبعضها على ألف حجّة وأزيد من ذلك وأنقص، وفيه وجمع الجمع بين الأخبار المختلفة الدالّة على تفضيل زيارة الحسين عليه السلام على غيرها من العبادات، وفيه كراهة ترك زيارة الحسين عليه السلام، وفيه استحباب زيارة الحسين عليه السلام في حال الخوف والأمن، وفيه كيفيّة زيارة الحسين عليه السلام إجمالاً.

الحديث الثاني والثلاثون: فيمن بلغه ثواب فَصَنَعَهُ كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه.

الحديث الثالث والثلاثون: في دعاءمختصر عوض من الصلاة والصوم والحجّ والجهاد

وفيه قياس النسبة إلى فُعَيْل.

الحديث الرابع والثلاثون: في أنّ الناس ثلاثة: عالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهَمَجٌ رُعاعٌ أتباعُ كُلّ ناعِقٍ

وفيه عدم خلوّ الأرض من إمام عليه السلام إلى آخر التكليف، وفيه حديث لطيف، وفيه أنّ في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء عليهم السلام، وفيه ذكر غيبة بعض الأنبياء عليهم السلام، وفيه الإشارة إلى بعض المعمّرين، وفيه إثبات إمامة الثاني عشر وبقائه إلى هذا الزمان كما هو مضمون الأخبار الكثيرة.

الحديث الخامس والثلاثون: في ما روي عن عليّ عليه السلام: أنا النقطة تحت الباء وهو من معضلات الحديث

وفيه وجه الجمع بين قوله صلى الله عليه وآله: «الفقر فخري» وقوله صلى الله عليه وآله: «الفقر سواد الوجه

في الدارين»، وفيه معنى قاب قوسين أو أدنى، وفيه أنّ انتساب كلّ المشايخ إلى عليّ وأولاده عليهم السلام، وفيه ذكر الخرقة.

الحديث السادس والثلاثون: في قضاء عليّ عليه السلام في خمسة أرغفة وغيرها من القضايا العجيبة.

الحديث السابع والثلاثون: في أنّ روح القدس في جنان الصاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة.

الحديث الثامن والثلاثون: في ما روي عن عليّ عليه السلام قال: لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»

وفيه بيان كيفيّة استنباط المسائل الكثيرة من الألفاظ القليلة، وفيه بيان الاشتقاق.

الحديث التاسع والثلاثون: في قول أبي عبد الله عليه السلام «أسلم أبوطالب بحساب الجمل» وهو من مشكلات الأحاديث

وفيه بيان علم العقود.

الحديث الأربعون: في قول عليّ بن الحسين عليهما السلام «ويل لمن غلبت آحاده أعشاره»

وفيه أنّ الكتاب والسنّة وإجماع الأُمّة دالّة على ثبوت المحاسبة وحصول التدقيق والمناقشة في الحساب، وفيه طريق العلاج في الالتزام بعد التقصير في العمل، وفيه كيفيّة عبادة سلفنا الصالحين إجمالاً.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وَلْنَشِر إلى الرموز المصطلحة في كتب الرجال؛ فللكشّيّ «كش»، وللنجاشيّ «جش»، ولفهرست الشيخ ﵀ «ست»، وللخلاصة «صه»، ولرجال الشيخ «جخ»، ولأبوابه فلأصحاب الرسول ﷺ «ل»، ولأصحاب عليّ ؑ «ي»، ولأصحاب الحسن ؑ «ن»، ولأصحاب الحسين ؑ «سين»، ولأصحاب عليّ بن الحسين ؑ «ين»، ولأصحاب الباقر ؑ «قر»، ولأصحاب الصادق ؑ «ق»، وللصدوق أيضاً «ق» ويُعْلَم بالقرائن، ولأصحاب الكاظم ؑ «ظم»، ولأصحاب الرضا ؑ «ضا»، ولأصحاب الجواد ؑ «ج»، وللجمع أيضاً «ج» ويُعْلَم بالقرائن، ولأصحاب الهادي ؑ «دي»، ولأصحاب العسكري ؑ «كر»، ولمن لم يروي عنهم «لم»، ولرجال ابن داود «د»، ولفهرست عليّ بن عبد الله بن بابويه «عه»، ولرجال عليّ بن أحمد العقيقي «عق»، ولتقريب ابن حجر «قب»، ولمختصر الذهبي «هب»، وللفضل بن شاذان «فش»، ولمحمّد بن مسعود «معد»، ولابن عقدة «عقد»، ولتعليقة الأغا البهبهاني «تعق»، ولابن طاوس ﵀ «طس»، ولعليّ بن الحسن بن فضّال «عل»، ولكتاب أمل الآمِل «مل»، وللنقد «نقد»، وللشيخ محمّد المتبحّر في هذا الفنّ «مد»، وللمختلف من الرجال «مخ»، وللمتّفق منها «مق»، وللمجهول «م»، وللضعيف «ض»، وللحسن «ح»، وللموثّق «ثق»، وللعدل الإماميّ الضابط «ثقة»، انتهى.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

تنبيه: وَلِيَ في نقل الأخبار متصلاً إلى الأئمّة الأطهار طريقان:

أحدهما: أنقله وأرويه عن شيخنا وملاذنا العامل الكامل الفاضل النبيه الفقيه، المحيط بأطراف الكلام، والناظر على بصيرة في الأخبار الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام، الشيخ مهدي النجفي رحمه الله أصلاً ومسكناً ومدفناً، وهذا الشيخ كان عالماً جليلاً مرجعاً للعوام والخواصّ، انتهت رياسة بيت الجعفريّة إليه، وقرأ عليه جملة من العلماء المعاصرين، وربّى كثيراً من الطلّاب والعلماء؛ علماً ومآلاً، برّد الله مضجعه.

وهذا الشيخ طاب ثراه يروي عن شيخه وأُستاذه ومن كان عليه بعدالته، اعتماده سلمان زمانه وأبوذر دورانه، عمّه المؤتمن جناب الشيخ حَسَن قدّس الله روحه الزكية.

عن شيخه وأُستاذه، سلطان المجتهدين ومرجع العلماء المحقّقين، وكهف المؤمنين وملاذ المسلمين، أخيه الأعظم جناب الشيخ موسى قدّس رمسه[1].

عن شيخه وأُستاده، علّامة الدهر وفريد العصر وعميد القدر، من ألقت إليه العلماء الانقياد، وأذعن لفضيلته الحاضر والباد، منار الشريعة ومالك عنانها وفارس ميدانها وحبر زمانها وموضح برهانها ومشيّد أركانها، والده الأعظم جناب الشيخ جعفر أعلى الله مقامه.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الرمس: تراب القبر. (منه رحمه الله)

عن شيخه وأُستاذه بحر العلوم، والآخذ من الظالم حقّ المظلوم، علّامة دهره وفريد عصره جناب السيّد محمّد مهدي الطباطبائي طاب ثراه، وجعل الجنّة مثواه.

عن شيخه وأُستاذه صاحب الفضل والنبل، وأُستاد الكلّ في الكلّ، النجم الزاهر والبحر الزاخر، ومرجع الأوائل والأواخر، جناب الآقا باقر طاب ثراه.

عن شيخه عن مشايخه قدّس سرّهم.

والآخر[1]: أنقله وأرويه عن العالم الربّاني والمحقّق الصمداني والزاهد التارك للدنيا الفاني والمحقّق الذي ليس له ثان، والجامع للأُصول والفروع، ذو الملكة القويّة والفطانة الزكيّة، شيخنا وملجئنا جناب الشيخ محمّد حسين الكاظماوي أدام الله أيّام إفاضاته، عن شيخنا وأُستاذنا سيّد العلماء الأعلام ومولا فضلاء الإسلام، علّامة دهره وزمانه، ووحيد عصره وأوانه، الشيخ المرتضى الأنصاريّ، الذي مرّ ذكره في القسم الأوّل من الكتاب[2]، وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره، وقد انتهت رئاسة الإماميّة في عصره إليه.

عن شيخه الأجلّ الأفخم الأمجد الحاج ملّا أحمد النراقيّ ﷺ، عن جناب الآخوند ملّا مهدي النراقيّ ﷺ، عن والده، عن العلّامة الآقا البهبهانيّ، عن مشايخه المرحومين المشهورين المسطورين في كتب الإجازات متّصلاً إلى الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أي الطريق الآخر. (منه ﷺ)

(٢) في حاشية «م» «ت»: أي كتاب ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال. (منه ﷺ)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي وفّقني للتخلّي عن الحركات الدنيويّة والنظر في المهمّات الأُخرويّة، وصرف عزمي عن الوجه الذي انقضى عليه أكثر العمر من الإعراض عن الجواهر الحقيقيّة إلى الأعراض المجازيّة، وذلك من أعظم المنن الربّانيّة والهِبات الإلَهيّة.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد أشرف البريّة وآله العترة العلويّة.

أمّا بعد: فلا خلاف بين أُولي الألباب والعقول، ولا ارتياب عند ذوي المعارف والفحول أنّ علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلاميّة قدراً، وأحسنها ذكراً، وأكملها نفعاً وأعظمها أجراً، وإنّه أحد أقطاب الإسلام التي يدور عليها ومعاقده التي أُضيف إليها، وإنّه فرضٌ من فروض الكفايات يجب التزامه، وحقّ من حقوق الدين بتعيّن أحكامه، وهو على هذه الحال من الاهتمام البيّن والالتزام المتعيّن ينقسم قسمين:

أحدهما: معرفة ألفاظه.

والثاني: معرفة معانيه.

ولا شكّ أنّ معرفة ألفاظه مقدّمة في الرتبة لأنّه الأصل في الخطاب وبها يحصل التفاهم، فإذا عرفت ترتّب المعاني عليها فكان الاهتمام ببيانها أولى.

وثمّ الألفاظ تنقسم إلى مفردة ومركّبة، ومعرفة المفردة مقدّمة على معرفة المركّبة؛ لأنّ التركيب فرع على الأفراد.

والألفاظ المفردة تنقسم إلى قسمين: أحدهما خاصّ والآخر عامّ؛ أمّا العام فهو ما يشترك فيه جمهور أهل اللسان العربي ممّا يدور بينهم في الخطاب، فهم في معرفته شرع سواء أو قريب من السواء، تناقلوه فيما بينهم وتداولوه وتلقّوْه من حال الصغر لضرورة التفاهم وتعلّموه.

وأمّا الخاصّ فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغويّة والكلمات الغريبة الوحشيّة التي لا يعرفها إلّا من عنى بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانّها، وقليلٌ ما هُم، فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاصّ من الألفاظ أهمّ ممّا سواه، وأولى بالبيان ممّا عداه، ومقدّماً في الرتبة على غيره، ومبدوّاً في التعريف بذكره؛ إذ الحاجة إليه ضروريّة في البيان، لازمة في الإيضاح والعرفان.

ثمّ معرفته تنقسم إلى معرفة ذاته وصفاته؛ أمّا ذاته فهي معرفة وزن الكلمة وبنائها وتأليف حروفها وضبطها لئلّا يتبدّل حرف بحرف أو بناء ببناء، وأمّا صفاته فهي معرفة حركاته وإعرابه لئلّا يختلّ فاعل بمفعول أو خبر بأمر وغير ذلك من المعاني التي مبنى فهم الحديث عليها، فمعرفة الذات استقلّ بها علماء اللغة والاشتقاق، ومعرفة الصفات استقلّ بها علماء النحو والصرف، وإن كان الفريقان لا يكاد يفترقان لاضطرار كلّ منهما إلى صاحبه في البيان.

وقد تحقّق أنّ أهمّ ما توجّهت إليه الهمم العوالي وأحقّ ما اتّفقت عليه الأيّام والليالي هو العلوم الدينيّة التي عليها مدار أمر الإسلام والمعارف الملّيّة التي إليها دعائم الأنبياء عليهم السلام، وسيّما علم الحديث ودرايته ونقله وروايته والبحث عن

حاله والفحص عن رجاله والوقوف على رموزه والوصول إلى كنوزه؛ فطوبى لمن وجّه إليه همّته، وبيّض عليه لِمَّتَهُ، وجعله شعاره ودثاره، وصرف فيه ليله ونهاره.

وهذه أربعون حديثاً من طرق أهل بيت النبوّة والولاية، ومنبع الفتوّة والهداية جمعتها من أماكن عديدة ومواطن شريدة تبصرةً لإخوان الدين، وتذكرة لِخِلّان اليقين، موشّحة أحاديثه بتفسير المباني وتقرير المعاني، وتبيين النكات وتوضيح المعلّقات، واستكشاف الدلائل واستنباط المسائل إلى غير ذلك ممّا انجرّ إليه الكلام في بعض الأوقات من سوانح المباحثات ولوايح المطارحات ممّا سمح به النظر القاصر وانتهى إليه الفكر الفاتر.

ثمّ غاية المسئول ممّن جُبلت سريرته على العدالة والإنصاف، والمأمول ممّن تجنّب بحسب الغريزة من الجور والاعتساف أن يصحّح الخطأ والخلل مواضع القصور والزّلل، بشريطة المهارة والتفطّن الفائق والتفحّص اللّائق، فإنّكم تعلمون أنّ الغوص على دُرر الدقائق يتعذّر مع تلاطم أمواج المحن والعوائق، وإلى الله المشتكى من دهر قلّما أضحك وطالما أبكى، وها أنا باسطٌ كفّ السؤال إلى من لا يخيب لديه الآمال أن يعصمني عن اقتحام موارد الزّلل في القول والعمل، وأن يوفّقني لإكماله على احسن الوجوه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبّله بلطفه العميم وفضله العظيم.

وقد استفاض بين الخاصّة والعامّة ما اشتهر في الألسنة عن النبيّ ﷺ: «من حفظ على أُمّتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه من أمر دينهم بعثه الله عزّ وجلّ

يوم القيامة فقيهاً عالماً»[١] بل قيل[٢] بتواتره، ولا يبعد أن يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس بما يعمّ الحفظ عن ظهر القلب كما هو المتعارف المعهود في الصدر السالف، والكتابة والنقل[٣] بين الناس ولو من كتاب وأمثال ذلك.

والظاهر أنّ المراد من قوله ﷺ «من حفظ» ترتّب الجزاء على مجرّد حفظ لفظ الحديث وإنّ معرفة معناه غير شرط في حصول الثواب ـ أعني البعث بمجرّد ذلك في زمرة الفقهاء العلماء الذين يرجّح مدادهم على دماء الشهداء ـ وهو غير بعيد فإنّ حفظ ألفاظ الحديث طاعة كحفظ ألفاظ القرآن، وقد دعا ﷺ لناقل الحديث وإن لم يكن عالماً بمعناه كما يظهر من قوله ﷺ: «رحم الله امرءً سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها، فرُبّ حامل فقه ليس بفقيه، وفي رواية[٤] ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٥].

وقد يسّر الله ـ وله الحمد ـ تأليف ما قصدت، وأرجو أن يكون بحيث توخّيت[٦]، فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيّتنا في إهداء النصيحة إذ كانت واجبة لإخواننا وأهل ملّتنا مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكلّ من اقتبس منه

---

(١) الخصال: ٥٤١/ح ١٥، ثواب الأعمال: ١٣٤، الاختصاص: ٦١، عوالي اللئالي ٤: ٧٩/ح ٧٧، هذا وقد أفرد له المجلسي ﷺ باب كاملاً في بحار الأنوار ٢: ١٥٣/الباب ٢٠ فانظره هناك.
وانظر كتاب الأربعين للنسوي: ٨٦، والحد الفاصل للرامهرمزي: ١٧٣، وكتاب الأربعون الصغرى للبيهقي: ٢٢، وكنز العمّال ١٠: ٢٢٤/ح ٢٩١٨٢ و...

(٢) في حاشية «م» «ت»: الظاهر أنّ القائل من العامّة. (منه ﷺ)

(٣) في حاشية «م» «ت»: كلاهما عطف على الحفظ. (منه ﷺ)

(٤) (وفي رواية) أثبتناها من المصدر.

(٥) مستدرك الوسائل ١٧: ٢٨٨/ح ١٤، عن عوالي اللئالي ٤: ٦٦/ح ٢٤ و٢٥، عدّة الداعي: ٢٢.

(٦) في حاشية «م» «ت»: الوخى: القصر. (منه ﷺ)، (انظر القاموس المحيط ٤: ٣٩٩).

وعمل بما فيه في دهرنا هذا وفي غابره إلى انقضاء الدنيا، إذ الربّ واحد والرسول واحد والشريعة واحدة، وحلال محمّد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

وأوّل ما أبدأ وأفتتح به كتابي هذا حديث العقل وفضائل العلم وارتفاع درجة أهله، ونقص الجهل وخساسة أهله وسقوط منزلتهم إذ كان العقل هو القطب الذي عليه المدار وبه يحتجّ وله الثواب وعليه العقاب.

الحديث الأوّل[1]

«في العقل والجهل، وفيه مباحث»

ما رواه الكليني ﷺ في كتاب العقل والجهل:

عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن حديد، عن سماعة بن مهران.

قوله: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد: يحتمل أن يكون أحمد هذا ابن محمّد بن عيسى ـ كما هو المصرّح به في بعض النسخ ـ فيكون العدّة عبارة عن: محمّد بن يحيى العطّار وعليّ بن موسى الكمندانيّ وداود بن كورة وأحمد بن إدريس وعليّ بن إبراهيم بن هاشم.

ويحتمل أن يكون أحمد بن محمّد بن خالد، فعلى هذا يكون العدّة عبارة عن: عليّ بن إبراهيم وعليّ بن محمّد بن عبد الله بن أُذينة وأحمد بن عبد الله ابن أُميّة وعليّ بن الحسن.

---

(١) الكافي ١: ٢٠/ح١٤.

وأمّا عليّ بن حديد: فقد ضعّفه الشيخ ﷺ في الاستبصار والتهذيب، وقال: لا يعوَّل على ما ينفرد بنقله[١].

وفي «كش» عن نصر بن الصباح أنّه فطحيّ من أهل الكوفة، وكان أدرك الرضا عليه السلام[٢]، وفيه رواية تدلّ على مدحه ولكنّها محمولة على خلاف ظاهرها مع كونها ضعيفة[٣].

وأمّا سماعة بن مهران: فقال «جش» و«صه»: ثقة ثقة[٤]، وفي «ظم» و«صه»: كان واقفيّاً[٥]، وما في شرح الفاضل الصالح ﷺ، مِن أنّه فطحيّ[٦]؛ لعلّه سهو من قلم النسّاخ، وفي «تعق» بالغ في إنكار وقفه وقال: روى عنه من لا يروي إلّا عن ثقة، كابن أبي عمير وابن أبي نصر وجعفر بن بشير وصفوان بن يحيى[٧]. وبالجملة حديثه لا يقصر عن حديث الثقات؛ لما في العدّة من أنّ الطائفة عملت بما رواه[٨]، وغير ذلك من الأمارات.

قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «اعرفوا العقلَ وجُندَه».

«الجند» جمعٌ معدّ للحرب، كذا عن المغرب، وفي الصحاح: الجند الأعوان

---

(١) الاستبصار ٣: ٩٥، تهذيب الأحكام ٧: ١٠١.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٤٠/ح١٠٧٨.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٨٧/ح ٩٥٠.

(٤) رجال النجاشي: ١٩٣/رقم الترجمة ٥١٧، خلاصة الأقوال: ٣٥٦/رقم الترجمة ١.

(٥) رجال الطوسي: ٣٣٧/رقم الترجمة ٤، خلاصة الأقوال: ٣٥٦/رقم الترجمة ١.

(٦) انظر شرح أصول الكافي ١: ٢٥٧.

(٧) تعليقة على منهج المقال: ١٩٥.

(٨) انظر تعليقة على منهج المقال: ١٩٦، نقلاً عن عدّة الأصول ١: ٣٨١(ط. ق).

والأنصار[١]، وفي عدّ كلّ واحد من الأُمور المذكورة جنداً باعتبار تكثّر أفراده وشعبه[٢].

«والجهلَ وجُندَه تهتدوا»، قال سماعة: فقلت: جعلت فداك.

«الفدا» ـ إذا كُسِر أوّله يُمدّ ويُقصّر، وإذا فُتِح فهو مقصور ـ فكاك الأسير، وفداه[٣]؛ بنفسه وفدّاه إذا قال له: جعلت فداك.

لا نعرفُ إلّا ما عرّفتنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خَلْقٍ من الروحانيّين»، وأحسن ما قيل في معنى الحديث الشريف ما ذكره الفاضل الصالح رحمه الله، قال:

«في حقيقة الروح»

الروح يُذكَّر ويُؤنَّث، وقد تكرّر ذكره في القرآن والحديث على معانٍ، منها: جبرئيل عليه السلام؛ في قوله تعالى: ﴿**الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾[٤] و ﴿**رُوحُ الْقُدُسِ**﴾[٥]، ومنها: سائر الملائكة، ومنها: القوّة التي تقوم بهذا الجسد وتكون به الحياة، ومنها: القوّة الناطقة الإنسانيّة التي يعبّر عنها الإنسان بقوله «أنا».

واختلف المتكلّمون والحكماء وغيرهما في حقيقته وقالوا فيه أقوالاً كثيرة وظنّوا فيه ظنوناً متقاربة صدرت عنهم من غير بصيرةٍ، فإنّه لا يعلم حقيقته إلّا الله

---

(١) الصحاح ٢: ٤٦٠ ـ جند.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ١: ٢٦٩.

(٣) لسان العرب ١٥: ١٥٠ ـ فدا.

(٤) سورة الشعراء ٢٦: ١٩٣.

(٥) سورة النحل ١٦: ١٠٢.

سبحانه ومن علّمه من عباده كما قال جلّ شأنه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[١] وهو مذهب أكثر المتكلّمين وأرباب المعاني وأهل الباطن.

وتقول في نسبته الواحد: الروحاني، وفي نسبته الجميع: الروحانيّين.

يُروى بضمّ الراء وفتحها[٢]، والألف والنون من زيادات النسب.

ومكان روحانيّ ـ بالفتح ـ أي طيّب.

«في أسماء الروحانيين وأسماء هذا العالم المحسوس»

ثمّ الروحانيّون يطلق عليهم عالم المجرّدات، وعالم الغيب، وعالم الملكوت، وعالم الأمر كما يُطلق على هذا العالم المحسوس عالم الماديّات، وعالم الشهود، وعالم الملك، وعالم الخَلْق.

وقد يُقال أنّ الروحانيّين جواهر مجرّدة نورانيّة غير مفتقرة في وجودها إلى جسم وجسمانيّات، فإن كان في فعلها وتصرّفها مفتقرة إليها فهي نَفْس، وإلّا فهي عقل أو غيره، وأنّ الأنوار العقليّة كلّها حقيقة واحدة ولا تفاوت بينها في الماهيّة وعوارضها بل في الشدّة والضعف والكمال والنقص في أصل النوريّة[٣].

وقيل: في هذه الرواية دلالة على أنّ العقل هو المبدأ الأوّل بالحقيقة على الإطلاق دون غيره من الممكنات لأنّها بتوسّطه.

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٨٥.

(٢) في المصدر: (فيهما).

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

وفيه: أمّا أوّلاً؛ فلأنّه لا دلالة فيه على تقدّم العقل على غيره على الإطلاق، إلّا في بعض الاحتمال الذي هو أبعد الاحتمالات فلا يتمّ بذلك ما ادّعاه.

وأمّا ثانياً؛ فلأنّه لا دلالة فيه على أنّ غير العقل من الممكنات صدر منه تعالى بتوسّط العقل وهو ظاهر، بل لا يبعد القول ببطلان ظاهر هذا الحكم؛ لأنّ بناء ظاهره على تخليط الفلاسفة، وهو أنّ أرسطو ومن تابعه من فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا قالوا:

«في مسئلة أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد»

أنّ الباري من حيث إنّه واجب الوجود يجب أن يكون واحداً، ومن حيث إنّه واحد يجب أن لا يخلق إلّا واحداً، إذ لو خلق الاثنين لكان ذلك باعتبار أمرين مختلفين في ذاته، وتلك كثرة تنافي ما وجب عليه[1] من الوحدة وذلك الواحد الصادر هو العقل، ثمّ صدر عن ذلك العقل أربعة جواهر: عقل ونفس وفلك مركّب من جوهرين: مادّه وصورة، ثمّ صدر عن العقل الثاني أربعة جواهر أيضاً، ثمّ هكذا على الترتيب إلى أن كملت عشرة عقول وتسع أنفس وتسعة أفلاك، ثمّ تحرّكت الأفلاك فحدثت العناصر الأربعة التي هي: الماء والهواء والنار والتراب، ثمّ تمازجت هذه العناصر فحدث العالم السُفلى وهو ما تحت فلك القمر عالم الكون والفساد وسمّوه بذلك؛ لأنّ الأجسام العلويّة ـ أعني الأفلاك العرية عن العناصر ـ تركّبت من المادّة والصورة تركيباً لا يقبل الخرق

---

(١) في المصدر: (له).

والانحلال، والعالم السفلي[١] تركّبت من العناصر الأربعة تركيباً يقبل الانحلال فسمّوا ذلك التركيب والانحلال كوناً وفساداً، ثمّ تركّبت الموجودات في[٢] عالم الكون والفساد من آثار طبائع العناصر وآثار عالم الكون والفساد[٣] قابلة لاختلاف الأشكال والصور والآثار التي في عالم العلوي متناسبة غير قابلة لاختلاف الصور، فالشمس مثلاً لا تقبل أن تكون على غير تلك الصورة وما يجري في العالم السفلي هو من آثار نفوس الأفلاك وعقولها، وكان أصل أكثرهم في الموجود الأوّل أن لا يخلق شيئاً بالاختيار، فإيجاد العقل الأوّل إنّما هو بحسب الذات إيجاب العلّة معلولها، فإنّ العالم العلوي والسفلي لا مفتتح لوجودهما عندهم لأنّ العلّة والمعلول موجودان معاً، وتقدّم العلّة على المعلول إنّما هو بالذات لا بالوجود إلى غير ذلك من المزخرفات التي ليس هذا موضع استيفائها، ولا مستند لهم على طريق البرهان، وإذا ضويقوا في المطالبة به قالوا: لا تُدرك هذه الأُمور بالبرهان وإنّما تُدرك بالرياضات أو بالرياضيّات؛ فمن أحكمها علم ذلك ضرورة، ولا يخفى فساد هذا القول:

أمّا الرياضات؛ فإنّ الأنبياء والأوصياء وهم الأقدمون في باب الرياضة والمكاشفة لم يخبروا بذلك.

---

(١) من قوله: (تركّبت عن المادّة والصور) إلى هنا لم يرد في المصدر.

(٢) (في) أثبتناها من المصدر.

(٣) من قوله: (من آثار طبائع العناصر) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

«في الرياضيّات»

وأمّا الرياضيّات فقال المحقّقون هذا سخف[١] لأنّ الرياضيّات كالهندسة والحساب والهيئة والموسيقى لا ارتباط بينها وبين المطلوب: فإنّ الهندسة تنظر في هيئة الجسم المتّصل، والحساب ينظر في الكمّ المنفصل، والهيئة تنظر في كيفيّة الأجسام، والموسيقى ينظر في ترتيب الألحان وتقطيعها على وجه معروف مخصوص.

«في المذهب الحق في خلق العالم»

ثمّ إنّهم رضوا في القطعيّات بما لا يفيد علماً ولا ظنّاً، والحقّ أنّ كلّ هذا باطل والموجود الأوّل قديم وحده، وفاعل العقول والأجسام والجواهر والأعراض ولوازمها كلّها بالاختيار على سبيل الحدوث لا بالإيجاب، إلى قدرته ينسب الجميع، خالق كلّ شيء لا إله إلّا هو الواحد القهّار[٢].

«**عن يمين العرش**» متعلّق بـ«خَلْق» أو حال عن الروحانيّين، واليمين الجانب الأقوى والأشرف خلاف الشمال.

والعرش في اللغة سرير الملك، وكونهم عن يمين العرش كناية عن كرامتهم وعلوّ منزلتهم ورفعة شأنهم من بين المخلوقات؛ لأنّ من عظمت منزلته تبوّأ عن يمين الملك.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والسخف: بالضم رقة العقل ونقصانه. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٢: ٣٤٩).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٥٨ ـ ٢٦٢.

«في إطلاقات العرش»

وفي عرف المتشرّعة يطلق على ثلاثة أُمور: أحدها: الملك، وثانيها: الجسم المحيط بسائرالأجسام وهوالفلك التاسع، وثالثها: العلم المحيط بجميع الأشياء، كلّ ذلك على سبيل التشبيه بسرير الملك، ويمكن إرادة كلّ واحد منها هنا:

أمّا الأوّل: فلأنّ المُلك وهو عبارة عن جميع الكائنات له يمين وشمال، ويمينه أي جانبه الأقوى[١] وأشرفه وهو يلي المبدأ الأوّل في ترتيب الإيجاد وتقدّمه، فكلّ ما هو أقرب منه جلّ شأنه في الإيجاد فهو أيمن بالقياس إلى ما بعده لكونه أقوى وأشرف.

وأمّا الثاني: فلأنّ ذلك الجسم المحيط إذا سُمّي بالعرش كان له يمين وشمال كما كان لسرير الملك، ثمّ الكائن على يمينه من أهل الكرامة والمنزلة كالكائن على سرير الملك.

وأمّا الثالث: فلمثل ما ذكرناه في الثاني أو في الأوّل باعتبار المعلومات؛ لأنّ العلم المتعلّق باليمين يمين بالنسبة إلى العلم المتعلّق بما بعده وإن كان علمه بالأشياء بسيطاً والتكثّر إنّما هو في المعلومات[٢].

«من نوره» متعلّق بخلق العقل، أي خلقه من ذاته بلا واسطة شيء ولا اعتبار مادّة، أو حال عن العقل[٣] والإضافة للتشريف والتكريم كما في «عيسى روح

---

(١) في المصدر: (جانب أقواه).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٣.

(٣) (أو حال عن العقل) أثبتناها من المصدر.

الله»، أو حال عن الروحانيّين بناءً على أنّ الروحانيّين كلّهم نورانيّون والعقل أوّلهم وأفضلهم، وعلى التقادير[١] فيه إشارة إلى أنّ العقل نور ربّاني لأنّ يظهر به الحقّ عن الباطل، والصواب عن الخطأ كما يظهر بالنور الأشياء المحتجبة بالظلام، وأنّ نوريّته مستفادة من نور ذاته سبحانه بلا توسّط شيء نورانيّ غيره ولا يكدّره كدرة الموادّ الظلمانيّة، ولذلك إذا عُري عن العوائق وانقطع عن العلائق اتّصل بالخالق اتّصالاً تامّاً[٢].

«**فقال له: أدْبِر**» من المنهيّات أو انزل إلى عالم السفلي والمنازل الجسميّة التي هي في غاية البُعد عن العوالم الربوبيّة.

«**فأَدْبَرَ**» وأطاع أمره عزّ شأنه، وانقاد لحكمه من غير أن يفارق نوريّته وتجرّده وإنّما كان إدباره بمجرّد إشراقات نوره في العالم الجسماني.

«**ثمّ قال له: أقْبِل**» إلى الطاعات وما يوجب النزول في ساحة كرامته تعالى من القربات، أو أقبل من مكامن الموادّ الجسميّة ومنازل الظلمات البشريّة ومظاهر الجهالات الطبيعيّة إلى عالم المجرّدات النوريّة ومنازل الشواهد الربوبيّة.

«في الترقي إلى العقل الفعّال»

«**فأقبلَ**» مُطيعاً لأمره، منقاداً لحكمه، تاركاً لهواه[٣]، مندرجاً في الصعود من

---

(١) (على التقادير) أثبتناها من المصدر.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) في المصدر: (لمعصيته).

طور إلى طور حتّى صار عقلاً فعّالاً وترقّى حتّى بلغ[١] مرتبة عين اليقين وهناك رجع إلى ما نزل منه وانتهى إلى ما بدأ منه[٢].

«**فقال الله تبارك وتعالى**» تعظيماً وتكريماً له، وحثّاً له على أداء شكر هذه النعمة الجليلة.

«**خَلَقْتُك خلقاً عظيماً**» العظيم الحقيقي ليس إلّا[٣] هو الله سبحانه وأمّا غيره فعظمته باعتبار قربه منه وإطاعته لأمره، فقد تحقّق هذان الوجهان في العقل.

«**وكَرَّمْتُكَ**» أي شرّفتك وفضّلتك، ومنه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٤].

«**على جميعِ خَلْقي**» فيه أنّ الشرافة والفضيلة من باب التفضّل منه تعالى من غير اشتراط القابليّة والاستعداد، وأنّ العقل أشرف من الملائكة المقرّبين.

«في تفسيرَي الجهل المركّب والبسيط»

«**قال: ثمّ خلق الجهل**» ليس المراد بالجهل هنا الجهل المركّب ـ أعني الصور العلميّة الغير المطابقة للواقع ـ ولا الجهل البسيط ـ أعني عدم العلم عمّا من شأنه العلم ـ؛ لأنّ إطاعته وعصيانه غير متصوّرة، فلا يلائم قوله «فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي» ولأنّ الجهل بهذين المعنيين من جنود الجهل المذكور هنا، وجند الشيء غيره، ولأنّ الجهل بالمعنى الثاني أمر عدميّ،

---

(١) (بلغ) لم ترد في المصدر.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٥ـ٢٦٦.

(٣) (إلّا) لم ترد في المصدر.

(٤) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

والأعدام غير مخلوقة سواء كانت سلوباً محضة أو ملكات، بل المراد به مبدء الشرور والمقابح[١] كما أنّ المراد بالعقل مبدأ الخيرات والمحاسن، ويمكن أن يراد بهذين المبدأين صفة النفس المسمّاة بالقوّة الجاهلة وصفتها المسمّاة بالقوّة العاقلة، وأن يراد بها ذات النفس أي الجوهر المجرّد المدبّر للبدن، المحتاج في فعله وتصرّفه إليه.

«في أنّ الشيء الواحد قد يسير عقلاً وعاقلاً ومعقولاً»

وذات الجوهر المستغني عن البدن في وجوده وفعله الذي إذا حصل لغيره وأشرق نوره فيه كان ذلك الغير عاقلاً به، وإذا لم يحصل له وقام بذاته كان عقلاً وعاقلاً[٢] ومعقولاً.

وتسمية النفس بالجهل من باب المجاز؛ لأنّها محلّ للجهل المركّب والبسيط، بل يمكن أن يقال: إنّها من باب الحقيقة؛ لأنّ النفس وإن كانت مبدءً للجهالات ومنشأً للشرور كلّها، ومصدراً للصور الوهميّة الكاذبة الباطلة ومقتضيات قوى الشهويّة والغضبيّة والبهيميّة وسائر القوى البدنيّة لكن إذا تمكّنت فيها هذه الأباطيل ورسخت فيها صارت جهلاً محضاً وشيطاناً صرفاً بعيداً عن الحقّ جلّ شأنه، وكلّما ازداد التمكّن والرسوخ ازدادت جهالتها وشيطنتها واحتجابها عن الحقّ حتّى بلغت النهاية في الجهالة والغاية في الضلالة وصارت قدوة المتمرّدين وإمام المتكبّرين[٣].

---

(١) في «م» «ت»: (والقبائح)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) (وعاقلاً) لم ترد في المصدر.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

«**من البحر الأُجاج ظُلمانيّاً**» الأُجاج ـ بالضمّ ـ الماء المملّح الشديد الملوحة[١]، وظلمانيّاً: حال عن الجهل أو عن البحر الأُجاج، والمراد به الغضب الإلهي؛ لأنّه مُرّ كريه الطعم والرّائحة على مذاق الشاربين ومشام العارفين، أو المراد به مجموع الصفات النفسانيّة التي بعضها حسن وبعضها قبيح لتخمير النفس بها، وهذا المجموع من حيث هو بمنزلة ماء كدر مُرّ ممتزج بغبار الملكات الدنيّة ومرارة الصفات الشنيعة وملوحة قبائح الآثار وخشونة فضائح الأطوار.

وعبّر عنه بالبحر للدلالة على تراكم تلك الصفات وكثرتها، ووصفه بالظلمة لسترها أنوار العقول حائلاً بينها وبين بصيرتها، أو المراد به الموادّ البدنيّة الهيولانيّة التي هي محض الاستعداد وعلّة قابليّة لتعلّق النفس بها وتشخّصها.

وعبّر عنها بالبحر الظلمانيّ لتراكم مياه الشرور والصفات المتغائرة المتضادّة فيها ونسبتها إليها كنسبة البحر إلى الأمواج[٢].

«في حِكَم وأسرار خلقة الإنسان»

«**فقال له: أدْبِر فأدبر**[٣]» أمره بالهبوط من عالم الملكوت والنور إلى عالم الظلمات والشرور والتوجّه إلى ما يلائمه من المشتهيات والنظر إلى ما فيه هواه من المستلذات فهبط لما في ذلك من مصلحة، وهي ابتلاء العباد ونظام البلاد وعمارة الأرض، إذ لولا ذلك لكان الناس بمنزلة الملائكة عارين عن حلية

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١: ٢٩.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٨.

(٣) (فأدبر) أثبتناها من المصدر.

التناكح والتناسل والزراعة وتعمير الأرض، وبطل الغرض المطلوب من هذا النوع من الخلق، وبطل خلافة الأرض، ولزم من ذلك بطلان الثواب والعقاب، وعدم انكشاف صفات الباري وانجلاء حقائقها وآثارها مثل العدالة والانتقام والجبّاريّة والقهّاريّة والعفو والغفران وغيرها[1].

«لا يتيسّر الوصول إلى المقامات العالية إلّا بالانتقال من طور أخس إلى طور أشرف»

«ثمّ قال له: أقْبِل فلم يقبل» أمره بعد الإدبار بالإقبال إليه تعالى، والرجوع إلى ما لديه من المقامات العليّة والكرامات الرفيعة التي لا يتيسّر الوصول إليها إلّا بالانتقال من طور أخسّ إلى طور أشرف، ومن حالة أدنى إلى حالة أعلى، ومن نشأة فانية إلى نشأة باقية، وهكذا من حال إلى حال، ومن كمال إلى كمال حتّى يبلغ إلى غاية مشاهدة جلال الله ونهاية ملاحظة أنوار الله، ويرتع في جنّة عالية قطوفها دانية، فأبى السلوك في سبيل الرشاد والتقييد بربقة الانقياد، والتمسّك بلوازم الوعظ والنصيحة، والانقلاع عن الأحوال القبيحة، كلّ ذلك لشدّة احتجابه بحجاب الظلمات، وانغماسه في بحار ذمائم الصفات، لتوهّمه أنّ تلك الذّمائم الخاسرة والصفات الظاهرة والمشتهيات الحاضرة كمال له، فاغترّ بها وافتخر وأخذها بضاعة له واستكبر.

«فقال له: أسْتَكْبَرْتَ ؟! فلعنه» الاستفهام للتوبيخ والتعيير، واللعن الطّرد والإبعاد من الخير يعني تركت أمري بما يصلح لك في النشأتين استكباراً،

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٨.

وجعلت الامتثال مذلّة وافتقاراً، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير لجهلك بما يوجب قرارة العين والسرور، واحتباسك بقيد الجهالة والشرور، فلا جرم أنت بعيد من الرحمة والسلامة، مطرود عن مقام العزّ والكرامة.

فإن قلت: من لعنه الله فهو مقيّد بقيد العصيان، مقيم بمقام الخذلان، محروم عن الرحمة والجنان أبداً، فما وجه قوله: «فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي؟».

قلت: اللعنة مشروط بالاستكبار فإن دام دامت، وإن زال بالتوبة والأنابة زالت، لأنّ الله تعالى يحبّ المفتن[1] التوّاب[2].

«**ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جُنداً**» لمّا كان الطريق إلى الله مخوفاً، وفي كلّ قدم منه شعبة، وعلى كلّ شعبة منه عدوّ مقاتل وخصم مجالد يقود سالكه إلى مهاوي الضلالة ومساوي الجهالة، احتاج سلطان العقل في قطع هذا الطريق إلى أعوان وأنصار يستعين بهم في دفع الأعداء والمحاربة مع الخصماء، فأعطاه الله سبحانه بفضل رحمته وكمال رأفته جنوداً تعينه في مواضع الجدال ومواطن القتال، وتوصله على السلامة إلى منازل القرب والكرامة.

وهذه الجنود خمسة وسبعون على ما في العنوان، والمذكور في التفصيل ثمانية وسبعون، ولا منافاة بينهما إذ ليس في العنوان ما يُفيد الحصر إلّا مفهوم العدد وهو ليس بمعتبر ـ كما بيّنّا في أُصول الفقه ـ، وقال الشيخ البهائي: لعلّ الثلاثة الزائدة إحدى فقرتي الرجاء والطمع، وإحدى فقرتي الفهم، وإحدى

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أي الممتحن بالذنب. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٣: ٣٦١ ـ فتن).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

فقرتي السلامة والعافية، فجمع الناسخون بين البدلين غافلين عن البدليّة، وسنشير إلى توضيح ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

«فلمّا رأى الجهل ما أكرم الله به العقل» من تصفيته بنورانيّة الذات وتقويته بكثرة الجنود وشرائف الصفات التي بنضارتها تشرق قلوب العارفين، وبإنارتها تُضيء صدور السالكين، وبإضائتها يسيرون إلى أعلى المقامات وينالون أشرف الكرامات[1].

«في سبب عداوة العاقل والجاهل والمؤمن والكافر»

«وما أعطاه أضمر له العداوة» بين العقل والجهل تضادّ بحسب الذات؛ لأنّ العقل جوهر نورانيّ، والجهل كدر ظلمانيّ، وهذا يصلح أن يكون منشأً لعداوته ولذلك كانت العداوة بين العاقل والجاهل، والمؤمن والكافر قائمة إلى قيام الساعة كما قال سبحانه: ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة** ﴾[2] ولكن لمّا كان النور والظلمة متساويين في الغلبة والتدافع، كأنّه لم يحصل للجهل من هذه الجهة عداوة، وإنّما حصلت العداوة من جهة إكرام العقل بالجنود وتقويته بالفضائل والكمالات الموجبة لغلبته على الجهل فلذلك أضمر الجهل عداوة له حسداً عليه، ولم يظهرها لعدم القدرة على إمضاء آثارها، بل طلب لنفسه مثل جنوده في القوّة والعدد كما أشار إليه بقوله:

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) كذا في المصدر و«م» «ت»، وهي عبارة عن دمج آيتين من سورة الممتحنة الآية (٤) وسورة المائدة الآية (٦٤).

«**فقال الجهل: يا ربّ، هذا خَلْقٌ مثلي**» أي مثلي في كونه مخلوقاً، أو مثلي بحسب الذات، ولامزيّة له عليّ في المحاسن الذاتيّة، وهذا القول منه على الأخير تمويه واغترار بنفسه، كما هو شأن الجاهل حيث يعدّ نفسه مماثلاً للعاقل، وهو إمّا غافل عن التفاوت الفاحش بين النور والظلمة، أو عالم به لكنّه قال ذلك إدّعاءً واستنكافاً لانحطاط ذاته عن ذات العقل وإلّا فأين المماثلة بحسب الذات بين المخلوق من ماء الرحمة والنور الربّاني وبين المخلوق من نار الغضب والبحر الأُجاج الظلماني، ولعدم الفرق بينهما استكبر الشيطان لعنه الله وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام وتمسّك بقوله: ﴿**خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[1] وهو لقصر نظره لاحظ طينة آدم وغفل عن نورانيّته، ولو علم ذلك لعلم بطلان قياسه.

«**خلقته وكرّمته وقوّيته**» يعني خلقته من نورك وكرّمته على جميع خلقك، وقوّيته بجنود يتقوّى بها في الحركة إلى عالم الأُنس والانتقال إلى عالم القدس.

«**وأنا ضدّه ولا قوّة لي به**» في المضادّة والمقابلة والانتقال إلى ما هو غاية مرامي ونهاية مقامي في اللذّات التي غايتها، والحركة إلى أقصى مدارجها.

«**فأعطني من الجند مثل ما أعطيته**» في العدد والقوّة؛ طلب ذلك ليحصل له قوّة بسبب جنوده على معارضة العقل وجنوده فيتيسّر له الوصول إلى غاية منيّته ونهاية بغيته.

«**فقال: نعم**» أعطيتك مثل جنود العقل اختياراً وامتحاناً لك، وتكميلاً للحجّة عليك بإعطاء سؤلك وانتظاراً لرجعتك إلى درجة رفيعة ومنزلة شريفة، فإنّ

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٢، وسورة ص ٣٨: ٧٦.

المطيع مع العجز وفقد الآلات ليس مثل المطيع مع القدرة على المخالفة، بل أُولئك أعظم درجة وأرفع منزلة، ولذلك كانت عبادة الشبّان[1] وإنابتهم وإخباتهم أحسن وأشرف من عبادة الشيوخ وإنابتهم وإخباتهم.

«**فإن عصيت بعد ذلك**» أي بعد ذلك العصيان بترك الإقبال، أو بعد أن أعطيتك جنوداً وأنصاراً مقابلة لجنود العقل وأنصاره.

«**أخرجتك وجندك من رحمتي**» المُعَدّة للمطيعين فتشقى بذلك وتدخل في زمرة الأشرار وتستحقّ الدخول في الدرك الأسفل من النار، والوجه لكون معصية النفس مع الجنود موجباً للخروج من الرحمة دون معصيتها لا معها أنّ النفس إذا كانت ضعيفة فاقدة للأنصار كانت أفعالها ناقصة فلم تكن شقاوتها شديدة موجبة للخروج من الرحمة، بخلاف ما إذا كانت قويّة واجدة لأنصارها وآلاتها، فإنّ سلوكها في طريق الشقاوة وسيرها في نهج الضلالة أفخم، واكتسابها للأخلاق الذميمة والرذائل وانهماكها في ظلمات الغيّ والغوائل أعظم، فيكون تباعدها عن الرحمة الإلٰهيّة والألطاف الربّانيّة أكثر وأقوى، ودخولها في دركات الجحيم واستحقاقها للعذاب الأليم أقرب وأولى.

«**قال: رضيت**» رضي عن الحقّ بإجابته سؤاله، أو رضي بالخروج عن الرحمة على تقدير معصيته، والنفس وإن كانت مائلة إلى الفساد، عليلة بأمراض تلك الصفات والأجناد لكن ذلك لا يسلب عنها الاختيار، ولا يوجب صدور القبائح عنها على سبيل الاضطرار بل يمكن لها تحصيل الصحّة والسلامة عن الوساوس

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الشباب: الفتى، جمع شاب، كالشبان. (منه ﷺ)، (انظر القاموس المحيط ١: ٨٥).

الشيطانيّة بالأدوية والعلاج المقرّرة لدفع الأمراض النفسانيّة.

وبالجملة؛ النفس بعد تقويتها بالجنود والصفات التي هي بمنزلة العلل والأمراض لها اختيار في أعمالها، وقدرة على أفعالها، وليس صدور تلك الأعمال والأفعال عنها على سبيل الإلجاء والاضطرار، فلها أن تترك مقتضيات تلك الصفات وترتقي إلى أعلى مدارج الكمالات الأبديّة حتّى تستحقّ أن يقال لها: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[1] ولها أن تمضي تلك المقتضيات وتسرح في مراعي هذه الصفات حتّى ترتدّ إلى أسفل السافلين وتبعد عن رحمة ربّ العالمين.

«**فأعطاه خمسة وسبعين جنداً**» في مقابلة ما أعطى العقل، وكما أنّهما متقابلان كذلك جندهما متقابلان، فحصل التكافؤ في الإيجاد وتحقّق التعاند والتضاد، وبقيت العداوة بينهما إلى يوم التناد، وذلك لمصلحة ظاهرة يعلمها أُولوا الألباب، وخفيّة لا يعلمها إلّا علّام الغيوب.

وينبغي أن يُعْلَم أنّ أجناس الفضائل باتّفاق الحكماء أربعة: الأوّل: الحكمة، الثاني: الشجاعة، الثالث: العفّة، الرابع: العدالة؛ وذلك لأنّ للإنسان قوى ثلاثة متباينة هي مبادئ لآثار مختلفة مع مشاركة الإرادة، وإذا غلبت إحداها على البواقي صارت البواقي مغلوبة أو مفقودة، وتلك القوى أوّلها: قوّة ناطقة وتُسمّىٰ نفساً ملكيّة، وهي مبدأ الفكر في المعقولات والنظر في عواقب الأُمور.

وثانيها: القوّة الغضبيّة وتُسمّى نفساً سبعيّة وهي مبدأ الغضب والإقدام على الأحوال والتسلّط والترفّع على الغير.

---

(١) سورة الفجر ٨٩: ٢٧ و٢٨.

وثالثها: القوّة الشهويّة وتُسمّى نفساً بهيميّة وهي مبدأ الشهوة وطلب الغذاء وشوق الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناكح.

وإذا تحرّكت القوّة الناطقة بالاعتدال في ذاتها واكتسب[1] المعارف اليقينيّة حصلت فضيلة العلم والحكمة، وإذا تحرّكت القوّة الغضبيّة بالاعتدال وانقادت للقوّة العاقلة فيما تعدّه حظّاً ونصيباً لها ولم تتجاوز عن حكمها حصلت فضيلة الحلم والشجاعة.

وإذا تحرّكت القوّة الشهويّة بالاعتدال وانقادت للقوّة العاقلة واقتصرت على ما تعدّه العاقلة نصيباً لها ولم تخالفها في حكمها حصلت فضيلة العفّة والسخاء، وإذا تركّبت هذه الفضائل الثلاثة وتمازجت حصلت حالة متشابهة هي فضيلة العدالة.

ثمّ إنّه يندرج تحت هذه الأجناس الأربعة أنواعٌ غير محصورة من الفضائل:

أمّا الحكمة، فالمشهور من أنواعها سبعة: الذكاء، وسرعة الفهم، وصفاء الذهن، وسهولة التعلّم، وحسن التعقّل، والتحفّظ، والتذكّر.

وأمّا الشجاعة، فالمشهور من أنواعها أحد عشر: كبر النفس، والنجدة، والهمّة، والثبات، والحلم، والسكون، والشهامة[2]، والتحمّل، والتواضع، والحميّة، والرقة.

وأمّا العفّة، فالمشهور من أنواعها اثني عشر: الحياء، والرفق، وحسن الهدي،

---

(١) كذا في المصدر و«م» «ت»: ولعلّ الصواب: (واكتسبت).

(٢) في حاشية «م» «ت»: شهم الرجل شهامة، أي جلد ذكي الفؤاد (مجمع البحرين ٢: ٥٥٦ ـ شهم). والجلد: القوي الشديد، والجلَدَ بالتحريك الصلابة. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ١: ٣٨٦ ـ جلد).

والمسالمة، والدعة، والصبر، والقناعة، والوقار، والورع، والانتظام، والحرّيّة، والسخاء.

ثمّ السخاء نوع يندرج تحته أصناف كثيرة من الفضائل والمشهور منها ثمانية: الكرم، والإيثار، والعفو، والمروءة، والنبل، والمواساة، والسماحة[١]، والمسامحة.

وأمّا العدالة، فالمشهور من أنواعها اثني عشر: الصداقة، والأُلفة، والوفاء، والشفقة، وصلة الرحم، والمكافأة، وحسن الشركة، وحسن القضاء، والتودّد، والتسليم، والتوكّل، والعبادة.

وكذا ينبغي أن يُعلَم أنّ أجناس الرذائل أيضاً أربعة بإزاء كلّ جنس من الفضيلة جنس من الرذيلة: الأوّل: الجهل وهو ضدّ الحكمة، الثاني: الجبن وهو ضدّ الشجاعة، الثالث: الشّره وهي ضدّ العفّة، الرابع: الجور وهو ضدّ العدالة، هذا بحسب بادي النظر، وأمّا بعد التأمّل فأجناس الرذائل ثمانية لأنّ كلّ فضيلة لها حدّ معيّن إذا جاوزته في طرف الإفراط أو في طرف[٢] التفريط تنتهي إلى رذيلة، فالفضيلة بمثابة الأوساط[٣] والرذيلة بمثابة الأطراف، فيكون أجناس الرذائل[٤] ثمانية:

السفه والبله: وهما في طرفي الحكمة، والسفه في طرف الإفراط، والبله في طرف التفريط.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: السماحة: الجود. (لغة منه ﷺ)

(٢) (طرف) لم ترد في المصدر.

(٣) في المصدر: (الوسط).

(٤) في «م» «ت»: (الرذيلة)، وما أثبتناه من المصدر.

والتهوّر والجبن: وهما في طرفي الشجاعة، والشّره وخمود الشهوة وهما في طرفي العفّة.

والظلم والاظلام: وهما في طرفي العدالة.

وكما أنّ لكلّ جنس من الفضائل جنسين من الرذائل كذلك لكلّ نوع من الفضائل نوعان من الرذائل: أحدهما في جانب الإفراط، والآخر في جانب التفريط، ولبعض تلك الأنواع اسم خاصّ دون بعضها وقد عرفت أنّ أنواع الحكمة سبعة وأنواع ضدّها أربعة عشر:

الخبث والبلادة: وهما في طرفي الذكاء، والخبث في طرف الإفراط، والبلادة في طرف التفريط.

وسرعة التخيّل والإبطاء: وهما في طرفي سرعة الفهم.

وظلمة الذهن المانعة من إدراك المطالب، والنهاية المانع من الإقامة على المطلوب، وهما في طرفي صفاء الذهن.

والمبادرة المانعة من استثبات الصور، والتعصّب المؤدّي إلى التعذّر، وهما في طرفي سهولة التعلّم.

وصرف الفكر في إدراك ما هو زائد على تعقّل المطلوب وصرفه في إدراك ما هو ناقص عنه، وهما في طرف حسن التعقّل.

وضبط ما لا فائدة فيه وترك ضبط ما هو مُهمّ، وهما في طرفي التحفّظ.

وتذكّر ما يوجب تضييع الأوقات، والنسيان الموجب لإهمال مراعات الواجبات، وهما في طرفي التذكّر.

وقس عليه أنواع بواقي الأجناس، وربّما يكون لبعض الأنواع اسم مشهور

كالوقاحة والخرق[١] وهما في طرفي الحياء، والإسراف والبخل وهما في طرفي السخاء، والتكبّر والتذلّل وهما في طرفي التواضع، والفسق والتحرّج وهما في طرفي العبادة.

إذا عرفت هذا فنقول: ما ذكره عليه السلام في هذا الحديث من الفضائل والرذائل بعضه من الأجناس، وبعضه من الأنواع، وبعضه من الأصناف، وبعضه من الجزئيّات، كما لا يخفى على المتأمّل، وسيجيء التفسير ببعض هذه الأُمور إن شاء الله[٢].

«فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة وسبعين الجند: الخير» «مِن» الأُولى للتبعيض و«ما» موصولة، و«مِن» الثانية للبيان والظرف خبر «كان» مقدّم على اسمه وهو الجند أو الخير للتشويق إلى ذكره.

قال القرطبي: قيل: الخير شيء من أعمال القلب نورانيّ زائد على الإيمان وغيره من الصفات المرضيّة، يدلّ على ذلك ما في حديث أنس: «يخرج من النار من قال لا إله إلّا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن مثقال ذرّة»[٣] انتهى.

وقيل: الخير هو الوجود وإطلاقه على غيره إنّما هو بالعرض وهو ينقسم إلى خير مطلق كوجود العقل لأنّه خير محض لا يشوبه شرّ ونقص وإلى خير مقيّد كوجود غيره من الذوات والصفات[٤].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الخَرَق: بالتحريك الدهش من الخوف أو الحياء فهو خَرِق. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٤: ١٤٦٨ ـ خرق)

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٠ ـ ٢٧٥.

(٣) انظر سنن ابن ماجة ٢: ٤٣١٢/١٤٤٣.

(٤) انظر رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٢٢٨.

أقول: الحقّ أنّ الخير كلّيّ يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «افعلوا الخير ولا تحقّروا شيئاً فإنّ صغيره كبير وقليله كثير»[1]، ويؤيّده ما في طرق العامّة: «يخرج منها ـ أي من جهنّم ـ قوم لم يعملوا خيراً قطّ»[2]، وهؤلاء الذين ليس معهم إلّا الإيمان.

«**وهو وزير العقل**» الوزر: الحمل الثقيل، يقال: وزره إذا حمله، ومنه الوزير؛ لأنّه يحمل عن الأمير وزره أي ثقله.

«في قسمي الوزارة»

والوزارة على قسمين: تفويض وتنفيذ.

والأوّل: أن يستوزره الأمير بتفويض تدبير الأُمور إلى رأيه وإمضائها إلى اجتهاده بدون مراجعة إليه في كلّ قضيّة.

والثاني: أن يكون النظر في الأُمور مقصوراً على رأي الأمير وتدبيره، والوزير يتوسّط بينه وبين رعيّته ويرشده إلى المصالح ويؤدّي عنه ما أمر به، وينفذ له ما ذكر، ويُعينه في الأُمور، وهذا هو المراد هنا؛ لأنّ الخير إن كان عبارة عن الكلّي المندرج تحته المصالح كلّها فحكمه يجري في جزئيّاته وهو يتوسّط بينها وبين العقل في جريان حكم العقل ونفاذ تدبيره فيها، وإن كان عبارة عن العمل القلبي النوراني الذي ذكره القرطبي، أو عن وجود العقل فهو يتوسّط بين العقل وبين سائر ما يصدر عنه من الأعمال المرضيّة التي هي في الحقيقة أنوار إلهيّة

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٩/الحكمة ٤٢٢.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسند: ٢٩٠، في خبر طويل عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

تستضيء بها القلوب والجوارح، ويرشده إليها كما يرشد الوزير الأمير إلى الأُمور الملكيّة ومصالحها[١].

«**وجعل ضدّه الشرّ وهو وزير الجهل**» لمّا كان الشرّ ضدّ الخير كان مقابلاً له في المعاني الثلاثة المذكورة فهو إمّا شيء ظلمانيّ من أعمال القلب زائد على الكفر وغيره من الصفات الذميمة، أو عدم منقسم إلى شرّ مطلق كعدم العقل، وإلى شرّ مقيّد كعدم غيره من الصفات الكماليّة، أو كلّيٌّ يندرج تحته جميع القبائح ويؤيّده قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «الشرّ جامع لمساوي العيوب»[٢].

ووزارته للجهل تظهر بالتأمّل في ما ذكرناه في وزارة الخير للعقل ويمكن أن يراد بالخير نوريّة العقل وضياء ذاته إذ كلُّ ما يصدر عنه بتوسّطها من الأفعال كان على نهج الصواب فهي وزير له في الدلالة على المحاسن والمصالح، وبالشرّ ظلمة الجهل وكدورة ذاته إذ كلُّ ما يصدر عنه بتوسّطها من الآثار والأفعال كان على نهج الخطأ فهي وزير له في الدلالة على المفاسد والمقابح[٣][٤].

«**والإيمان وضدّه الكفر**» الإيمان هو الاعتقاد الجازم الثابت بأحوال المبدأ والمعاد وملائكته وكتبه ورسله وما جاء به رسوله الذي من جملته الوصاية والإمامة على سبيل الإجمال وهو روح العلوم الحقيقيّة والتصديق بالمسائل

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٨٧/ذيل الحكمة ٣٧١.

(٣) في حاشية «م» «ت»: والقبح نقيض الحسن وقبّحه الله أي نحاه عن الخير فهو من المقبوحين. (منه ﷺ)، (انظر الصحاح ١: ٣٩٣ ـ قبح).

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

اليقينيّة على سبيل التفصيل، كما يرشد إليه قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «وبالإيمان يعمر العلم»[١].

والحق أنّ الأعمال غير داخلة في حقيقته لقوله عليه السلام: «بالإيمان يُستَدَلّ على الصالحات، وبالصالحات يستدلّ على الإيمان»[٢]؛ يُريد بالأوّل الاستدلال من المؤثّر على الأثر، وبالثاني عكس ذلك.

«في إطلاقات الإيمان والكفر»

وأمّا قوله صلوات الله عليه: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»[٣] ومثله قول عليّ بن موسى الرضا عليه السلام[٤]، فالجمع يقتضي أنّه تعريف للإيمان الكامل وقد شاع في لسان الشرع إطلاق اسم الإيمان عليه.

والكفر الذي هو ضدّه عدم الاعتقاد بالأُمور المذكورة أو إنكار شيء منها وهو روح الجهالات والداعي إلى ذمائم الصفات.

وقيل: الإيمان نور من أنوار الله فائض منه على قلب من يشاء من عباده، به يرى الأشياء كما هي وهو المسمّى تارة بالحكمة النظريّة يعني ملكة يقتدر بها الإنسان على إحضار المعلومات الحقّة متى شاء من غير تجشّم كسب جديد، وتارة بكمال العقل النظري أو القوّة النظريّة، وتارة بالعقل بالفعل، وتارة بالعقل البسيط الإجمالي.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٤٨/ضمن كلام له عليه السلام ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٤٨/ضمن كلام له عليه السلام ١٥٦.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٥٠/الحكمة ٢٢٧.

(٤) انظر مسند الرضا عليه السلام: ١٤٢.

والكفر الذي ضدّه ملكة ظلمانيّة حاصلة في النفس من كثرة الأُغلوطات[١] وتراكم الشبهات وتزاحم الوهميّات ورسوخها، فتصير الملكة الظلمانيّة حجاباً عن إدراك حقّ وعمى في عين قلب عن كلّ مستنير، وصمّاً في أُذن عقل عن سماع كلّ كلام صادق.

والذي يدلّ على أنّ الإيمان نور والكفر ظلمة قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾[٢] وفيه:

أوّلاً: أنّ تفسير الإيمان بما ذُكِرَ غير معروف.

وثانياً: أنّ الآية لا تدلّ على ما قال، بل تدلّ على أنّ الإيمان سبب للنور ووسيلة إليه، والكفر سبب للظلمة وذريعة إليها؛ فليتأمّل.

«**والتصديق وضدّه الجحود**» أي تصديق الصادقين فيما قالوه، أو التصديق بالمسائل اليقينيّة والمعارف الحقيقيّة على سبيل التفصيل، والركون إليها بإيراد الدلائل والبراهين عليها.

والتفاوت بين الإيمان والتصديق على ما ذكرنا مثل التفاوت بين العلم الإجمالي والتفصيلي.

والجحود الذي هو ضدّه إنكار الصادقين أو إنكار تلك المسائل والمعارف، والركون إلى الشهوات والشُّبهات، والميل إلى الجهالات، والرجوع في المعضلات إلى نفسه، والتعويل في المبهمات على رأيه، فما أنكرته النفس كان

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والأُغلوطة: الكلام يغلط فيه ويغالط به (القاموس المحيط ٣٧٦/٢ ـ غلط).

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٥٧.

هو المنكر، وما عرفته كان هو المعروف، فهي تاركة لرواسم الشريعة تابعة لأهوائها، مائلة إلى آرائها[١].

«**والرجاء وضدّه القنوط**» الرجاء بالمدّ مصدر بمعنى التوقّع والأمل، تقول: رجوته أرجوه رجواً ورجاءً ورجاوة، وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاوة، وقد جاء فيها رجاءة[٢] يعني توقّع ثواب الله وإحسانه وإكرامه وإنعامه معرفته تعالى وملاحظة غناه عن العالمين، واعتبار أسباب نعمه ظاهرة وباطنة، جليّة وخفيّة، ضروريّة كآلات التغذية والتنمية، وغير ضروريّة كتَقَوُّس الحاجبين واختلاف ألوان العينين إلى غير ذلك من الألطاف الإلهيّة والفيوضات الربّانيّة التي صدرت قبل الاستحقاق والأعمال، وبعد الاستحقاق والإستيهال، فإنّه إذا تفكّر العقل في هذه الأُمور وتأمّل فيها وفي غيرها استكمل رجاءه بالله سبحانه.

والقنوط هو اليأس من رحمته وعفوه وهو من صفات الخاسرين الجاهلين وسمات الضالّين الغافلين عن سعة رحمته وإحاطة مغفرته، قال سبحانه: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[٣]، ﴿**وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٤]، وقال: ﴿**لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٥]، وقال: ﴿**مَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا**

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٠٧.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٥٦.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٨٧.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

﴿الضَّالُّونَ﴾[١]؛ فمن وقع في شرّ وقنط من رحمته ازداد جهلاً على جهل، وترقّى من باطل إلى باطل وهو جاهل باللّه العظيم، وأمّا العاقل فيستغفره ويرجع إليه ويتضرّع بين يديه ويكون عقله برجاء غفرانه أوثق، وقلبه بشمول العناية له أعلق[٢]، فإنّه لا ييأس من روح الله إلّا الذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله تعالى فهم في طغيانهم يعمهون فأُولئك هم الخاسرون.

واعلم أنّ الرجاء بثواب الله والفوز بالسعادات الأُخرويّة مقام شريف مستلزم لمقامات عالية؛ لأنّه يستلزم الصبر على المكاره وفعل الطاعات وترك المنهيّات لعلمه بأنّ الجنّة محفوفة بالمكاره، ومقام الصبر يؤدّي إلى مقام المجاهدة والتجرُّد لذكر الله ودوام الفكر فيه، ومقام المجاهدة يؤدِّي إلى مقام كمال المعرفة المؤدِّي إلى مقام الأُنس، المؤدّي إلى مقام المحبّة المستلزم لمقام الرضا والتوكّل، إذ من ضرورة المحبّة الرضا بفعل المحبوب وتفويض نفسه وأمره إليه، والوثوق بعنايته ولذلك قيل: الرجاء لا ينفكّ عن الأعمال الصالحة، وقيل: الرجاء مادّة الاستهتار[٣] بلزوم الطاعة، ويدلّ عليه ما روي عن الصادق عليه السلام:

قيل له: إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فقال: «كذبوا، ليسوا لنا بموالٍ، أُولئك قومٌ ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه»[٤].

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٥٦.

(٢) في حاشية «م» «ت»: وأعلق أظفاره في الشيء أي أنشبها. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٣: ٢٣٢ ـ علق).

(٣) في حاشية «م» «ت»: والمستهتر بالشيء بالفتح ـ المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشتم له. (منه رحمه الله)، (القاموس المحيط ٢: ١٥٧ ـ هتر)

(٤) الكافي ٢: ٦٨/ح٦.

ومِن ثَمّ قالوا: الرجاء من الفضائل إذا قارنه خوف؛ لأنّ كلّ واحد منهما بدون الآخر من الملكات الرديّة المهلكة كما يرشد إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[١] وقول الباقر عليه السلام: «إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا و في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وُزِن هذا لم يزد على هذا ولو وُزِن هذا لم يزد على هذا[٢]»[٣]، ومن هنا ظهر أنّ الخوف غير القنوط فإنّ القنوط ضدّ الرجاء لا يجامعه، بخلاف الخوف.

ثمّ قيل: إنّ بين الخوف والرجاء تفاوتاً في الدوام وعدمه، وذلك لأنّ الخوف ليس من الفضائل العقليّة الباقية في النشأة الآخرة، وإنّما هو من الأُمور النافعة للنفس في فعل الطاعات والهرب عن المعاصي ما دامت في دار الدنيا التي هي دار العمل، وأمّا عند حلول الأجل والخروج منها فلا فائدة فيه بخلاف الرجاء فإنّه باق أبداً إلى النشأة الآخرة لأنّه لا ينقطع؛ لأنّه كلّما نال العبد من رحمة الله أكثر كان رجاؤه في ما عند الله أشدّ وأوفر، لأنّ خزائن رحمته غير متناهية[٤].

«والعدل وضدّه الجور» العدل هي الملكة الحالة من التحلّي بالأوساط الفاضلة في باب العقائد كالتوحيد بين التعطيل والتشبيه، والتعويل على الأمر المتوسّط بين الجبر والتفويض، وفي باب الأعمال كأداء الواجبات والسنن بين الكسالة والترهّب التامّ، والإعطاء المتوسّط بين القبض بالكلّيّة والبسط التامّ، وفي باب الأخلاق كالحكمة بين السفاهة والبلاهة في القوّة العقليّة.

---

(١) سورة السجدة ٣٢: ١٦.

(٢) من قوله: (ولو وزن هذا) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٣) الكافي ٢: ٦٧/ح ١.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

والشجاعة بين التهوّر والجُبن في القوّة الغضبيّة.

والعفّة بين الشره وخمود الشهوة في القوّة الشهويّة، وإذا حصلت هذه الأوساط وصارت ملكات حصلت حالة أُخرى متشابهة من تمازجها واختلاطها وهي المسمّاة بالعدل.

وكما أنّ كلّ واحدة من تلك الأوساط محيطة بأنواع متكثّرة من الفضائل إحاطة الجنس بأنواعها، ومحاطة بجنسين من الرذائل، كذلك ملكة العدالة محيطة بأنواع متكثّرة من الفضائل ومحاطة بجنسين من الرذائل أعني الظلم والانظلام؛ الظلم في طرف الإفراط، والانظلام في طرف التفريط ويُعبّر عنهما بالجور؛ لأنّ جور الجائر أعمّ من أن يكون ظلماً على نفسه وعلى غيره.

ومن هاهنا ظهر أنّ العدل أمرٌ وسيطٌ يتوقّف حصوله على الأوساط المذكورة، ورئيس شريف يتذلّل لحكمه كثير من الفضائل العقليّة، وأميرٌ كبيرٌ ينتظم به سلطنة العقل في ملكوت القلب، بل هو طريق قويم وصراط مستقيم يسير فيه العقل من العالم الجسماني إلى العالم الروحاني فيشاهد عجائب الملك والملكوت في هذه النشأة، ويدخل جنّات النعيم مع مرافقة الأبرار[1] في النشأة الآخرة، كما أنّ الجور الذي هو الفرار عن هذه الأوساط والاستقرار في طرف التفريط والإفراط وهو من أعاظم أُمراء الجهل وأكابر رؤسائه، ويندرج في حكمه كثيرٌ من جنوده طريق سقيم وصراط غير مستقيم يبعد سالكه في هذه النشأة عن حضرة الجبّار، ويدخل في النشأة الآخرة في عذاب النار.

وقد شبّهوا تلك الصورة الباطنة الواقعة في الوسط المسمّاة بالعدالة لزيادة

---

(١) في المصدر: (الأخيار).

الإيضاح والتقرير تارة بالصورة الظاهرة المحسوسة فكما أنّ لتلك الصورة الظاهرة أركاناً مثل العين والأنف والفم والخدّ واليد والرجل إلى غير ذلك من الأعضاء الظاهرة، ولا توصف تلك الصورة بالحسن ما لم يحسن جميع تلك الأعضاء، ولم يتوسّط بين الإفراط والتفريط كتوسّط العين بين زيادة غورها[١] وزيادة بروزها، وبين زيادة الصغر وزيادة الكبر، وتوسيط الأنف بين زيادة الطول وزيادة القصر، وبين صغر الحجم وكبره، وعلى هذا القياس في سائر الأعضاء، كذلك لتلك الصورة الباطنة التي هي صورة القلب أركان مثل القوّة الناطقة والقوّة الغضبيّة والقوّة الشهويّة ولا يوصف تلك الصورة بالحسن والقبول ما لم يحسن جميع هذه الأركان، ولم يتوسّط بين الإفراط والتفريط على ما ذكرناه، وتارةً أُخرى بالمزاج، فإنّ تلك الصورة الباطنيّة بالنسبة إلى القلب كالمزاج بالنسبة إلى البدن، فكما أنّ اعتدال المزاج واستقامته ـ أعني الصحّة والسلامة ـ تتوقّف على زوال الأمراض البدنيّة كلّها، كذلك اعتدال تلك الصورة واستقامتها يتوقّف على زوال الأمراض القلبيّة التي هي الأخلاق الذميمة الواقعة في طرفي الإفراط والتفريط؛ لأنّ الأخلاق الذميمة علّة مسرية ينجرُّ بعضها إلى بعض، والنّجاة في النشأتين وحسن القبول في الدارين والتعشّق عند الباري جلّ شأنه وتسخير عالم الملك والملكوت لا تحصل إلّا بزوال جميعها، ومن هاهنا ظهر سرّ قولهم: «خير الأُمور أوسطها»[٢].

«والرضا وضدّه السخط» في باب الرضا بقضاء الله تعالى أخبار كثيرة، فعن

---

(١) في المصدر: (غؤورها).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٨٠ ـ ٢٨٢.

أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّه قال: «نعم القرين الرضا بقضاء الله»[١].

وعن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام أنّك لن تتقرّب إليّ بشيء أحبّ إليّ من الرضا بقضائي»[٢].

وفي الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليعبد ربّاً سواي وليخرج من أرضي وسمائي»[٣].

واختلفوا في تفسيره، فقيل: هو رفع الاختيار، وقيل: هو سكون النفس تحت مجاري القدر، وقيل: هو السرور بمُرِّ القضاء، وقال الأرجواني:

عرفت طرفاً من الرضا لو أدخلني النار كنت به راضيا

وقيل: هو سكون القلب إلى أحكام الله تعالى وموافقة الضمير بما رضي واختار، وقيل: هو فرح القلب وسروره بنزول الأحكام في الحلو والمُرّ.

قال عياض: الأوّلان تعريف لمبدئه، والثالث تعريف لمنتهاه، وفي الرابع نظر، والخامس قريب من الثاني، والسادس قريب من الثالث[٤].

وقال ذوالمفاخر صاحب العُدّة رحمه الله: سأل النبيّ ﷺ جبرئيل عن تفسير الرضا، فقال: «الراضي هو الذي لا يسخط على سيّده أصاب من الدنيا أو لم يصب، ولا يرضى من نفسه باليسير»[٥].

---

(١) انظر نهج البلاغة ٤: ٣/الحكمة ٤.

(٢) لم أعثر عليه عن ابن عبّاس، ورواه الكليني عن الصادق عليه السلام في الكافي ٢: ٦١/ح٧ باختلاف يسير.

(٣) انظر الجواهر السنيّة: ٧٩.

(٤) انظر الأقوال هذه في شرح أصول الكافي ١: ٢٨٣.

(٥) عدّة الداعي: ٨٥.

واعلم أيّها اللبيب أنّ الرضا من أعلى منازل المقرّبين وأقصى مراتب السالكين فإنّه ثمرة محبّته[١] وهي ثمرة الأُنس باللّه تعالى شأنه وهو ثمرة كمال معرفته، وهو ثمرة دوام المجاهدة مع النفس الأمّارة والتجرّد لذكر الله ودوام الفكر فيه، وهو ثمرة الصبر على فعل الطاعات وترك المنهيّات وتحمّل المشاقّ والمكاره، وهو ثمرة الخوف من الله تعالى والرجاء بثوابه وإكرامه وإنعامه.

والخوف له تأثير في الأعضاء الباطنة فيمنعها عن الرذائل النفسانيّة مثل الكبر والحسد والحقد والعداوة والبخل وغيرها، وفي الأعضاء الظاهرة فيكفّها عن المنهيّات وقيدّها[٢] بالطاعات، ولعلوّ منزلة الرضا رفعه الله سبحانه فوق جنّات عدن وجعله أكبر من نعيمها[٣] فقال عزّ من قائل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٤] فهي فوق نعيم الجنان وغاية مطلب سكّانها، وإذا رضي العبد عن الله تعالى رضى الله عنه كما قال: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[٥].

---

(١) في المصدر: (المحبّة).

(٢) في المصدر: (ويقيّدها).

(٣) في المصدر: (نعمها).

(٤) سورة التوبة ٩: ٧٢.

(٥) سورة المائدة ٥: ١١٩، سورة التوبة ٩: ١٠٠، سورة المجادلة ٥٨: ٢٢، سورة البيّنة ٩٨: ٨.

«إيراد وجواب على الرضا بقضاء الله»

وإذا عرفت حال الرضا وشرف منزلته فاعرف حال ضدّه الذي هو السخط بالتضاد[١] فإنّ كلّ ما ذكرنا في الرضا يجري ضدّه في السخط، وأُورد عليه بأنّ المستفاد من هذا الحديث وغيره أنّ العبد يجب عليه أن يرضى بقضاء الله سبحانه خيراً كان كالإيمان والطاعة أو شرّاً كالكفر والمعصية لكن الرضا بالكفر كفر وبالمعصية فسق كما ورد في الحديث، فكيف التوفيق؟

والجواب المشهور هو أنّه فرق بين القضاء والمقضي، وإنّه يجب الرضا بالقضاء دون المقضي، والكفر ونحوه من جملة المقضي.

وردّه بعض المحقّقين بأنّ القضاء عبارة عن الحكم بوقوع شيء في الخارج، وهو أمر نسبيّ إضافيّ، فحسنه وقبحه وخيره وشرّه إنّما هو بحسب ما أضاف[٢] إليه؛ لأنّ نفس الإضافة لا يوصف بشيء إلّا باعتبار المضاف إليه، فالتناقض بحاله.

ثمّ أجاب عن أصل الإشكال بأنّ المقضي بالذات لا يكون إلّا خيراً، والشرّ مقضيّ بالعرض لا بالذات، والذي يجب الرضا به هو القضاء أو المقضي بالذات، والذي يجب عدم الرضا به هو القضاء أو المقضي بالعرض كالكفر والظلم ونحوهما.

وقال بعض الأفاضل لدفع الردّ المذكور عن الجواب المشهور: القضاء كالعلم ليس مجرّد إضافة ونسبة، بل هو صورة عقليّة ذات إضافة فإنّ القضاء الإلهي كما

---

(١) في «م» «ت»: (بالقضاء)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في «م» «ت»: «أُضيف)، وما أثبتناه من المصدر.

حقّق عبارة عن وجود صور جميع الموجودات الخارجيّة وجوداً عقليّاً إجماليّاً على وجه أشرف وأعلى، فكلّ ما كان أو سيكون له وجود في عالم علمه تعالى علماً مقدّساً منزّهاً من التغيّر والقصور والنقص والشرّ.

وأمّا المقضي فهو الصور الكائنة والموادّ الخارجيّة على وفق ما جرى في القضاء، فللقضاء نحو من الوجود، وللمقضي نحو آخر من الوجود وقد يتطرّق إليه النقص والآفة والشرّ والفساد.

والصورة العقليّة للكفر والمعاصي ليست كفراً ولا معصية وإنّما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج؛ فمن قال القضاء لا يكون إلّا خيراً يجب الرضا به دون المقضي لعلّه أراد بالقضاء صُور ما في علم الله سبحانه لا مجرّد النسبة، وبالمقضي وجود الأكوان الخارجيّة التي قد يكون شرّاً وكفراً، فظهر الفرق ورفع التناقض[1].

«والشكر وضدّه الكفران» إنّ الشكر حالة نفسانيّة تنشأ من العلم بالمشكور وصفاته وإنعامه، وتثمر العمل بالقلب واللّسان والأركان، وهم بالنظر إلى تلك الثمرة عرّفوه بأنّه فعل دالّ على تعظيم المنعم سواء كان بالجنان أو باللّسان أو بالأركان.

وتوضيحه أنّ الشكر على النعمة لا يتحقّق إلّا بأن تعرف المُنعِم الحقيقي وصفاته ونعمه، وأن تعرف أنّ النِّعَم كلّها منه، وأنّ الأوساط الموصلة لنعمه نعمة أو التي لها مدخل في إيصالها أو تكميلها مثل السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والسحاب والعباد وغيرها كلّها منقادة لأمره مضطرّة لحكمه كانقياد تبعة

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

الملك له في إنفاذ أمره وإيصال عطاياه فتعرف أنْ لا منعم في الحقيقة إلّا هو، وهذه المعرفة تورث حالة نفسانيّة هي التذلّل والانقياد للمنعم والسرور بنعمه لا من حيث إنّها موافقة لغرض نفسك إذ في ذلك متابعة في هواها واقتصار همّة في رضاها بل من حيث أنّها دالّة على عنايته بك بمجرّد إحسانه وإفضاله من غير سبق استحقاق واستئهال ووسيلة إلى التقرّب به برعاية حقوقه، وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا إلّا بما يوجب القرب منه في الدنيا والآخرة، وهذه الحالة شكر في الحقيقة وهي تورث العمل؛ لأنّها إذا حصلت في النفس وتمكّنت فيها حصل لها نشاط للعمل الموجب للقرب منه وهذا العمل أيضاً شكر وهو يتعلّق بالقلب واللسان والأركان:

أمّا عمل القلب: فهو القصد إلى تعظيمه وتحميده وتهليله والتفكر في مصنوعاته وأفعاله، وآثار إنعامه وإكرامه، وإيصال الخير إلى كافّة خلقه إلى غير ذلك من الأعمال القلبيّة.

وأمّا عمل اللسان: فهو إظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

وأمّا عمل الأركان: فهو استعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته، والتوقّي من الاستعانة بها في معصيته ومخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته، واستعمال الأُذن في استماع براهينه وآياته، وهكذا حكم سائر الجوارح.

وإذا عرفت الشكر فقد عرفت الكفران الذي هو ضدّه بالمقايسة، فإنّه أيضاً حالة نفسانيّة هي العتوّ وسوء الظنّ بالمنعم والتباعد منه والسرور بالنعمة من

حيث إنّها موافقة للأغراض الفاسدة النفسانيّة، وهذه الحالة تنشأ من عدم معرفة المنعم الحقيقي على ما ينبغي، وتورث العمل بالقلب كالقصد إلى معصيته والعزم على مخالفته، وباللسان كالافتراء والشكاية والمذمّة وغيرها من الأقاويل الباطلة، وبالجوارح كترك النظر فيما يعنيه وصرفه فيما لا يعنيه، وبالجملة صرف الجوارح في غير ما خُلِقت لأجله.

«والطمع وضدّه اليأس» هذا تكرار للرجاء وضدّه، وكذلك قال الشيخ بهاء الملّة والدين ﷺ: لعلّ أحدهما كان بدلاً عن الآخر فجمع بينهما الناسخ غافلاً عن البدليّة، ويمكن أن يقال: التكرار إنّما يلزم لو أُريد به ما أُريد بالرجاء أعني الطمع في ثواب الله والأُمور الأُخرويّة مطلقاً، أمّا إن أُريد به توقّع الأُمور الأُخرويّة من غير سبق استحقاق وخصّ الرجاء بتوقّعها مع السبق أو مطلقاً، أو أُريد به توقّع الأُمور الدنيويّة ممّا يحتاج إليه في الضروريّات وغيرها، أو أُريد به توقّع ما في أيدي الناس، وجعل الطمع من جنود الجهل واليأس من جنود العقل على خلاف ما وقع في سائر النظائر من تقدّم جند العقل فلات كرار، وهذه الوجوه وإن كانت بعيدة لكنّ القول بالتكرار وتخطئة الناسخ أبعد منها.

«والتوكّل وضدّه الحرص» معنى توكّل العبد على الله هو صرف أُموره إليه والاعتماد فيها عليه، يقال: وكّل فلانٌ فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ومن أسمائه تعالى «الوكيل» وهو القيّم بأرزاق العباد.

وبالجملة التوكّل حالة فاضلة للقلب توجب تفويض الأُمور إلى الحقّ والانقطاع عن ما سواه، وله مبدأ وأثر مترتّب عليه، ومبدؤه العلم بأنّه تعالى واحد لا شريك له وأنّه عالم بجميع الأشياء، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض

ولا في السماء، وأنّه قادر على جميع المقدورات، وأنّه حكيم لا يجور في حكمه، وأنّه رؤوف بعباده، ولابدّ بعد ذلك من الرضا بقضاء الله؛ إذ بالعلم الأوّل يعلم أنّه لا كفيل لمهمّاته إلّا هو، وبالعلم الثاني يعلم أنّه لا يخفى عليه شيء من مهمّاته، وبالعلم الثالث يعلم أنّ السماوات والأرضين وما بينهما وما فيهما من الروحانيّات والحيوانات والنباتات والجمادات والأُمور الكائنة مسخّرات بأمره، فيعلم أنّه لا يعجز عن إمضاء مهمّاته وإنجاح مطالبه ومراداته، وبالعلم الرابع يعلم أنّه لا يكون ظالماً في نفاذ أُموره، وبالعلم الخامس يعلم أنّه يقول كلّ ما يصلح له، وبالسادس يسهل عليه جريان صعاب الأُمور؛ فإذا أيقن هذه الأُمور واستنار قلبه بأنوار تلك المعارف ولم‌يعارضه الوهم والجبن وضعف البصيرة، ومع ذلك تأمّل في حال بعض الحيوانات الذي لا حيلة له في تحصيل أُموره وادّخار قوته كالطيور وأمثالها، بل حال نفسه حين كان جنيناً في بطن أُمّه وكان مضطرّاً إلى الرزق وكان رزقه يأتيه بغير حيلة له من حيث لا يدري وقتاً فوقتاً حصلت له حالة شريفة، وهي وثوقه في أُموره باللّه سبحانه وانقطاعه عن غيره من‌الأسباب والوسائط بل عن نفسه أيضاً؛ لأنّه يسلب الحول والقوّة عنها ويحكم بأنّه لا حول ولا قوّة إلّا باللّه، ويرى حاله معه مثل حال الموكّل مع وكيله في الثقة به والاتّكال عليه، أو مثل حال الطفل مع أُمّه في الركون إليها، أو مثل حال الشمعة مع المصوّر في أنّها مقهورة تحت يده وقدرته يصوّرها ويشكّلها كيف يشاء.

وهذه الحالة هي المسمّاة بالتوكّل وهي مقام عال من مقامات السالكين، ودرجة عظيمة من درجات المقرّبين، ومنزلة رفيعة من منازل المتّقين لا يصل

إليها إلّا من اطمأنّ قلبه بالإيمان باللّه القاهر فوق عباده.

ثمّ إنّ هذه الحالة تتفاوت كمالاً ونقصاناً بحسب تفاوت العلوم المذكورة وصفاء القلب ونورانيّته، فلها أقسام:

أوّلها: الثقة باللّه وبكفالته وبكفايته وعنايته مع ملاحظة أنّ العادة جرت على ربط المسبّبات بأسبابها فيتمسّك بالأسباب على قدر الحاجة، والأثر المترتّب عليه هو الاعتقاد بأنّ حصول المطلوب وسببه من توفيق الله تعالى وعنايته، فيكتسب ويغلق الباب من السارق ويتحصّن من العدوّ مثلاً ويثق بأنّ الرزق والحفظ منه تعالى ولا يتّكل على السبب، وإنّما اتّخذه جرياً على العادة وهو راضٍ عن ربّه وشاكر له إن لم يحصل المسبّب بناء على أنّه لا يدري في أيّ شيء الخيرة، وحافظ مع اشتغاله بالسبب لأوقات الصلاة وغيرها من العبادات، وبالجملة يكون مقصوده هو الكفيل الحقّ، وخيرته ومنظوره هو التشبّث بذيل عنايته وإرادته.

والاكتساب على هذا الوجه لا ينافي التوكّل؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان رئيس المتوكّلين وقد توارى من العدوّ وحَفَر الخندق[1] على نفسه وظاهر بين درعين، وادّخر قوت عياله سنة، ولتواتر الروايات عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام على هذا المعنى، ولقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾[2] ولذا قيل: من طعن في الكسب طعن في السنّة ومن طعن في تركه طعن في التوحيد، والكسب الغير المنافي ما كان على قدر الحاجة وحدّه بعض للمنفرد بدون الأربعين.

---

(١) في المصدر: (وخندق) بدل من: (وحَفَر الخندق).

(٢) سورة النور ٢٤: ٣٧.

«واختلف في حدّ التوكّل»

واختلف في ادّخار قوت الأربعين فقيل: يخرج عن التوكّل، وقيل: لا يخرج بما زاد على الأربعين وهذا كلّه ما لم يتشوّش خاطره، فإن تشوّش فالادّخار في حقّه أفضل، بل قيل: لو حبس ضيعة يكفيه دخلها كان أرجح؛ لأنّ المقصود تفريغ القلب للعبادة، وحدّه للمعيل بقوت عام تطميناً لقلبه وقلب عياله لفعل النبي ﷺ، ولم يفعله لطيب قلبه وإنّما فعله ﷺ ليدلّ على الجواز، وقيل: ادّخار القوت عامين في مقام يتوهّم غلبة العدوّ لا ينافيه لعدم الأمن بالغلبة، والأظهر أنّ ادّخار القوت مطلقاً لا ينافيه إذا كان اعتماده على الله تعالى لا على القوت المدّخر.

وبالجملة التمسّك بالأسباب مع الاعتماد على الله لا عليها لا ينافيه.

وثانيها: الثقة باللّه وبكفالته مع احتراق[1] حجاب الأسباب والمسبّبات عنده ولكن لم يعوّد نفسه بالصبر على الجوع والعطش أُسبوعاً أو أكثر أو أقلّ، ولا راضٍ نفسه على أكل غير المأنوس من الأطعمة والأشربة، والأثر المترتّب عليه أنّه لايجوز له ترك الاكتساب ولا الخروج من المعمورة والسكون في البادية ولا السفر بلا زاد ولا ماء؛ لأنّ إلقاء النفس إلى التهلكة لا يجوز عقلاً ونقلاً، والمقام في المعمورة مظنّة إتيان الرزق.

وثالثها: مثل الثاني، إلّا أنّه عوّد نفسه على ما ذكر، والأثر المترتّب عليه أنّه يجوز له ترك الاكتساب والسكون في البادية والسفر بلا زاد ولا ماء في مدّة يعلم أنّه يتحمّل الرياضة، ولا يجوز له ولا للثاني ترك الاكتساب الضروريّة كمدّ اليد

---

(١) في متن «ت»: (احتراز)، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

للطعام وابتلاعه ولا انقطاعهما في شعب لا ماء فيه ولا كلأ، ولا إقامتهما في مسيل ماء أو تحت جدار مائل، ولا عدم دفاعهما عنهما سبعاً[١]، ولو قالا في جميع ذلك: توكّلنا فهما جاهلان في معنى التوكّل، وفي اعتقادهما أنّ الأسباب الضروريّة تنافيه، وكان بعض المتوكّلين لا يفارق الإبرة والمقراض والركوة والحبل لملاحظة أنّه قد ينخرق ثوبه وقد لا يوجد الماء بوجه الأرض، ثمّ إنّهما إن تفارغا للعبادة ولم يطمعا ما في أيدي الناس ولم يتشوّش بالهما في العبادة وراضا نفسهما على الجوع وصبرا جميلاً في كلّ حال يأتيهما الرزق لا محالة؛ لأنّ أصل وجودهما يجلب الرزق وغيره من ضروريّات الوجود، وقد قيل لأميرالمؤمنين صلوات الله عليه: لو سُدّ على رجل باب بيته وترك فيه فمن أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: «من حيث يأتيه أجله»[٢].

وهذا التوكّل وترك الكسب إنّما هو للمنفرد، وأمّا المعيل فالمناسب له هو القسم الأوّل؛ لأنّه ليس له أن يكلّف عياله بالصبر على الجوع، وقد رجّح جماعة القسم الأوّل على بواقي الأقسام مطلقاً لما مرّ ولغيره من الأخبار الواردة في الحثّ على طلب المعيشة، ويمكن أن يقال: إنّ ذلك باعتبار أنّ القسم الأوّل أسهل والأخيرين في غاية الصعوبة، وهم عليهم السلام حكماء يحملون الناس على ما لا يصعب عليهم كثيراً.

وأمّا ضدُّ التوكّل ـ فالمشهور في ألسنة العلماء والمضبوط في النسخ المعتبرة ـ هو «الحرص» بالصاد المهملة، وقال سيّد الحكماء الإلهيّين هو: «الحرض»

---

(١) (سبعاً) أثبتناها من المصدر.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٨٣/ الحكمة ٣٥٦.

بالحاء المهملة أوّلاً والضاد المعجمة أخيراً والراء في الوسط وبالتحريك، وأمّا الحرص بالصاد المهملة فتصحيف؛ لأنّه ضدّ القناعة كما سيجيء، فلو جعل ضدّ التوكّل أيضاً لزم أن يكون جند الجهل أقلّ من ثلاثة وسبعين، وعلى خلاف عدد جند العقل وإنّه باطل؛ لأنّه خلاف قول الإمام عليه السلام، بل هو وهم فاسدٌ في نفسه؛ لأنّه ضدّ القناعة في نفس الأمر لا[١] ضدّ التوكّل؛ لأنّ ضدَّ التوكّل هو الهمّ بالشيء والحزن له والوجد عليه وصرف الفكر في التوسّل إليه والتبالغ في تحصيل البغية[٢] وتهييج الأسباب المؤدّية إليها وتحريكها وتحريشها[٣] وتخريبها والغمّ في إبطاء نيلها وبطوء نجاحها وذلك كلّه معنى الحرض بالضاد المعجمة وهو والحرب بمعنى؛ هذا محصّل كلامه.

ويمكن دفعه بأنّ الحرص بالصاد المهملة حالة نفسانيّة ينشأ من الجهل بالأُمور المذكورة المعتبرة في تحقّق التوكّل، أو من ضعف القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه، فإنّ الوهم كثيراً ما يعارض اليقين كمن تراه لا يبيت وحده مع ميّت وهو يبيت مع جماد مع علمه بأنّ الميّت أيضاً جمادٌ، وتبعث تلك الحالة عن السعي التامّ في الاكتساب وشدّة الاهتمام بجميع الأسباب وصرف العمر والفكر في جمع المال في جميع الأوان كما هو دأب أهل العصر وشأن أتباع[٤] الزمان، ولا شبهة في أنّ ذلك لقوّة الاعتماد على الكسب والطلب، وعدم الاعتماد على

---

(١) في «م» «ت»: (كما سيجيء فلو جعل) بدل من: (في نفس الأمر لا)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في نسخة بدل من «ت»: (بغية).

(٣) في حاشية «م» «ت»: التحريش: الأغراء بين القوم والكلاب وتهييج بعضها على بعض. (منه رحمه الله)، (انظر مجمع البحرين ١: ٤٨٨ ـ حرش)

(٤) في نسخة بدل من «ت»: (أبناء).

الله سبحانه، فالحرص متضمّن لأمرين: أحدهما المبالغة في الاكتساب، والثاني عدم الاعتماد والوثوق باللّه سبحانه، فباعتبار الأمر الأوّل جعل ضدّاً للقنوع، وباعتبار الأمر الثاني جعل ضدّاً للتوكّل فلا يكون جند الجهل أقلّ من جند العقل، إذ الحرص في الموضعين ليس بمعنى واحد ولا يلزم خلاف قول الإمام عليه السلام، ولا يرد أنّه ليس ضدّاً للتوكّل في نفس الأمر[1].

«**والرأفة وضدّها القسوة**» قال الجوهري: قسى قلبه قسوة وقساوة، وقساء ـ بالفتح والمدّ ـ هو غلظ القلب وشدّته[2].

والرأفة حالة نورانيّة للقلب داعية إلى الخير وحسن الخلق ورقّة الوجه وطهارة اللسان وكثرة الحيا والتلطّف بالخلق والاجتناب عن المناهي، وضدّها حالة ظلمانيّة له داعية إلى الشرّ وسوء الخلق وغلظ الوجه وخباثة اللسان وقلّة الحياء وإيذاء الخلق وركوب المحارم وكشف الأستار والوثوب على الناس في الخصومات، وكلّ واحدة منهما إمّا طبيعيّة أو كسبيّة، تُحصَل الأُولى بممارسة العلوم والأعمال الصالحة، والثانية بمزاولة الجهل والأعمال القبيحة، والمراد هنا هو القسم الثاني.

«**والرحمة وضدّها الغضب**» الرحمة حالة للقلب يثمرها العلم بقباحة الطغيان وشناعة العدوان وسوء عاقبتهما، وثمرتها الشفقة على الخلق والتلطّف بهم والترحّم عليهم.

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٨٥ ـ ٢٩٠.

(٢) الصحاح ٦: ٢٤٦٢ ـ قسا.

والفرق بينها وبين الرأفة كالفرق بين المسبّب والسبب؛ فإنّ الرأفة لينة القلب الموجبة لميله إلى التلطّف والشفقة، والرحمة نفس هذا الميل، وقد خفي هذا الفرق على بعضهم فحكم بأنّ هاتين الفقرتين متّحدتان في المعنى ولم يدر أنّ الرأفة ليست نفس الرحمة، والقسوة ليست نفس الغضب، وإنّ الأوّل منهما بمنزلة السبب للثاني، وإنّ الأصل عدم التكرار عند الجمع بينهما، مثل: إنّ الله لرؤوف رحيم، وإطلاقهما على الله سبحانه باعتبار الآثار وهي ألطافه وإحسانه تعالى بمن أطاعه، وإنكاره على من عصاه وسخطه عليه وإعراضه عنه ومعاقبته له.

والغضب من المخلوقين قد يكون ممدوحاً وقد يكون مذموماً؛ فالمحمود ما كان في جانب الدين والحقّ، والمذموم ما كان في خلافه، وهذا هو المراد هنا، وهو أيضاً حالة للقلب يثمرها الجهل بما ذكر، وتسويل النفس الأمّارة الإفراط في المؤاخذة وتزيينه، وثمرتها الطغيان على الخلق باليد واللسان، والتعدّي عليهم بالظلم والعدوان، ومن علاماته احمرار الوجه والعين، وانتفاخ العروق، وسرّ ذلك أنّ القوّة الغضبيّة إذا تحرّكت نحو الانتقام واشتعلت نارها في الباطن يغلي به دم القلب كغلي الحميم فينبعث منه الدخان ويرتفع إلى أعالي البدن كما يرتفع في القدر، ويصبّ في الوجه والعين والعروق فيحمر الوجه والعين، وينتفخ في العروق، ويختلّ الدماغ الذي هو معدن الفكر في المحسوسات، وينطفي نور عقله كما ينطفي ضوء السراج في البيت باستيلاء الدخان عليه فيظلم بصره وبصيرته بحيث لا يرى شيئاً، ويسوَدّ عليه الدنيا

وما فيها، ولا يميّز بين الحقّ والباطل، والحسن والقبح، ولا يؤثّر فيه وعظٌ ونصيحة، بل قد يبلغ إلى حدّ يحرق جميع ما يقبل الاحتراق، ويفني الرطوبة التي بها بقاء الحياة فيموت صاحبه غيظاً.

وهذه الخصلة من أعاظم الخصال الذميمة، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واحذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس»(١).

وقال الباقر عليه السلام: «إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتّى يدخل النار، فأيّما رجل غضب على قوم وهوقائم فليجلس من فوره ذلك؛ فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن فليمسه؛ فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت»(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح لكلّ شرّ»(٣)(٤).

«والعلم وضدّه الجهل» وهما وصفان متقابلان ونعتان متضادّان للعقل والجهل اللّذَين كلامنا في جنودهما؛ لأنّك قد عرفت أنّ المراد بالعقل إمّا القوّة العاقلة أو النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الحقّ، وكلّ واحدة منهما مبدأ للعلوم.

وبالجهل إمّا القوّة الجاهلة أو النفس من حيث استعدادها لسلوك طريق الباطل، وكلّ واحدة منهما مبدء للجهل المقابل للعلم أعني عدمه.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣١/ذيل الكتاب ٦٩.

(٢) الكافي ٢: ٣٠٢/ح ٢.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٣/ح ٣.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

«في أقسام العلم»

ثمّ للعلم مراتب:

الأوّل: الاعتبار ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ (١)، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ومن اعتبر أبصر» (٢).

الثاني: التجلّي والانكشاف التامّ.

الثالث: الإدراك مطلقاً.

الرابع: الإدراك المطابق لما في نفس الأمر كالاعتقاد بالمعارف الإلهيّة والأحكام الشرعيّة.

وهذا القسم قد يجب على الجميع وقد يختلف باختلاف الأشخاص، فالذي يجب على الجميع هو العلم بأنّ الله واحدٌ حيٌّ قديم أزليٌّ إلى غير ذلك من أُصول العقائد، والعلم بالصلاة والصوم والوضوء والغسل وشرائطها ومفاسدها إلى غير ذلك ممّا يشترك فيه جميع المكلّفين (٣)، والذي يجب على البعض هو العلم بأحكام الحجّ والزكاة للغنيّ، والعلم بأحكام العقود للتاجر، وكذلك من عمل عملاً وجب عليه العلم بذلك العمل.

والعلم من حيث إنّه علم ومتعلّق بالحقّ طريق واحد، والجهل المقابل له طرق متعدّدة، وإذا وقعت المحاربة بين العقل والجهل في مساحة القلوب

---

(١) سورة الحشر ٢٩: ٢.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٤٧/ضمن الحكمة ٢٠٨.

(٣) في المصدر: (المتكلّمين).

واستظهر الجهل بهذا الجهل الذي من جنوده، استظهر العقل بالعلم فيغلبه ويهزمه ﴿كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

«في بيان الفهم»

«**والفهم وضدّه الحمق**» الفهم هنا بمعنى العقل ـ كما قيل ـ أو صفة فاضلة للذهن، وهي ملكة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم بحيث لا يحتاج في ذلك إلى فضل مكث وتأمّل؛ كذا عرّفه المحقّق الطوسي، وعدّه نوعاً من الفضائل مندرجاً تحت جنس الحكمة، وإنّما قلنا هنا لأنّ الفهم ـ فيما سيأتي ـ من قوله عليه السلام: «والفهم وضدّه الغباوة» بمعنى الفطنة وهي شدّة الحدس وجودة الذهن وقوّة العدّة لاكتساب العلوم، أو بمعنى الذكاء وهو نوع آخر من جنس الحكمة فوق النوع المذكور، وعرّفه المحقّق: بأنّه ملكة حاصلة من كثرة مزاولة المقدّمات المنتجة وممارستها موجبة لسرعة انتاج القضايا وسهولة استخراج النتائج على سبيل البرق الخاطف[2].

ومنهم من لم يفرّق بين الفهمين وظنّ أنّهما بمعنى واحد فحكم بأنّ أحد الفقرتين كانت بدلاً عن الأُخرى فجمع بينهما الناسخ غافلاً عن البدليّة.

ومنهم من جوّز أن يكون الفهم هنا بالقاف دفعاً للتكرار من «قهم» بالقاف كفرح: قلّ شهوته للطعام، وأقهم في الشيء أغمض وعنه كرهه، وعن الطعام

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٤٩.

(٢) حكاه عنهما المازندراني في شرح أصول الكافي ١: ٢٩٣.

لم يشته، وهذا الأخير نقله سيّد الحكماء عن بعض ولم يصرّح باسم القائل، ثمّ قال: هذا أُعجوبة[١] التعاجيب فأين أنتم يا معشر المتعجّبين.

وإذا عرفت الفهم فقد عرفت الحمق بالمقابلة؛ فهو إمّا ضدّ العقل ـ على ما قيل ـ أو بطوء الانتقال من الملزومات إلى اللوازم، ويُسمّى ذلك بالبلادة المفرطة وهو نوع من جنس رذيلة الجهل المقابلة لفضيلة الحكمة، ومنشأ ذلك نقصان الذهن وكساده من انحمق الثوب إذا بلى، وانحمقت السوق إذا كسدت، وانحمق القمر إذا زال نوره، وقد عُدّ الحمق أعظم الفقر وأكبره لكونه أشدّ بلاءً وأكثر ابتلاء من الفقر المعروف بين الناس إذ الأحمق يفقد الدين والكمال الذي هو أشرف من المال، والدليل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأكبر الفقر هو الحمق»[٢]، ويعلم منه بحكم المقابلة أنّ أعظم الغنى الفهم ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّـهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٣][٤].

«**والعفّة وضدّها التهتّك**» لمّا كان بقاء النوع والشخص مفتقراً إلى التناكح والتناسل وتناول الغذاء والتلذّذ بالمآكل والمشارب؛ لأنّ الحرارة الغريبة الخارجة والغريزيّة الداخليّة أعدى عدوّ للرطوبة الغريزيّة التي في طينة الإنسان فلا تزال تلك الحرارة تحلّل الرطوبة وتجفّفها وتبخرها وتفنيها، فلو لم يتّصل بالرطوبة مدد من الغذاء جبراً لما يتحلّل؛ لفسد المزاج وبطل التركيب في أسرع زمان خلق الله سبحانه بمقتضى الحكمة البالغة قوّة شهويّة هي مبدأ الشوق إلى

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الأُعْجُوبَةُ الأمر يتعجّب منه. (منه رحمه الله)، (الصحاح ١: ١٧٧ ـ عجب).

(٢) نهج البلاغة ٤: ١١/ ضمن الحكمة ٣٨.

(٣) سورة الحديد ٥٧: ٢١.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

طلب الغذاء والالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناكح، والناس في تلك القوّة على ثلاث درجات؛ لأنّ تلك القوّة ـ كما بيّنّا آنفاً ـ إن تحرّكت بالاعتدال واستقرّت في الوسط مثل المركز بأن لا تتعدّى عمّا أذن له العقل والشرع من الأغذية والأشربة والأنكحة وغيرها، بل طاوعته فيما عداه حظّاً ونصيباً لها واقتصرت عليه وتركت هواها حصلت فضيلة العفّة وهي جندٌ عظيمٌ من جنود العقل، منقادة لحكمه، تابعة لأمره ونهيه، وإن تحرّكت نحو الإفراط وجاوزت عن حكم العقل والشرع وارتكبت من اللذّات ما لم يأذنا لها حصلت رذيلة الهتك وخرق الأستار وهي مسمّاة بالشره والفجور أيضاً، ومعدودة من جنود[1] الجهل لانقياد حكمه واتّباع أمره ونهيه، وخروجه على سلطان العقل، وإن تحرّكت نحو التفريط وآثرت ترك طلب اللذّات الضروريّة التي أذن لها العقل والشرع، واختارت البليّة والمشقّة التي تورث الهلاك حصلت رذيلة خمود الشهوة وهي أيضاً من أضداد العفّة، وإنّما اقتصر على الهتك الذي هو في طرف الإفراط؛ لأنّ رذالته أشهر، وضدّيّته أظهر[2].

«في تعريف الزهد»

«والزهد وضدّه الرغبة» الزهد جعل القلب حيّاً بمشاهدة أحوال الآخرة وعدم الغفلة عنها، وميّتاً عن طمع الدنيا وزخارفها.

---

(١) في المصدر: (جند).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

وبعبارة أُخرى هو إعراض النفس عن الدنيا وزهراتها وقطع الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

وبعبارة أقصر: هو حذف موانع الالتفات إليه سبحانه، ولا يتحقّق ذلك إلّا بحذف الموانع الداخلة النفسيّة عن النفس مثل محبّة غيرالله تعالى والميل إلى ماسواه وحذف[١] الموانع الخارجة مثل متاع الدنيا وزهراتها، وإليه يشير قول بعض الأكابر: الزهد ثلاثة أحرف: زاءٌ وهاءٌ ودالٌ؛ فالزاء ترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا.

«ممّا يورّث الزهد تلاوة كتاب الله»

وممّا يبعث على سلوك هذه الطريقة تلاوة القرآن الكريم والتدبّر في آياته فإنّها تثمر محبّة الحقّ والتوجّه إلى الآخرة، وتغسل عن لوح القلب درن الوساوس وخبث الرذائل ورين الميل إلى الدنيا، ثمّ مطالعة أحوال الماضين ورفضهم ما كانوا عليه من الدنيا وزخارفها وانقطاع أيديهم عنها، واستقرارهم في القبور، ثمّ التأمّل في أحوال الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مع كمال تمكّنهم من الاستمتاع من الدنيا وتركهم لها طوعاً ورغبةً في ثواب الله ومقام القرب منه؛ وذلك دليل على ذمّ الدنيا وعيبها وكثرة مساويها، فانظر إلى حال كليم الله موسى ابن عمران عليه السلام إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢] وما سأله إلّا خبزاً يأكله؛ لأنّه كان يأكل بقلة الأرض حتّى كانت خضرة البقل ترى من

---

(١) من قوله: (موانع الالتفات إليه) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢٤.

شفيف[١] صفاق[٢] بطنه[٣]، وإلى حال داود عليه السلام، وعيسى بن مريم عليه السلام وسائر الأنبياء والأوصياء الذين زهدهم وورعهم في الآفاق مشهور وفي الدفاتر مسطور كما ذكره عليّ عليه السلام في خطبة طويلة[٤]؛ فتأسّ بهم واقتف بأثرهم

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والشفيف: مأخوذ من شف الثوب شفيفاً أي رقّ فحكى ما تحته في شف جسمه أي نحل. (منه رحمه الله)

(٢) في حاشية «م» «ت»: والصفاق ككتاب الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر والشفاق بالشين مثله. (منه رحمه الله)

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٥٥/الخطبة ١٦٠، والخطبة هي:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي: حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ، فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً، مِنْهَا يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ، مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا، وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ وَدَلِيلٌ، لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا ⇐

. . . . . .

⇐ وَغَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا، وَإِنْ شِئْتَ تَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» وَاللّهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ، وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللّهُ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ، فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللّه سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللّهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللّهِ، وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً وَلَا يَرْجُو فِيمَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ، وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَالْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً ⇐

ولِج[١] مولجهم لتأمن من الهلكة، فإنّ الله سبحانه جعلهم أعلاماً للعباد وأطلعهم على قبائح الدنيا وأحوال الآخرة.

فإذا عرفت معنى الزهد فقِس عليه الرغبة التي هي ضدّه وهي الركون إلى الدنيا والميل إلى أسبابها المانعة عن خلوص ذكر الله ومشاهدة أحوال الآخرة.

وقال بعض العارفين: الرغبة في الدنيا تجرّ إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الحاجبة للمروءات، إذ الغريق في بحر الدنيا قلّما ينفكّ عن الكبر والفخر والخيلاء والظلم وسوء الخلق واستصغار النعم وكفرانها إلى غير ذلك من الصفات الرذيلة المهلكة ولو فرض خلوّه عن جميع تلك الصفات واتصافه بجميع الصفات الحميدة ـ كما يفرض المحال والممتنع ـ لكان في غاية الخطر من مزلّة القدم في كلّ حركة وتصرّف، بخلاف أهل القشف الذي اقتصروا من الدنيا على مقدار الضرورة، والله وليّ التوفيق[٢].

«والرفق وضدّه الخرق» قال سيّد الحكماء: الخرق ـ بالخاء المعجمة والقاف من حاشيتي الراء بالتحريك ـ مصدر الأخرق وهو ضدّ الرفق، وقد خرق يخرق خرقاً، والاسم الخُرُق بالضمّ[٣].

⇐ نَظَأُ عَقِبَهُ، وَاللّهُ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى.

(١) ولجّ في الأمر لجّا، ولجاجةً إذا لازم الشيء وواظبه (مجمع البحرين ٢: ٣٢٧ ـ لجج).
والولوج: الدخول (النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٢٤).

(٢) انظر شرح أصول الكافي ١: ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

(٣) انظر الصحاح ٤: ١٤٦٨.

إذا عرفت هذا فنقول: الرفق اللين والتلطّف، والخرق العنف والعجلة والخشونة وترك التلطّف؛ لأنّ هذه الأُمور من آثار الحمق والجهل، ومن الرفق رفق الرجل بصديقه وعدوّه لأنّ ذلك يوجب ازدياد الصداقة ورفع العداوة، ومنه قوله رفقه لجلسائه بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحيّة والتكلّم كيلا يورث العداوة بينهم، ومنه رفق الأمير برعيّته لأنّه أدخل لجلب قلوبهم وانقيادهم لحكمه وإطاعتهم لأمره ونهيه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض عمّاله: «واخفض للرعيّة جناحك، وأَلِنْ لهم جانبك»[١]، وفي الخبر: «إنّ أفضل العباد عند الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق، وإنّ شرّ الناس منزلة يوم القيامة إمام جائر خرق»[٢]، وفيه: «إنّ الرفق لا يوضع في شيء إلّا زانه، ولا نزع من شيء إلّا شانه»[٣].

ثمّ الرفق إنّما يكون من جنود العقل إذا علم أنّه أصلح وأصوب عن الخرق وإلّا فالرفق حينئذٍ خرق، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً»[٤] يعني إذا كان الرفق في أمر غير نافع فعليك بالخرق وهو العنف والعجلة، وإذا كان الخرق غير نافع فعليك بالرفق، والمراد به الحثُّ على استعمال كلّ واحد منهما في موضعه كما هو شأن العاقل الحكيم، فإنّ الرفق إذا استعمل في غير موضعه كان خرقاً، والخرق إذا استعمل في غير موضعه كان

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٦/ ضمن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله برقم ٤٦.

(٢) انظر كنز العمّال ٦: ١٤٦١٠/١٠.

(٣) انظر صحيح مسلم ٨: ٢٢.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٥٢/ ضمن وصيّة له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام برقم ٣١.

رفقاً، وقريب من هذا المعنى قوله عليه السلام: «ربّما كان الداء دواءً والدواء داءً»[١]، وقوله عليه السلام: «وارفق ما كان الرفق أرفق»[٢] يعني أصلح وأصوب واعتزم بالشدّة حين لا يغنى عنك إلّا الشدّة[٣]، وقوله عليه السلام: «ردّوا الحجر من حيث جاء، فإنّ الشرّ لا يدفعه إلّا الشرّ»[٤]؛ فقد رخّص عليه السلام لمن أراده الغير بالضرب والرمي والقتل أن يدافعه بمثل ذلك إذا علم أن لا دفع إلّا به فإنّ ذلك جائز حسن عقلاً ونقلاً، فإن أدّى إلى هلاك الظالم فلا شيء على الدافع إذا لم يتعدّ[٥].

«والرهبة وضدّها الجرأة» الرهبة ـ وهي الخوف ـ على ثلاثة أضرب: خوف من الحق، وخوف من الخلق، وخوف من النفس؛ كلّ ذلك من ثمرة الحكمة والعلم باللّه وآياته وصفاته، ومخاطرات النفس وتسويلاتها، ومحاسن أُمور الدنيا والآخرة وقبائحهما[٦]، ومضارّ أخلاق الخلائق ومنافعها.

أمّا الخوف من الحقّ فيورث القرب منه كما ورد في الخبر: «إذا اقشعرّ جسد العبد من خشية الله تتحاتّ عنه ذنوبه كما يتحاتّ من الشجرة ورقها»[٧] ومن البيّن أنّ ذلك يوجب القرب منه.

وأمّا الخوف من الخلق فيورث البُعد عنهم كما ورد في الخبر: «خالط الناس

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٥٢/ ضمن وصيّة له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام برقم ٣١.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٧٦/ ضمن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله برقم ٤٦.

(٣) من قوله: (واعتزم بالشدّة) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٧٥/ الحكمة ٣١٤.

(٥) شرح أصول الكافي ١: ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٦) في المصدر: (ومقابحها).

(٧) انظر الجامع الصغير ١: ٤٦٨/٧٤.

تخبرهم، ومتى تخبرهم تقلهم»[١] ومن البيّن أنّ من يخاف لُصّاً أو سبعاً يفرّ منه.

وأمّا الخوف من النفس فيورث تهذيبها؛ لأنّ العبد إذا خاف منها يحارسها في جميع حركاتها وسكناتها فيدفع عنها سنان مكرها وسيف مخادعتها، وذلك يوجب تهذيب الظاهر والباطن، ومِن ثَمّ قال بعض أهل العرفان: الخوف نار تحرق به الوساوس والهواجس في القلب.

والظاهر المتبادر هنا هو الخوف من الله تعالى وهو قد يكون لأُمور مكروهة لذاتها وقد يكون لأُمور مكروهة لأدائها إلى ما هو مكروه لذاته، والثاني له أقسام كثيرة كخوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقص التوبة، أو خوف عدم قبولها، أوخوف الانحراف عن الفضل في عبادة الله تعالى، أو خوف ابتلاء القوّة الغضبيّة أو القوّة الشهويّة بحسب مجرى العادة في ارتكاب الانتقام واستعمال الشهوات المألوفة أو خوف سوء الخاتمة أو خوف الشقاوة في العلم الأزلي، وأعلى هذه الأقسام بحسب الرتبة عند الخائفين خوف الخاتمة فإنّ الأمر فيها خطير، بل أعلاها وأدلّتها على كمال المعرفة خوف الشقاوة السابقة في العلم الأزلي لكون الخاتمة تابعة لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ، وقد مُثِّل مَن له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما مَلِكٌ بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه عناء أو هلاك، فيعلّق قلب أحدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير أو شرّ، ويتعلّق قلب الآخر بما حضر للملك حال التوقيع وما ظهر له من رحمة أو غضب، وهذا التفات إلى السبب فكان أولى وأعلى، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم الأزلي في اللوح المحفوظ أعلى من

---

(١) الكافي ٨: ١٧٦/ح١٩٦، والخبر عن أبي عبد الله عليه السلام.

الالتفات إلى الأبد، وإليه يشير ما في الحديث: «السعيد من سعد في بطن أُمّه والشقيّ من شقي في بطن أُمّه»[١]، ومن طريق العامّة: «السعيد من سعد بقضاء الله، والشقيّ من شقي بقضاء الله»[٢].

وكذا للأوّل أقسام كثيرة كالخوف من سكرات الموت وشدائده، أو من سؤال منكر ونكير، أو من عذاب القبر، أو من أهوال الموقف بين يدي الله عزّ وجلّ، أو من كشف الستر، أو من السؤال عن النقير والقطمير، أو من الصراط وحدّته وكيفيّة العبور عليه، أو من النار وأغلالها وسلاسلها، أو من حرمان الجنّة أو من نقصان الدرجات فيها، أو من الحجاب من الله سبحانه؛ وكلّ هذه الأُمور مكروهة لذاتها ويختلف حال السالكين إلى الله فيها، وأعلاها رتبة هو الأخير أعني خوف الفراق والحجاب وهو خوف العارفين الناظرين لأنوار عظمته وجلاله الغائصين في بحار لطفه وفضله وكماله الذين أضائت ساحة قلوبهم بمصباح الهداية الربّانيّة، وأشرقت مرآة ضمائرهم بأنوار المعارف الإلهيّة كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٣]، وأمّا ما قبله فهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم يكمل معرفته بعد.

وإذا عرفت الخوف ودرجاته فقس عليه ضدّه وهو الجرأة ودرجاتها؛ لأنّ ضدّ كلّ درجة من الخوف درجة من الجرأة، والأوّل من أعوان العقل وجنوده، والثاني من أعوان الجهل وجنوده، فإذا وقع المطاردة بينهما في ساحة القلوب

---

(١) كتاب الزهد: ٢٨/١٤، وانظر التوحيد للصدوق: ٣/٣٥٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاويّة: ٢٧٥.

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٢٨.

وميدان الأبدان، واستظهر الجهل بالجرأة، استظهر العقل بالخوف فيغلبه ويهزمه بإذن الله تعالى إلّا أنّ حزب الله هم الغالبون.

لا يقال المعروف في مقابل الرهبة ـ أعني الخوف ـ هو الرجاء دون الجرأة؛ لأنّ الرجاء ليس ضدّاً حقيقيّاً للخوف، ولا الخوف ضدّاً حقيقيّاً للرجاء؛ لأنّهما قد يجتمعان في قلب المؤمن، بل افتراق أحدهما عن الآخر مذمومٌ واجتماعهما ممدوح، كما يدلّ عليه قوله تعالى في وصف العابدين: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[1] وإنّما الضدّ الحقيقي للرهبة هو الجرأة، والضدّ الحقيقي للرجاء هو القنوط، كما مرّ لعدم إمكان اجتماعهما في قلب واحد[2].

«**والتواضع وضدّه الكبر**» من أعاظم جنود العقل ومكارم الأخلاق الإنسانيّة ومحاسن الأوصاف النفسانيّة التي يرتقي بها الإنسان إلى أعلى مدارج القرب والكمال، ويصعد إلى أقصى معارج العزّ والجلال التواضع للّه ولعباده المؤمنين، كما أنّ من أفاخم جنود الجهل ومساوئ الأخلاق ومذامّ الأوصاف التي يبعد بها الإنسان عن قرب ربّ العالمين ولا ينتهي قهقراً إلّا إلى أسفل السافلين التكبّر على الله وعلى عباده المسلمين، ولكلّ واحد من المتواضع والمتكبّر تعزّز وتذلّل، والتعزّز للمتواضع من عند الله تعالى، والتذلّل من عند نفسه، وللمتكبّر بالعكس، ولابدّ هنا من التكلّم أوّلاً في حقيقتهما، وثانياً فيما هو سببٌ لحصول تلك الحقيقة، وثالثاً فيما يلزمهما، ورابعاً في المدائح والمذامّ الواردة فيهما.

أمّا حقيقة التواضع: فهي هيئة نفسانيّة تحصل من تصوّر الإنسان نفسه أذلّ

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٩٠.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٠٠ ـ ٣٠٢.

من غيره وأخسّ رتبةً منه، ثمّ الإذعان به إذعاناً جازماً لا يشوبه شيء من الشكوك والأوهام.

وأمّا أسبابه: فهي معرفة عظمة الله وجلاله وكبريائه وقهره وغلبته على جميع الممكنات، ومعرفة نفسه وشدّة احتياجه وكمال افتقاره إليه في جميع الأحوال.

«في حالات الإنسان في بدو خلقتها وأطوارها»

ويكفي في حصول تلك المعرفة التأمّل في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ** ﴾[1].

فإنّه إذا تفكّر فيه علم أنّه كان في الأصل عدماً صرفاً ولم يكن له في الوجود خبرٌ ولا في العين أثر، ولم يكن شيئاً مذكوراً، ثمّ خلقه الله سبحانه من أكثف الأشياء وهو التراب، ثمّ من أخبثها وهو النطفة كما كان في الكتاب مسطوراً، ثمّ بدّله من حال إلى حال ومن طور إلى طور، ومن نشأة إلى نشأة حتّى جعله ذا صورة محصّلة وقوّة ناطقة وروح باصرة وآلات سامعة ولامسة إلى غير ذلك ممّا له دخل في استكمال تلك الصورة، ثمّ نقله من رحم الأُمّ إلى رحم الدنيا، وربّاه صغيراً وكبيراً، وجعله سقيماً وصحيحاً، وغنيّاً وفقيراً، وقويّاً وضعيفاً إلى غير ذلك من الأحوالات المتبادلة والصفات المتضادّة التي هي خارجة عن قدرة

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١٢ ـ ١٧.

البشر، ثمّ يُميته ويُقبره ويُصيّره جيفة منتنة، يهرب منه الحيوان، ويتنفّر منه أوثق الإخوان، فتبلى أعضائه وتتفرّق أجزائه حتّى يصير تراباً كما كان أوّل أمره[١]، ثمّ إذا شاء أنشره فيقوم من مرقده ناظراً إلى أحوال موحشة وأرض مبدّلة، ونجوم منكدّرة، وشمس منكسفة، وجبال سائرة، وكتب طائرة، وصراط وميزان وحساب وملائكة غلاظ شداد إلى غير ذلك من أحوال القيامة وعقباتها وعقوباتها التي يطير من هولها قلوب العارفين، وإذا عرف هذه الأُمور حقّ المعرفة علم أنّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً، وأنّه مضطرٌّ ذليلٌ عبدٌ مملوكٌ لا يقدر على شيء، وأنّه متلبّس بالعجز والإنكسار، ومتّصف بالمسكنة والافتقار، وأنّه بعيد عن الاتّصاف بالبطر والكبرياء والفخر والخيلاء لعلمه بأنّ الكبرياء لا يليق إلّا بذاته تعالى؛ لأنّ الكبرياء[٢] تابع لكمال الذّات وكمال صفاتها وأفعالها وجميع ذلك حاصل له تعالى.

أمّا الأوّل؛ فلأنّ كمال الذّات عبارة عن كمال وجودها، ووجوده تعالى أتمّ الوجودات وأشرفها لاقتضاء الذات إيّاه.

وأمّا الثاني؛ فلأنّ جميع صفاته حاصلة له بالفعل بحيث لا يكون له وصف منتظر أزلاً وأبداً.

وأمّا الثالث؛ فلأنّه يصدر عنه تعالى وجود كلّ موجود عداه بلا مشقّة ولا حركة ولا آلة.

---

(١) في «ت»: (مرّة).

(٢) من قوله: (لا يليق إلّا بذاته) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

فإذن علم أنّ المستحقّ للعظمة والكبرياء ليس إلّا هو، وهذا هو معنى التواضع وحقيقته.

وأمّا لوازمها فهي كثيرة جدّاً؛ لأنّ تلك الحقيقة إذ أُنبعثت من القلب وجرى في جداول الأعضاء والجوارح رشحاتها تنبت منها أنواع أشجار الفضائل:

منها: العبادات القلبيّة والبدنيّة كالذِّكر والصوم والصلاة ونحوها.

ومنها: مجالسة الفقراء ومحبّتهم ومؤاكلتهم وتقديمهم في الطرق والمجالس.

ومنها: لين القول وحسن المعاشرة والرِّفق بذوي الحاجات.

ومنها: الشكر عند حصول النعمة ودفع النقمة.

ومنها: الابتداء بالسلام وترك المِراء.

وأمّا المدائح الواردة فيه فهي كثيرة في القرآن والسنّة، كقوله تعالى لسيّد المرسلين وأشرف الأوّلين والآخرين: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2].

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة؛ فتواضعوا يرفعكم الله»[3].

وأمّا حقيقة التكبّر فهي هيئة نفسانيّة تنشأ من تصوّر الإنسان نفسه أكمل من غيره وأعلى رتبة منه، وتلك الهيئة تعود إلى ما يحصل للنفس من ذلك تصوُّر، من النفخ والهزّة والتعزّز والتعظيم والركون إلى ما يتصوّره من كمالها وشرفها

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٢١٥.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

(٣) الكافي ٢: ١٢١/ضمن الحديث ١.

على الغير، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بك من نفخة الكبر»[١] وهي رذيلة تحت الفجور تقابل التواضع.

وإنّ تصوّر الإنسان فضيلته على الغير مع قطع النظر عن قياس نفسه إلى متكبّر عليه، وعن إضافة تلك الفضيلة إلى الله تعالى باعتبار أنّها منه ولم يكن خائفاً من زوالها، بل كان ساكناً إليها مطمئنّاً فذلك هو العجب، فإذن العجب هيئة نفسانيّة تنشأ عن تصوّر الإنسان فضله واستقطاعه[٢] عن المنعم به، والركون إليه والفرح به مع الغفلة عن قياس نفسه إلى الغير بكونه أفضل منه، وبهذا القيد يمتاز عن الكبر إذ لابدّ في الكبر أن يرى الإنسان لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثمّ يرى مرتبته فوق مرتبة غيره، وإنّ تصوّر فضيلته على الغير وأضافها إلى الله سبحانه باعتبار أنّها منه فهو نوعٌ من الحمد، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣].

وأمّا أسباب الكبر فهي أضداد أسباب التواضع، أعني عدم العلم بعظمة الله وجلاله وكبريائه وقهره على جميع الممكنات، وعدم معرفة نفسه وشدّة احتياجه وافتقاره إليه سبحانه في جميع الأحوال، ولست أعني بعدم العلم بهذه الأُمور عدم تصوّره والغفلة عنها بالمرّة فإنّ كثيراً من الجبابرة والمتكبّرين ينسبون أنفسهم إلى العلم بها، بل أعني عدم استقراره وتمكّنه في قلوبهم وعدم لصوقه بها كعدم لصوق الماء بريش الأوز والبط.

---

(١) انظر مسند أبي يعلى ١٣: ٣٩٣.

(٢) في «م» «ت»: (واستعظامه)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) سورة النمل ٢٧: ١٥.

وأمّا لوازمه وآفاته وثمراته من الأعمال والتروك فهي أيضاً كثيرة جدّاً، فإنّ هذا الخلق الأُجاج إذا نبع في القلب وجرى في الأعضاء والجوارح ينبت منها أعمال رديّةٌ وتروكٌ مردية[١].

أمّا الأعمال فمنها باطنة، كتحقير الغير وازدرائه[٢] واعتقاد أنّه لا يصلح للمجالسة والمؤانسة والمؤاكلة، واعتقاد أنّه ينبغي أن يكون ماثلاً بين يديه، أو ماشياً من خلفه، إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة الموجبة لاستخفاف الغير.

ومنها ظاهرة، كالتقدّم عليه في الطرق والارتفاع عليه في المجالس وإبعاده عن مجالسته، وزجره عن مؤاكلته، والعنف عن ردّ قوله، والغلظة على المتعلّمين وذوي الحاجات وإذلالهم وغيبتهم والتطاول عليهم في القول.

وأمّا التروك، فكترك التواضع، وترك معاشرة الفقراء، وترك الرفق بالناس ونحوها.

وأمّا المذامّ الواردة فيه فهي أيضاً كثيرة من القرآن والسنّة، كقوله تعالى: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٣].

وقوله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري؛ فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنّم»[٤].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وأعوذ بك من الهوى المردي أي المهلك. (منه ﷺ)

(٢) في حاشية «م» «ت»: زريت عليه بالفتح زراية تزريت عليه إذا عتبت عليه، والازراء بالشيء: التهاون به، وازدريته أي حقرته. (منه ﷺ)، (الصحاح ٦: ٢٣٦٧ ـ زرى).

(٣) سورة غافر ٤٠: ٣٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ٩: ١٣٥، ونقله النوري في مستدرك الوسائل ١٢: ٣١ عن لب اللباب مخطوط.

وقول الباقر والصادق عليهما السلام: «لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كبر»[١].

وإنّما صار الكبر حجاباً من دخول الجنّة؛ لأنّه يحول بين العبد والفضائل التي هي أبواب الجنّة، إذ الكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، فلا يقدر العبد ومعه شيء من الكبر أن يحبّ للمؤمن ما يحبّ لنفسه، ولا يتمكّن من ترك الرذائل التي توجب الدخول في النار وفعل أضدادها من الفضائل، كالتواضع، وكظم الغيظ، وحبّ الفقراء والمساكين، وحبّ معاشرتهم ومجالستهم، وقبول الحقّ والرفق، وبالجملة ما من خلق ذميم إلّا وصاحب العزّ والكبر مضطرّ إليه ليحفظ به عزّه وعظمته، وما من خُلْق فاضل إلّا وهو عاجزٌ منه خوفاً أن يفوته عزّه وعظمته؛ لأنّ الأخلاق الذميمة علّة مسرية يستلزم بعضها بعضاً، فلذلك لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كبر[٢].

«**والتؤدّة وضدّه التسرّع**» التُؤدّة ـ بضمّ التاء وفتح الهمزة وسكونها ـ الرزانة والتأنّي والتثبّت في الأمر، وقد أتأدّى فيه ويؤدّ أي يتأنّى ويتثبّت وهو افتعل وتفعّل، والتاء في «أتأدّ» بدل من الواو[٣].

والتؤدّة تابعة للسكون والحلم اللَّذَين من أنواع الاعتدال في القوّة الغضبيّة فإنّ حصولها يتوقّف عليهما.

أمّا على السكون، فلأنّه عبارة عن ثقل النفس وعدم خفّتها في الخصومات،

---

(١) الكافي ٢: ٣١٠/ح٦.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٠٢ـ٣٠٦.

(٣) انظر القاموس المحيط ١: ٣٤٣، الصحاح ٢: ٥٤٦، لسان العرب ٣: ٧٥ و٤٤٣، مجمع البحرين ١: ٢٧٨ ـ وأد.

وأمّا على الحلم، فلأنّه عبارة عن الطمأنينة الحاصلة للنفس باعتبار ثقلها وعدم خفّتها بحيث لا يحرّكها الغضب بسرعة وسهولة.

وإذا حصلت للنفس هاتان الصفتان، أمكن لها التثبّت والتأنّي وعدم العجلة في البطش والضرب والشتم إلى غير ذلك من أنحاء المؤاخذة.

وضدّ التؤدّة التسرُّع ـ بالسين المهملة في النسخ التي رأيناها ـ، وقال سيّد الحكماء ضدّها التترُّع ـ بتائين مثنّاتين من فوق وتشديد الراء ـ قال في **الصحاح**: تترّع إليه بالشرّ أي تسرّع، وهو رجل ترِع أي سريع إلى الشرّ والغضب[1]، انتهى.

والتسرّع يعني العجلة في الأُمور، وعدم التأنّي في الأخذ من فروع التهوّر الذي في جانب الإفراط من القوّة الغضبيّة ومنشأه الجهل بحسن السياسة، وخفّة النفس المقتضية لحركتها واضطرابها بأدنى سبب.

«**والحلم وضدّه السفه**» الحلم هيئة نفسانيّة حاصلة للنفس من اعتدال القوّة الغضبيّة المسمّاة بالنفس السبعيّة التي من شأنها الإقدام على الأهوال وشوق التسلّط والترفّع والغلبة على الأقران، واعتدال تلك القوّة إنّما يحصل بانقيادها للعقل فيما عدّه حظّاً ونصيباً لها، وعدم تجاوزها عن حكمه، ويعتبر في حصول تلك الهيئة عدم انفعال النفس عن الواردات المكروهة المؤذية؛ هذا في حقّ الإنسان.

وأمّا في حقّ الله سبحانه، فالحلم عبارة عن عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لأوامره ونواهيه، وعدم استفزاز الغضب له عند مشاهدة المنكرات، وعدم حمل قدرته الكاملة له على المسارعة إلى الانتقام.

---

(١) الصحاح ٣: ١١٩١ ـ سرع.

والفرق بينه تعالى وبين العبد في هذا الوصف، أنّ سلب الانفعال عنه تعالى سلب مطلق وسلبه عن العبد سلب عمّا من شأنه أن يكون له ذلك الانـفعال، ويكون عدم الانفعال عنه تعالى أتمّ وأبلغ من عدمه عن العبد، وبذلك الاعتبار يكون حلمه أعظم.

ثمّ للحلم آثار غير محصورة:

منها: كبر النفس، ويُعرف ذلك بتحمّلها للأُمور الغير الملائمة لها.

ومنها: نجدتها، ويُعرف ذلك بعدم صدور حركات غير منظمة[1] منها.

ومنها: علوّ همّتها، ويُعرف ذلك بعدم جزعها عند الأُمور الهائلة حتّى لا يبالي من أهوال الموت وشدائده.

ومنها: سكونها، ويُعرف ذلك بعدم طيشها في المؤاخذة.

ومنها: تواضعها ويُعرف ذلك بالتخشّع والتذلّل للغير وعدم إظـهار مـزيّتها عليه.

ومنها: حميّتها، ويُعرف ذلك بعدم تهاونها في محافظة ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً.

ومنها: رقّتها، ويُعرف ذلك بظهور تألّمها عند تألّم أحد من المؤمنين.

وكذا له منافع غير معدودة في الدنيا والآخرة:

أمّا في الآخرة فيكفي في الدلالة ما روي: «أنّ الرجل ليدرك بالحلم درجـة الصائم القائم»[2].

---

(١) في «م» «ت»: (منتظمة)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) نقله النوري في مستدرك الوسائل ١١: ٢٩١/ح١٨ عن لب اللباب، مخطوط.

وأمّا في الدنيا فيكفي قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الحلم عشيرة»[١] يعني أنّ الرجل كما يتمتّع بالعشيرة يتمتّع بالحلم ويتوقّر لأجله، ومِن ثَمّ قيل: الحلم اكتساب المدح من الملوك، والثناء من المملوك.

والسفه الذي ضدّه وطرف الإفراط من القوّة المذكورة، عبارة عن خفّة النفس وحركتها إلى ما لا يليق من الأُمور التي يقتضيها طغيان تلك القوّة مثل الضرب والقتل والشتم والبطش والترفّع والتسلّط والغلبة والظلم، ومفاسده كثيرة، وقد يطلق السفه على الجهل وسخافة رأي ونقصان عقل، ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفّار: ﴿**أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**﴾[٢] وهذا المعنى ليس بمراد هنا؛ لأنّه ضدّ العلم والحكمة التابعَين لحركة القوّة الناطقة بالاعتدال في العلوم والمعارف[٣].

«**والصمت وضدّه الهَذَر**» صمت صمتاً وصموتاً وصماتاً أطال السكوت[٤]، ومنه الصامت خلاف الناطق، وهَذَر في نطقه يهذر هذراً، والاسم الهذر ـ بالتحريك ـ وهو الهذيان[٥].

والهذر من خواصّ الجاهلين وأفعال الناقصين، كما أنّ الصمت عمّا يضرّ وما لا يهمّ من خصال المرسلين، وآداب العاقلين، وأخلاق الكاملين، ومنافعه كثيرة جدّاً، فإنّه يورث القلب فكراً في المعارف العقليّة والنقليّة، ويزيّنه بالحكمة

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٨/الحكمة ٤١٨.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٣.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٠٦ـ٣٠٨.

(٤) لسان العرب ٢: ٥٤ ـ صمت.

(٥) الصحاح ٢: ٨٥٣ ـ هذر.

النظريّه والعمليّة؛ لأنّ الصمت دليل التفكّر، وقائد الحكمة، ويورث السلامة عن الآفات والمعاصي؛ لأنّ آفات الكلام ومعاصي اللسان كثيرة.

فعن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله، أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أُمّك! وهل يكبّ الناس على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم»[١].

ويورث الهيبة لصاحبه، فإنّ من رآه يخيّل إليه أنّ له شأناً فيهيب منه ويوقّره، بخلاف النطق بما لا يعني، فإنّه يبيّن مكارم العاقل ويبدي مساوي الجاهل ويصغّرها في أعين الناس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بكثرة الصمت تكون الهيبة»[٢]، وقال: «المرء مخبوءٌ تحت لسانه»[٣] يعني أنّ الرجل إذا تكلّم يظهر كونه فصيحاً أو معجماً، عالماً أو جاهلاً، خيراً أو شرّاً، وإن لم ينطق كان جميع ذلك مستوراً عليه عند العامّة.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ السكوت عمّا يشعر بفساد الرأي وقبح العقائد من شعب الاعتدال في القوّة الفكريّة، وعمّا يشعر بالهتك والترفّع والغلبة والذمّ في أعراض الناس من شعب الاعتدال في القوّة الغضبيّة، وعمّا يشعر بالميل إلى المستلذّات والمشتهيات من شعب الاعتدال في القوّة الشهويّة، والهذر المقابل له من شعب الانحراف في هذه القوى.

«والاستسلام وضدّه الاستكبار» الظاهر أنّ الاستسلام، وهو الطاعة والانقياد على سبيل المبالغة في متابعة الحقّ من فروع الحكمة الواقعة في حاقّ الوسط

---

(١) مسند أحمد ٥: ٢٣١ و٢٣٧، سنن ابن ماجة ٢: ١٣١٥.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٥٠/الحكمة ٢٢٤.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٣٨/الحكمة ١٤٨.

من القوّة الناطقة، ويحتمل أن يكون من فروع العدالة الحاصلة من توسّط هذه القوّة والقوّة الغضبيّة والشهويّة جميعاً؛ لأنّ الاستسلام كما يكون في مقتضى القوّة الناطقة كذلك يكون في مقتضى هاتين القوّتين.

والاستكبار وهو التمرّد عن الحقّ وترك الطاعة والانقياد له من فروع الجهل المقابل للحكمة، أو من فروع الجور المقابل للعدالة، والفرق بينه وبين الكبر: أنّ الكبر ـ كما ذكرناه ـ هيئة نفسانيّة ناشئة من تصوّر الإنسان نفسه أكمل وأشرف من غيره، والاستكبار عبارة عن إظهار تلك الهيئة فهو كبر مع زيادة كما يدلّ عليه زيادة البناء.

«**والتسليم وضدّه الشك**» التسليم بذل الرضا بقبول قول الله تعالى وفعله، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام وأفعالهم، وتلقّيها بالبشر وطلاقة الوجه وإن لم يكن موافقاً للطبع، ولم يعلم وجه المصلحة، وهو من فروع العدالة وعلامة الإيمان.

قال الصادق عليه السلام: «لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان، ثمّ قالوا لشيء صنعه الله تعالى أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1].

والشكُّ هو عدم قبول ما ذُكِر، وسمّاه شكّاً لأنّه من آثار الشكّ في الله وصفاته، وفي الرسول وأوصيائه وأقوالهم وأفعالهم.

وقيل: المراد بالتسليم هنا الإذعان والتصديق القلبي، وفيه أنّ التسليم بهذا

---

(١) الكافي ١: ٣٩٠/ح٢، والآية ٦٥ من سورة النساء.

المعنى هو العلم وقد مرّ ذكره سابقاً، وعلى ما ذكرنا لا قصور فيه أصلاً؛ لأنّ هنا ثلاثة أشياء مرتّبة:

الأوّل: العلم بصدق قول الله وقول الرسول.

الثاني: ما ينشؤ من هذا العلم وهو الرضا بقولهما.

الثالث: ما ينشؤ من الرضا وهو قبول قولهما[١].

«**الصبر وضدّه الجزع**» الإنسان ما دام في هذه النشأة كان مورداً للمصائب والآفات ومحلّاً للنوائب والعاهات، ومكلّفاً بفعل الطاعات وترك المنهيّات والمشتهيات[٢]، وكلّ ذلك ثقيل على النفس بشع[٣] في مذاقها وهي تتنفّر منه نفاراً، وتتباعد منه فراراً، فلابدّ من أن يكون فيه قوّة ثابتة وملكة راسخة بها يقدر على حبس النفس على هذه الأُمور الشاقّة، والوقوف معها بحسن الأدب وعدم الاعتراض على المقدّر بإظهار الشكوى، وتلك القوّة أو ما يترتّب عليها، أعني حبس النفس على تلك الأُمور ومقاومتها لهواها هي المسمّاة بالصبر وهو نوع من أنواع العفّة، وباب من أبواب الجنّة، ومقام عال من مقامات السالك إلى الله تعالى، وبناؤه على أربع قواعد: الشوق، والإشفاق، والزهد، والترقّب للموت:

فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات، وطيّب نفسه من ترك جميع المشتهيات.

ومن أشفق من النار اجتنب المحرّمات.

ومن زهد في الدنيا استخفّ بالمصيبات.

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٠٨ ـ ٣١١.

(٢) في «م» «ت»: (والشبهات)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) شيء بشع، أي كريه الطعم (الصحاح ٣: ١١٨٥ ـ بشع).

ومن ارتقب[١] الموت سارع في الخيرات.

والآيات والروايات الواردة في مدحه كثيرة جدّاً، ويكفي في معرفة علوّ قدره قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[٣].

والجزع وهو حمل النفس على الشكاية وفعل ما يدلّ على عدم رضاها بصنع الله تعالى، وهو نقيض الصبر وجند الجهل، ومنشأه عمى البصيرة وتكدّر السريرة، فتوهّم عند نزول البلاء أنّ الجزع والاضطراب ينفعه فيتمسّك به ويتمسّك العقل حينئذٍ بالصبر ويقع بينهما قتال وجدال، ومعركة هذا القتال قلب العبد وساحته الجوارح، والله يؤيّد بنصره من يشاء وهو على كلّ شيء قدير.

«والصفح وضدّه الانتقام» صفح فلان عن فلان، إذا أعرض عن ذنبه وعفى عن عقوبته، وحقيقته ولّاه صفحة وجهه[٤]، وهو من فروع الحلم وشعب الاعتدال في القوّة الغضبيّة، وهو من صفات الأنبياء والأوصياء، ومناقب الحكماء والعقلاء، ومفاخر العلماء والكرماء؛ إذ الحكيم يتغافل ويتدبّر، والعاقل يتسامح ويتفكّر، والكريم يغفر إذا قدر، وقد وقع الترغيب فيه في مواضع عديدة من القرآن والسنّة، قال الله تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٥].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: ارتقب: انتظر. (منه ﷺ)

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٤٩، وسورة الأنفال ٨: ٦٦.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ١٠.

(٤) قوله: (وحقيقته ولّاه صفحة وجهه) أثبتناه من المصدر.

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٣٤.

وقال النبيّ ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»[١].

وفائدته غير منحصرة:

منها: إنّه يوجب زيادة الأنصار والأعوان.

ومنها: إنّه يوجب الذكر الجميل بين الإخوان، والصيت الحسن في غابر الأزمان كما قيل:

فعفوك في الأيّام كالمسك فائح وصفحك في الإسلام كالنجم زاهر

والانتقام وهو المعاقبة بالذنوب والمأثم، والمؤاخذة بالزلل والجرائم من فروع التهوّر وشعب الانحراف في القوّة المذكورة، ومن خصائل[٢] الجهلاء ورذائل السفهاء، ومنشأه عدم سكون النفس وثباتها، فإنّ تلك القوّة تحرّكها حينئذ بسهولة إلى الشغب وإرادة الانتقام، ويحدث بحركتهما حرارة في القلب فيثور دمه ويغلي وينشر إلى الجوارح، فتتحرّك هذه الجوارح بعضها إلى الشتم، وبعضها إلى الضرب، وبعضها إلى غير ذلك من أنحاء المؤاخذة، ومضارّه غير معدودة؛ لأنّه ينجرّ إلى استمرار العداوة وغلظتها واستيناف الخصومة وشدّتها، وقد يؤدّي إلى الظلم والعدوان، ويبعث على الجور والطغيان لتجاوزه عن القدر الجائز، ولذلك كان الصفح أحسن من الانتقام[٣]؛ هذا إذا علم أنّ الصفح لا يضرّه ولا يؤدّي إلى جرئة الخصم وإلّا فالانتقام بالقدر الجائز أحسن، وعلى هذا

---

(١) الجامع الصغير ٢: ٨٩٩٧/٦٤٢.

(٢) في «م» «ت»: (خصائص)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في حاشية «م» «ت»: الانتقام بالقدر الجائز أحسن أن علم أن الصفح يضرّه ويؤدي جرئة الخصم. (منه ﷺ)

يحمل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الشرّ يدفعه الشرّ»[١]، وقوله: «ردّوا الحجر من حيث جاء[٢]»[٣].

«والغنى وضدّه الفقر» في **القاموس**: الغنى كـ«إلى» ضدّ الفقر، وإذا فُتِح مُدّ، والاسم «الغنية» بالضمّ والكسر، والغناء ككساء من الصوت ما طرب به، وكسماء رمل[٤]، وهذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأوّل: الغنى والفقر الأُخرويّان وهو الذي أشار إليه صلى الله عليه وآله بقوله: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إنّ المفلس من أُمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم ها وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثمّ طُرِح في النار»[٥]، هذا حقيقة الفقر والإفلاس.

وأمّا من ليس له مال ومن قَلّ ماله فالناس يسمّونه فقيراً ومُفلساً، وليس هو حقيقة الفقير والمفلس؛ لأنّ هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربّما ينقطع بغنى ويسار يحصل له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك الفقير المفلّس فإنّه يهلك بالهلاك الأبدي، وأشار إليه سيّد الوصيّين بقوله: «الغنى والفقر بعد العرض على الله سبحانه»[٦].

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٧٥/الحكمة ٣١٤.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٧٥/الحكمة ٣١٤.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣١١ـ٣١٢.

(٤) القاموس المحيط ٤: ٣٧١ـ٣٧٢.

(٥) صحيح مسلم ٨: ١٨.

(٦) نهج البلاغة ٤: ١٠٤/الحكمة ٤٥٢.

الثاني: غنى القلب بالأخلاق وفقره بعدمها، وهذا قريب من قوله عليه السلام:

ليس البليّةُ في أيّامنا عَجَباً ... إنّ السلامَةُ فيها أعجبُ العجبِ
ليس الجمال بأثواب تزيّنها ... إنّ الجمال جَمالُ العلمِ والأدبِ
ليس اليتيم الذي قد مات والده ... إنّ اليتيم يتيمُ العقلِ والحسبِ

الثالث: إظهار الغنى مع كمال المسكنة، ورياضة النفس والقناعة بما قضي له، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والإعراض عن الدنيا والعقبى، والإقبال على المولى، وقطع الآمال وترك القيل والقال كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**﴾[1] وإظهار الفقر والطمع ممّا في أيدي الناس، وهذا قريب من قوله صلى الله عليه وآله حين قيل له: ما الغنى؟ قال: «اليأس ممّا في أيدي الناس»[2]، ومن قول بعض الأكابر:

عليك باليأس من الناس ... إنّ غنى نفسك في اليأس[3]

الرابع: الغنى بالحقّ جلّ شأنه عمّا سواه من الأسباب والوسائل، والفقر التمسّك بما سواه والاستعانة به.

والغنى بهذه المعاني من جنود العقل وأعوانه، إذ به يترقّى العقل من حضيض المذلّة إلى أوج الكمال في الإنسان، كما أنّ الفقر الذي هو ضدّه من جنود الجهل وأنصاره، إذ به يستولي الجهل على ممالك القلب بالجور والطغيان[4].

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٧٣.
(٢) مجمع الزوائد ١٠: ٢٨٦.
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ٢١٦٧.
(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣١٢ ـ ٣١٤.

«**والتذكّر وضدّه السهو**» التذكّر من أنواع العلم وفروع الاعتدال في القوّة العاقلة، والسهو من أنواع الجهل المقابل للعلم وفروع الانحراف في هذه القوّة، وهذه الفقرة أيضاً يحتمل وجوهاً:

الأوّل: أن يكون المراد بالتذكّر تذكّر أحوال القيامة وعقباتها وشدائدها، فإنّ من تذكّرها ورآها بعين البصيرة يسعى في مرضات الربّ ويأخذ عنان الطبيعة عن يد النفس الأمّارة، ويعدّ لنفسه ما ينجيه من الهلاك الأبدي.

الثاني: تذكّر الموت وسكراته وما يتبعه من أحوال البرزخ وكيفيّة النجاة وأسبابها.

الثالث: تذكّر الصور المخزونة في القوّة الحافظة بعد زوالها عن القوّة المدركة واستحضارها ثانياً.

الرابع: تذكّر الصور العقليّة المخزونة في المبادئ العالية بإقبال النفس إليها وارتباطها.

الخامس: تذكّر حالاته من بدء الوجود إلى كمال نشوئه وكيفيّة انتقاله من حال إلى حال، وارتحاله من طور إلى طور، وانقلابه من وضع إلى وضع على ما يقتضيه القدرة القاهرة.

والسهو مقابل للتذكّر بهذه المعاني، وكون التذكّر من جنود العقل والسهو من جنود الجهل ظاهر؛ لأنّ التذكّر نوع من العلم والسهو نوع من الجهل، فالأوّل يعين العقل في السير إلى الله، والثاني يعين الجهل في الميل إلى الضلالة.

«**والحفظ وضدّه النسيان**» الحفظ من أنواع العلم، والنسيان من أنواع الجهل المقابل للعلم، ولعلّ المراد بالأوّل حفظ الميثاق الذي أخذه الله تعالى من العباد

حين كوّنهم في صورة الذرّ، أو حفظ ما يجب حفظه مطلقاً، أو حفظ الصور الحسيّة في خزانتها، أو حفظ الصور العقليّة، بأن يحصل للذهن ملكة يشاهد بها تلك الصور من المبادئ العالية من غير حاجة إلى تجشّم كسب.

والنسيان عبارة عن نبذ الميثاق والغفلة عنه بالمرّة، أو عن زوال صور ما يجب حفظه عن القوّة المدركة، أو عن زوال الصور الحسيّة عن الخزانة والقوّة المدركة جميعاً، أو عن زوال الصور العقليّة بفقد ملكة المشاهدة.

«والتعطّف وضدّه القطيعة» العطف الميل ومنه عطفت عليه بمعنى أشفقت عليه ورحمته؛ لأنّ في الإشفاق والرحمة ميلاً وانعطافاً إلى المرحوم، والعطاف الرداء، وتعطّفت بالعطاف أي أرتديته، والمتعطّف بأحد كأنّه ضمّه إلى نفسه بمنزلة الرداء.

والقطيعة مصدر يقال: قطع رحمه قطعاً وقطيعة فهو قطع كصرد وهُمَزَة هجرها وعقّها وبينهما رحمٌ قطعاً إذا لم توصل.

والتعطّف من أنواع العدالة وضدّه من أنواع الظلم، وعليكم أيّها الإخوان أن تكونوا إخواناً متعاطفين متباذلين متواصلين متآلفين بالنسبة إلى كلّ أحد من المسلمين، وأن لا تفرّقوا بين الغنيّ والفقير، والقويّ والضعيف، والكبير والصغير، وقد صدر الترغيب فيه من القرآن والسنّة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1]، وقال: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[2]

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[١] وهذه الفضيلة فضيلة شريفة من فضائل الأخلاق لا يتّصف بها إلّا من امتحن الله قلبه بالتقوى، وطهّره من الكبر والرين، ونزّهه من الحقد والغين، ويندرج تحتها كثيرٌ من المكارم مثل خفض الجناح ولين الجانب والرفق في الأقوال والأفعال وعدم الغلظة والجفاوة في جميع الأحوال، وبسط الوجه وطلاقته من غير تقطيب وعبوس، والمساوات بينهم من جليل الأُمور وحقيرها، وقليلها وكثيرها بقدر الإمكان؛ فإنّ جميع ذلك من توابع الشفقة والرحمة ولوازمها، ولها منافع غير محصورة، ويكفي في هذا المقام قول أمير المؤمنين عليه السلام: «من لان جانبه كثر أعوانه»[٢]، وقوله: «من رفع عن الناس يداً واحدة رفعت عنه أيدٍ كثيرة»[٣].

ثمّ إنّ التعاطف والتواصل في حقوق العشرة والصحبة إذا كانا في جانب الدين، وإلّا فهجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مرّ الأوقات ما لم يظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحقّ، ولذلك لمّا خاف ﷺ على كعب بن مالك وأصحابه النفاق لتخلّفهم عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً[٤].

«والقنوع وضدّه الحرص» القنوع ـ بالضمّ ـ هنا مصدر بمعنى القناعة ـ بالكسر ـ وهي الرضى باليسير من متاع الدنيا، والاقتصار على قدر الكفاف بل على ما دونه لو تعذّر عليه، وقد روي عن النبيّ ﷺ قال: «قلت يا جبرئيل، ما تفسير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧: ٩٠ و ٩١، وفي من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠/ح ٥٨٠٩ باختلاف يسير.

(٢) لم أعثر على هذا القول لأمير المؤمنين عليه السلام، فقط ذكره المازندراني في شرحه لأصول الكافي.

(٣) لم أعثر على هذا القول لأمير المؤمنين عليه السلام، فقط ذكره المازندراني في شرحه لأصول الكافي.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣١٤ـ٣١٦.

القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر باليسير»[١].
وفسّرها المحقّق الطوسي ـ بعد ما عدّها من الأنواع المندرجة تحت العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة ـ بأنّها رضا النفس في المآكل والمشارب والملابس وغيرها بما يسدّ الخلل من أيّ جنس اتّفق، وقد وقع الحثّ عليها في القرآن والسنّة ويكفي في ذلك قوله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣]، وقول الباقر والصادق عليهما السلام: «من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس»[٤]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «القناعة مالٌ لا ينفد ولا يفنى»[٥].

ومن طرق العامّة: «القناعة كنزٌ لا ينفد»[٦] يعني بذلك إنّ الإنفاق منها لا ينقطع كلّما تعزَّز عليه شيء من أُمور الدنيا قنع بما دونه ورضي، قوله عليه السلام: «كفى بالقناعة ملكاً»[٧] يعني إنّ القناعة منجية عن مهلكة الالتماس كالملك.

وإن دخلك من ذلك شيء فانظر إلى عيش الأنبياء والأوصياء والأولياء والصلحاء من قبلك، وقد بلغك حال نبيّك الأطهر إنّه إنّما كان قوته الشعير ولم يشبع منه، وحلواه التمر، وثوبه الخشن، ووقوده السعف إذا وجده.

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦٠/ضمن الحديث ١.
(٢) سورة التوبة ٩: ٨٥.
(٣) سورة طه ٢١: ١٣١.
(٤) الكافي ٢: ١٣٩/ح ٩.
(٥) نهج البلاغة ٤: ١٤ و١٠٩/الحكمة ٥٧ و٤٧٥.
(٦) ميزان الاعتدال ١: ٦٥٦، النهاية في غريب الحديث ٤: ١١٤.
(٧) نهج البلاغة ٤: ٥١/الحكمة ٢٢٩.

وأمّا ضدّها وهو الحرص في طلب زهرات الدنيا والانهماك في لذّاتها وجمع مشتهياتها زائداً على القدر الضروري الذي يجوّزه العقل والنقل، فهو من شعب الانحراف في القوّة الشهويّة، وطرف الإفراط فيها، وصاحبه مع عدم خلوّه من المشقّات لا يأمن من الوقوع في الشبهات وارتكابه للمحرّمات، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والرغبة مفتاح النصب ومطيّة التعب»[١]، وقال: «الحرص داعٍ إلى التقحّم في الذنوب»[٢]، وقال: «ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإنّ أيسر ما فيها يكفيك، وإن كنت تريد ما لا يكفيك فإنّ كلّ ما فيها لا يكفيك»[٣]؛ ووجه ذلك ظاهر لأنّ الحريص في جمع المال وزخارفها يقدّم رضاه على الرضا بما قدّر الله له ويتبع حرصه وأمله، ومراتب الحرص غير محصورة، ودرجات الأمل غير معدودة، فلو فرض أنّه جمع له تسعة أعشار الدنيا طلب العشر الباقي، ثمّ بعده يطلب الدنيا مرّتين وعلى هذا حتّى يموت، هذا حكم طلب القدر الزائد.

وأمّا طلب القدر الضروري له ولعياله فليس من الحرص في شيء بل هو من العبادة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[٤] فلو ترك ذلك كان مذموماً، وينشأ ذلك من خمود الشهوة الذي هو طرف التفريط من القوّة المذكورة[٥].

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٨٧/ ضمن الحكمة ٣٧١.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٥، دستور معالم الحكم: ٢٠.

(٣) الكافي ٢: ١٣٨/ ح٦.

(٤) عوالي اللئالي ٢: ٢٩٨/١٠٩، وفي الكافي ٥: ٨٨/ ح ١ فيه عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٥) شرح أصول الكافي ١: ٣١٦ـ٣١٨.

«والمواساة وضدّها المنع» في **المغرب**: آسيته بمالي أي جعله أُسوة أقتدي به ويقتدي هو بي، وواسيته لغة ضعيفة[١]، وفي **النهاية**: الإسوة ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ القدوة، والمساواة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمزة فقلبت واواً تخفيفاً[٢].

واعلم أنّ المواساة بمعنى معاونة ذوي الأرحام والأقربين، وسائر الناس من الفقراء والمساكين في المعيشة، وإشتراكهم في القوت والمال من شعب السخاء المعدود من أنواع العفّة، ومن كمال الصالحين، وخصال العاقلين؛ إذ العاقل الكامل يعلم بنور عقله أنّ سدّ خلّة الفقراء ومواساة الضعفاء، وإعطائهم ما ينتظم به أحوالهم من فضل المال يوجب ذكراً جميلاً في الدنيا ـ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يورثه غيره»[٣] ـ وثواباً جزيلاً[٤] في الآخرة، كما وعد الله سبحانه أهل الإنفاق بقوله: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَيُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٥]، وبقوله: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾[٦]، ويعلم أنّ الفضل الزائد في ماله على القدر الذي يدفع ضرورته ليست زيادته معتبرة في صلاح حاله

---

(١) انظر الصحاح ٦: ٢٢٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ٥٢.

(٣) نهج البلاغة ١: ٦٢/ ضمن الخطبة ٢٣.

(٤) في حاشية «م» «ت»: عطف على ذكر جميل. (منه ﷺ)

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٦٢.

(٦) سورة الحديد ٥٧: ١١.

ولا نقصانه معتبر في فسادها فلا يزيده إذن إن أبقاه، ولا ينقصه إن أنفقه وأعطاه، فيسهل عليه إنفاقه على ذوي‌الحاجات توقّعاً لما يترتّب عليه من رفع الدرجات.

وأمّا المنع يعني عدم إعطاء الفقراء وترك مشاركتهم ومساهمتهم في فضل المال، فهو من شعب البخل ومن صفات الجاهلين وعلامات الغافلين؛ إذ الجاهل الغافل مع جهله بما يترتّب على الإنفاق من الثناء الجميل عاجلاً والثواب الجزيل آجلاً، يظنّ أنّه إن أنفقه يصير فقيراً فيمسكه لنفسه، وذلك لسوء ظنّه بمالك الأرزاق، وعدم إيمانه بربّ الأرباب، وضعف إذعانه بيوم الحساب، فيستحقّ بذلك الشقاء العظيم والعذاب الأليم، كما قال العزيز العليم: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[1].

«في أنّ الإنسان مدني بالطبع»

«والمودّة وضدّها العداوة» المودّة المحبّة، يقول: وددت الرجل أودّه وداً إذا أحببته، والودّ بالحركات الثلاث المودّة، ولمّا كان الإنسان محتاجاً في تعيّشه إلى التمدّن وهو اجتماعه مع بني نوعه للتعاون والتشارك في تحصيل الملائم والحاجات؛ إذ لا يمكن للإنسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج إليه من المصالح والضروريّات التي لا بقاء له بدونها، وذلك التعاون والتشارك لا يتمّ إلّا بائتلاف ومعاملة، واختلاط ومصاحبة، ولا ينتظم ذلك إلّا بتحقّق الروابط بينهم احتاجوا إلى تلك الروابط[2] وأعظمها المودّة التي هي من فروع الاعتدال في القوّة

---

(١) سورة التوبة ٩: ٣٤.

(٢) قوله: (بينهم احتاجوا إلى تلك الروابط) أثبتناه من المصدر.

الغضبيّة، وهي من جملة نعوت الكاملين وصفات العاقلين، إذ العاقل الكامل يعلم أنّ مودّته للناس مستلزمة لمودّتهم، ومودّة أتباعهم وخدمهم وحواشيهم له ويجلب لنفسه من مودّة واحد مودّة أشخاص كثيرين له، وذلك مستلزم لنفعهم له وعدم مضرّتهم إيّاه وميل قلوبهم إليه وأُنسهم به ومعاونتهم له ومدافعتهم عنه، وبذلك يتمّ نظامهم وصلاح حالهم في الدنيا والآخرة، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «التودّد نصف العقل»[١].

وأمّا ضدّها أعني العداوة التي من فروع الإفراط في القوّة المذكورة، فهو من جملة نعوت الناقصين وصفات الجاهلين؛ إذ الجاهل لغفلته من سوء العاقبة ووخامتها[٢] يظنّ أنّ عداوة الناس خيرٌ له، ويغفل عن حصولها فيهم بالنسبة إليه أيضاً ومن[٣] بُعْدِهم منه ونفارهم عنه المستلزمَين لفساد نظامه وعدم حصول مرامه وتغيّر حاله في الدنيا والآخرة[٤].

«**والوفاء وضدّه الغدر**» وفى بعهده وأوفى به وفاءاً وهو وفي إذا قام به وأتمه، وهو فضيلة مندرجة تحت العدالة، كما أنّ الغدر الذي هو ضدّه يعني نقض العهد رذيلة مندرجة تحت الفجور، وبه يشعر قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ غدرة فجرة وكلّ فجرة كفرة»[٥]، هذا أشرف الضروب من الشكل الأوّل ينتج: كلّ غدرة كفرة، والوجه في لزوم الكفر للغادر إن استحلّ الغدر ظاهر وإلّا فالمراد

---

(١) خصائص الأئمّة: ١٠٤.

(٢) في حاشية «م» «ت»: ووخيم: أي ثقيل بين الوخامة. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٥: ٢٠٤٩ ـ وخم).

(٣) في المصدر: (وعن).

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٥) نهج البلاغة ٢: ١٨٠/ ضمن كلام له عليه السلام برقم ٢٠٠.

بالكفر كفر نعم الله تعالى وسترها بإظهار المعصية والمخالفة كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر.

ثمّ للوفاء مراتب:

الأُولى: الوفاء بكلمتي الشهادة، وثمرته حفظ النفس والمال.

والثانية: الوفاء بالعبادات المفروضة والمندوبة، وثمرته الثواب الجزيل والأجر الجميل في الآخرة.

والثالثة: الوفاء بترك الكبائر والاجتناب عن الصغائر، وثمرته النجاة من الجحيم والتخلّص من العذاب الأليم.

والرابعة: الوفاء بالفضائل النفسانيّة والاجتناب عن رذائلها، وثمرته الترقّي إلى عالم الروحانيّين والتشبّه بالملائكة المقرّبين.

والخامسة: الوفاء بعهود الناس ومواثيقهم الموافقة للقوانين الشرعيّة، وثمرته استبقاء نظامهم واستكمال مقاصدهم ومرامهم.

والسادسة: وهي أعلى المراتب وأسناها، التعرّي عن الأغطية البشريّة بالتجريد، والاستضاءة بالأنوار الربوبيّة، والاستغراق في بحر التوحيد، بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، وثمرته الفوز بالكرامة في دار المقامة والاستبشار باللقاء الدائم كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، ولعلّ حذف مفعول الوفاء للدلالة على تعميمه وشموله لهذه المراتب كلّها.

وللغدر أيضاً مراتب تعلم بالمقايسة، والمرتبة الخامسة من الوفاء إنّما تطلب وتمدح، إذا كان المعاهد عليه باقيا على عهده وشرطه، وإلّا فالوفاء حينئذٍ غير

---

(١) سورة القيامة ٧٥: ٢٢ و٢٣.

ممدوح بل هو مذموم، كما أشار إليه أمير المؤمنين بقوله: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»[١] يعني إنّ إيفاء العهد والعمل بمقتضاه لأهل الغدر ترك العهد ونقضه في حكم الله تعالى ويترتّب عليه أثره، والغدر في حقّهم وفاء وذلك إذا كان الغادر على الحقّ؛ لأنّ الموفي حينئذٍ يمدّهم على المعصية والغادر لا[٢].

«**والطاعة وضدّها المعصية**» الطوع والطاعة: الإذعان والانقياد، يقال: طاع له يطوع إذا انقاد، والعصيان والمعصية خلاف الطاعة، يقال: عصاه يعصيه عصياً ومعصيةً إذا خالفه، والمراد أنّ طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ[٣] وطاعة أُولي الأمر من جنود العقل، إذ العقل بها يصعد إلى منازل الأبرار ويستعدّ لمرافقة الأخيار، كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٤]، وقال: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾[٥]، ولم يذكر طاعة أُولي الأمر في هذه الآية؛ لأنّ طاعتهم طاعة الرسول كما يرشد إليه عطفهم على الرسول في الآية السابقة من غير إعادة الأمر بطاعته. ثمّ إنّ النافع مجموع هذه الطاعات دون بعضها كما يرشد إليه قول الصادق عليه السلام: «وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته؛ فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٥٧/الحكمة ٢٥٩.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣١٩ ـ ٣٢١.

(٣) في المصدر: (وطاعة الرسول ﷺ).

(٤) سورة النساء ٤: ٥٩.

(٥) سورة النساء ٤: ٦٩.

ولا رسوله»[١]، فالمعصية المقابلة للطاعة هي ترك هذه المجموع سواء كان تركه بترك جميع أجزائه أو بترك بعضها، وهي رذيلة مندرجة تحت الجور موجبة للدخول في النار، كما قال سبحانه: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[٢][٣].

«**والخضوع وضدّه التطاول**» في الصحاح: الخضوع التطأمن والتواضع[٤]، وفي **الكشّاف**: الخضوع اللين والانقياد[٥]، والتطاول إظهار حصول الطول ـ بالفتح ـ بمعنى الفضل والعلوّ[٦]، وسرّ كون الأوّل: من صفات العاقل، والثاني: من صفات الجاهل، أنّ العاقل يعرف بنور بصيرته أنّ له تعالى شأنه العلوّ المطلق لافتقار كلّ شيء إليه، وله إعلام الوجود لدلالة كلّ شيء عليه، وله العزّة لكون كلّ موجود سواه مقهوراً في تصريف قوّته[٧]، وموصوفاً بالعجز في جريان حكمه ومشيّته، وله خشوع جميع الممكنات وخضوعها في رقّ الحاجة والإمكان لانفعالها عن سطوته، وله قوام جميع الموجودات وقيامها لتذلّلها من عظمته، ويعرف أنّ إليه فزع كلّ ملهوف، ومنه غنى كلّ فقير، وعزّ كلّ ذليل، وقوّة كلّ ضعيف فيوصله تلك المعارف والكمالات إلى أعلى الفضائل وأشرف المقامات، وهو مقام الفزع إلى الله بالتخشّع والتخضّع والتذلّل والتواضع وتطيّب

---

(١) الكافي ١: ١٨١/ ضمن الحديث ٦ وج ٢: ٤٧/ ضمن الحديث ٣.

(٢) سورة النساء ٤: ١٤.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٢١ـ٣٢٢.

(٤) الصحاح ٣: ١٣٠٤.

(٥) انظر الفروق اللغوية: ٢١٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣: ١٤٥.

(٧) في المصدر: (قدرته).

القلب وتليّن السرّ، فيحصل له حينئذٍ قلبٌ خاضعٌ، وذهنٌ والهٌ، ودمعٌ منهملٌ، وعقلٌ مرتحلٌ[١]، ويؤثّر ذلك في جوارحه إذ هي تابعة للقلب، ومنه يظهر ما روي من أنّ: «لسان المؤمن وراء قلبه»[٢] فيصدر حينئذٍ من جميع أعضائه الظاهرة والباطنة أفعال متناسبة[٣] في الخشوع، وأعمال متناسقة في الخضوع، وفي ذلك مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة، أرفعها الوصول إلى ساحة الحقّ والفناء المطلق، والطيران في حظائر القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين.

بخلاف الجاهل فإنّه لخلوّه عن تلك الحالات وغفلته عن المعارف والكمالات محبوس في ظلمات الطبيعة، بعيد عن التشرّف بشرف تلك الفضيلة؛ إذ قلبه في وادٍ وجوارحه في وادٍ آخر، فلذلك أعماله غير منتظمة بروابط[٤] الخضوع، وأفعاله غير متعلّقة بعلائق الخشوع، وهو مع ذلك يعتقد لنفسه فضيلة كاملة ورفعة بالغة ورتبة فائقة؛ هذا معنى التطاول وحقيقة التفاضل كما هو المشاهد من الجهلة، والمعلوم من السفلة.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الرِّحْل ـ بالكسر فالسكون ـ اسم من الارتحال، يقال: دنت رحلنا، وارتحل، وترحّل بمعنى. وفي الحديث: «الرحيل أحد اليومين» أي إنّ لابن آدم يوم قدوم إلى هذه الدار وهو يوم ولادة، ويوم رحيل عنها وهو يوم الموت، فينبغي أن لا يزول أبداً عن خاطره بل يجعله نصب عينيه. (منه ﷺ)

(٢) نهج البلاغة ٢: ٩٤/ضمن الخطبة ١٧٦.

(٣) في المصدر: (مناسبة).

(٤) في «م» «ت»: (بروابط)، وقال عنها المؤلّف في الهامش: الربطة كلّ ملأة إذا كانت قطعة واحدة وليست لفقين أي قطعتين، والجمع: رباط.

«في الفرق بين الخضوع والخشوع[١] والتواضع»

وينبغي أن يعلم أنّ الخضوع والخشوع والتواضع وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها[٢] فرقاً مّا؛ لأنّ الاذعان واللين إذا حصلا في القلب، فمن حيث إنّهما يوجبان انكساراً وافتقاراً وتذلّلاً خضوع، ومن حيث إنّهما يوجبان الخوف والخشية والعمل خشوع، ومن حيث إنّهما يوجبان انحطاط رتبته عن الغير وتعظيم ذلك الغير تواضع، وقد يفرق بين الخضوع والخشوع بأنّ الخضوع بالقلب والخشوع بالجوارح، وأنّ بين الخضوع والتواضع بأنّ التواضع عدم اعتقاد المزيّة بالنسبة إلى الأدنى في الجاه والمنزلة، والخضوع أعمّ أو مختصّ بالنسبة إلى الأعلى.

«والسلامة وضدّها البلاء» ليس المراد السلامة من الأمراض البدنيّة والابتلاء بها؛ لما روي عن الصادق عليه السلام: «إنّ أشدّ الناس ابتلاءً الأنبياء ثمّ الذين يلونهم ثمّ الأمثل فالأمثل»[٣]، ولا السلامة من الفقر والابتلاء به؛ لما روي عنه عليه السلام قال: «قال الله تعالى: يا موسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عُجِّلَت عقوبته»[٤]، اللهمّ إلّا أن يخصّص الأمراض والفقر بما يوجب كسر الظهر والفتنة في الدين، فإنّه قد نقل بالاستعاذة منهما عن أهل العصمة عليهم السلام.

---

(١) (والخشوع) أثبتناها من عندنا.

(٢) في «م» «ت»: (بينهما)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) الكافي ٢: ٢٥٢/ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٢٦٣/ح ١٢.

بل المراد السلامة عن إيذاء المسلمين والابتلاء به، كما روي: «المسلم من سَلِم المسلمون من يده ولسانه»[١]، أو السلامة من الأمراض النفسانيّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل الكفر والكبر والحقد والحسد والنفاق وغيرها، والابتلاء بها، فإنّ الأوّل: من جنود العقل وأنصاره لكونه من شعب العدالة الواقعة في حاق الوسط، والثاني: من جنود الجهل لكونه من فروع الجور الواقع في طرف الإفراط[٢].

«**والحبّ وضدّه البغض**» الحُبّ ـ بالضمّ والكسر ـ والمحبّة ميل القلب إلى ما يلائمه، والبغض المقت، وقد بَغَضَ الرجل بغاضة أي صار بغيضاً، وبغّضه الله إلى الناس تبغيضاً فابغضوه أي مقتوه، ولعلّ المراد أنّ حبّ الخلق بعضهم بعضاً من جنود العقل وبغضهم من جنود الجهل؛ لأنّ العاقل يعلم أنّ نظام الدنيا والدين لا يتمّ إلّا بالمحبّة فلذلك يختارها تحرزاً[٣] عمّا يلزم البغض من التقاطع المستلزم لتطاول الحاسدين وتسلّط المعاندين، ومن التنازع المستتبع لعدم الثبات والقرار، والمؤدّي بالآخرة إلى الهلاك والبوار، وإن أردت أن تعرف أنّك تحبّ أحداً فاجعل نفسك ميزاناً فيما بينه وبينك؛ فإن كنت تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك فأنت تحبّه وهو حبيبك، وإلّا فلا، بخلاف الجاهل فإنّه لظلمة بصيرته غافل عن حسن عاقبة المحبّة، وسوء عاقبة البغض، فيظنّ أنّ البغض خير له في تحصيل مقاصده، فيختاره ويسوق سفينة البغّاضة في بحر الغواية بريح الغباوة إلى أن يدركه الغرق من حيث لا يعلم.

---

(١) الكافي ٢: ٢٣٤/ضمن الحديث ١٢.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٢٢ ـ ٣٢٤.

(٣) في «م» «ت»: (ويتجوز)، وما أثبتناه من المصدر.

«في سرّ وجوب محبّة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام»

وينبغي أن يكون أعظم محبّتنا لعباد الله تعالى محبّتنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين؛ لشرافة ذاتهم وجريان نعمائهم ظاهراً وباطناً علينا، ووصول إحسانهم جليّاً وخفيّاً إلينا.

وبالجملة محبّة الشيء إمّا لحسنة في الظاهر كالصور الجميلة، أو في الباطن كحسن بواطن الصالحين وشرافة نفوسهم، أو لإحسانه بجلب نفع ودفع ضرّ كإحسان الناس بعضهم بعضاً، أو لإعظامه كإعظام الولد والده أو لترحمّه وشفقته بحسب الجبلّة و المشاكلة كترحّم الوالد على ولده، وقد اجتمع الجميع فيهم عليهم السلام؛ لما فيهم من جمال الظاهر والباطن وإحسانهم إلينا بالهداية والشفاعة وعظمة شأنهم وإنافة[1] قدرهم على كلّ والد وولد ومحسن، فلذلك وجب علينا محبّتهم على أكمل الوجوه وأتمّها، ومن محبّتهم الذبّ عن سنّتهم، ونصر شريعتهم، والتمسّك بطريقتهم، وبذل النفس والمال دون مهجتهم، والوقوف عند حدودهم وأعانة أهل ملّتهم.

أو المراد أنّ حبّ العباد للّه من جنود العقل وبغضه من جنود الجهل؛ لأنّ محبّة العبد له تعالى شأنه إنّما هي على قدر معرفته بجلاله سبحانه وكمال أوصافه وتنزيهه عن النقص، والعاقل هو الذي يعرف جماله وكماله وقدرته

---

(١) في حاشية «م» «ت»: شجاعة المرء على قدر أنفته، الأنفة حمية الأنف، وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكاراً له واستنكافاً من وقوعه. (منه عليه السلام)، (مجمع البحرين ١: ١٢٣ ـ ١٢٤ أنف).

وعظمته وإحسانه، فعند شروق أنوار هذه المعارف على مرآة سرّه وبروق آثار الأعمال الصالحة في مشارق قلبه يمطر الله عليه أسباب الحبّ ويكشف عنه الحجاب، وتجذبه العناية الأزليّة إلى بساط القرب، وتسقيه من ماء المحبّة وتنجيه من هذا السراب.

وأمّا الجاهل فإنّه لا يعرف من هذه المعارف اسماً، ولا من هذه الأسماء رسماً، ولا من هذه الأعمال حدّاً، فكيف له الوصول إلى مرتبة المحبّة التي هي المرتبة العليا للسالكين، والدرجة العظمى للعاقلين، والمنزلة الكبرى للزاهدين، بل هو بطبعه هارب عن عالم النور مستقبل إلى دار الغرور، وهذا معنى بغض العبد له تعالى، أعاذنا الله من ذلك.

واعلم أنّ الفرق بين الحبّ والمودّة، وبين البغض والعداوة دقيقٌ جدّاً، حتّى أنّه قد ظنّ رجوع هذه الفقرة إلى قوله عليه السلام: «والمودّة وضدّها العداوة» وأنّ إحديهما كانت بدلاً عن الأُخرى جمع بينهما في الكتابة قلم الناسخ، ولكن ظاهر قوله تعالى: ﴿ **وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ** ﴾ [١] يفيد المغايرة، ويمكن القول بتحقّق المغايرة بأنّ المودّة ميل ظاهر القلب والمحبّة ميل ظاهره وباطنه، وبه يشعر قوله تعالى: ﴿ **قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً** ﴾ [٢] فالمحبّة أعظم من المودّة، أو بأنّ المودّة والعداوة من الأُمور القلبيّة والكيفيّات النفسانيّة مع قطع النظر عن ظهور آثارهما من الجوارح، والمحبّة والبغض من هذه الأُمور والكيفيّات مع اعتبارظهور آثارهما

---

(١) سورة المائدة ٥: ٦٤.

(٢) سورة يوسف ١٢: ٣٠.

منها، ويؤيّده قول القاضي في تفسير الآية المذكورة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم؛ فليتأمّل[١].

«**والصدق وضدّه الكذب**» صدق الخبر بمطابقة حكمه للواقع وكذبه بعدم مطابقته له لا بمطابقته للاعتقاد المخبر وعدمها كما ذهب إليه النظّام، ولا بمطابقته لهما وعدمها كما ذهب إليه الجاحظ؛ لأنّ العقلاء يصفون كلّ خبر علموا أنّه ليس مطابقاً للواقع بأنّه كاذب، وإن لم يعلموا اعتقاد المخبر، والمسلمين يصفون اليهود والنصارى بالكذب على الله وإن كان أكثرهم لا يعلم أنّه كاذب بل يعتقد أنّه صادق، وأُورد عليه:

أوّلاً: بأنّ قول القائل محمّد ﷺ ومسيلمة صادقان خبرٌ وليس مطابقاً للواقع ولا غير مطابق له.

وأُجيب: بأنّه كاذب باعتبار إضافة الصدق إليهما؛ لأنّه غير مطابق، وقد يجاب بأنّه كاذب؛ لأنّه يفيد صدق أحدهما في حال صدق الآخر.

ورُدّ: بأنّ التثنية لا تفيد المصاحبة.

وثانياً: بأنّ قول القائل كلّ كلامي في هذا اليوم كاذب ولم يوجد منه سوى هذا الكلام ليس مطابقاً للواقع، وإلّا لكان غير مطابق، فيجتمع النقيضان وليس غير مطابق، وإلّا لكان بعض أفراده مطابقاً، وليس إلّا هذا الفرد فيجتمع النقيضان.

وأُجيب: بأنّ الصدق والكذب إنّما يعرضان لخبر مغاير للمخبر عنه حتّى يتصوّر فيه المطابقة فيحكم بصدقه وعدمها فيحكم بكذبه، وهنا قد اتّحدا

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٢٥ـ٣٢٦.

فلا يدخله الصدق والكذب، وللبحث فيه مجال واسع، واستدلال النظّام والجاحظ وجوابهما في المعاني والبيان وليس هنا موضع ذكره.

واعلم أنّ الصدق فضيلة عظيمة داخلة تحت فضيلة العفّة وقد وقع مدحه ومدح المتّصف به في مواضع من القرآن والأخبار، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[١]، والكذب رذيلة داخلة تحت الفجور وقد نطقت الآيات والأخبار على ذمّه وذمّ المتّصف به، قال رسول الله ﷺ: «الكذب رأس النفاق»[٢] وهو مفسدة عظيمة في الدنيا والدين، والوجدان شاهد عدل بأنّ الكذب يسوّد لوح النفس ويمنعه أن ينتقش بصورة الحقّ ويفسد المنامات[٣] والإلهامات، ويؤدّي إلى خراب الدنيا وقتل النفوس وأنواع الظلم والفساد ولذلك اتّفق أهل العلم من أرباب الملل وغيرهم على تحريمه، وادّعى المعتزلة قبحه بالضرورة[٤].

«**والحقّ وضدّه الباطل**» هذا والسابق عليه متقاربان؛ لأنّ الخبر والاعتقاد إذا طابقا الواقع كان الواقع أيضاً مطابقاً لهما لأنّ المفاعلة من الطرفين، فمن حيث إنّهما مطابقان أو غير مطابقين له ـ بالكسر ـ يسمّيان صدقاً وكذباً، ومن حيث إنّهما مطابقان أو غير مطابقين له ـ بالفتح ـ يسمّيان حقّاً وباطلاً، والمقصود أنّ اختيارهما من جنود العقل والجهل.

ويحتمل أن يراد بالحقّ الدين الحقّ المسمّى بالصراط المستقيم، وبالباطل

---

(١) سورة المائدة ٥: ١١٩.

(٢) انظر شرح مئة كلمة لابن ميثم البحراني: ١٠٦.

(٣) في «م» «ت»: (المقامات)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) انظر شرح أصول الكافي ١: ٣٢٦ ـ ٣٢٩.

الدين الباطل الدَّاعي إلى سواء الجحيم، وأن يراد بالحقّ الإقبال على الله، وبالباطل الإدبار عنه، ولا واسطة بينهما، فوجود كلّ واحد مستلزم لعدم الآخر، وعدم كلّ واحد مستلزم لوجود الآخر.

«**والأمانة وضدّها الخيانة**» والأمانة مصدر أَمِنَ الرجل أمانة فهو أمين إذا صار كذلك برعاية المؤتمن عليه من حقوق الحقّ أو الخلق وأدائه في وقته كما هو، وهي تدخل في أفعال الأعضاء والجوارح كلّها؛ لأنّ القلب إذا استضاء بنور البصيرة يهتدي كلّ عضو إلى أمانته ويسعى في حمايتها وحفظها وأدائها على ما ينبغي، كما تدخل الخيانة وهي مصدر خانه إذا ترك الحفظ في تلك الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ** ﴾[1] أي مسارقتها.

وكثيراً ما تطلق الأمانة على ما تأتمن به صاحبك مجازاً على سبيل المبالغة ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾[2] أي لما يؤتمَنُون عليه من جهة الحقّ أو الخلق.

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾[3]، وفي روايات متكثّرة تصريح بأنّ المراد بأهل الأمانة في هذه الآية الإمام عليه السلام، وأنّ الله تعالى أمر الإمام الأوّل أن يدفع إلى الإمام الذي بعده كلّ شيء عنده من أمر الإمامة.

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾[4] روي عن

---

(١) سورة غافر ٤٠: ١٩.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣: ٨.

(٣) سورة النساء ٤: ٥٨.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٧٢.

الصادق عليه السلام أنّ المراد بالأمانة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[١]، وقيل: المراد العبادة والطاعة المطلوبة من الإنسان، وسمّاها أمانة من حيث إنّها يجب حفظها وأداها في وقتها.

وإباء الأجرام المذكورة يعود إلى امتناع قبولها خوفاً وإشفاقاً بلسان الحال لقصورها وعدم صلاحيّتها لها بحسب الطبع، أو إلى الفرض والتقدير كأنّه قيل: لو كانت هذه الأجرام عاقلة ثمّ عرضنا عليها لأبين أن يحملنها خوفاً وإشفاقاً من وخامة عاقبتها، وإنّما جيئ بلفظ الواقع لأنّه أبلغ، أو إلى أنّه تعالى خلق فيها عقلاً وفهماً، ثمّ عرض عليها على سبيل التخيير، فأبين إباء عجز واحتقار وخوف وانكسار لا إباء استكبار لخضوعها تحت ذلّ الحاجة إليه.

ثمّ خلق الإنسان وعرضها عليه فقبله وحمله مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته، إنّه كان ظلوماً لنفسه بعدم محافظته لها وتقصيره في أداء حقوقها، جهولاً بأسرارها وبما يستلزم حفظها وفعلها وتركها من المثوبات والعقوبات[٢].

«**والخلوص وضدّه الشوب**» الشوب الخلط وهو مصدر شبت الشيء أشوبه شوباً فهو مشوب إذا خلط بغيره، والخلوص مصدر[٣] خلص الشيء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصاً، صار خالصاً صافياً غير ممتزج بغيره، والعمل الخالص في العرف ما يجرّد قصد التقرّب فيه عن جميع الشوائب، وهذا التجريد يسمّى إخلاصاً، وقد عرّفه بعض أصحاب القلوب بتعريفات أُخر، فقيل: هو تنزيهه

---

(١) الكافي ١: ٤١٣/ح ٢.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٣) من قوله: (شبت الشيء أشوبه) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب، وقيل: هو إخراج الخلق عن معاملة الحقّ، وقيل: هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته عن العلائق، وقيل: أن لايريد عامله عوضاً في الدارين؛ وهذه درجة عليّة قلّ من يبلغها، وقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1].

ولو قصد العبد في عبادته مجرّد وجه الله سبحانه وإطاعة أمره والتقرّب إليه يرتقي بأجنحة القبول إلى منازل القرب وحظائر القدس قطعاً، ولو قصد مجرّد غيره ألبسه الله لباس الذلّ وأبعده عن ساحة رحمته وبساط قربه جزماً، وأمّا لو قصده سبحانه وقصد غيره أيضاً فهو خطر عظيم، وللمسلمين فيه كلام طويل تركناه خوفاً للإطناب، ونذكر ما أظنّه حقّاً، والله تعالى هو المستعان، فنقول: الضميمة إمّا قصد الثواب، أو التحرّز عن العقاب، أو قصد الرياء أو قصد الأُمور اللّازمة للعبادة، كقصد التخلّص من النفقة بعتق العبد في الكفّارة وغيرها، وقصد التبرّد في الوضوء:

أمّا الأوّل، فالظاهر صحّة العبادة؛ لقول الصادق عليه السلام: «العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأُجَراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»[2] فإنّ صيغة أفضل تفيد وجود الفضل في الأوّلين وهوالمطلوب،

---

(١) عوالي اللئالي ١: ٤٠٣/ح٦٣.

(٢) الكافي ٢: ٨٤/ح٥.

وقول الباقر عليه السلام: «من بلغه ثواب من الله على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب، أُوتيه، وإن لم يكن كما بلغه»[١] ولغير ذلك من ظواهر الآيات والأخبار.

وأمّا الثاني، فالظاهر بطلانها، كقوله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾[٢] وقول الصادق عليه السلام لعباد البصري: «يا عباد، إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له»[٣]، ولغير ذلك من الآيات والروايات.

وأمّا الثالث، فالقول بالتفصيل ـ وهو: أنّ العبادة صحيحة إن كانت هي المقصودة بالذات والضميمة مقصودة تبعاً بعيد، وباطلة إن انعكس الأمر، أو تساويا ـ غير بعيد وإن لم نجد عليه دليلاً نقليّاً، والاحتياط في الجميع ظاهر، وبعض الأفاضل حكم بالتفصيل في الأقسام الثلاثة وهو بعيد جدّاً سيّما في الرياء؛ لدلالة الآيات والأخبار على بطلان العبادة لأجل انضمام الرياء إليها، والظاهر أنّه لا خلاف فيه بين أصحابنا.

قال المحقّق الشيخ علي[٤]: ضمّ الرياء إلى القربة يبطل العبادة قولاً واحداً، إلّا ما يُحكى عن المرتضى أنّه يسقط الطلب عن المكلّف ولا يستحقّ بها ثواباً، وليس بشيء.

---

(١) الكافي ٢: ٨٧/ح ٢.

(٢) سورة الكهف ١٨: ١١٠.

(٣) الكافي ٢: ٢٩٣/ح ١.

(٤) يعني به الشيخ علي بن عبد العالي الكركي.

«في أنّ قصد العقل تسخير عالم الملك والملكوت»

والخلوص من جنود العقل وأنصاره، والشوب من جنود الجهل وأعوانه، وميدان مجادلتهما ومعارضتهما ساحة القلب، وذلك لأنّ العقل ميله الصعود إلى عالم القدس وقصده تسخير عالم الملك والملكوت، وخلوص العمل يعينه على ذلك، والجهل ميله الهبوط إلى عالم الحسّ ومنازل النسيان وقصده النزول في محلّ البُعد وبساط الخذلان، وشوب العمل بالرياء وغيره من التدليسات النفسيانيّة، والتلبيسات الشيطانيّة والمخاطرات الوهميّة يعينه على ذلك[1].

«والشهامة وضدّها البلادة» عدّ المحقّق الطوسي: الشهامة من أنواع الشجاعة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الغضبيّة، وفسّرها بأنّها حرص النفس على اقتناع الأُمور العظام توقّعاً للذكر الجميل، وهذه ليست بمرادة هنا؛ لأنّ البلادة ليست بضدّها وليس لضدّها أيضاً اسم مشهور، بل المراد بها ذكاء الفؤاد، ويقال: شهُم ـ بالضمّ ـ شهامة فهو شهيم أي جلد زكيُّ الفؤاد فهي من توابع الاعتدال في القوّة العاقلة، والبلادة وهي ضدّ الذكاء، يقال بلُد ـ بالضمّ ـ فهو بليد وتبلّد أي تردّد متحيّراً، من فروع التفريط والنقصان في القوّة المذكورة، ونعني بهذه البلادة ما كان من سوء الاختيار لا ما كان من أصل الخلقة؛ لأنّ المقصود هو الترغيب في تحصيل الأوّل وترك الثاني وذلك لا يتصوّر إلّا فيما كان فعله وتركه مقدوراً.

ثمّ كون الأوّل من جنود العقل والثاني من جنود الجهل ظاهر؛ لأنّ الذكاء سببٌ لعروج العقل إلى أقصى المدارج من معارج المعارف الربّانيّة، وضدّه

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٣٠ ـ ٣٣٢.

سبب لنزول النفس في أسفل الدركات من مهالك الشبهات الظلمانيّة[١].

«**والفهم وضدّه الغباوة**» قال بعض المحقّقين: لعلّ هذه الفقرة كانت في الأصل بدلاً عن قوله عليه السلام في ما مضى: «والفهم وضدّه الحمق» والناسخون جمعوا بينهما في الكتابة غافلين عن البدليّة والمعنى واحد.

ويمكن أن يقال: المراد بالفهم هنا الفطنة وهي جودة تهيّأ الذهن لاكتساب العلوم، وبعبارةٍ أُخرى: هي درك المقصود من الخطاب بسهولة، والغباوة: كودن شدن و در نيافتن، كما في كنز اللغة يعني عدم فهم المقصود من الخطاب بسهولة، وهذا المعنى غير المعنى المقصود من الفهم والحمق كما أشرنا إليه سابقاً.

وأمّا حمل الفهم هنا على الذكاء الذي هو فوق الفهم المذكور سابقاً كما أشرنا إليه هناك، وإن كان ممكناً ويحصل به المغايرة بين المفهمين، لكن معنى هذه الفقرة حينئذٍ يرجع إلى الفقرة السابقة عليها أعني قوله: «والشهامة وضدّها البلادة» إذ مآلهما واحد.

«**والمعرفة وضدّها الإنكار**» المعرفة سراج القلب يرى بها خيره وشرّه، ومنافعه ومضارّه، وكلّ قلبٍ لا معرفة له فهو مظلم، والمراد بها معرفة الأئمّة وفضلهم وعلوّ منزلتهم وهي من أكمل فضائل العاقل؛ لأنّه يعرف بنور معرفته أنّهم دعائم الإسلام وولايج الاعتصام، والهداة إلى نور الدين، وإنّ طلب العلم والفضيلة والوصول إلى نور الحكمة وأسرار الشريعة لا يتيسّر إلّا بوساطتهم ولايتحصل إلّا بعنايتهم، وإنّهم الذين عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٣.

سماع ورواية، ولا يخالفون الحقّ أبداً ولا يتجاوزونه إلى رذيلة الإفراط والتفريط قطعاً، وإنكار شيء من ذلك أو عدم معرفته من أخسّ رذائل الجاهل المغرور برأيه السقيم الراجع عن الصراط المستقيم.

أو المراد بها معرفة الربّ بصفاته وآثاره وأفعاله، وكلا المعنيين يناسب ما اشتهر من أنّ المعرفة إدراك شيء ثانياً بعد الغفلة عن إدراكه أوّلاً، وذلك أنّ الله سبحانه أخذ الميثاق على عباده بأنّه ربّهم ومحمّد ﷺ عبده ورسوله، وعليّاً عليه السلام أمير المؤمنين، وأوصيائه من بعده ولاة أمره وخزّان علمه، ثمّ نسوا بعد رقودهم في مراقد أصلاب الآباء ومهاد أرحام الأُمّهات وانغمارهم في بحار العوائق الجسميّة واستتارهم بحجب العلائق البشريّة تلك المواثيق القديمة والعهود الوكيدة؛ فمن أيقظته صحيحة المواعظ الإلهيّة عن نوم الغفلة وجذبته أيدي الهداية الربّانيّة عن تيه الظلمة وتنوّر قلبه بنور الهداية والإرشاد، واستشرق ذهنه بضوء الإطاعة والانقياد، توجّه إلى مولاه ومقتداه بعد النسيان، وحصل له بعد الغفلة فضيلة المعرفة وشرف الترقّي إلى مقام أهل العرفان، ومن غرق في بحار الشهوات، ونام في مراقد الغفلات حتّى صار بمنزلة الجمادات، أو آل إلى التشابه بالأموات ولم يؤثّر فيه تلك المواعظ والنصائح، ولم يحصل له التميز بين المحاسن والمقابح فهو غريق الغفلة والنسيان، وأسير الغيّ والطغيان، لا ينزجر عن الباطل انزجاراً، ولا يتوجّه إلى الحقّ إلّا جهلاً وإنكاراً، ويترك عنان الطبيعة عن يد الهوى، ويعرض عن ذكر المولى وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ**

حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[١].

«**والمداراة وضدّها المكاشفة**» المداراة في حُسن الخلق التي من فروع الاعتدال في القوّة الغضبيّة تهمز ولا تهمز، يقال: دارأته وداريته إذا اتّقيته[٢] وراجيته ولاينته، والمقصود أنّ مداراة الخلق وتركة مجادلتهم ومناقشتهم، صديقاً كان أو عدوّاً، عاقلاً كان أو جاهلاً من صفات العاقل، كما يظهر ذلك بالاعتبار في حال الأنبياء والأوصياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ الأمثل فالأمثل على تفاوت مقاماتهم وتفاضل درجاتهم، هذا إذا قصّروا[٣] في حقوقه، وأمّا إذا قصّروا[٤] في حقوق الله تعالى فوجب تقويمهم واسترجاعهم بالحكمة والمواعظة الحسنة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن افتقر إلى الغلظة جاز عن قدر الضرورة، ومن المواعظ الحسنة في استجلاب طبائع الجهال إلى الحقّ وتأنيسهم به أن لا يحملهم دفعة، فإنّ ذلك ممّا يوجب نفارهم عنه وفساد نظام أحوالهم، بل ينبغي أن يحملهم ويأنسهم به على التدريج قليلاً قليلاً، وربّما لم يمكنه تأنيسهم به، إمّا لغموضه بالنسبة إلى أفهامهم، أو لقوّة اعتقادهم في ضدّه فينبغي أن يخدعهم عن ذلك ويميلهم إليه بحسب ما تقتضيه الحكمة، وربّما يحتاج إلى إظهار الحقّ بصورة الباطل

---

(١) سورة طه ٢٠: ١٢٥ ـ ١٢٧.

(٢) في حاشية «م» «ت» وفي الصحاح: داريته إذا اتّقيته ولاينته. (منه ﷺ)، (الصحاح ١: ٤٩ ـ درأ).

(٣) في المصدر: (اقتصروا).

(٤) في المصدر: (اقتصروا).

كاستدلال إبراهيم عليه السلام بأفعال الكواكب بعد قوله: ﴿هٰذا رَبِّي﴾[١] على نقصها المنافي لإلهيّتها.

والمكاشفة من رذائل الأخلاق للجاهل، ومن فروع الإفراط في القوّة المذكورة، وهي الخشونة والمناقشة، وإظهار العداوة وإعلانها المؤدّي إلى المخاصمة والمجادلة والمقاتلة، إلى غير ذلك من المفاسد والشدائد الموجبة لفساد أحوالهم وبطلان نظامهم[٢].

«**وسلامة الغيب وضدّها المماكرة**» الغيب ما غاب عن العيون وإن كان محصّلاً في نفسه، وكأنّ المراد به هنا القلب أو رجل غائب، والمكر الاحتيال والخديعة، والمقصود أنّ سلامة القلب وخلوصه من الغشّ والاحتيال والخديعة[٣] في المعاملة مع الإخوان والمعاشرة مع الخلّان وغيرهم، أو سلامة كلّ من غائب من صفات العاقل لصفاء طينته وخلوص عقيدته وعلمه بأنّ المؤمنين كنفس واحدة فلا يرضى لهم إلّا ما يرضى لنفسه، وبأنّ المكر بهم مكر بنفسه حقيقة كما قال سبحانه: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[٤] بخلاف الجاهل المغنمس ذهنه الكثيف في ظلمة الجهالة، فإنّه لكدرة طينته وفساد عقيدته يتّخذ المكر منهجاً لمطالبه ومسلكاً لمآربه وهو غافل عن سوء مآله عاجلاً وآجلاً، وعن إخلال حاله ظاهراً وباطناً.

«**والكتمان وضدّه الإفشاء**» من شأن العاقل كتمان سرّه بوضعه في صندوق

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٦.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٣٣ـ٣٣٦.

(٣) في المصدر: (الخدعة).

(٤) سورة فاطر ٣٥: ٤٣.

جنانه وعدم فتحه مفتاح[١] لسانه وتحريم إبرازه على أوثق إخوانه، فإنّك إذا لم تكتم سرّك فكيف تتوقّع ذلك من غيرك ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «المرء أحفظ لسرّه»[٢]، وقال أيضاً: «من كتم سرّه كانت الخيَرةُ بِيَدِهِ»[٣]، وقال أبوالحسن عليه السلام: «إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل»، وكان عنده أُناس فتذاكروا الإذاعة فقال: «احفظ لسانك تعزّ، ولا تمكِّن الناس من قياد رقبتك فتذلّ»[٤]، وإن كنت فاعلاً فعليك بصديق قد جرّبته مراراً وعلمت حفظ لسانه سرّاً وجهاراً كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز»[٥]، ومن أشعاره عليه السلام:

لا تودع السرّ إلّا عند ذي كرمٍ ... والسرّ عند كرام الناس مكتوم

والسرّ عندي في بيت لهِ غلق ... قد ضاع مفتاحه والباب مختوم[٦]

ويندرج فيه كتمان عيبه ومعاصيه، والكرامات التي أودع الله تعالى فيه فإنّ إفشاءها قد يوجب زوالها، وكتمان دينه إذا توهّم الضرر بإظهاره، قال الصادق عليه السلام لسليمان بن خالد: «يا سليمان، إنّكم على دين من كتمه أعزّه الله،

---

(١) في «م» «ت»: (بمفاتح)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٥٢/ ضمن وصيّة له عليه السلام للحسن عليه السلام برقم ٣١.

(٣) نهج البلاغة ٤: ١/٤١ الحكمة ١٦٢، وفي «م» «ت» والمصدر ـ أعني شرح أصول الكافي ـ: (كان الخيرة)، وما أثبتناه عن نهج البلاغة.

(٤) الكافي ٢: ٢٢٥/ ح ١٤.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٩٢/ الحكمة ٣٨٤.

(٦) الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٩٣.

ومن أذاعه أذلّه الله»[١] أمره بكتمان دينه من غير أهله ومن لا يعرف حاله، وكتمان عيب أخيه وسرّه؛ لأنّ المؤمنين إخوة، بل من معدن واحد وكنفس واحدة؛ فمن أذاع منهم سرّ أحدهم أو عيبه كان كمن أذاع سرّ نفسه أو عيبه، وقد وردت الآيات والروايات المتكثّرة على الحثّ به، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٢] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] وقال رسول الله ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها»[٤].

وإن أودعك أخوك سرّاً فعليك أن لا تخبر به أحداً وإن كان صديقك؛ لأنّ لصديقك[٥] أيضاً صديقاً، وقال عمّار: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أخبرت بما أخبرتك به أحداً؟» قلت: لا، إلّا سليمان بن خالد.

قال: «أحسنت، أما سمعت قول الشاعر:

فلا يعدون سرّي وسرّك ثالثاً ألا كلّ سرّ جاوز الاثنين شائع»[٦]

قوله: «أحسنت» للتقريع كما هو الشائع في استعمال هذا الكلام في المحاورات، ويدلّ عليه ما بعده.

---

(١) الكافي ٢: ٢٢٢/ح٣.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ١٢.

(٣) سورة النور ٢٤: ١٩.

(٤) الكافي ٢: ٣٥٦/ح٢.

(٥) في المصدر: (للصديق).

(٦) الكافي ٢: ٢٢٤/ح٩.

وقيل لرجل: كيف تحفظ السرّ؟ فقال: أجحد للمخبر وأحلف للمستخبر، وجحده وإن كان كذباً لكنّ الكذب مطلوب في بعض المواضع، وكذا الحلف والتورية فيها أحسن.

ونقل أنّ رجلاً أفشى سرّه إلى أخيه، فقال له: أحفظت؟ فقال: بل نسيت.

ومن شأن الجاهل إفشاء السرّ والعيب؛ لعدم علمه بوخامة عاقبته وسوء خاتمته، وإنّما ذلك لظلمة جنانه وضعف إيمانه ورخاوة لسانه واعتياده بالإيذاء والإضرار فدائماً نفسه منه في تعب وبلاء، وغيره في نصب وعناء[1].

«والصلاة وضدّها الإضاعة» إقامة الصلاة بحدودها وشرائطها من أكمل فضائل العقل وملكاته، وإضاعتها من أعظم رذائل الجهل وصفاته، وذلك لأنّ الصلاة الكاملة الموجبة للمحوعن الهويّات البشريّة، والاتّصاف بالصفات الملكيّة، والعروج إلى المقامات اللّاهوتيّة، كما يعتبر في تحقّقها أعمال بدنيّة مثل:

«في أسرار أفعال الصلاة»

الطهارة، وستر العورة، والاستقبال إلى بيت الله، والتكبير، والقراءة، والأذكار، والركوع، والسجود، والتشهّد، والتسليم كذلك يعتبر في تحقّقها أفعال قلبيّة بإزاء تلك الأعمال، وتلك الأعمال بمثابة الجسد وهذه الأفعال بمنزلة الرُّوح.

أمّا طهارة القلب فتخليصه عمّا سواه تعالى.

وأمّا ستره، فستر عيوبه عن الروحانيّين بالتوبة والإنابة، طلباً لقابليّة مجاورة الله ومناجاته والدخول في ساحة عزّه ومشاهدة كمالاته.

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٣٦ـ٣٣٨.

وأمّا استقباله إلى الله، فمطالعة جلاله وجماله وقدرته وكماله.

وأمّا قيامه بين يديه، فإذعانه بأنّه عبد ذليل عاجز فقير ماثل بين يدي ربّ جليل.

وأمّا تكبيره فبأن يعتقد أنّه تعالى أكبر من أن يصفه الواصفون وينعته الناعتون ويأتي بحقّ عبادته العابدون.

وأمّا قراءته فبأن يتعمّق في بواطن[1] مانطق به اللسان الظاهر، ويتذكّر أنّه تعالى هو المستحقّ للحمد والثناء والجامع للكمالات كلّها في ضمن أحسن الأسماء، وأنّه ربّ كلّ شيء يعطيه ما يليق به من حاله آناً فآناً ويبلّغه إلى غاية كماله شيئاً فشيئاً، فكلّ شيء سواه في رقّ الحاجة إليه مفتقر إلى فيضه، مقهور بين يديه، وإنّه المنعم في الدنيا والآخرة، ينعم كلّ أحد بما يليق بحاله، وإنّه المالك في يوم الجزاء بالاستحقاق ولا مالك فيه غيره على الإطلاق، وإنّه المعبود المستحقّ للعبادة وغاية الخضوع له دون غيره، وإنّه المستعان في جميع المهمّات وفي أداء العبادات، وإنّه الهادي إلى الدين القويم والصراط المستقيم صراط أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام، وإنّه الموفّق للميل عن صراط الضالّين المضلّين.

وأمّا ركوعه فبأن يتواضع ويتخشّع ويعترف بأنّه تعالى متّصف بالعظمة والكبرياء ومستحقّ بأن يتذلّل له الأشياء بالانحناء.

وأمّا سجوده فبأن يرى كلّ شيء عند كمال عظمته موضوعاً، وكلّ قدر عند

---

(١) في المصدر: (الباطن).

جلال رفعته مخفوضاً، ويتواضع له زائداً على ما سبق، ويلقي نفسه على تراب المسكنة والافتقار، و ليضع جبهته على غبار العجز والانكسار.

وأمّا تشهّده فبأن يشاهد بعين البصيرة تفرّده بالإلهيّة، وتوحّده بالربوبيّة وتنزّهه عن أن يشاركه أحد[١] في العبادة.

وأمّا تسليمه فبأن يقصد أنّه قطع المراحل الناسوتيّة وبلغ المنازل اللّاهوتيّة، ورأى عند أبوابها الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين خاشعين لهيبته، فيسلّم عليهم تحيّةً لهم وتأنيساً بهم.

وبالجملة المقصود الأصلي من الصلاة تطويع النفس الأمّارة للعقل وتمرينها على موافقته، وهو لا يحصل بدون حضور القلب وأفعاله المذكورة التفاته إلى مشارق أنوار الحقّ ومطالع أسراره وتجرّده عن جلابيب العوائق البشريّة وسيره في عالم التوحيد.

والصلاة بهذا الوجه ـ أعني المشتملة على الأعمال البدنيّة والأفعال القلبيّة ـ من أكمل فضائل العاقل العارف باللّه وآياته وهي التي ورد في وصفها والحثّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٣] وقوله ﷺ: «الصلاة عمود الدين»[٤]، وقوله ﷺ: «الصلاة مفتاح الجنّة»[٥]، وقوله ﷺ: «من صلّى

---

(١) (أحد) لم ترد في المصدر.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٤٥.

(٣) سورة المؤمنون ٤٣: ١ و٢.

(٤) عوالي اللئالي ١: ٣٢٢/ح٥٥.

(٥) عوالي اللئالي ١: ٣٢٢/ح٥٦، مسند أحمد ٣: ٣٤٠، وفيهما: (مفتاح الجنّة الصلاة).

ركعتين ولم يحدِّث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر الله ذنوبه»[١]، وقوله ﷺ: «قرّة عيني في الصلاة»[٢] و قوله: «الصلاة قربان كلّ تقي»[٣].

وإضاعتها من جنود الجهل وصفات الجاهل وهي عبارة عن تركها بالمرّة، أو الإتيان بالأعمال البدنيّة مجرّدة عن الأفعال القلبيّة؛ لأنّ الإضاعة تختلف باختلاف حال الجاهل[٤] ورسوخه، فربّ جاهل يبلغ جهله إلى حدّ يتركها بالكليّة لسواد قلبه وزوال بصيرته واعتقاده، وربّ جاهل يصلّي ولا يخطر بباله أنّه يصلّي إلى آخر الصلاة لتسلّط النفس والشيطان عليه واشتغال قلبه بغير الله والتفاته إلى ما سواه، ويشملها الذمّ في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾[٥]، وربّ جاهل يصلّي وهو يعلم أنّه يصلّي في بعض الأوقات دون بعض ويخطر بقلبه[٦] في بعض الأفعال دون بعض، وهذا فعله مختلط وعمله ممتزج يقرب من الحقّ تارة ويبعد أُخرى، والذي يقتضيه النظر إنّه في خطر عظيم، ولكن دلّ بعض الروايات المعتبرة أنّه يقبل من صلاته بقدر ما يعقله وهذا دليل[٧] على صحّة صلاته وخروجه عن عهدة التكليف؛ ﴿**ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[٨].

---

(١) عوالي اللئالي ١: ٣٢٢/ح٥٩.

(٢) الكافي ٥: ٣٢١/ح٧ و٩.

(٣) الكافي ٢: ٢٦٥/ح٦، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

(٤) في المصدر: (الجهل).

(٥) سورة مريم ١٩: ٥٩.

(٦) في المصدر: (ويحضر قلبه).

(٧) في المصدر: (دلّ).

(٨) سورة الحديد ٥٧: ٢١.

«**والصوم وضدّه الإفطار**» المراد هنا ليس مجرّد الإمساك عن الطعام والشراب وغيرها في الأُمور المذكورة في كتب الفقهاء، بل المراد به الإمساك عنها وعن جميع ما يوجب البعد عنه تعالى، ولا يتحقّق ذلك إلّا بصوم جميع الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة وإمساكها عمّا يكره أو يحرم، وذلك بأن يجتنب عن أذى الخادم وغيره وعن ضربه وشتمه، ويحفظ البصر عن النظر إلى ما لا ينبغي النظر إليه، والقلب من ذكر غير الله، والسمع عن استماع ما لا يجوز، واللسان عن الكذب والهذيان والغيبة والبهتان والحلف والمراء وإنشاد الشعر في الليل والنهار، ويعفّ[1] البطن والفرج عن تناول الشبهات والمحرّمات، وإكثار الحلال من الأطعمة والأشربة، وتناول أنواع المستلذّات وقت الإفطار، وقس على ذلك سائر الأعضاء وهو مع ذلك يقوم بين الخوف والرجاء في ردّه لتجويز التقصير فيه وقبوله لملاحظة لطف الله وكرمه، ولا ريب في أنّ الصوم بهذا المعنى من أفضل خصال العاقل وأعظم جنوده التي يستيعين بها في جهاد النفس الأمّارة بالسوء وكسر قوّتها وشهواتها.

وإنّ الإفطار يعني ترك الإمساك عن جميع ما ذكر أو عن بعضه، من أكمل رذائل الجهل وأعوانه في إطاعة المهويّات النفسانيّة، وتناول الشهوات الشيطانيّة، والمستلذّات الجسمانيّة الموجبة للبعد عن نيل رحمة ربّ العالمين والقرب من أسفل السافلين، نعوذ باللّه من مخاطرات الجهل وهمزات الشياطين[2].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وعفّ عن الحرام يعّفَ عِفةً وعفافاً، أي كَفَّ. (منه ﷺ)

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٣٨ ـ ٣٤١.

«**والجهاد وضدّه النكول**» الجهاد ـ بالكسر ـ مصدر جاهدت العدوّ إذا قابلته في تحمّل الجهد[١]، إذ كلّ واحد من المتخاصمين يبذل طاقته ويتحمّل مشقّته في دفع صاحبه، والنكول الجبن، يقال: نكل عن العدوّ وينكل ـ بالضمّ ـ أي جبن، والناكل الجبان الضعيف[٢].

ثمّ الجهاد على خمسة أصناف: جهاد مع العدوّ الظاهر وهو الكافر، قال الله تعالى: ﴿**انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٣]، وجهاد مع العدوّ الخفيّ، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾[٤]، وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجّة، قال الله تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٥]، وجهاد مع الفاسق من أهل الإيمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[٦]، وجهاد مع النفس الأمّارة بالسوء، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[٧] وهذا الصنف أشقّ وأعظم من الجميع، كما دلّت عليه التجربة، ودلّ عليه ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث بسريّة فلمّا رجعوا قال: «مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد

---

(١) انظر تاج العروس ٢: ٣٢٩.

(٢) الصحاح ٥: ١٨٣٥.

(٣) سورة التوبة ٩: ٤١.

(٤) سورة فاطر ٣٥: ٦.

(٥) سورة النحل ١٦: ١٢٥.

(٦) سورة التوبة ٩: ٧١.

(٧) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٩.

الأصغر وبقي الجهاد الأكبر»، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟

قال: «جهاد النفس»[١].

ومن نظر في هذا الخبر الذي نحن في صدد شرحه حقّ النظر وتأمّل في كثرة جنود الجهل وشوكتها وغلبتها في الأكثر حقّ التأمّل عرف سرّ كون هذا الجهاد أعظم وأكبر، ولا يبعد أن يراد بالجهاد هنا جميع هذه الأصناف؛ لأنّ كلّ واحد منها من صفات العقلاء وخواصّ الأولياء الصابرين في البأساء والضرّاء، الذين غاية مناهم تخليص نفوسهم ونفوس عباد الله عن قيود المهلكات، وأغلال الشبهات، وسلاسل الزلّات، وانتزاعها عن أيدي هذه الدنيا الغدّارة، والأبالسة المكّارة، وسياقها إلى بساط الحقّ وساحة رحمته ومحلّ كرامته وفناء جنّته فيدخلون فيها إخواناً على سررٍ متقابلين لا يمسّهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين.

وأمّا النكول عن الجهاد والتقاعد منه، فهو من سمات الغافلين وصفات الجاهلين الذين يسلكون مسالك النفوس الأمّارة ويختارون راحتها على مشاقّها، وهم عن شناعة العاقبة جاهلون، يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة وهم عنها غافلون[٢].

«والحجّ وضدّه نبذ الميثاق» والحجّ ـ بالفتح ـ القصد وقد غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف، وبالكسر الاسم[٣].

---

(١) الكافي ٥: ١٢/ح٣.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٤١ـ٣٤٣.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٤: ٢١٧.

والميثاق العهد ونبذه نقضه من نبذ الشيء من يده طرحه ورمى به؛ لأنّ نقض العهد طرح له، والمقصود أنّ حجّ بيت الله تعالى من صفات العاقل الذي شأنه الوفاء بالعهد والميثاق، وتركه من صفات الجاهل الذي شأنه نقض العهد والميثاق؛ وذلك لأنّ الله تعالى لمّا أراد أن يأخذ المواثيق من العباد أخذها في ذلك المكان وأمر الحجر، وهو ملك بهذه الصورة يسمع ويرى فالتقمها؛ فمن أتاه وجدّد له الإقرار يشهد له بالموافاة يوم القيامة، ومن لم يأته فهو ناقض العهد وناسيه ويشهد عليه بالكفر والإنكار ونقض العهد، يدلّ على ذلك روايات متكثّرة.

ويحتمل أن يراد بالميثاق ما أجابوا عند نداء إبراهيم عليه السلام وطلبه إيّاهم إلى الحجّ وهم في أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات بقولهم: لبّيك اللهمّ لبّيك.

ويحتمل أيضاً أن يراد بالحجّ القصد إلى الأئمّة الطاهرين عليهم السلام والعكوف في أبواب علومهم ومعارفهم، والسؤال عنهم؛ لأنّ الله تعالى أخذ ميثاق ذلك على العباد، ونبذ الميثاق تركهم والرجوع إلى أصحاب الأهواء الباطلة وأرباب الآراء الفاسدة.

ومن الأفاضل لمّا رأى أنّ عدد الجنود زائداً على الخمسة والسبعين بثلاثة حكم، بأنّ هذه الفقرات الأربع أعني الصلاة وضدّها الإضافة إلى آخر الأربع، ترجع إلى فقرة واحدة، أعني العبادة وضدّها الإضاعة، والله أعلم[1].

«وصون الحديث وضدّه النميمة» نمّ الحديث يَنُمُّه ويَنِمُّهُ ـ بالضمّ والكسر ـ نمّاً أي قتّه، والاسم النميمة، والرجل نَمٌّ ونمّامٌ أي قتّات ـ للمبالغة ـ من قتت

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٤٣.

الحديث إذا سمعته وجمعته، وكذلك فعل النمّام[١]، وقال في **النهاية**: النميمة نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشرّ[٢]، ومثله قال المازري، وعلى هذا هذه الفقرة أخصّ من الكتمان والإفشاء؛ لأنّ الكتمان أعمّ من صون الحديث وغيره، والإفشاء أعمّ من نقل الحديث و غيره.

وقال الغزالي: النميمة كشف ما يكره كشفه من قول أو فعل كرهه المنقول عنه أو إليه أو ثالث، وعلى المنقول إليه أن لا يصدِّق الناقل لأنّه فاسق، وأن ينهاه لأنّ نهيه من النصيحة وأن بغضه لأنّه مبغض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله سبحانه، وأن لا يظنّ بالمنقول عنه شرّاً ولا يحكي ما نقل عنه لأنّه يصير نمّاماً، وحكمها الحرمة لتضمّنها مفسدة عظيمة من التباغض والتباعد والتفارق وكسر عرض المؤمن، وقد يؤدّي إلى سفك الدماء ونهب الأموال ونحوها، إلّا أن تتضمّن مصلحة شرعيّة فلا تمنع كإخبار الإمام[٣] عمّن يريد أن يوقع فساد أو إخبار الرجل عمّن يريد أن يفتك[٤] به أو بأهله أو بماله، وقد يجب ذلك بحسب المواطن، إلّا أنّها حينئذٍ ليست بنميمة.

وقد وردت الروايات على ذمّ النمّام، منها ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «محرّمة الجنّة على القتّاتين والمشّائين بالنميمة[٥]»[٦].

---

(١) انظر مجمع البحرين ٤: ٣٧٨ ـ نمّ.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٥: ١٢٠.

(٣) في نسخة بدل من «ت»: (الأنام).

(٤) في حاشية «م» «ت»: الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل فيشدّ عليه فيقتله، والغلية أن يخدعه ثمّ يقتله في موضع خفي. (منه ﷺ)، (انظر النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٠٩ ـ فتك).

(٥) الكافي ٢: ٣٦٩/ح ٢.

(٦) شرح أصول الكافي ١: ٢٤٤.

«وبرّ الوالدين وضدّه العقوق» قال في النهاية: البرّ ـ بالكسر ـ الإحسان، ومنه الحديث في برّ الوالدين وهو في حقّهما وحقّ الأقربين من الأهل، وهو ضدّ العقوق وهو الإساءة والتضييع لحقّهم، يقال: برّ يبرّ فهو بارّ، وجمعه بَرَرَة، وجمع البرّ أبرار، وهو كثيراً ما يختصّ بالأولياء والزهّاد والعبّاد[١].

وعقّ والده يعقّه عقوقاً فهو عاقّ إذا أذاه وعصاه وخرج عليه، وأصله من العقّ وهو الشقّ والقطع[٢]، وقد ورد من طرق الخاصّة والعامّة أنّ عقوق الوالدين من كبائر الذنوب، فالبرّ بحكم التضادّ من عظائم الحسنات، ومن برّك بهما أن تحسن صحبتهما، وتقضي ديونهما، وتعينهما على فعل الخيرات، وتفعل ما يسرّهما، وتترحّم عليهما، وتوصل ما أمكن من الخيرات إليهما، ولا تكلّفهما سؤال شيء ممّا يحتاجون إليه، ولا تقول لهما: أُفّ إن أضجراك، ولا تنهرهما إن ضرباك، ولا تملأ النظر إليهما إن أغضباك، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدّمهما ولا تستسبّهما بأن تسبّ أبا غيرك وأُمّه فيُسبّ أباك وأُمّك، ولا تفعل ما يؤذي نفسك أو صديقهما فإنّ ذلك يؤذيهما، ولا تعنهما على ظلم فإنّ الإعانة عليه خلاف البرّ، ولا تسافر إلّا بإذنهما وإن كان إلى الجهاد، لأنّ أُنسهما بك يوماً وليلة خيرٌ من جهاد سنة.

ثمّ لا فرق في وجوب برّهما بين أن يكونا حيّين أو ميّتين؛ لرواية محمّد بن عمران عن الصادق عليه السلام، ورواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١: ١١٦.

(٢) مجمع البحرين ٣: ٢٢٢ ـ عقق.

العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلّ عاقّاً، وإنّه ليكون عاقّاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلّ بارّاً»[١].

وكذا لا فرق بين أن يكونا برّين أو فاجرين؛ لما رواه عنبسة بن مصعب عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاثة لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهنّ رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»[٢]، ولا بين أن يكونا مؤمنين أو مخالفين أو كافرين لروايات متكثّرة، منها رواية جابر عن أبي عبد الله عليه السلام، ورواية زكريّا بن إبراهيم عنه عليه السلام[٣].[٤]

«**والحقيقة وضدّها الرياء**» لكلّ شيء حقيقة وحقيقة العمل هي الإخلاص يعني صرفه إلى الله تعالى طلباً لرضاه.

والرياء هو القصد بالطاعة إلى التقرّب بالمخلوقين، وطلب المنزلة في قلوبهم، والميل إلى إعظامهم له، وتوقيرهم إيّاه، وتسخيرهم لقضاء حوائجه والقيام بمهمّاته إلى غير ذلك من الأغراض الفاسدة النفسانيّة والتسويلات الكاسدة الشيطانيّة مناف لتلك الحقيقة وضدّ لها، لا يجامعها أصلاً كما أشرنا إليه سابقاً، بخلاف الشوب في قوله عليه السلام: «والإخلاص وضدّه الشوب» فلإنّ بعض أفراده وهو ما إذا ضمّ إلى العبادة قصد تحصيل الثواب والتحرّز عن العقاب، أوقصد

---

(١) الكافي ٢: ١٦٣/ح ٢١، وفيه: (لا يقضي عنهما ديونهما) بدل من: (لا يقضي عنهما دينهما).

(٢) الكافي ٢: ١٦٢/ح ١٥.

(٣) انظر الكافي ٢: ١٦٠/ح ١٠ و ١١.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

التبرّد والتسخّن غيرمناف لحقيقة الإخلاص، وإنّما هو مناف لكماله، فلذلك لم يجعل الشوب ضدّاً للحقيقة[١] مثل الرياء.

إذا عرفت هذا فنقول: إن خصّصنا الرياء في هذه الفقرة بالرياء الخالص وعمّمنا الشوب في الفقرة السابقة بشوب الرياء وغيره، أو خصصنا الشوب بشوب غير الرياء وعمّمنا الرياء بالرياء الخالص والرياء المنضمّ كان بينهما تباين في التحقّق قطعاً، وفي الحكم أيضاً على الثاني دون الأوّل؛ لأنّ الرياء مبطل للحقيقة مطلقاً، والشوب على الثاني غير مبطل للحقيقة بل لكمالها عند بعض، وعلى الأوّل أعمّ من أن يكون مبطلاً أو غير مبطل، وإن عمّمنا الشوب والرياء كليهما كان بينهما عموم من وجه في التحقيق[٢] وعموم مطلق في الحكم[٣].

«**والمعروف وضدّه المنكر**» أي الإتيان بهما، والكلام هنا في سبعة أشياء:

الأوّل: في حدّ المعروف وهو في اللغة الاسم لكلّ ما اتصف بحال يوجب كونه معلوماً، ومنه يقال: فلان معروف إذا اتصف بوصف يوجب شهرته بين الناس، وفي الشرع اسم لجميع ما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى؛ واجباً كان أو ندباً مثل الصلاة والزكاة والإحسان إلى الناس وإعطاء فضل المال إلى غير ذلك من مكارم الأعمال ومحاسن الأفعال، ولا يبعد تخصيصه هنا بما سوى الواجبات ممّا يتعلّق بالحقوق الماليّة لقول الصادق عليه السلام: «المعروف شيء سوى الزكاة فتقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ وصلة الأرحام»[٤].

---

(١) في المصدر: (ضد الحقيقة).

(٢) في المصدر: (التحقق).

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٤٥ـ٣٤٦.

(٤) الكافي ٤: ٢٧/ح٥ وفيه: (صلة الرحم) بدل من: (وصلة الأرحام).

والمنكر الشيء المتغيّر عن حاله ووصفه حتّى ينكر ويجهل، ومنه النكرة ضدّ المعرفة؛ فإنّ المعرفة إذا غيّرت عن وصف التعريف تصير نكرة مجهولة.

الثاني: في باعثه وعلّته، قال الصادق عليه السلام: «وليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كلّ من يقدر عليه يؤذَن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهناك تمّت السعادة للطالب والمطلوب إليه»[١].

الثالث: في ثمرته، وفوائده غير محصورة، منها: ما أشار إليه الباقر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل مَن يدخل الجنّة المعروف وأهله، وأوّل من يرد عليّ الحوض»[٢]، وما أشار إليه الصادق عليه السلام: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»[٣].

الرابع: في خصال أهله، قال الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره وتستيره وتعجيله؛ فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّأته وإن كان غير ذلك سخفته[٤] ونكدّته»[٥].

---

(١) الكافي ٤: ٢٦/ح ٣.

(٢) الكافي ٤: ٢٨/ح ١١.

(٣) الكافي ٤: ٢٨/ح ١.

(٤) في حاشية «م» «ت»: وفي عقله سخف: أي نقص، وعيش نكد: أي قليل. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٢: ٣٤٩ ـ سخف، وج ٤: ٣٧٠ ـ نكد).

(٥) الكافي ٤: ٣٠/ح ١.

«في معرفة ميزان الرجل هل يصير إلى خير أم إلى شرّ»

الخامس: في وضعه موضعه، قال الصادق عليه السلام لمفضّل بن عمر: «إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرجل أم إلى شرّ فانظر إلى أين يضع معروفه؛ فإن كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، وإن كان يضع معروفه عند غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق»[١]، وقال جابر: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو أنّ الناس أخذوا ما أمرهم الله عزّ وجلّ به فأنفقوه فيما نهاهم الله عنه ما قبله منهم، ولو أخذوا ما نهاهم الله عنه فأنفقوه فيما أمرهم الله به ما قبل منهم حتّى يأخذوه من حقّ وينفقوه في حقّ»[٢].

السادس: في آدابه وهي اختيار المتوسّط بين الإفراط والتفريط، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾[٣]، قال أبو الحسن عليه السلام: «لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرّه عليك أكثر من منفعته لهم»[٤].

السابع: عدم كفران الطالب للمعروف، قال أبو عبد الله عليه السلام: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعوا سبيل المعروف؟ قال عليه السلام: «الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[٥].

---

(١) الكافي ٤: ٣١/ح٢.

(٢) الكافي ٤: ٣٢/ح٤.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٢٩.

(٤) الكافي ٤: ٣٢/ح٢.

(٥) الكافي ٤: ٣٣/ح١.

وقال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أُتي إليه المعروف فليكاف به، فإن عجز فَلْيُثْنِ عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة»[١].

وإذا عرفت المعروف وأقسامه وأحكامه عرفت المنكر وأقسامه وأحكامه بالتضادّ، والأوّل من صفات العاقل العارف المستيقن باللّه واليوم الآخر، المشفق بعباد الله، والثاني من صفات الجاهل المغرور بالدنيا، المفتون بزهراتها[٢].

«**والستر وضدّه التبرّج**» الستر ـ بالفتح ـ[٣] مصدر سترت الشيء أستره إذا غطّيته، فاستتر هو وتستّر أي تغطّى، والرجل ستّير أي عفيف، والجارية ستّيرة.

وأمّا السِتر ـ بالكسر ـ فهو ما يستتر به كالسُترَةُ ـ بالضمّ ـ يعني أنّ من جنود العقل وصفات العاقل سَتْر الذنوب بالتوبة أو سترها عن الناس؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «المذيع بالسيّئة مخذول، والمستتر بها مغفور له»[٤]، أو ستر زلّات المؤمنين وعوراتهم ومعايبهم، أو ستر الحلي والزينة ومواضعها عن الأجانب مثل السوار للزند، والخلخال للساق، والدملج للعضد، والقلائد للعُنُق، والقرط للأُذن، والوشاح[٥] للعاتق[٦] والكشح[٧]، وهذا أظهر الاحتمالات بقرينة ضدّه إذ

---

(١) الكافي ٤: ٣٣/ح ٣.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٤٦ـ٣٤٨.

(٣) (الستر ـ بالفتح) أثبتناه من المصدر.

(٤) الكافي ٢: ٤٢٨/ح ٢.

(٥) في حاشية «م» «ت»: والوشاح ككتاب: وهو شيء ينسج من أديم عريضاً ويرصّع بالجواهر ويوضع شبه قلادة تلبسه النساء. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٤: ٥٠٤ ـ وشح).

(٦) في حاشية «م» «ت»: والعاتق مابين المنكب والعنق. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٣: ١١٧ ـ عتق).

(٧) في حاشية «م» «ت»: والكشح مابين الخاصره إلى الضلع. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٤: ٤٤ ـ كشح).

الظاهر أنّ التبرّج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للأجانب وهو حرام عليها، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[١] إلى آخره، وقال: ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾[٢] وإذا حرم إظهارها حرم إظهارمواضعها بالطريق الأولى وهومتّفق عليه بين العامّة والخاصّة.

ومن التبرّج تطيّبها وتجمير ثوبها وتزيّنها بأثواب فاخرة وخروجها من بيتها وتعرض نفسها للرجال فيطمع منهم من كان في قلبه مرض، قال رسول الله ﷺ: «أيّة امرأة تطيّبت وخرجت من بيتها فهي تُلعن حتّى ترجع إلى بيتها متى رجعت»[٣].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمرأة أن تجمِّر[٤] ثوبها إذا خرجت من بيتها»[٥].

وضدّها إظهار صوت حليّها للأجانب، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[٦].

«والتقيّة وضدّها الإذاعة» في **الصحاح**: اتّقى يتّقي أصله أوتقى على افتعل، قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأُبدلت منها التاء وأُدغمت، فلمّا كثر استعماله في لفظ الافتعال توهّموا أنّ التاء من نفس الحروف ـ يعني الكلمة ـ فجعلوه اِتّقى

---

(١) سورة النور ٢٤: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) ثواب الأعمال: ٢٥٩.

(٤) في حاشية «م» «ت»: وجمّر ثوبه: أي بخّره. (منه قدس سره)، (مجمع البحرين ١: ٣٩٣ ـ جمر).

(٥) الكافي ٥: ٥١٩/ح٣.

(٦) سورة النور ٢٤: ٣١.

يتّقي ـ بفتح التاء فيهما مخفّفة ـ ثمّ لم يجدوا له مثالاً في كلامهم يلحقونه به فقالوا: اتّقى يتّقي مثل قضى يقضي[١].

في **المغرب**: الوقاية والوقا، كلّ ما وقيت به شيء والتقيّة اسم من الاتّقاء وتاؤها بدل من الواو؛ لأنّها فعيلة من وقيت، وهي أن يقي نفسه من اللّائمة، أو من العقوبة، وإن كان على خلاف ما يضمر[٢].

وفي **القاموس**: اتّقيت الشيء وتَقَيْتُه وأتّقيه، وأتْقيهِ تُقىً وتَقِيَّةً وتِقاءً ككِساءً حذرته[٣].

والإذاعة أفعال من الذيع، يقال: ذاع الخبر يذيع ذيعاً إذا انتشر، وأذاعه غيره أي أفشاه، والمذياع الذي لا يكتم السرّ[٤].

إذا عرفت هذا فنقول: التقيّة جائزة إلى يوم القيامة نقله المغرب عن الحسن أيضاً وهي دين الله في عباده وسنّة الله في بلاده، وجنّة المؤمن يدفع بها سيوف مكر الماكرين، وترسه يردّ به سهام كيد الكائدين، وحصنه يأوي إليه لدفع تعدّي الظالمين، ومن صفات العاقل الفاضل الذي يعلم حقيّتها وحقيقتها ومواضع استعمالها وموارد الحاجة إليها، فيقول ويفعل عند الضرورة والحاجة بخلاف ما يعتقده حفظاً لنفسه وماله وغيره من المسلمين عن التورّط في المهالك، ويحسن صحبة الأشرار تحرّزاً من عقوبتهم، وتفزّزاً من مؤاخذتهم.

وقد روي أنّ رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فقال: «بئس أخو العشيرة»،

---

(١) الصحاح ٦: ٢٥٢٦ ـ ٢٥٢٧ ـ وقى.

(٢) حكاه عنه المازندراني في شرح أصول الكافي ١: ٢٦٦.

(٣) القاموس المحيط ٤: ٤٠١.

(٤) انظر الصحاح ٣: ١٢١١ ـ ذيع.

فأذن له، فلمّا دخل عليه أقبل عليه رسول الله ﷺ بوجهه وبشره يحدّثه حتّى فرغ وخرج من عنده، فقيل له: يا رسول الله، أنت تذكر هذا الرجل بما ذكرته وأقبلت عليه بوجهك وبشرك! فقال ﷺ: «إنّ من شرّ عباد الله من يكره مجالسته لفحشه»[١].

وتقيّة الأئمّة عليهم السلام من أهل الجور مشهورة وفي الكتب مسطورة، وفي الآيات والروايات الكثيرة دلالة على جوازها بل على وجوبها، قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[٢] نزل في عمّار بن ياسر؛ حين أكرهه أهل مكّة، وقال: ﴿**أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**﴾[٣] قال الصادق عليه السلام: «بما صبروا على التقيّة»، وقال: ﴿**وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**﴾[٤] قال عليه السلام: «الحسنة التقيّة، والسيّئة الإذاعة»[٥].

وبالجملة التقيّة ترس العاقل وحرزه وجنده، وأمّا ضدّها وهي الإذاعة؛ فمن صفات الجاهل الذي يقصر نظره عن ملاحظة سوء عاقبتها وقبح مآلها، فإنّه قد يفعل شيئاً، أو يتكلّم بكلام، أو يروي حديثاً يورث قتله، أو ضربه، أو حبسه، أو شتمه، أو نهب أمواله، أو سبي ذراريه، أو نكال غيره من المسلمين، وقد دلّت الآيات والروايات المتكثّرة على ذمّها، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ**

---

(١) الكافي ٢: ٣٢٦/ح ١.

(٢) سورة النحل ١٥: ١٠٦.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٥٤.

(٤) سورة الرعد ١٣: ٢٢.

(٥) الكافي ٢: ٢١٧/ح ١.

الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾[١] وقد عيّرهم بالإذاعة فإيّاكم والإذاعة، وقال الصادق عليه السلام: «ما قتلنا من أذاع حديثنا خطأ ولكن قتلنا قتل عمد[٢]»[٣].

«والإنصاف وضدّه الحميّة» الإنصاف العدل والتسوية، يقال: القاضي أنصف بين الخصمين إذا عدل وسوّى بينهما في المجلس، وفلان أنصف الناس من نفسه إذا رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه، وحكم على نفسه لو كان الحقّ لهم، وعن الصادق عليه السلام: «سيّد الأعمال ثلاثة ـ وعدّ منها ـ إنصاف الناس من نفسك حتّى لا ترضى لك بشيء إلّا رضيت لهم مثله»[٤]، ومنه الإنصاف في المعاملة وهو أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلّا مثل ما يعطيه، ولا يناله من المضارّ إلّا مثل ما يناله منه وهو من أكمل فضائل العقل؛ لأنّ العاقل يعلم أنّ من أنصف زاده الله تعالى عزّاً في الدنيا والآخرة وهو في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.

والحميّة الأنفة يعني استنكاف الرجل من دخول العار عليه، وهي سبب لحميّته وحمايته وغايتها أن يدفع عن قومه ظلماً وجوراً، وإن أدّى دفعه إلى ظلم وجور أشنع وأقبح من ذلك، أو يرتكب لدفع ما هو خلاف الأولى عن نفسه، أو عن قومه ضرراً عظيماً لغيره، أو يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، أو نحوها ممّا هو شريعة الجهلاء وطريقة السفهاء لغيره لقسوة قلوبهم وغلظة طبائعهم حتّى أنّهم يستعملون لسوط واحد سيوفاً، ويحدثون لحتف واحد

---

(١) سورة النساء ٤: ٨٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٧٠/ح ٤.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٤٩ ـ ٣٥١.

(٤) الكافي ٢: ١٤٤/ح ٣.

حتوفاً، ويقيمون حميّة الجاهليّة الأُولى، ويظنّون أنّ ذلك مماثل الإنصاف بل، هو أفضل وأولى فلا يجدون إلى الإنصاف طريقاً، أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

قال رسول الله ﷺ: «من تعصّب أو تعصّب له، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»(١).

وقال ﷺ: «من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبيّة، بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة»(٢).

وينبغي أن يعلم أنّ تعصّب الرجل وحميّته في الدين ومحبّته لقومه وإعانته لهم لا على الظلم ليست من الحميّة المذمومة، قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «لم تدخل الجنّة حميّة غير حميّة حمزة بن عبد المطّلب، وذلك حين أسلم غضباً للنبيّ ﷺ في حديث السلاء الذي أُلقي على النبيّ ﷺ»(٣).

وقال عليه السلام: «ليس من العصبيّة أن يحبّ الرجل قومه، ولكن من العصبيّة أن يعين قومه على الظلم(٤)»(٥).

«والتهيئة وضدّها البغي» التهيئة إمّا بمعنى الموافقة، يقال: تهايئوا أي توافقوا، أو بمعنى الإصلاح، تقول: هيأت الشيء إذا أصلحته، أو بمعنى تهيئة النفس واستعدادها للحركة نحو الفضائل والإعراض عن الرذائل، أو بمعنى ما يتّبع ذلك الاستعداد من هيئة حسنة راسخة موجبة لعدم ظهور ريبة منها ولبقائها على

---

(١) الكافي ٢: ٣٠٨/ح٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٠٨/ح٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٨/ح٥.

(٤) الكافي ٢: ٣٠٨/ح٥.

(٥) شرح أصول الكافي ١: ٣٥١ـ٣٥٢.

حالة واحدة واستمرارها عليها وهي في الحقيقة مبدأ تحصيل الكمالات، قال في **المغرب**: الهيئة هي الحالة الظاهرة للمتهيّئ للشيء[١]، وقوله عليه السلام: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[٢]، قال الشافعي: ذو الهيئة من يظهر منه ريبة.

والبغي بمعنى طلب الشرّ، يقال: بغى أحدهما صاحبه في شيء، أي طلب له شرّاً أو أراده له، وبمعنى التعدّي والاستطالة والظلم، وكلّ مجاوزة المحلّ افراط على المقدار الذي هو حدّ الشرع، ولعلّ المقصود ـ والله يعلم ـ أنّ الموافقة بين الناس، أو بين الإمام والرعيّة، أو إصلاح النفس من رينها وصقلها من كدرة شرارتها، أو استعدادها نحو الكمال، أو الهيئة التابعة لذلك الاستعداد الموجبة لعدم ظهور ريبة منها ولبقائها على حالة واحدة مع استمرارها على تلك الحالة وعدم خروجها منها من صفات العقل وجنوده، والبغي بالمعاني المذكورة من صفات الجهل.

هذا وقرأها سيّد الحكماء بالبهشة وقال: البهشة ـ بالباء الموحّدة قبل الهاء وقبل الشين المعجمة ـ الارتياج لذي فضل وللمعروف وإحبابه والميل إليها وضدّها البغي عليه[٣].

«النظافة وضدّها القذر» في **الصحاح**: النظافة النقاوة وقد نظف الشيء ـ بالضمّ ـ فهو نظيف، ونظّفته أنا تنظيفاً أي نقّيته، والتنظّف تكلّف النظافة[٤]،

---

(١) حكاه عنه المازندراني في شرح أصول الكافي ١: ٢٦٩.

(٢) المجازات النبويّة: ٢٢٨.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٤) الصحاح ٤: ١٤٣٥ ـ نظف.

وفي **النهاية**: فيه «إنّ الله تعالى نظيف يحبّ النظافة»[١]، ونظافة الله كناية عن تنزّهه من سمات الحدوث وتعاليه في ذاته عن كلّ نقص، وحبّه النظافة من غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك ومجانبة الأهواء، ثمّ نظافة القلب عن الغلّ والحقد والحسد وأمثالها، ثمّ نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبهة، ثمّ نظافة الظاهر بملابسة العبادات، ومنه الحديث: «نظّفوا أفواهكم فإنّها طرق القرآن»[٢] أي صونوا عن اللغو والفحش والغيبة والنميمة والكذب وأمثالها، وعن أكل الحرام والقاذورات والحثُّ على تطهيرها من النجاسات والسواك، والحاصل أنّ طهارة الباطن والظاهر[٣] ونزاهتهما عن جميع مالاينبغي اتصاف الناس به ظاهراً وباطناً من أنصار العقل في الترقّي إلى عالم القدس، كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾[٤]، وقذارتهما من أعوان الجهل في التباعد عن ذلك العالم؛ لأنّ عالم القدس طاهر لا يسكن فيه إلّا الطاهرون.

وينبغي أن يعلم أنّ طهارة الباطن يستلزم طهارة الظاهر، وكذا نجاسة الباطن يستلزم نجاسة الظاهر؛ لأنّ ما في الباطن يترشّح إلى الظاهر، فلا جرم الحالة الباطنة مبدأ للحالة الظاهرة، ومِن ثمّ يستدلّون بالظواهر على البواطن[٥].

«**والحياء وضدّه الخلع**» قيل: الحياء انكسار يصيب الحياة، وقيل: هو تغيّر

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥: ٧٨.

(٢) ميزان الحكمة ٢: ١٣٩٤، كنز العمّال ١: ٢٨٠٤/٦١١.

(٣) من قوله: (والحثُّ على تطهيرها) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٤) سورة المدّثّر ٧٤: ٤ و٥.

(٥) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٣.

يلحق من فعل أو ترك ما يذمّ به، وقيل: هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق وهو غريزة في الأكثر، وقد يتخلّق به بالاكتساب؛ لأنّ من لم يُجْبَلْ عليه ربّما يلتزم الحقوق ويتمسّك بالشرائع ويمارسها في كرّ الدهور ومرّ الأزمان فيحصل له ملكة الانزجار عن القبائح ومبدأ الانقباض عن المحارم وهي الحياء، وله مراتب متفاوتة وأفراد متفاضلة أكملها وأفضلها ما ينزجر به الجوارح الظاهرة والباطنة كلّها عن ارتكاب ما لا ينبغي، ودون ذلك درجات.

فإن قلت: قد يكون في الإنسان ما يمنعه من حقوق الله تعالى فهل هو حياء حقيقة أم لا؟

قلت: لا، وإنّما هو خور ومهانة وحمق، وإطلاق الحياء عليه أحياناً وتقسيمه إليهما في قوله ﷺ: «الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»[1]، وفيما نقل عن الحكماء: أنّ الحياء منه سكينة ووقار، ومنه ضعف، وفيما نقل عنهم في باب الأخلاق، أنّ كلّ فضيلة نفسانيّة وسط بين طرفيها المذمومين: طرف الإفراط وطرف التفريط؛ فالحياء الممدوح وسط بين طرف إفراطه، وهو الخور أعني الاستحياء من كلّ شيء وهذا مذموم؛ لأنّه يؤدّي إلى ترك الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، وطرف تفريطه وهو الخلاعة أعني عدم الاستحياء من بعض الوجوه وهذا أيضاً مذموم؛ لأنّه يؤدّي إلى ارتكاب بعض المحظورات، لا يدلّ على أنّ[2] إطلاق الحياء على ما يمنع من حقوقه تعالى على سبيل الحقيقة؛ لأنّ الاستعمال

---

(١) الكافي ٢: ١٠٦/ح٦.

(٢) في حاشية «م» «ت»: خبر وتقسيمه إليها. (منه ﷺ)

أعمّ من الحقيقة والمقسم لا يجب أن يكون محمولاً على معناه الحقيقي.

ويؤيّد ما قلنا ما رواه مسلم، عن عمران بن حصين، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الحياء لا يأتي إلّا بخير»[١] و«الحياء كلّه خير»[٢]، وحمل هذا على الإيجاب الجزئي لا وجه له على أنّ اصطلاح الحكماء ليس حجّة علينا، ولذلك لمّا سمع بشر بن كعب عن عمران ما نقله، عارضه بقول الحكماء، فقال عمران: أُحدّثك عن رسول الله ﷺ وتحدّثني عن صحيفة الحكماء، فإنكار عمران دلّ على أن لا وجه لمعارضة السنّة بقول الحكماء.

ويؤيّده أيضاً قول المحقّق الطوسي ﷺ حيث عدّ الحياء من أنواع العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة، وعرّفه بأنّه انحصار النفس عن ارتكاب القبائح احترازاً عن استحقاق المذمّة، فإنّه صريح في أنّ انحصار النفس عن ارتكاب المحاسن لغرض ما ليس بحياء.

فإن قلت: قد يُنسب الحياء إلى الله تعالى فيقال: إنّه حييٌّ، فما معناه؟

قلت: معناه أنّه سبحانه يعامل معاملة من له حياء يعني لا يصدر عنه القبائح، وذلك لأنّه إذا نسب إليه تعالى مبادي الآثار ولا يصحّ عقلاً أو شرعاً إرادة تلك المبادي يراد منها تلك الآثار مجازاً.

والجلع الذي هو ضدّه إمّا بالجيم وهو قلّة الحياء، قال في **الصحاح**: جلعت المرأة ـ بالكسر ـ فهي جلعة وجالعة أيضاً أي قليلة الحياء، تتكلّم بالفحش، وكذلك الرجل جلع وجالع، ومجالعة القوم مجاوبتهم بالفحش وتنازعهم عند

---

(١) صحيح البخاري ٧: ١٠٠، صحيح مسلم ١: ٤٧.

(٢) صحيح مسلم ١: ٤٧.

الشرب والقمار[١]، وإمّا بالخاء المعجمة وهو النزع، يقال: خلع ثوبه عن بدنه إذا نزعه[٢]، ووجه كونه ضدّ الحياء ظاهر؛ لأنّ الحياء بمنزلة اللباس يستر جميع الأعضاء ويمنع ظهور معايبها وصدور قبائحها، وضدّه هو خلع ذلك اللباس وكشف تلك المعايب والقبائح.

وإنّما كان الحياء من جنود العقل وضدّه من جنود الجهل؛ لأنّ الإنسان متوسّط بين العالمين: عالم الهداية وعالم الغواية، وعالم القدس وعالم الطبيعة، والعقل يدعوه إلى الأوّل والجهل يدعوه إلى الثاني، فإذا لبس الحياء الزاجر عن ارتكاب القبائح يجذبه العقل إلى غاية مناه بسهولة؛ لأنّ الجذب بلا مانع أشدّ وأسهل من الجذب معه، وإذا خلع منه ذلك اللباس وظهر منه أنواع القبائح وأصناف المعايب يجذبه الجهل إلى نهاية مناه بسهولة لما عرفت؛ فمن له حياء كامل قريب من الحَقّ، بالغ إلى أقصى مدارج الهداية، ومن له خلع كاملٌ بعيدٌ عن الحقّ بالغ إلى أعلى معارج الغواية، والمتوسّط بين الأمرين متوسّط بين العالمين، متردّد يقرب من كلّ منهما تارة ويبعد أُخرى حتّى يؤول أمره إلى ما شاء الله، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل[٣].

«**والقصد وضدّه العدوان**» القصد بالشيء إرادة الإتيان به، والقصد أيضاً العدل وهو التوسّط في الأُمور بين الإفراط والتفريط، ولعلّ المقصود أنّ من جنود

---

(١) الصحاح ٣: ١١٩٧ ـ جلع.

(٢) انظر مجمع البحرين ١: ٦٨٢ ـ خلع.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٥.

العقل إرادة الخيرات كما روي: «نيّة المرء خير من عمله»[١]، وإنّ من قصد برّاً ولم يقدر عليه كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله.

أو المقصود أنّ من جنوده التوسّط بين الطرفين في الأقوال والأفعال والعقائد كالتوسّط في المشيء بين الدبيب والإسراع، قال الله تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾[٢]، وروي: «إنّ سرعة المشيء يُذهِب ببهاء المؤمن»[٣].

والتوسّط في الإنفاق بين التبذير والتقتير، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾[٤]، والتوسّط في العبادة بحيث لا يلحق البدن مشقّة شديدة يتنفّر الطبع عنها ولا يتركها، قال رسول الله ﷺ: «يا علي، إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه[٥] برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنّ المنبت ـ يعني المفرط ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع؛ فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يخاف أن يموت غرّاً»[٦].

والتوسّط في جميع الأخلاق بين الإفراط والتفريط، والتوسّط في معرفته تعالى بين التعطيل والتشبيه، والتوسّط في معرفة الرسول والأئمّة بين الربوبيّة والتكذيب لكمال فضلهم، والتوسّط في الكسب بين الكسالة والجدّ المانع من الراحة البدنيّة أو الحقوق الدينيّة.

---

(١) المحاسن ١: ٣١٥/٢٦٠.

(٢) سورة لقمان ٣١: ٢٠.

(٣) الخصال: ٣٠/٩.

(٤) سورة الفرقان ٢٥: ٦٧.

(٥) في حاشية «م» «ت»: فأوغلوا فيه برفق أي ادخلوا فيه برفق، ولا تكلّفوا أنفسكم ما لا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا الدين والعمل. (منه ﷺ)

(٦) الكافي ٢: ٨٧/ح٦.

وبالجملة التوسّط في جميع الأُمور إلّا الذنوب مطلوب ممدوح، والعدوان بمعنى التجاوز عن الأوساط إلى طرف التفريط والإفراط، كما هو شأن الجاهل الهارب عن الصراط المستقيم مذموم[١].

«**والراحة وضدّها التعب**» يعني إنّ الراحة الروحانيّة والجسمانيّة واختيار ما يوجبها من فضائل العقل وجنوده؛ لعلمه بحقارة الدنيا وزهراتها وانصرام زخارفها ولذّاتها وانقضاء مصائبها وآفاتها، فيرفض الشواغل الدنياويّة، وينقض الوساوس النفسانيّة، ويترك اللذّات الجسمانيّة، فلا يغتمّ بفوات الأموال والأسباب، ولا يهتمّ بتحصيل المقتنيات والاكتساب، ولا يغتمّ بغبرة المتزلزل والاضطراب، ولا يحسد ولا يبغض ولا يجادلِ ولا يماري فهو دائماً فارغ البال، مرفّه الحال؛ لا نفسه منه في تعب، ولا روحه منه في نصب.

وأمّا الجاهل فهو دائماً في تعب ومشقّة، وأبداً في مِحنةٍ وبليّة لاهتمامه بتحصيل المقتنيات وحفظه للرسوم والعادات، واغتمامه بفوات المشتهيات من المطعومات والملبوسات، وارتكابه لأُمور شديدة صعبة من المعاملات، واحتماله من الأشغال الدنياويّة والأثقال الزائلة الفانية ما يتعب نفسه من تحمّلها أو يعجز، والتجائه في ذلك إلى التحاسد والتباغض مع بني نوعه من أبناء الزمان، إلى غير ذلك من الأُمور المورثة للحزن والغمّ والهمّ والتعب كما هو المعروف من جملة أفراد الناس[٢]، ومنشأ ذلك استعظام الدنيا واستحقار الآخرة وهم

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٥ـ٣٥٦.

(٢) في «م» «ت»: (من جَهَلة أفراد الإنسان)، وما أثبتناه من المصدر.

لا يعلمون: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [١].

فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الراحة من صفات العقل، والتعب من صفات الجهل. وأمّا إعانة كلّ لصاحبه فظاهرة؛ لأنّه نجى المخفّون [٢] وهلك المثقلون [٣].

«**والسهولة وضدّها الصعوبة**» السهولة اللينة واليسر والذلّ ـ بالكسر ـ يعني سرعة الانقياد، يعني سهولة الطبع في قبول الحقّ، ويسره في قبول الصفات المرضيّة والأخلاق الحسنة والأطوار الصحيحة، وذلّه وانقياده في الدين من صفات العاقل وعلامات الإيمان، كما ورد في طرق العامّة والخاصّة: «المؤمنون هيّنون ليّنون» [٤].

وصعوبة الطبع يعني أضداد هذه الأُمور من صفات الجاهل الحائر الذي ينبو [٥] ذهنه من الحقّ الزّاهر ويمرق طبعه من عرض الصدق إلى الجانب الآخر، ولا يطيع لقائده إلى منازل العرفان والكمال، بل يغلبه مثل الجموح عن دين الحقّ مسرعاً في سبيل الضلال، وهكذا شأنه دائماً في سرعة السير إلى أن يقع في أسفل السافلين وبئس المصير [٦].

«**والبركة وضدّها المحق**» البركة النماء والزيادة، ويحتمل أن يراد بها الدَّوام والثبات من برك البعير إذا استناخ ولزم وثبت في موضع واحد، والمحق النقصان

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٧.

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (المخفّفون)، و شيء بيّن سهل، قال ابن الأعرابي: تمدح بالهين اللين مخفّفين و تذم بهما مثقلين (منه ﷺ عن الأثير). (انظر النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٨٩).

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٦ـ٣٥٧.

(٤) الكافي ٢: ٢٣٤/ ضمن الحديث ١٤، مسند الشهاب ١: ١١٤ و ١١٥.

(٥) في «م» «ت»: (يتبادر)، وما أثبتناه من المصدر.

(٦) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٧ـ٣٥٨.

وذهاب البركة، وقيل: هو أن يذهب الشيء حتّى لا يرى منه أثر، ومنه: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** ﴾[١] أي يستأصله ويذهب ببركته ويهلك الميل الذي يدخل فيه، ولعلّ المقصود أنّ الزيادة في فعل الخيرات والمبالغة في المبرّات والثبات والدوام عليها من صفات العقل وكمال العقلاء كما روي: «من استوى يوماه فهو مغبون»[٢]، وروي أيضاً: «ما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من عمل يداوم عليه وإن قلّ»[٣].

والنقصان في العمل أو عدم الدّوام والثبات عليه من صفات الجاهل لجهله بمنافع العمل وغفلته عن جزيل الثواب، ونسيانه حظّه ونصيبه في يوم الحساب.

وقيل: المراد أنّ العاقل يحصل المال من الوجه الذي يصلح له ويصرف في ما ينبغي الصرف فيه فينمو ويزيد ويبقى ويدوم له، والجاهل يحصل من غير وجهه ويصرف في غير المصرف فيبطل ماله ويذهب بركته.

وقيل: المراد أنّ البركة من صفات العقل لارتفاعه عن عالم التغيّر والآفة والدثور، والنقص من صفات الجهل لتعلّقه بعالم الفساد والزوال والشرور[٤].

«والعافية وضدّها البلاء» يقال: عافاه الله معافاة وعافية إذا سلّمه من الآفات، وبلاه وأبلاه بلاءً إذا جرّبه واختبره وامتحنه، يمكن أن يراد بالسلامة والبلاء فيما مرّ السلامة من إيذاء المسلمين، أو من الأمراض النفسانيّة كما أشرنا إليه، أو من العيوب والآفات البدنيّة[٥] كما قيل، فإنّ السلامة من هذه الأُمور من صفات

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٧٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٧٦٦/ح ٤، معاني الأخبار: ٣٤٢/ح ٣ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) الكافي ٨٢/ح ٣ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٨.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (الدنيئة).

العاقل إذ العاقل لا يؤذي مسلماً، ويتخلّص من الأمراض النفسانيّة مهما أمكن، من العيوب والآفات حيث يعرفها ويعرف طريق التخلّص، والجاهل يختارها ويقع فيها من حيث لا يدري، وأن يراد بالعافية والبلاء هنا العافية والسلامة من الأعمال الظاهرة الفاسدة، أو من العقوبات الأُخرويّة وأهوالها بالتحرّز عن موجباتها، أو ممّا يوجب سقوط المنزلة عند الله تعالى، أو من المكاره الناشئة من الإخوان، أو من زوال النعمة فإنّ السلامة من هذه الأُمور من صفات العاقل؛ لأنّه يفرّ عمّا يوجب فساد العمل وثبوت العقوبة وسقوط المنزلة، ويعفو عن بني نوعه ويسامحهم فيتخلّص بهذه الحيلة عن مكارههم، ويشكر المنعم فيجلب النعمة ويأمن من زوالها، والابتلاء بهذه الأُمور من صفات الجاهل، وعلى ما ذكرنا يتحقّق الفرق المعنوي بين الفقرتين وإن كان تكلّفاً.

ونقل عن الشيخ بهاء الملّة والدين أنّهما بمعنى واحد، وأنّ إحداهما كانت بدلاً عن الأُخرى جمع بينهما الناسخ غافلاً عن البدليّة.

قال سيّد الحكماء: البلاء ضدّ العافية بمعنى البلوى والبليّة، والبلاء ضدّ السلامة بمعنى الامتحان والاختبار، ومن توهّم أنّهما بمعنى واحد يلزمه أن لا يكون جند الجهل ثلاثة وسبعين وهو خلاف قول الإمام عليه السلام، وعلى خلاف جند العقل.

وفيه: أوّلاً: أنّ الامتحان والاختبار أيضاً بليّة، وثانياً: أنّ من توهّم اتحاد البلاء في الموضعين توهّم اتحاد العافية والسلامة أيضاً فلا يلزمه أن يكون جند الجهل على خلاف جند العقل وأقلّ منه، ولا يلزمه أيضاً أن يكون جند الجهل أقلّ من ثلاثة وسبعين، لأنّ تفصيل الجنود زائد على ثلاثة وسبعين بثلاثة، وغرض

المتوهّم أن يرجع بعضها إلى بعض حتّى يعود الجميع إلى ثلاثة وسبعين، كما أشرنا إليه في أوّل الحديث[١].

«**والقوام وضدّه المكاثرة**» القوام ـ بالفتح ـ العدل، قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً**﴾[٢]، وقِوام الأمر ـ بالكسر ـ ما يقوم به أمره ويتمّ به نظامه، يقال: لفلان قوامٌ من العيش أي ما يقوم بحاجته الضروريّة، والمكاثرة من الكثرة وهي نقيض القلّة، وكثيراً مّا تستعمل للمبالغة، يقال: كاثرناهم فكثرناهم أي غلبناهم بالكثرة في المال أو العدّة، يعني من صفات العاقل التوسّط في تحصيل المعاش والاقتصار بقدر الكفاف، وهو القدر الذي يحتاج إليه في بقاء شخصه ويتقوّى به في عبادة ربّه غير متجاوز عن ذلك الحدّ؛ لعلمه بحقارة الدنيا ومفارقته لها إلى دار القرار ووقوفه للحساب بين يدي الملك الجبّار، فيبعثه ذلك إلى إعداد زاد الآخرة والانقطاع عن حبل العلائق، وصرف العمر في طلب الحقائق، والاجتناب عن زوائد الدنيا، والاختيار في طرائق المعاش أحسن الطريق وهو طريق التوسّط.

ومن صفات الجاهل صرف العمر في تحصيل ما لا يحتاج إليه من زهرات الدنيا وزخارفها الموجبة للخسران، وفي استكثار الأموال والأسباب للغلبة على غيره من أبناء الزمان، وذلك يوجب فرار طبعه السقيم عن إدراك معالم الدين حتّى يأتيه الموت بغتة وهو من الهالكين.

«**والحكمة وضدّها الهوى**» الحكمة ما يمنع من الجهل، والحكيم من منعه

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٦٧.

عقله منه أُخذت من حكمة الدابّة وهي حديدة اللجام؛ لأنّها تمنع الدابّة عن الجموح، والمراد بها العلم والعمل النافعين في الآخرة واتّباع ما هو الأصلح والأنفع فيها، لا ما اشتهر من العلم بحقائق الأشياء والتصديق بأحوالها والعمل بما يقصد به العمل، إذ هو شامل للحكمة النظريّة بأقسامها.

«في تعريفات العلوم اجمالاً»

أعني علم ما بعد الطبيعة وعلم الرياضي وعلم الطبيعي، وللحكمة العمليّة بأقسامها أعني تهذيب الأخلاق وتدبير المنازل وسياسات المدن، والظاهر أنّه لا مدخل لأُصول الرياضي في الدين، والشارع لا يرغب فيها وهي علم الهندسة الباحث عن المقادير وأحكامها ولواحقها، وعلم الحساب الباحث عن أحوال العدد وخواصّه، وعلم النجوم الباحث عن اختلاف أوضاع الأجرام العلويّة بنسبة بعضها إلى بعض، وبالنسبة إلى الأجرام السفليّة وعن مقادير تلك الأجرام وأبعادها، وعلم التأليف الباحث عن الأحوال المؤلّفة، وعلم الموسيقى الباحث عن تناسب الأصوات بعضها ببعض وكميّة زمان سكناتها وحركاتها وكيفيّة إخراجها عن مواضعها.

وكذا لا مدخل لفروعها فيه مثل علم المناظر والمرايا[1]، وعلم الجبر والمقابلة، وعلم جرّ الأثقال، وكذا لا مدخل فيه لأُصول الطبيعي الباحث عن الزمان

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وناظره مناظرة جادله (مجمع البحرين ٤: ٣٣١ ـ نظر).
والمماراة: أي المجادلة فيما فيه مرية وشك، فإنّها تؤل إلى العداوة والبغضاء ولذا قال ﷺ: «اترك المراء ولو كنت محقاً». (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ١: ٣٩٠ ـ مرا).

والمكان والحركة والسكون والنهاية واللّانهاية، وعن الأجسام البسيطة والمركّبة، وكيفيّة حدوث الحوادث الهوائيّة والأرضيّة وعللها مثل الصاعقة والمطر والرعد والبرق والزلزلة وأمثالها.

وكذا لا مدخل لفروعها فيه مثل الطب والفلاحة وغيرهما.

والهوى مصدر هويه إذا أحبّه واشتهاه ثمّ سمّي به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً، ثمّ غلب على المذموم، والمراد هنا المعنى المصدري أعني اتّباع المهويّات الذميمة واقتفاء المشتهيات القبيحة.

ووجه كون الحكمة من جنود العقل وأعوانه، والهوى من جنود الجهل وأنصاره ظاهر، إذ بالحكمة يتنوّر قلب العاقل حتّى يفهم المشروعات والمحظورات، ويعلم المعقولات والمستحيلات، ويبصر المقاصد الشرعيّة ويهتدي إلى الوجوه الدنيويّة والأُخرويّة، ويحصل له بذلك من القول والفعل والقصد حالة وثيقة وملكة شريفة، لا يرد عليها الانتقاض، ولا يعتريه الانتقاص إلى أن يرد في ساحة الحقّ.

والجاهل لمّا كان قلبه مظلماً، بحيث لا يجد إلى معارف الحقّ دليلاً، ولا إلى منازل القدس سبيلاً، إذا اتّبع الهوى وارتكب المحظورات، واستمرّ على المحرّمات، وانهمك في المشتبهات، زادت ظلمته وغلبت كدرته فهو في بيداء الجهالة طائر، وفي ظلمات بعضها فوق بعض حائر حتّى يطلع صبح يوم القيامة عن أُفق الموت، وأيّ يومٍ؟! ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا**

عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢][٣].

«**والوقار وضدّه الخفّة**» الوقار ـ بالفتح ـ الرزانة والمتانة ، وقد وقر الرجل يقر وقاراً فهو وقور أي رزين متين[٤]، إذا كانت نفسه مطمئنّة في تحصيل المطالب، مستقيمة في الوصول إلى المآرب بحيث لا يحرّكها الغضب ولا يهزّه المكاره بسهولة، ولا يتجاوز عن الحدّ اللّائق به عقلاً وشرعاً، وهو من جنود العقل في تصاعده من المنازل السافلة وعروجه إلى المقامات العالية في الدنيا والآخرة؛ لأنّ عدم انفعال النفس بورود المكاره وعدم اضطرابها بنزول المصائب وعدم تزلزلها بمشاهدة النوائب راحة حاضرة ومنفعة ظاهرة.

«في ذكر أسباب الفرقة»

والعفو عن جرائم الناس والصفح عنها، وعدم الغلظة عليهم بتسكين ثوران الغضب وإطفاء نيران الغيظ والعتب[٥]، وترك ما يوجب الفرقة من التصاغر والتشاجر، والتقاطع والتخاذل، والتنازع والتشاتم، والطيش والعجلة من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ومحامد الأُمور التي يوصف بها أهل المجد

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٣٠.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٥٩ ـ ٣٦٢.

(٤) انظر الصحاح ٢: ٨٤٩ ـ وقر.

(٥) في حاشية «م» «ت»: وعتب عليه عتباً فهو عاتب، وجد عليه ولامه في سخط. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٣: ١١٤)

والشرف والنجدة والرزانة، ويوجب الرفعة عند الخالق والخلائق، ويجلب محبّتهم ومودّتهم.

والخفّة وهي الطيش والعجلة والجزع لفوات قليل، والفرح لطلب كثير، والاضطراب لأمر يسير، والتزلزل لشيء حقير من صفات الجاهل؛ لأنّ قلبه سخيف وعقله خفيف ولبّه في تيه الجهالة حائر، كأنّه موضوع على جناح طائر فيتحرّك ويضطرب دائماً، وذلك يثير الفتنة العظمى والبليّة الكبرى، ويسومه[١] سوء العذاب، ويورده في موارد العتاب، ويخلع عنه لباس الكرامة، ويجرّه[٢] إلى ذُلّ المهانة في الدنيا والآخرة[٣].

«والسعادة وضدّها الشقاوة» قال الله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[٤].

والسعيد الحقيقي من آمن وصدّق باللّه وملائكته ورسله، إيماناً لا يفوته عمل، ولا يشوبه وغل، ولا ينوبه زلل، ولا يعرضه خلل، وتصديقاً يقوى به عقله على التحرّز من المكائد الشيطانيّة والوساوس النفسانيّة واللذّات الجسمانيّة، ويستعدُّ به ذهنه لشروق أنوار المعارف الإلهيّة وبروق مكارم الأخلاق الربّانيّة بحيث ينظر بعين التفكّر في ملك الأرضين وملكوت السماوات، ويرى الحقّ

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وسام على فلان الأمر كلفه. (لغة منه ﷺ)

(٢) في «م» «ت»: (ويحذبه) وما أثبتناه من المصدر.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٤) سورة هود ١١: ١٠٥ ـ ١٠٨.

بعين البصيرة في عجائب المخلوقات وبدائع المصنوعات، ويرتوي من زلال عيون الكمالات، ويخلع عن نفسه لباس الشهوات، ويجتنب من هموم الدنيا وعلائق حالاتها، ويتوجّه إلى أمر الآخرة وشواهق مقاماتها فيصير نوراً في نفسه ومصباحاً لغيره، ذلك فضل الله سبحانه على عباده المرسلين والأئمّة الطاهرين، ومن اقتفى آثارهم من العباد الصالحين.

والشقيّ الحقيقي من كفر بالأُمور المذكورة، ووقع في مهاوي الضلالة ومهالك الغواية، وبينهما مراتب متفاوتة ومنازل متباعدة يجتمع فيها اسم السعادة والشقاوة بالإضافة؛ فربّ سعيد من وجه شقيّ من وجه آخر، ومن غلبت سعادته فهو في جنّات النعيم، ومن غلبت شقاوته فهو في عذاب الجحيم، ومن استوى فيه الأمران فهو في خطر عظيم، ورحمة الله قدّامه وهو الغفور الرحيم[1].

«**والتوبة وضدّها الإصرار**» التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه ومنعه من الوصول إلى الحقّ، والندم على ما فرّط والعزم على ترك المعاودة، وتدارك[2] ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال، وردّ المظلمة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه؛ فمتى اجتمعت هذه الأُمور تحقّقت حقيقة التوبة وكملت شرائطها وتاب إلى الله تعالى وهي من أهمّ قواعد الإسلام وأوّل مقامات سالكي الآخرة، وقد اتّفق أهل الإسلام على وجوبها فوراً، ومنافعها كثيرة، منها: أنّها تخلع ثوب الدنس وتقطع عرق النجس، ومنها: أنّها تورث محبّة الربّ ورضوانه والدخول

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٣.

(٢) في المصدر: (ودرك).

في جنانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

وفيه فضل عظيم وشرف جسيم للتائب حيث ينال محبّة الحقّ التي هي أعلى مقاصد السالكين بعد ما كان في زمرة الهالكين، وقال الباقر عليه السلام: «إنّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته ومزاده[٢] في ليلة ظلماء فوجدها، فاللّه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»[٣].

فانظر أيّها اللبيب إلى هذا الحديث الشريف وعلوّ مضمونه، تجده كافياً في الترغيب إلى التوبة والتحريص عليها لو لم يكن غيره، ولكن الآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التوبة وبيان فضلها أكثر من أن تحصى، وهي من صفات العاقل وأجناده؛ لأنّ العاقل قصده لقاء الله تعالى دائماً وهمّه النزول في ساحة عزّه وهو يجوّز ذلك في كلّ آن ويترقّبه في كلّ زمان، فأكبر مقاصده وأعظم مطالبه أن يطهّر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البُعد عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التكليف بالموت وانقضاء مدّة العمل بالفوت، بخلاف الجاهل فإنّ وصفه الإصرار على الذنوب والمعاصي، والإقامة على الآثام والمناهي، إذ هو لعميان بصيرته وفقدان سريرته ونقصان عقيدته محجوب عن درك الآخرة وحالاتها، وعن نيل عناية الحقّ ومقاماتها، فيظنّ أنّ غاية خلق الإنسان وهي وصوله إلى هذه اللذّات الحاضرة والمنافع الداثرة فيستمرّ عليها ويستبشر بها وهو من الغافلين، أو يظنّ بالآخرة ظنّاً ضعيفاً يستعدُّ به لقبول

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٢٢.

(٢) في حاشية «م» «ت» والمزادة: الظرف الذي يحمل فيه الماء كالرواية والقربة. (منه رحمه الله)، (لسان العرب ٣: ١٩٩ ـ زود).

(٣) الكافي ٢: ٤٣٥/ح٨.

ما يتلو عليه الشياطين من تسويف التوبة غداً بعد غد إلى أن يموت وهو من الخاسرين.

ثمّ الإصرار بالذنب أعمّ من فعله على الاستمرار وفعله مرّة مع عدم عزمه بالتوبة والاستغفار، وما روي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1]، قال: «الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدِّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار»[2] يحتمل الأمرين والظاهر منه هو الثاني.

ومن فسّر الإصرار بتكرار ذنب واحد، أو بإيجاد حقيقة الذنب في ضمن أنواع مختلفة من الذنوب بحيث يشعر بقلّة المبالات، فقد غفل عن تحقّق معنى الإصرار في ذنب واحد مع عدم التوبة[3].

«**والاستغفار وضدّه الاغترار**» الاستغفار من الغفر وهو الستر، والاغترار من الغرّة ـ بالكسر ـ وهي الغفلة والجرأة.

واعلم أنّ والي البدن كثيراً ما يطغى في الأمارة، ويخون في الولاية، ويعصي السلطان الأعظم في إرادته، فيستعمل الجوارح الظاهرة والباطنة كلّها أو بعضها في غير طاعته.

ثمّ إنّه قد يستشعر بتقصيره وعصيانه وخيانته وطغيانه فيخاف أن يعاقب في الدنيا والدين، وينكشف مساويه عند المقرّبين فيقبل بالطوع والاختيار،

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٣٥.

(٢) الكافي ٢: ٢٨٨/ح ٢.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

ويتمسّك بذيل الإقالة والاستغفار طالباً لغفران الذنوب وسترها على الكرام لئلّا يفتضح بها عندهم يوم القيامة، ولعفوها[١] باللطف العظيم والكرم العميم لئلّا يُعذَّب بسلاسل وأغلال في الجحيم، ويمحوها من لوح نفسه وصفحة الجنان لئلّا يخجل بتذكّرها بعد دخول الجنّة وروضة الجنان، مستكملاً لاستعداد الفوز بالرحمة في الدنيا بإنزال البركات، وفي الآخرة برفع الدرجات، والشاهد العدل على ذلك قوله: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً** ﴾[٢].

وقد يرفع الله تعالى باستغفار مؤمن العذاب الدنيوي عن جماعة من العصاة، كما روي: «إنّ الله تعالى يقول: إنّي لأهمّ بأهل الأرض عذاباً، فإذا نظرت إلى عمّار بيوتي وإلى المتحابّين والمستغفرين بالأسحار صرفته عنهم»[٣].

ثمّ الاستغفار لا يتحقّق معناه بمجرّد هذا اللفظ، بل لابدّ في تحقّقه من أُمور لا يتلقّاها إلّا الصابرون المجاهدون، كما يرشد إليها قول أمير المؤمنين لقائل قال بحضرته: أستغفر الله، فقال عليه السلام: «ثكلتك أُمّك، أتدري ما الاستغفار؟! إنّ الاستغفار درجة العليّين، وهو اسم واقع على ستّة معان:

أوّلها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس وليس عليك تبعة.

---

(١) في المصدر: (ولمحوها).

(٢) سورة نوح ٧١: ١٠ و ١١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٥٥، كنز العمّال ٧: ٢٠٣٤٣/٥٧٩.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»[١].

وإذا عرفت هذا عرفت أنّ الاستغفار من جنود العقل وأعوانه في العود إلى الحقّ والقرب منه.

والاغترار يعني الغفلة عن الحقّ والجرأة عليه، والانخداع من النفس والشيطان الموجب للإصرار على المعاصي، والاستمرار على الطغيان، من جنود الجهل وأعوانه في البُعد عنه، والاستحقاق بمزيد الخذلان، وأنا أستغفر الله وأقول كما قال الشاعر:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفّيك ما علّمتني الطلبا[٢]

أراد بذلك قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**﴾[٣][٤].

«**والمحافظة وضدّها التهاون**» الحفظ الحراسة، والتحفّظ التيقّظ، والمحافظة المراقبة، والاستيهان والتهاون الاستحقار والاستخفاف، يقال: استهان به وتهاون به إذا استحقره واستخفّه ولم يبال، أراد أنّ حراسته النفس وتيقّظها ومراقبتها في السير إلى الله سبحانه، أو حراسة ما فعله من الصالحات وما أتى به

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٧/الحكمة ٤١٧.

(٢) نقل البيت ابن حجر في فتح الباري ١١: ٨٢.

(٣) سورة نوح ٧١: ١٠.

(٤) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٥ـ٣٦٦.

من الخيرات ومراقبتها من أن تتطرّق إليها الشبهات المبطلة والعقائد الفاسدة كالريا والسمعة ونحوهما، أو حراسة الطاعات والعبادات بالإتيان بها في أوقاتها مع شرائطها، أو حراسة المؤمنين ومراقبة أحوالهم ومحافظة حقوقهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص العاقل؛ لأنّه يعلم بنور عقله أنّ له في كلّ قدم يرفعها الله تعالى قريناً من الشيطان مترصّداً لإغوائه، وفي كلّ منزل عدوّ من الغيلان[1] منتظراً لإضلاله، وإنّ الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلّا ما هو خالص من المفاسد، مقرون مع الشرائط، واقع في أوقاتها، وإنّ المؤمنين كنفس واحدة، وهو بكماله في العقل بمنزلة راعيهم وحافظهم فلا يغفل عن المحارسة ولا يغمض من المراقبة أبداً.

بخلاف الجاهل فإنّه دائماً غافل عن الحرّاس، بعيداً عن الحفّاظ، مستحقر لذلك العدوّ، غير مبال به، مع كمال قوّته وكثرة مكيدته، مستخفّ الطاعات، متهاون بالعبادات، مضيِّع للأوقات حتّى يردّه الشياطين إلى أسفل السافلين، ألا ذلك هو الخسران المبين[2].

«**والدعاء وضدّه الاستنكاف**» الدعاء في اللغة النداء والصيحة، تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، وفي العرف: طلب الرحمة والفيض من الله سبحانه على وجه الخضوع والاستكانة، وهو من أجلّ مقامات الموحّدين وأفضل درجات السالكين لكونه مشعراً بالذلّ والانكسار، وإقراراً بصفة العجز والافتقار،

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم، وكلّ ما اغتال الإنسان فاهلكه فهو غول. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٣: ٣٤٠ ـ غول).

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

ومظهراً لتعلّق حبل ربقة الحاجة بربقة الإمكان، واعترافاً بانغماس الممكن في غمرة المسكنة والنقصان، وقد وردت الآيات المتكاثرة والروايات المتواترة من طريق الخاصّة والعامّة في الترغيب فيه والحثّ عليه بحيث صار شرعه من ضروريّات الدين، وهو من شعار الصالحين والصدّيقين، وآداب الأنبياء والمرسلين، فإنّ حكاية دعاء آدم ونوح وذي النون وموسى وأيّوب وداوود وسليمان وعيسى وغيرهم عليهم السلام ودعاء خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسيّد الوصيّين وأولاده الطاهرين عليهم السلام وكمال تضرّعهم وخشوعهم في القرآن العظيم مذكورة، وفي كتب السير مسطورة، وفي دفاتر المتقدّمين والمتأخّرين مزبورة، وفي ألسنة الخواصّ والعوام مشهورة بحيث لا مساغ للردّ والإنكار، ولا مجال للعناد والاستنكار.

«في دفع الإشكال عن الدعاء»

وما خالج في بعض الأذهان من أنّ المطلوب بالدعاء إمّا أن يكون معلوم الوقوع للّه تعالى أو معلوم اللّاوقوع، وعلى التقديرين لا فائدة فيه؛ لأنّ الأوّل واجب والثاني ممتنع.

وبعبارةٍ أُخرى: إمّا أن يكون وقوعه مصلحة للداعي أو لا يكون؛ فعلى الأوّل يقع وإن لم يطلب لأنّ الله يفعل ما هو صالح العباد قطعاً، وعلى الثاني لا يقع وإن طلب؛ فطلبه على التقديرين عبث، وأيضاً أعظم مقامات العارفين الرضا بالقضاء، والدعاء ينافي ذلك.

فالجواب عن الأوّلين: أنّ كلّ كائن وفاسد موقوف في كونه وفساده على شرائط وأسباب كما علم من موضعه، ودلّ عليه أيضاً ما رُويَ: من أنّ الله تعالى

يأبى إلّا أن يجري الأشياء بأسبابها[١]، وإذا كان كذلك فلعلّ الدعاء من شرائط وجود المطلوب ومصالحه، كما أنّ شرب الدواء من شرائط صحّة المريض وأسبابه؛ فالمطلوب مع الدعاء معلوم الوقوع ومصلحة، وبدونه معلوم اللّاوقوع وغير مصلحة.

وبالجملة هذا العالم عالم الأسباب، والأشياء تجري بأسبابها، والعبد لعدم كونه عالماً بكيفيّة علم الله تعالى بالأشياء وقضائه إيّاها يكون دائماً بين الخوف والرجاء ويجوّز كون المعلوم والمقتضي مقيّداً بالدعاء، ويتأكّد ذلك بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] فلذلك لا يترك الدعاء في البأساء والضرّاء.

على أنّ لنا أن نقول: الدعاء لا يخلو من فائدة عظيمة ومنفعة جليلة؛ لأنّه كان من شرائط وجود المطالب وأسبابه، ففائدته ظاهرة وإن لم يكن كذلك سواء كان المطلوب مصلحة في نفسه من غير شرطيّة الدعاء وسببيّة، أو لم يكن مصلحة أصلاً كأنّ الدعاء عبادة مستقلّة بل هو من أفضل العبادات، كما دلّ عليه الروايات المعتبرة فيورث ثواباً جزيلاً وأجراً جميلاً في الآخرة.

والجواب عن الأخيران: أنّ العبد إذا دعا كان دعاه من جملة القضاء فكيف يكون منافياً له، والحاصل أنّ المنافي للقضاء ما لا يجامعه، والقضاء إذا تعلّق بشيء مقيّد بشرط أو سبب لا يكون ذلك السبب والشرط منافيين له، وما روي: «إنّ الدعاء يردّ القضاء وقد أُبرم إبراماً»[٣] فمعناه ـ والله أعلم ـ أنّ الدعاء يوجب

---

(١) انظر الكافي ١: ١٨٣/ح٧.

(٢) سورة غافر ٤٠: ٦٠.

(٣) الكافي ٢: ٤٦٩/ح٤.

اختيار أحد الفردين من القضاء التخييري، مثلاً إذا تعلّق القضاء بموت هذا المريض بشرط عدم طلب صحّته وببقائه بشرط طلبها كان هذا القضاء متعلّقاً بأمرين متضادّين مشروطين بشرطين متقابلين، واختيار أحدهما موكول إلى العبد فأيّهما اختار فقد رضي بالقضاء.

فإذا عرفت أنّ الدعاء من أشرف مقامات السالكين، عرفت أنّ ضدّه وهو الاستنكاف يعني الأنفة والكراهة والترفّع والعدول عن الدعاء الموجب للبُعد عن الحقّ من أخسّ صفات الجاهلين الهالكين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[1]، والعبادة هي الدعاء[2].

«**والنشاط وضدّه الكسل**» النشاط في العبادة من كمال مراتب الإنسانيّة، وهو ينبعث عن عدم النقص اللّاحق للنفس بسبب كلال بعض القوى الطبيعة عن أفعالها، وعدم وقوف الأعضاء وفتورها عن أعمالها بسبب تحلّل الروح وضعفه ورجوعه إلى الاستراحة، ولا شبهة في أنّ ذلك من صفات العاقل الذي فكّ عنه بالهمّة الصادقة قيود الأغلال البشريّة، ورفع عنه بالنيّة الخالصة أوزار الأثقال البدنيّة، وأنار بنور عقله أعضاءه الظاهرة حتّى يرى شخصه في هذا العالم، وروحه لخفّته ونورانيّته في عالم الروحانيّين يطير مع الملائكة المقرّبين، فله من النشاط في العبادة ما لا يدخله سأمة من جدّ ودؤوب، ولا إعياء من كدّ ولغوب، ولانقصان من تطرّق قصور، ولا استحسار من طريان فتور، كما قال سبحانه في وصف الملائكة: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ**

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٦٠.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٧ ـ ٣٦٩.

﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[١].

والكسل يعني التثاقل في العبادة من صفات الجاهل المحبوس في سجن الطبيعة البشريّة، والمغلول بأغلال لواحق القوّة الشهويّة، والمصفود بصفاد[٢] عوارض القوى البدنيّة، فهو ثقيل لا يحرّكه ريح النشاط من مركزه إلى الدرجة العليا، ولا شوق العبادة عن موضعه إلى المرتبة القصوى فيرضى، فهو كسلان بالدون من الحياة الدنيا[٣].

«**والفرح وضدّه الحزن**» الفرح السرور، يقال: فرح به أي سرّ، وأفرحه وفرّحه تفريحاً إذا سرّه، والفرح أيضاً البطر والأشر[٤]، وهذا ليس بمراد هنا؛ لأنّه من صفات الجاهل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٥]، والحزن خلاف السرور، يقال: حزن الرجل ـ بالكسر ـ فهو حزن وحزين، وأحزنه غيره وحزّنه[٦]، وهذه الفقرة تحتمل معنيين:

الأوّل: أن يكون الفرح كناية عن البشاشة وطلاقة الوجه للإخوان، والحزن كناية عن الكلوح والعبوس.

والثاني ـ وهو الأظهر ـ أنّ العاقل لكونه عارفاً بالمعارف الإلهيّة، وعالماً بالحكم الربّانيّة، ومستشرقاً لأنوار الحقّ، تابعاً لهداه ومقبلاً على عبادة ربّه

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ١٩ و ٢٠.

(٢) في حاشية «م» «ت»: الأصفاد: الأغلال والقيود التي توثق بها الأرجل، واحدها صَفَد بالتحريك. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٢: ٦١٤ ـ صفد).

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٩.

(٤) مختار الصحاح: ٢٥٧ ـ فرح.

(٥) سورة القصص ٢٨: ٧٦.

(٦) الصحاح ٥: ٢٠٩٨ ـ حزن.

معرضاً عمّا سواه، مسرورٌ مبتهجٌ فرحٌ أبداً في الدنيا والآخرة بما آتاه الله من الفضيلتين العلميّة والعمليّة إذ لا لذّة أعظم منهما، ولو نظر إلى ما يوجب الشرور في دار الغرور، والتفت التفاتاً ما إلى خسايس هذه الأُمور بسبب شيطان قاده إليها، وميل نفس حرّضه عليها أخذت بضبعيه الأنوار العقليّة، وتوقظه من رقدة الغفلة في المراقد الطبيعية وجذبته العناية الإلهيّة من ورطة الهلكة الأبديّة، وأيّدته على إبليس وجنوده فيجتهد في معارضته[1]، ويتخلّص من مصائده، ويترصّد لدفع حيله، ويثبت في رفع مكائده فيحصل له بذلك ابتهاج وسرور أيضاً لغلبته على عدوّه.

وأمّا الجاهل الفاقد لهاتين الفيضلتين والمقهور في أسر ذلك العدوّ فهو حزين في الدارين، إذ لا ألم أعظم من ذلك في الدنيا والآخرة: أمّا في الآخرة فظاهر؛ لأنّ الآلام الأُخرويّة التي توجب الهمّ والغمّ والحزن عند مشاهدة السلاسل والأغلال ومعاينة الشدائد والأهوال، ظاهرة غير محتاجة إلى البيان.

وأمّا في الدنيا، فلأنّ الإعراض عنه سبحانه والاشتغال بما سواه، كما هو وصف الجاهل ألم نفسانيّ ومرضٌ روحانيٌّ، يوجب همّاً وغمّاً وحزناً في نفس الأمر ولا يقدح فيه غفلته وتوهّمه أنّ ذلك أنفع له، كما أنّ السمّ ألم مهلك وإن توهّم شاربه أنّه أنفع له، على أنّه قد يصدّق على مقتضى عقله الفطري بأنّ الأولى به والأنفع له هو متاع الآخرة، سيّما عند معاينة الموت فيحصل له ألم شديد وحزن طويل ولكن لا ينفعه ذلك ما بقي على حاله، كما أنّ الخائن

---

(١) في المصدر: (مقاومته).

المعذّب بسبب الخيانة يصدّق بأنّه كان الأولى به ترك الخيانة ويحزن ويتأسّف ولا ينفعه ذلك[١].

«**والأُلفة وضدّها الفرقة**» الأُلفة موافقة الآراء والعقائد في تدبير المعاش والمعاد، وهي فضيلة مندرجة تحت العدالة التي هي الاستقامة في القوى الفكريّة والغضبيّة والشهويّة، والمتوقّفة على كثير من الفضائل النفسانيّة مثل التحمّل والتواضع، والرقّة والحياء، والرفق والصبر، والوقار والورع، والعفو والمروّة، والسماحة والمسامحة، والصداقة والوفاء، والشفقة والتودّد، إلى غير ذلك من الأُمور المعلومة لمن تأمّل في فضائل النفس، وكونها من صفات العاقل ظاهر؛ لأنّ هذه الأُمور المذكورة لا يتّصف بها إلّا عاقل راض نفسه في ميدان المجاهدة، ولأنّه يعلم بشروق عقله أنّه يحتاج في غذائه ولباسه ومسكنه ودفع أعدائه وتحصيل أمر الآخرة وترويج الشريعة إلى التناصر والتعاون والتعاضد، وكلّ ذلك متوقّف على الأُلفة.

والفرقة من أخسّ صفات الجاهل لاتّصافه برذائل نفسانيّة مؤدّية إليها، أو لأنّه لظلمة قلبه لا يراعي عواقب الأُمور، ومدى نظره إنّما هو جلب منفعة حاضرة ودفع كلّ ما هو عائقٌ عنها ولو بسفك الدماء كما هو المشاهد من أبناء الزمان، ولا ريب في أنّ ذلك موجب للمعاندة والمفارقة.

ويحتمل أن يراد بالأُلفة الأُلفة بأهل البيت عليهم السلام، وبالفرقة التباعد عنهم، وقيل: الوجه في كون الأُلفة من صفات العقل، أنّ العقل جوهر مرتفع الذات عن الجسم والجسمانيّات، وعالمه عالم الوحدة والجمعيّة، والجهل صفة النفوس المتعلّقة

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

بالأجسام وصورها التي وجودها عين قبول الانقسام والافتراق، ووحدتها عين كثرة، ووصلتها عين انفصال ومباينة، فكلّ واحدة من ذوي النفوس الجزئيّة قبل أن يستكمل ذاته عقلاً بالفعل لا يحبّ إلّا نفسه بل يعادي غيره ويحسده على ما آتاه الله من فضله، فإذا أحبّ بعضهم بعضاً فإنّما أحبّه ليتوسّل به إلى هواه وشهوته، فما أحبّ إلّا نفسه ولذلك إذا ارتفعت الأغراض والأعواض بينهم، كما في الآخرة رجعوا إلى ما كانوا عليه من الفرقة والعداوة، كما في قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (١) (٢).

«**والسخاء وضدّه البخل**» السخاء في اللغة: الجود، يقال: سخا يسخو إذا جاد بماله، وسخو الرجل ـ بالضمّ ـ يسخو سخاوة أي صار سخيّاً(٣)، وفي الاصطلاح: ملكة توجب إنفاق الأموال وسائر المقتنيات في موضعه على قدر لابدّ منه بسهولة، ومن شرائطه أن يأخذ الشيء من موضعه ويضعه في موضعه، فلو صرف الحرام في المستحقّين أو صرف الحلال في غيرهم لا يكون سخيّاً ولا يستحقّ بذلك ثواباً، وتلك الملكة خلقيّة في الأكثر وقد تكون كسبيّة حاصلة بكثرة الإعطاء ومزاولة الجود، فإنّ غير الطبيعي قد يصير طبيعيّاً بالممارسة، وهي فضيلة نفسانيّة مندرجة تحت العفّة التي هي الاعتدال في القوّة الشهويّة، ويندرج تحت السخاء كثير من الملكات والفضائل:

منها: الكرم، وهو أن يسهل على النفس إنفاق الكثير فيما نفعه عامٌّ على وجه يقتضيه المصلحة.

---

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٦٧.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٣) الصحاح ٦: ٢٣٧٣ ـ سخا.

ومنها: الإيثار، وهو أن يسهل عليها صرف ما يحتاج إليه في الفقراء والمساكين.

ومنها: المواساة، وهي أن يسهل عليها تشريك المستحقّين في ماله وأسبابه.

ومنها: المسامحة، وهي أن يسهل عليها ترك ما لا يجب عليها تركه.

ومنها: العفو، وهو أن يسهل عليها ترك المجازاة بالظلم مع القدرة.

ومنها: المروّة، وهي أن يكون لها رغبة صادقة إلى التحلّي بحلية البذل وإعطاء ما ينبغي.

ومنها: النيل، وهو أن يكون لها ابتهاج بمداومة الأفعال الحسنة والخصال المرضيّة.

ومنها: الصداقة، وهي أن يكون لها اهتمام على تحصيل أسباب صديقه بقدر الإمكان.

ومنها: الأُلفة، وهي أن يكون لها اعتناء بتدبير معاش الخلطاء.

ومنها: الوفاء، وهو أن تلتزم طريق المواساة والمعاونة.

ومنها: الشفقة، وهي أن يكون لها همّة صادقة على إزالة المكروهات عن الغير.

ومنها: المكافات، وهي أن تقابل الإحسان بمثله أو زائد عليه.

ومنها: حسن الشركة، وهو أن تراعي الاعتدال في المعاملات.

ومنها: التودّد، وهو إظهار المحبّة للأقران وأهل الفضل وتلقّيهم بطلاقة الوجه وحسن البشر.

ومنها: صلة الرحم، وهي أن تراعي حقوق الأقرباء وتشاركهم في الخيرات الدنيويّة والأُخرويّة.

ومنها: التوكّل، وهو تفويض الأمر إلى الله سبحانه.

ومنها: الصبر، وهو أن لا تجزع من فوات المال وغيره.

ومنها: القناعة، وهي أن لا تحرص على جمع ما لا يحتاج إليه.

ومنها: الوقار، وهو أن تكون ساكنة في تحصيل المطالب غير مضطربة.

ومنها: الورع، وهو أن تجتنب عن الأفعال القبيحة.

ومنها: الحريّة، وهي أن تقتصر على اكتساب المال من الطرق الجميلة، ولذلك كانت السخاوة والجود من صفات الأنبياء والمرسلين والصدّيقين، ومن اقتفى آثارهم من الصالحين الذين آمنوا باللّه وكتبه ورسله ووعده ووعيده في الحشر والنشر والثواب والعقاب، وراعوا بصدق الهمّة أحوال الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمستحقّين، وقصدوا بخلوص النيّة رفع الحوائج عنهم لايريدون منهم جزاء ولا شكوراً، وقد دلّ العقل والنقل على شرافة تلك الفضيلة وعلوّ منزلتها.

أمّا العقل: فإنّ عباد الله عياله، ومن قام لقضاء حوائج عيال أحد من حال حضوره وغيبته، ووطّن نفسه على رعاية حقوقهم، ونظر بعين اللطف والشفقة إليهم، كان عند صاحب العيال مكرَّماً معزَّزاً محبوباً سيّما، إذا كان كريماً قادراً على جميع أنحاء الإكرام، والله سبحانه لم يجعل أحداً فقيراً لأجل الهوان ولا غنيّاً لأجل استحقاقه بالفضل والإحسان، بل إنّما فعل ذلك لأجل المصلحة والامتحان؛ فمن نظر إلى الفقراء والمحتاجين بعين الحقارة وخطر بباله أنّهم لا يستحقّون الكرامة من الله سبحانه وإلّا لأعطاهم ورفع حاجتهم، فهو جاهل بالمصالح الإلهيّة، وكافر بالحِكَم الربّانيّة، ويتوجّه إليه الذمّ في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[١].

وأمّا النقل فلقوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾[٢] وقول أبي الحسن عليه السلام: «السخيّ قريب من الله، قريب من الجنّة، قريب من الناس، والسخاء شجرة في الجنّة؛ من تعلّق بِغُصْنٍ من أغصانها دخل الجنّة»[٣] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والروايات الصحيحة وهي أكثر من أن تحصى.

والبخل عدم بذل المال سيّما فضله في وجوه الفقراء والأقرباء من صفات الجاهل، ومبدؤه حبّ الدنيا والرغبة عن الآخرة، وخوف الفقر وسوء الظنّ باللّه وبمواعيده الصادقة، وبُعده عن التوكّل والزهد والشفقة والرأفة[٤] والرحمة والتعطّف، لغلظة طبعه، ورداءة نفسه، وسوء خُلْقه، وشرارة ذاته، فيبعثه ذلك على استمساك المال عن نفسه فضلاً عن غيره، فلذا قال سيّد الوصيّين: «عجبت للبخيل الذي يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إيّاه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء»[٥]،

---

(١) سورة يس ٣٦: ٤٧.

(٢) سورة الإنسان ٧٦: ٨ ـ ١٢.

(٣) الكافي ٤: ٤٠/ح٩.

(٤) في المصدر: (والرقة).

(٥) نهج البلاغة ٤: ٢٩/الحكمة ١٢٦.

وسبب التعجّب أنّه اختار البخل خوفاً من الفقر وضنك العيش يوماً ما، مع أنّه يدخل في الفقر وضنك العيش باعتبار أنّه لا ينفق على نفسه، ولا على عياله، ولا على غيره.

وبالجملة البخل عار في نفسه جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء، وكفاك شاهداً قوله تعالى في قصّة قارون وأمثاله، وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ**﴾[1]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا لم يكن للّه في عبدٍ حاجة ابتلاه بالبخل»[2] وأمثال ذلك من الآيات والروايات أكثر من أن تحصى[3].

«**ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل**» التي بها يقاتل الجهل وجنوده في ملك الأبدان وساحة القلوب، وهذه الخصال من حيث إنّ بها يتحقّق التناضل[4] والتسابق إلى الخيرات تُسمّى خصالاً، ومن حيث عروضها تُسمّى صفاتاً، ومن حيث عدم رسوخها بعد تُسمّى أحوالاً، ومن حيث رسوخها بالتمرّن والتدرّب تسمّى أخلاقاً وملكات، ومن حيث إطاعتها للعقل وعدم خروجها عن حكمه تُسمّى خوادم، ومن حيث كونها محفوظة بحفظ العقل وحراسته عن الآفات تُسمّى رعايا، وما ورد في الأخبار من الأمر بمراعات الراعي لرعيّته يندرج فيه هذا أيضاً، وحينئذٍ حيث إنّها أعوان للعقل في محاربته للجهل تُسمّى أجناداً.

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ٣٨.

(٢) الكافي ٤: ٤٤/ح٢.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٣٧١ ـ ٣٧٤.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (التفاضل)، وفي المصدر: (التناصل).

«**إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان**» أي اختبره بالشدائد والمحن والرياضات والفتن لتحقّق الإيمان له، أو ليتحقّق له الإيمان الكامل، أو صقّله وجلّاه من كدر الأرجاس وطهّره ونقّاه من دنس الأخباث، من محنت البئر محناً إذا أخرجت ترابها وطينها[١].

«**وأمّا سائر ذلك**» المذكور.

«**من موالينا**» جمع الموالي وهو يطلق على المعتِق ـ بالكسر والفتح ـ وعلى ابن العم والعصبة كلّها، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ**﴾[٢]، وعلى الربّ والمالك ومنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ**﴾[٣]، وقوله: «أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها»[٤]، وعلى الناصر والمحبّ ومنه قوله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[٥] والمراد به هو الأخيران.

«**فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود**» وذلك ظاهر فإنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام هم الذين آمنوا باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ففيهم بعض الخصال المذكورة من جنود العقل قطعاً، وبحسب ما وجد منها فيهم يتنوّر قلوبهم ويصفوا أذهانهم ويرتفع درجتهم، وذلك متفاوت في الكمّ والكيف والعدد على تفاوت أنحاء التركيبات الغير المحصورة المتصوّرة فيها، ولذلك لا تجد اثنين منهم متّفقين في خصلة واحدة لا توجد فيها تفاوت، وإنّما

---

(١) شرح أصول الكافي ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٢) سورة مريم ١٩: ٥.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٦٢.

(٤) العمدة لابن البطريق: ١١٣، كتاب الأربعين للماحوزي: ١٥٨.

(٥) سورة محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ١١.

قال: «من موالينا» فإنّ غيرهم قد يخلو من جميع هذه الخصال ويكون قلبه معسكر الجهل وجنوده كلّها، وفي أطرافه وثغوره حرّاس بحيث لا يجد العقل إليه دليلاً، ولا إلى استطلاع حاله سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[1].

وقد يوجد في بعضهم بعض جنود العقل كالسخاء ونحوه، ولكن لا ينفعه لفقده ما هو أعظم منه وأصل للجميع، أعني الإيمان الذي هو موجب للرحمة والدخول في الجنّة فهو دائماً في الدرجة السفلى محشورة مع الشياطين.

«**حتّى يستكمل وينقى من جنود الجهل**» وذلك الاستكمال أمر ممكن؛ لأنّه لمّا بنى دينه على أصل متين وأمر يقين، وحصل له بعض الخصال المرضيّة والأنوار العقليّة أمكن له تكميل ذاته بسائر الخصال النورانيّة والعروج إلى أعلى مدارج الكمال بجذبة من الجذبات الربّانيّة، وتنقيته بهمّة صادقة ونيّة خالصة وقدم ثابتة من جنود العقل وأعوانه، وذلك بأن يكون متيقظاً في جميع الأوقات، ومراعياً لحاله في جميع الحالات، ويختار من الأعمال والعقائد والصفات ما هو في الشرع أحكم وأتقن، وعند العقل أفضل وأحسن، فينظر مثلاً إلى الصلة والسخاء ومنافعهما، وإلى القطيعة والبخل ومضارّهما، ويختار الأوّلين على الآخرين، وهكذا دائماً.

«**فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء**» وحسن أُولئك رفيقا، وإنّما لم يذكر المؤمن الممتحن، إمّا للاقتصار، أو للإشارة إلى أنّ هذا المستكمل هو ذلك المؤمن.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٧.

«**وإنّما يدرك ذلك**» أي الاستكمال بجميع تلك الخصال، أو الكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، والأوّل أولى لفظاً ومعنى.

«**بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده**» وجه الحصر ظاهر؛ لأنّ العمل بالشيء متوقّف على العلم به؛ ولأنّ التمييز بين الحقّ والباطل متوقّف على العلم بكون هذا حقّاً وذلك باطلاً، وإنّما لم يقل: «وبمعرفة الجهل وجنوده» كما قال في الأوّل لأمرين:

أحدهما: إنّه إذا حصلت معرفة العقل وجنوده حصلت معرفة الجهل وجنوده بالمقابلة؛ لأنّ كلّ ما ليس عقلاً وجنوده فهو جهل وجنوده في حالات الإنسان.

وثانيهما: أنّ المقصود الأهمّ هو مجانبة الجهل وجنوده؛ لأنّه الغالب في الأكثر والموافق للنفوس البشريّة.

«**وفّقنا الله وإيّاكم بطاعته ومرضاته**» الرضوان ـ بالضمّ والكسر ـ والرضا والمرضاة بمعنى واحد[1]، وهذا من كلام الصادق عليه السلام دعاء لنفسه، ولمن كان حاضراً عنده من مواليه ولمن غاب عنه، ولمن يوجد إلى يوم القيامة، من باب تغليب الحاضر على الغائب، وفيه تنبيه على أنّه لابدّ لطالب الخير من الالتجاء إليه سبحانه، وطلب التوفيق منه إذ بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم[2].

---

(١) انظر الصحاح ٦: ٢٣٥٧ ـ رضا.

(٢) شرح أصول الكافي ١: ٣٧٥ ـ ٣٧٨.

الحديث الثاني[1]

«في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وأُولوا العزم أيّهم أعلم؟ وفيه مطالب»

ما رواه الشيخ الثقة، عظيم القدر والمنزلة، وجه القمّيّين محمّد بن الحسن الصفّار في الباب الخامس من الجزء الخامس من **بصائر الدرجات**، قال:

«باب في أمير المؤمنين عليه السلام وأُولوا العزم أيّهم أعلم»: حدّثنا محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن عمرو الزيّات، عن عبد الله بن الوليد ـ قال النجاشيّ: ثقة[2]، وليس في هذا السند تأمّل إلّا من حيث محمّد بن إسماعيل؛ لأنّ بني إسماعيل اثني عشر رجلاً وفيهم مجاهيل، ولكنّ الرواية بهذا المضمون كثيرة، وموجودة في كتاب معتبر فلا يضرّ جهالته، فتأمّل ـ.

قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أيّ شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين؟».

---

(١) بصائر الدرجات ١: ٤٤٢/الباب ٥ ـ ح ١.

(٢) رجال النجاشي: ٢٣١/ رقم الترجمة ٦١٣ وقال فيه: عبد الله بن الوليد الوصّافي عربي، ثقة، يكنّى أبا سعيد، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

قلت: يقولون إنّ عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فقال: «أيزعمون أنّ أمير المؤمنين قد علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله؟».

قلت: نعم، ولكن لا يقدّمون على أُولي العزم من الرسل أحداً.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «فخاصمهم بكتاب الله».

قال: قلت: وفي أيّ موضع منه أُخاصمهم؟

قال: «قال الله تعالى لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [1] علمنا أنّه لم يكتب لموسى كلّ شيء، وقال الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [2]، وقال الله تعالى لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [3]، و: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [4]».

«العزم» الجزم والجدّ، أو الصبر [5]، وأُولوا العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله، فإنّ كلّاً منهم أتى بعزم وشريعة ناسخة لشريعة من تقدّمه.

وقيل: هم ستّة بزيادة إسحاق ويعقوب ونقصان عيسى.

وقيل: هم نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر، ويوسف صبر في البئر والسجن، وأيّوب صبر على الضرّ.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٤٥.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٦٣.

(٣) سورة النساء ٤: ٤١.

(٤) سورة النحل ١٥: ٨٩.

(٥) المصباح المنير: ٤٠٨ ـ عزم.

وقيل: سُمّوا أُولي العزم؛ لانّه عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والقائم وسيرته فأجمع عرفهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به.

وروي: لأنّهم بُعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، وجنّها وإنسها، كما ورد[١] في الروايات.

وقال الشيخ أبو علي: أُولوا العزم أُولوا الجدّ والثبات والصبر[٢].

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّه لاخلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفيّة نبيّنا ﷺ على سائر الأنبياء للأخبار المتواترة، وإنّما الخلاف في أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدّهم؛ فذهب جماعة إلى أنّهم أفضل من[٣] باقي الأنبياء ما خلا أُولي العزم، فهم أفضل من الأئمّة عليهم السلام.

وبعضهم إلى مساواتهم[٤].

وبعضهم[٥] إلى التوقّف.

وأكثر المتأخّرين إلى أفضليّة الأئمّة على أُولي العزم وغيرهم.

وعن **جامع الأسرار**[٦]: إنّ الذي اتفق أصحابنا الشيعة عليه[٧] هو أنّ

---

(١) في نسخة بدل من «م» «ت»: (يأتي).

(٢) انظر هذه الأقوال جميعها في مجمع البحرين ٣: ١٧٥ ـ عزم، واللمعة البيضاء: ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٣) (من) أثبتناها من المصدر.

(٤) انظر اللمعة البيضاء: ٢١٢.

(٥) في حاشية «م» «ت»: وهو صاحب غوالي اللئالي ابن أبي جمهور رحمه الله في مسالك الأفهام. (منه رحمه الله)

(٦) في حاشية «م» «ت»: جامع الأسرار للسيّد حيدر العاملي. (منه رحمه الله)

(٧) (عليه) أثبتناها من المصدر.

أمير المؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وأولاده المعصومين كذلك، وهو عند التحقيق ليس إلّا هذا المعنى، يعني مرتبته ومرتبة هؤلاء من حيث الولاية أعظم من مرتبة هؤلاء الأنبياء والرسل من حيث الولاية، ولا شكّ أنّه كذلك وإلّا فمرتبة النبوّة والرسالة أعظم من أن يكون فوقهما مرتبةً، دنياً وآخرةً، ولهذا كان الأوصياء والأولياء دائماً محتاجين إلى الأنبياء والرسل في القوانين الشرعيّة والأحكام الإلٰهيّة، كقول عليّ عليه السلام مثلاً: «تعلّمت من رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، ففتح لي ألف باب، من كلّ باب ألف باب»[1] وغير ذلك من الأخبار.

وإن تحقّقت عرفت أنّ إلحاد الإسماعيليّة[2] ما كان إلّا لإلحادهم في هذا المقام وعدولهم عن هذه المرتبة، وكذلك النصيريّة[3]؛ لأنّ الإسماعيليّة لمّا شاهدوا أنّ الباطن أعظم من الظاهر وتحقّقوا أنّ الباطن له مرتبة الولاية والظاهر مرتبة النبوّة، وعرفوا احتياج الظاهر إلى الباطن من جميع الوجوه، فهموا[4] أنّ الأولياء

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٩ و ١٤١، الفضائل: ١٠٢.

(٢) الإسماعيليّة: قالوا: إنّ الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو: إسماعيل نصّاً عليه باتّفاق من أولاده، إلّا أنّهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلّا أنّه أظهر موته تقيّة من خلفاء بني العبّاس.
ومنهم: من قال: موته صحيح والنصّ لا يرجع قهقية، والفائدة في النصّ بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم... (انظر الملل والنحل ١: ١٦٧).

(٣) في حاشية «م» «ت»: والنصيريّة: في «تعق» إنّهم من الغلاة أصحاب محمّد بن نصير الفهري لعنه الله، كان يقول: الربّ هو عليّ بن محمّد العسكري وهو نبيّ من قبله، واباح المحارم، وأحلّ نكاح الرجال، انتهى. (منه رحمه الله)، (حكاه عن تعليقة الوحيد البهبهاني الملّا علي كني في توضيح المقال في علم الرجال: ٢٢٢).

(٤) في المصدر: (ذهبوا) بدل من: (فهموا).

أعظم من الأنبياء، وأنّ عليّاً أعظم من نبيّنا، حتّى وقعوا فيما وقعوا، نعوذ باللّه منهم[١] ومن تابعيهم.

وأيضاً النصيريّة لمّا شاهدوا منه ـ أي من الإمام عليّ عليه السلام ـ أمراً لا يمكن أن يصدر من نبيّ ولا رسول ولا بشر مطلقاً قالوا بإلٰهيّته وكفروا به، ولو عرفوا أنّ هذه الأفعال من خواصّ الولاية، وأنّ هذه الولاية حاصلة بالوراثة والخلافة من الله ورسوله ما ذهبوا إلى ما ذهبوا، ولا وقعوا فيما وقعوا.

والحقّ في هذا المقام ما قلناه أوّلاً، وهو: أنّ الوليّ لا يكون أعظم من النبيّ والرسول إلّا من حيث الولاية فقط، وإلّا النبوّة والرسالة أعظم من أن ينال أحد مرتبتهما غير النبيّ والرسول، وإن لم يكن حصول مرتبتهما لغيرهما فكيف يمكن التفوّق عليهما[٢]، انتهى.

وادّعى فخر الرازي انعقاد الإجماع على أفضليّة الأنبياء على غيرهم[٣].

وقال صاحب **بحرالمعارف** رحمه الله[٤]: إنّ ما تفوّه به صاحب جامع الأسرار خلاف صريح الأخبار المتقدّمة والآتية المتواترة، والذي يعتقده العبد الضعيف في هذه المسألة ـ ويرجو الزلفى عند الباري تعالى وأن يثبّتني الله تعالى في ذلك إلى يوم البعث والنشور ـ أنّ بعد سيّد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين ليس في دائرة

---

(١) في «م» «ت»: (عنهم وعن تابعيهم)، والمثبت عن نسختي بدل منهما وهو موافق لما في المصدر.

(٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٣٨٧ـ٣٨٨.

(٣) انظر تفسير الرازي ٦: ٢٠٨.

(٤) هو: ملا عبد الصمد الهمداني الحائري الشهيد في سنة ١٢١٦هـ، وذلك عندما قتله الوهابيّون عند أخذهم كربلاء في تلك السنة، وبحر المعارف: كتاب في العرفان والتصوّف، مجلّد كبير طبع مرّة سنة ١٣٩٣هـ في بمبي وأخرى في تبريز (انظر الذريعة ٣: ١١١/٤٧، أعيان الشيعة ٨: ٧).

الإمكان أحدٌ من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين أفضل وأشرف وأعظم وأقرب منزلة عند الله تعالى من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما ينطق بذلك الأخبار المتواترة، مضافاً إلى ما تحقّق من أنّه الوالي الأعظم والقطب الأعلم ـ وسيأتي أيضاً زيادة توضيح لذلك، وتقدّم من كلام محي الدين أيضاً ـ ثمّ بعده عليه السلام أولاده المعصومين سادات الخلق أجمعين.

قال في **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة**، وفي حقّ مصنّفه قال في **البحار**: هذا الكتاب للشيخ شرف الدين النجفي، وقال[1]: ذكر النجاشي ـ بعد توثيقه ـ أنّ له كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام[2].

وقال الشيخ محمّد بن الحسن العاملي: الشيخ شرف الدين كان فاضلاً محدّثاً صالحاً، له كتاب الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة[3].

والحاصل أنّه قال في هذا الكتاب ـ بعد ذكر نبذ من الأخبار في تفضيل الأئمّة الأطهار ـ: فانظر بعين البصر والبصيرة إلى ما فيه من تفضيل محمّد وآله الطاهرين على كافّة الخلق أجمعين من الأوّلين والآخرين ما فيه كفاية للمتدبّر، وتبصرة للمتبصّر، جعلنا الله وإيّاك من المهتدين[4] بولايتهم، الداخلين في

---

(١) أي وقال العلّامة المجلسي في البحار ـ أي واصفاً كتاب تأويل الآيات ـ وأكثره مأخوذ من تفسير الشيخ الجليل محمّد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار ـ كما يظهر من رجال السند فيه ـ الذي وثّقه النجاشي، وهو محمّد بن العبّاس.. صاحب كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) انظر بحار الأنوار ١: ١٣.

(٣) أمل الآمل ٢: ٣٦٧/١٣١.

(٤) في المصدر: (المتمسّكين).

زمرتهم، الناجين في سفينتهم، الفائزين بشفاعتهم وبجاههم عند ربّهم العظيم[١]، انتهى.

قال في **شرح الصحيفة**[٢] عند ترجمته: «يا من خصّ محمّداً وآله بالكرامة»: يستفاد من هذه الكلمات المذكورة في هذا الدعاء أفضليّة النبيّ وأهل بيته على جميع الأنبياء أُولي العزم وغيرهم؛ أمّا النبيّ ﷺ فلا خلاف في أفضليّته مطلقاً، وأمّا مولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين فمن أصحابنا من ساواهم بأُولي العزم، ومنهم من توقّف.

وبالجملة، الخلاف إنّما بينهم وبين أُولي العزم وإلّا فلا خلاف في أفضليّتهم على باقي الأنبياء، وذهب أهل الحديث إلى أفضليّتهم، وهو الحقّ الذي دلّت عليه الأخبار[٣]، وما صحّ من قوله ﷺ: «عليٌّ خير البشر من أبى فقد كفر»[٤] دالّ عليه.

«في أفضليّة الأئمّة عليهم السلام بعضهم على بعض اجمالاً»

وأمّا التفاضل بينهم فقد صحّ الأخبار عنهم عليهم السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) تأويل الآيات ١: ٧٣.

(٢) لم أهتد إلى صاحب شرح هذه الصحيفة.

(٣) من الأخبار هو الحديث الثاني من الأربعين حديث الذي بصدد شرحه المصنّف رحمه الله وهو بين يديك الآن.

(٤) انظر المسترشد: ٢٧١/ح٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٧٢، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين: ١٨٢، الدر النظيم: ٢٧٠، كشف الغمّة ١: ١٥٥، كشف اليقين: ٢٩١، وغيرها الكثير من المصادر.

والحسنين أفضل من باقي الأئمّة[١]، والوجه فيه ظاهر، سيّما بالنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ بسيفه انتظم الدين وهزم المشركين[٢]، ولو لم يكن إلّا ضربة عمرو بن عبد ودّ التي رجّحت عبادة الثقلين إلى يوم القيامة[٣]، لكفى شرفاً وأفضليّة على سائر الخلق سوى ابن عمّه، فإنّه لمّا أثنى على نفسه قال: «أنا عبدٌ من عبيد محمّد صلى الله عليه وآله»[٤] والمراد كما قال الصدوق عليه الرحمة: عبد طاعة لا عبد رقّ وملك[٥].

وأمّا الحسنان فقد نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على إمامتهما مشافهةً[٦]، وكانا يشاهدان الوحي في بيتهم نزل، وخصّهما جدّهما من الفضائل والكرامات ما لم يشاركهما به أحد.

بقي الكلام في التسعة الأطهار، فالوارد في بعض الأخبار: «تسعة أئمّة فهم في الفضل سواء»[٧]، وفي البعض الآخر: «أفضلهم قائمهم»[٨].

---

(١) انظر الكافي ٤: ٥٧٩/ح٣، كامل الزيارات: ٨٩/ح١، علل الشرائع ١: ٥/ح١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٧/ح٢٢، المجازات النبويّة: ٨٦، كتاب سليم بن قيس: ٣٧٥، بحار الأنوار ٤٥: ٢، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ٢٢٣/ح٢٠٤.

(٢) انظر مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٣٢٣/ح٥٣٩، شرح نهج البلاغة ١: ١٤١ وج١٢: ٨٢، مناقب أهل البيت عليهم السلام للشيرواني: ٤٥١، كشف الحق ونهج الصدق: ٢٥١: ففيها: لو لا سيف عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما قام عمود الإسلام.

(٣) انظر كشف اليقين: ٨٣، ينابيع المودّة القربى ١: ٤١٢/ح٥، عوالي اللئالي ٤: ٨٦/ح١٠٢.

(٤) انظر الكافي ١: ٩٠/ضمن ح٥، توحيد الصدوق: ١٧٤/ح٣.

(٥) انظر توحيد الصدوق: ١٧٤/ذيل ح٣.

(٦) كقوله صلى الله عليه وآله المشهور والمتواتر: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

(٧) انظر كمال الدين: ٢٦٩/ح١٢، الهداية الكبرى: ٣٧٥، الصراط المستقيم ٢: ١٢٩.

(٨) انظر دلائل الإمامة: ٤٥٣/ح٣٥، مقتضب الأثر: ٩، الاستنصار للكراجكي: ٩، الصراط المستقيم ٢: ١١٨ و١٢٠.

ولمّا كانت الأخبار ظاهر المعارضة أوّلنا الأخبار السابقة بأن يكون معنى قولهم: «في الفضل سواء» أنّهم تساووا بالأفضليّة على غيرهم وهو لا يستلزم المساواة بينهم، ولعلّ الوجه في أفضليّة القائم أنّه في عصره من الجهاد والتعب في نظام الدين مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه، انتهى.

وقال بعض الأفاضل: قد انعقد الإجماع من الفرقة المحقّة أنّهم عليهم السلام خيرة الله من خلقه أجمعين؛ من الأنبياء والمرسلين والملائكة والجنّ والإنس والحيوانات والنباتات والجمادات والمعادن، لم يخالف في ذلك من هذه الفرقة إلّا أفراداً لا يُعبأ بهم لضعف معرفتهم ودليلهم، وقد دلّ الدليل القطعي والنقلي على بطلان معتقدهم.

أقول: إذا عرفت أقوال العلماء بل ادّعاء الإجماع على كلتا طرفي المسألة، فاعلم أنّ الذي يقوى في النفس ويظهر من حيث الأدلّة هو ما ذهب أكثر المتأخّرين[1] والدليل عليه أُمور:

الأوّل: قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفو؛ آدم فمن دونه»[2].

الثاني: ما رواه المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والجبال: هؤلاء أحبّائي، وأوليائي، وحججي على خلقي، وأئمّة بريّتي، ما خلقت خلقاً هو

---

(١) الظاهر أنّه رحمه الله يقصد به السيّد نعمة الله الجزائري، كما سيتبيّن في المطالب التالية.

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٩، الجواهر السنيّة: ٢٥٢.

أحبّ إليّ منهم، ولمن تولّاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري.

قال: فلمّا أسكن آدم وحوّاء الجنّة نظرا إلى منزلة النبيّ والأئمّة فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة، فقال لهما سبحانه: لولاهما ما خلقتكما»[١].

الثالث: ما روي مستفيضاً من قوله: «إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبرئيل ومحمّداً على الصراط؛ لا يجوز أحد إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإلّا هلك وأنزله الله الدرك الأسفل»[٢].

و«أَحَدَ» نكره في سياق النفي يفيد العموم.

الرابع: ما رواه ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾[٣] قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: «مرحباً بمن خلقه تعالى قبل أبيه آدم بأربعين ألف عام».

فقلت: يا رسول الله، كان الابن قبل الأب؟!

فقال: «نعم، إنّ الله سبحانه خلقني وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم عليه السلام بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء فنورها من نوري ونور عليّ، ثمّ جعلها عن يمين العرش،

---

(١) رواه الصدوق في معاني الأخبار: ١٠٨/ح ١ بتمامه، وعنه في الجواهر السنيّة: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) أورده التبريزي في اللمعة البيضاء: ٢١٣، ورواه كلّ من: ابن المغازلي في مناقبه: ١٩٨/ح٢٥٨، والخوارزمي في مناقبه: ٣١٩/ح ٣٢٤، والطبري في بشارة المصطفى: ١٩٦/ح ١٣، والقندوزي في ينابيع المودّة ١: ٣٣٥/ح ١٤ إلى قوله: معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) سورة الصافّات ٣٧: ١٦٥.

ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكان ذلك في علم الله السابق أنّ الملائكة تتعلّم منّا التسبيح والتكبير والتهليل، وكلّ شيء سبّح الله وهلّله وكبّره كان بتعليمي وتعليم عليّ، وهلّلنا وهلّلت الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ.

وكان في علم الله السابق أن لا يدخل النار محبّ لي ولعليّ، وكذا كان في علمه تعالى أن لا يدخل الجنّة مبغض لي ولعليّ.

ألا وإنّ الله عزّ وجلّ خلق ملائكة بأيديهم أباريق اللجين مملوّة من ماء الجنّة من الفردوس؛ فما أحد من شيعة عليّ إلّا وهو طاهر الوالدين، تقيّ نقيّ، مؤمن باللّه، فإذا أراد أحدهم أن يواقع أهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق الجنّة، فطرح من ذلك الماء في إنائه الذي يشرب فيه، فيشرب هو ذلك الماء فينبت الإيمان في قلبه، كما ينبت الزرع على بيّنة من ربّهم، ومن نبيّهم، ومن وصيّهم عليّ، ومن ابنتي فاطمة الزهراء، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، والأئمّة من ولد الحسين»[1].

ووجه الاستدلال بهذا ظاهر، لأنّ مرتبة الأُستاذ الأولي أعلى درجة من رتبة التلميذ كما يظهر من قوله ﷺ: «وكلّ شيء سبّح بتعليمي وتعليم عليّ».

---

(١) رواه الديلمي في إرشاد القلوب ٢: ٤٠٤ ـ ٤٠٥، وابن سليمان الحلّي في المحتضر: ٢٨٦/ ح ٣٨٠، الأسترآبادي في تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠١/ ح ٢٠ باختلاف يسير، وعنه في بحار الأنوار ٢٤: ٨٨/ ح ٤، والحديث كما في المتن في اللمعة البيضاة: ٢١٤ ـ ٢١٥.

«في أنّ الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً قسّمها بين الأنبياء عليهم السلام»

الخامس: ما استفاض في الأخبار من أنّ علم الأئمّة عليهم السلام أكمل من علوم كلّ الأنبياء، وذلك أنّ من جملته علم الاسم الأعظم وهو ثلاثة وسبعون حرفاً، حرف منها استأثر به الله سبحانه وتعالى، واثنان وسبعون علّمها لرسوله وأمره أن يعلّمها لأهل بيته، وأمّا باقي الأنبياء عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام: «إنّ عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرون حرفاً، وقد جمع كلّ ذلك لمحمّد صلى الله عليه وآله سوىٰ حرف واحد استأثر به الله»[1].

وروى صاحب كتاب **الأربعين**[2]: عن عمّار بن خالد، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان[3] قال: وجد في ذخيرة حواري عيسى عليه السلام في رقّ مكتوب: إنّه لمّا تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصّة السفينة والغلام والجدار، ورجع موسى عليه السلام إلى قومه فسأله أخوه هارون عليه السلام عمّا شاهده من عجائب البحر.

قال موسى عليه السلام: بينما أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق، وأخذ ثانية ورمى

---

(١) رواه الصفّار في بصائر الدرجات: ٢٢٨/ح ٢، والكليني في الكافي ١: ٢٣٠/ح ٢، وعنهما في بحار الأنوار ١٧: ١٣٤/ح ١١.

(٢) صاحب كتاب الأربعين هو: أسعد بن إبراهيم الإربلي الحلّي، من أعلام القرن السابع الهجري، وكتابه «الأربعون حديثاً في الفضائل والمناقب».

(٣) في حاشية «م» «ت»: في كتب الرجال: عبد الملك بن أبي سليمان، واسم أبي سليمان ميسرة الفزاري، مولاهم، تابعي. (منه رحمه الله)، (وانظر رجال الطوسي: ١٦١/٢٣٨).

بهذا نحوالمغرب، فأخذ الثالثة فرمى بها نحو السماء، وأخذ الرابعة فرمى بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة فألقاها في البحر، فبهتُّ أنا والخضر من ذلك وسألته عنه، فقال: لا أعلم.

فبينما نحن كذلك وإذا بصيّاد يصيد في البحر، فنظر إلينا، فقال: مالي أراكما في فكرة من أمر الطائر؟

فقلنا: هو كذلك.

فقال: أنا رجل صيّاد وقد علمت إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان؟!

فقلنا: لا نعلم إلّا ما علّمنا الله عزّ وجلّ.

فقال: هذا الطائر في البحر يُسمّى مسلماً؛ لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم، فإشارته برمي الماء يقول: يأتي في آخر الزمان نبيّ يكون علم أهل السماوات والأرض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر، ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فعند ذلك سكن ما كنّا فيه من المشاجرة، واستقلّ كلّ واحد منّا علمه[1].

وأمّا حوادث العلوم المتجدّدة بحوادث الأيّام في أعصار الأئمّة، فقد روي: أنّ علمها يعرض على روح النبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأئمّة عليهم السلام، ثمّ يعرض على

---

(١) الأربعون حديثاً للإربلي الحلّي: ١١/الحديث الثاني، وعنه في المحتضر: ١٨٠/ح٢١٦، وتأويل الآيات ١: ١٠٤/ح٩، وتفسير كنز الدقائق ٣: ٤٠ـ٤١، وأورده المجلسي في بحار الأنوار ١٣: ٣١٢/ح٥٢ عن رياض الجنان، عن الأربعين، وج٢٦: ١٩٩/ح١٢ عن المحتضر، والبحراني في مدينة المعاجز ٢: ١٣٤/ح٤٥٤ عن السيّد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي الحائري في كتابه تفضيل عليّ عليه السلام على أولي العزم عن الأربعين.

الإمام الحيّ، حتّى [١] لا يكون لآخرهم فضل على أوّلهم بالعلم، ومن كان أعلم فهو أفضل لقوله سبحانه: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [٢] [٣].

السادس: أنّه قد روي في عدّة أخبار أنّه قد اجتمع في عليّ من الصفات ما وجد في غيره متفرّقاً من الأنبياء السابقين.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى سليم بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليٌّ في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الأرض، وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله عليّاً من الفضل جُزءً لو قُسّم على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله من الفهم جزءً لو قُسِّم على أهل الأرض لوسعهم، شبّهت لينه بلين لوط عليه السلام، وخلقه بخلق يحيى عليه السلام، وزهده بزهد أيّوب عليه السلام، وسخاءه بسخاء إبراهيم عليه السلام، وبهجته ببهجة سليمان بن داود عليه السلام، وقوّته بقوّة داود عليه السلام، له اسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة، بشّرني به [٤] ربّي» [٥] الحديث.

السابع: أنّه روي في صفة منبر الوسيلة من النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه منبر يؤتى به في يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش فيرقى النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ يرقى من بعده

---

(١) (حتّى) أثبتناها من المصدر.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٩.

(٣) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٢٣.

(٤) (به) أثبتناها من المصدر.

(٥) أمالي الصدوق: ٥٧/ح٧، وعنه في بحار الأنوار ٣٩: ٣٧/ح٧، وحلية الأبرار ٢: ١١٩/ح٢، ومدينة المعاجز ٢: ٣٥٢/ح٥٩٦، وفي الجميع عن سلمة بن قيس قال:...، وهو تصحيف لسليم، وما في المتن هو الصواب (انظر جامع الرواة ١: ٣٧٢ ـ ٣٧٣). ورواه الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ١١٠ مرسلاً.

أمير المؤمنين عليه السلام فيجلس في مرقاة دونه، ثمّ الحسن عليه السلام في مرقاة دونه إلى آخرهم عليهم السلام، ثمّ يؤتى بإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء عليهم السلام فيجلس كلّ واحد على مرقاة دون المراقي[1].

وفي هذا أيضاً دلالة على ترتيب الفضل والشرف.

الثامن: ما رواه أبو حمزة الثمالي قال: دخل[2] عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له: يابن الحسين، أنت الذي تقول: «إنّ يونس بن متّى إنّما لقي من الحوت ما لقي؛ لأنّه عرض عليه ولاية جدّي فتوقّف عندها؟».

فقال: «بلى، ثكلتك أُمّك».

قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين.

فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعيني بعصابة ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ بحر تضطرب[3] أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيّدي، دمي في رقتبك، الله الله في نفسي.

فقال: «هيه وأريه إن كنت من الصادقين»[4] ثمّ قال: «يا أيّتها الحوت» قال: فاطّلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله، فقال: «مَن أنت؟».

فقال: أنا حوت يونس يا سيّدي.

قال: «أنبئنا بالخبر».

---

(١) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٢٤.

(٢) (دخل) أثبتناها من المصدر.

(٣) في المصدر: (تضرب).

(٤) (فقال: هيه وأريه إن كنت من الصادقين) أثبتناها من المصدر.

قال: يا سيّدي[١] إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أن صار جدّك محمّد ﷺ إلّا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت؛ فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص، ومن توقّف عنها وتتعتع[٢] في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجبّ، وما لقي أيّوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونساً فأوحى الله إليه أن يا يونس، تولّ أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه، فقال: كيف أتولّى من لم أره ولم أعرفه! وذهب مغاضباً.

فأوحى الله تعالى إليَّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة الراشدين من ولده، فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر.

فقال زين العابدين: «ارجع أيّها الحوت إلى وكرك»، فرجع الحوت واستوى الماء[٣].

التاسع: ما أورده الصدوق رحمه الله نقلاً عن جماعة ثقات، قال: لمّا وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجّاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه، فقال لها: أنت حرّة بنت حليمة، قد قيل عنك أنّك تفضّلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان.

---

(١) (قال: أنبئنا بالخبر، قال: يا سيّدي) أثبتناها من المصدر.

(٢) التعتعة في الكلام: التردد فيه من حصر أو عيّ. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٣: ١١٩١ ـ تعع).

(٣) رواه ابن شهرآشوب في مناقبه ١: ٢٨١، وعنه في مدينة المعاجز ٢: ٢٨/ح ٣٧١، وج ٤: ٢٩٩/ح ٧٥، وبحار الأنوار ١٤: ٤٠١/ح ١٥، وج ٤٦: ٤٠/ذيل ح ٣٣، وج ٦١: ٥٢/ح ٣١.

قالت: لقد كذب الذين قالوا إنّي أُفضّله على هؤلاء خاصّة.

قال: وعلى من غير هؤلاء؟

قالت: أُفضّله على آدم، ونوح، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى بن مريم.

فقال لها: ويلك، أقول لك إنّك تفضّليه على الصحابة، فتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أُولي العزم، فإن لم تأتيني ببيان ما قلت وإلّا ضربت عنقك.

فقالت: ما أنا فضّلته على هؤلاء الأنبياء، بل الله عزّ وجلّ فضّله في القرآن العظيم عليهم في قوله في حقّ آدم: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [١] وقال في حقّ عليّ: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾ [٢].

فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّليه على نوح ولوط؟

قالت: الله فضّله عليهم بقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [٣] وعليّ بن أبي طالب عليه السلام كان ملكته [٤] تحت سدرة المنتهى وزوجته بنت محمّد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء التي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط بسخطها.

فقال الحجّاج: أحسنت يا حرّة، فبِمَ تفضّليه على أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله؟

---

(١) سورة طه ٢٠: ١٢١.

(٢) سورة الإنسان ٧٦: ٢٢.

(٣) سورة التحريم ٦٦: ١٠.

(٤) في حاشية «م» «ت»: ملكته: يقال: ملكّتها بما معك من القرآن، أي زوجتكها. (منه رحمه الله)، (انظر مجمع البحرين ٥: ٢٩٤ ـ ملك).

فقالت: الله ورسوله فضّله بقوله: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (١)، وأمير المؤمنين عليه السلام قال قولاً لم يختلف فيه أحد من المسلمين: «لوكشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد.

قال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّليه على موسى نجيّ الله؟

قالت: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) وعليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتّى أنزل الله تعالى في حقّه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (٣).

قال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّليه على داود؟

فقالت: الله فضّله عليه بقوله: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾ (٤).

قال لها: فأيّ شيء كانت حكومته؟

قالت: في رجلين أحدهما كان له كرم (٥) وللآخر غنم، فَنَفَشَتْ الغنم في الكرم فَرَعَتْه فاحتكما إلى داود، فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود على ما كان عليه، فقال له ولده: يا أبت بل يأخذ من صوفها ولبنها، فقال الله

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٦٠.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢١.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٠٧.

(٤) سورة ص ٣٨: ٢٦.

(٥) في حاشية «م» «ت»: الكرم ـ بالفتح ـ: العنب، أي له مزارع من العنب. (منه رحمه الله)، (انظر الصحاح ٥: ٢٠٢٠ ـ كرم).

عزّ وجلّ: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمانَ ﴾ [١]، وإنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سلوني عمّا فوق السماء واسألوني عمّا تحت الأرض واسألوني قبل أن تفقدوني»، وإنّه دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للحاضرين: «أفضلكم وأعلمكم عليّ».

فقال لها: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّلينه على سليمان؟

فقالت: الله فضّله عليه بقوله: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [٢]، ومولانا قال: «يا دنيا طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك» فعند ذلك أنزل الله عليه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣].

فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّليه على عيسى بن مريم؟

قالت: اللّه فضّله عليه بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [٤] إلى آخر الآية، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا ادّعوا النصيريّة فيه ما ادّعوا لم يعاتبه الله سبحانه وتعالى.

فقال: أحسنت يا حرّة، خرجت في جوابك، ولولا ذلك لما كان ذلك ثمّ أجازها وأعطاها وسرّحها سراحاً حسناً [٥].

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٧٩.

(٢) سورة ص ٣٨: ٣٥.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

(٤) سورة المائدة ٥: ١١٦.

(٥) حكاه عن الصدوق السيّد الجزائري في الأنوار النعمانيّة ١: ٢٥.

ورواه ابن شاذان في الفضائل: ١٣٦ ـ ١٣٨، والروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٣٤ ـ ٢٣٧، وعنهما في بحار الأنوار ٤٦: ١٣٤/ح ٤٥.

أقول: هذا الجواب منها قد ورد في الأخبار ولكن لم يجتمع في خبر، فلذلك نقلناه من كلام حرّة، فقد رويناه في الأخبار عن الأئمّة عليهم السلام.

وفي كتاب **المناقب** مسنداً إلى صعصعة بن صوحان: إنّه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ضرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟

قال عليّ عليه السلام: «تزكية المرء نفسه قبيح، لكن قال الله تعالى لآدم: ﴿ **يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ [1] الآية، وإنّ أكثر الأشياء أباحنيها الله تعالى وتركتها وما قاربتها».

ثمّ قال: أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح؟

فقال عليّ عليه السلام: «إنّ نوحاً دعا على قومه وأنا ما دعوت على ظالمي حقّي، وابن نوح كان كافراً وابناي سيّدا شباب أهل الجنّة».

قال: أنت أفضل أم موسى؟

قال: «إنّ الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿ **فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** ﴾ [2] حتّى قال الله تعالى: ﴿ **لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [3] فأمّا أنا ما خفت حين أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أنّي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم فذهبت بها إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم».

---

(١) سورة البقرة ٢: ٣٥.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٣٣.

(٣) سورة النمل ٢٧: ١٠.

قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم؟

فقال: «عيسى كانت أُمّه في البيت المقدس فلمّا جاء وقت ولادتها سَمِعَتْ قائلاً يقول: أخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأمّا أُمّي فاطمة بنت الأسد لمّا قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشقّ حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: ادخلي، فدخلت في وسط البيت وأنا وُلدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة؛ لا قبلي ولا بعدي»[1].

العاشر: ما رواه الصدوق ﷺ بإسناده إلى عمّار بن ياسر ﷺ قال: لمّا سار عليّ ابن أبي طالب عليه السلام إلى صفّين، وقف بالفرات وقال لأصحابه: «أين المخاض[2]؟» فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين.

فقال لرجل من أصحابه: «امض إلى هذا التلّ وناد: يا جلندا، فأين المخاض؟».

قال: فسار حتّى وصل التلّ ونادى: يا جلندا، فأجابه من تحت الأرض خلق عظيم، قال: فبهت ولم يعلم ماذا يصنع، فأتى إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: جاوبني خلق كثير.

فقال الإمام: «يا قنبر، امض وقل: يا جلندا ابن كركر، أين المخاض؟».

---

(١) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٢٧.

(٢) في حاشية «م» «ت»: ونخوض الرجل برجليه الماء خوضاً أي يدخلهما في الماء ماشياً، يقال: خضت الماء خوضاً، مشيت فيه، ومنه المخاضة ـ بالفتح ـ وهو موضع خوض الماء وما جاز الناس فيها مشاة وركباناً، وجمعها المخاض والمخاوض أيضاً. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٤: ٢٠٤ ـ خوض).

قال: فمضى وقال: يا جلندا ابن كركر، أين المخاض؟ قال: فكلّمه واحد وقال: ويلكم من عرف اسمي واسم أبي عرف أين المخاض، وأنا في هذا المكان وقد بقيت تراباً وقد متُّ مِن ثلاثة آلاف سنة، وقد عرّفكم باسمي واسم أبي وهو لا يعلم أين المخاض؟! فوالله هو أعلم بالمخاض منّي، يا ويلكم! ما أعمى قلوبكم وأضعف يقينكم، امضوا إليه واتّبعوه فأين خاض فخوضوا معه، فإنّه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

أقول: وجه الاستدلال من هذا الخبر: إنّ أخصّ أوصاف عيسى عليه السلام ومعجزاته هو إحياء الموتى، وهنا قد أحيى الله الأموات لرسول عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأين هذا من ذاك.

الحادي عشر: ما رواه صاحب كتاب **القدسيّات** وهو من أعظم محقّقي الجمهور، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ: «يا عليّ، إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد، بعثت عليّاً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً».

ثمّ قال صاحب ذلك الكتاب: وصرّح بهذا المعنى في قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» ليعلموا أنّ باب النبوّة قد ضمّ، وباب الولاية قد فتح، وإشارة بعث عليّ عليه السلام مع الأنبياء باطناً إلى سرّ الولاية الذي ظهرت بعد محمّد صلى الله عليه وآله ليكون علماء أُمّته الذين هم الأولياء وأعين الناس في سواديّة دائرة الولاية وبياضيّتها إلى الحقّ[2].

---

(١) حكاه عن الصدوق السيّد الجزائري في الأنوار النعمانيّة ١: ٢٩.

ورواه ابن شاذان في الفضائل: ١٤٠، والروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٣٦ ـ ١٣٧، وعنهما في بحار الأنوار ٣٣: ٤٥/ح٣٨٨.

(٢) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٣٠.

أقول: هذا الذي رواه في بعثة عليّ عليه السلام باطناً قد روي مضمونه في أخبار أهل البيت عن عليّ عليه السلام وهو إشارة إلى سرّ إلهيّ في الغاية القصوى من التحقيق وهو أنّه قد روي عنه أنّه قال ـ في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدّمه من الأنبياء مع أنّهم حازوا غاية الإعجاز ـ: وأمّا إبراهيم عليه السلام فقد نجّاه الله سبحانه من نار نمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً، ونوح قد نجّاه الله من الغرق، وموسى من فرعون وآتاه التوراة وعلّمه إيّاها، وعيسى أعطاه النبوّة في المهد وأنطقه بالحكمة والنبوّة، وسليمان الذي سخّر له الرياح والجنّ والإنس وجميع المخلوقات.

فقال عليه السلام: «والله كنت مع إبراهيم في النار وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلّمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلّمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجُبّ فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الرياح»[1].

وفي الروايات الخاصّة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يوماً جالساً معه رجل من الجنّ يسأله عن أشياء من أحكام الدين، فدخل عليّ عليه السلام فتصاغر ذلك الجنّيّ خوفاً حتّى صار مثل العصفور، فقال: يا رسول الله، أجرني من ذلك الشابّ.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لِمَ تخافه؟».

فقال: لأنّي تمرّدت على سليمان بن داود وسلكت البحار فأرسل إليّ جماعة من الجنّ والشياطين فلم يقدروا عليَّ، وأتاني هذا الشابّ وبيده حربة فضربني بها على كتفي وإلى الآن أثر جراحته.

---

(١) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٣١.

فقال له النبيّ: «أُدن من عليّ حتّى تطيب جراحتك وتؤمن به وتكون من شيعته»، ففعل[١].

وخطبة البيان[٢] المنقولة منه تبيّن هذا كلّه، وهي الأسرار التي لا يعرف معناها إلّا العلماء الراسخون.

الثاني عشر: ما استفاض من الروايات من أنّ إبراهيم عليه السلام طلب في مدّة عمره من الله سبحانه تعالى مرّة واحدة تطلّعه على الملكوت ليشاهده عياناً، فقال: يا ربّ أرني ملكوت السماوات والأرض، فرفع الحجاب عن وجهه حتّى نظر بهذه العين الباصرة إلى ما خلق الله في الأرض والسماء، وأمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقد كانت له هذه الحالة طول عمره، كما أنّه يخطب على المنبر، فقال: «أيّها الناس، اسألوني قبل أن تفقدوني، اسألوني عن طرق السماوات فإنّي أعرف بها منّي بطرق الأرض».

فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين، أين جبرئيل في هذا الوقت؟

فقال عليه السلام: «أنظر» فنظر إلى فوق، وإلى الأرض ويمينه ويساره فقال: «أنت جبرئيل» فطار من بين القوم وشقّ سقف المسجد بجناحه فكبّر الناس، وقالوا: الله أكبر، يا أمير المؤمنين، مِن أين علمت أنّ هذا جبرئيل؟

فقال: «إنّي لمّا نظرت إلى الأرض خرق بصري طبقات الأرض إلى الثرى،

---

(١) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٣١.

(٢) انظر الخطبة في ينابيع المودّة لذوي القربى ٣: ٢٠٥ ـ ٢٠٩، ونقلها الحائري في إلزام الناصب ٢: ١٥٧ ـ ١٨٤ برواية أنّه عليه السلام قالها في البصرة، وأخرى أيضاً في البصرة في ص ١٨٤ ـ ٢٠١ من نفس الجزء، وبرواية أخرى في الكوفة في ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩ من الجزء الثاني أيضاً.

ولمّا نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق الله ولم أر جبرئيل في هذه المخلوقات، فعلمت أنّه هو»[١].

وروى الشيخ الطوسيّ قدّس الله روحه بإسناده إلى ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً، وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليَّ ونظرت إليه».

قال: ثمّ بكى رسول الله ﷺ، فقلت له: ما يبكيك فداك أبي وأُمّي؟

فقال: «يابن عبّاس، إنّ أوّل ما كلّمني ربّي أن قال: يا محمّد، انظر إلى تحتك، فنظرت الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى عليّ عليه السلام وهو رافع رأسه إليّ، فكلّمني وكلّمته، وكلّمني ربّي عزّ وجلّ».

فقلت: يا رسول الله، بمَ كلّمك ربّك[٢]؟

قال: «قال لي: يا محمّد، إنّي جعلت عليّاً وصيّك وزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه، فها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تُسلّم عليه ففعلت، فردّ عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلّا هنّئوني وقالوا: يا محمّد، والذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لقد دخل السرور على جميع الملائكة

---

(١) الأنوار النعمانيّة ١: ٣٢، وانظر الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ٩٨، وعنه في بحار الأنوار ٣٩: ١٠٨/ح١٣، ومدينة المعاجز ١: ١١٢/ح٦٤.

(٢) (ربّك) أثبتناها من المصدر.

باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نكّسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل، لِمَ نكّس حملة العرش رؤوسهم إلى الأرض؟

فقال: يا محمّد، ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة، فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فنظروا إليه، فلمّا هبطتُ جعلت أُخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطأً إلّا وقد كشف لعليّ عنه حتّى نظر إليه»[1].

أقول: هذا الحديث يُدلّك على أنّ عليّاً عليه السلام عرج إلى ملكوت السماوات والأرض وهو جالس في بيته، وهذه الحالة قد كانت للأئمّة أعني مشاهدة الملكوت، وبها فُضِّلوا سائر الأنبياء.

وروى صاحب **مشارق الأنوار** بإسناده إلى مفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام كيف يعلم ما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخىً عليه ستره؟!

فقال[2]: «يا مفضّل، إنّ الله جعل فيه أرواحاً: روح الحياة وبها دبّ ودرج، وروح القوّة وبها نهض، وروح الشهوة وبها يأكل ويشرب، وروح الإيمان وبها

---

(١) أمالي الطوسي: ١٠٤/ المجلس الرابع ـ ح١٥، وعنه في بشارة المصطفى: ٧٧/ ح٩، وتأويل الآيات ١: ٢٧٦/ ح٦، ومدينة المعاجز ٢: ٦/ ح٣٥٣، والأنوار النعمانيّة ١: ٣٢، وبحار الأنوار ١٦: ٣١٧/ ح٧، وج١٨: ٣٧٠/ ح٧٧، وفي ج٣٨: ١٥٧/ ح١٣٣ عنه وعن الفضائل، وفي ج٣٩: ١٥٩/ ح٣ عن الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ٥ ـ ٦، وأورده الشامي في الدر النظيم: ١٠٦ ـ ١٠٧ باختلاف يسير.

(٢) في «م» «ت»: (ثمّ قال) والصواب ما أثبتناه من المصادر.

أمر وعدل، وروح القدس وبها حمله النبوّة، فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس إلى الإمام عليه السلام فلا يغفل ولا يلهو، وبها يرى ما في الأقطار، وإنّ الإمام لا يخفى عليه شيء ممّا في الأرض ولا ما في السماء وإنّه ينظر إلى ملكوت السماوات فلا يخفى عليه شيء، ولا همهمة، ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام»[1].

والدلائل والأخبار الدالّة على هذا المطلب كثيرة جدّاً، والذي اطّلعت عليه منها زهاء ألف حديث[2]، ولكن أردنا أن لا يخلو هذا الكتاب من بعض مدائحه الربّانيّة فلذا ذكرنا هذا الطرف القليل، وكفاه شرفاً أن رقاه كتف رسول الله عند كسر الأصنام، وما أحسن ما قيل فيه شعراً:

قيل لي: قل لعليّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصدة
قلت لا أقدم في مدح امرء ... حار ذو اللُبّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسّ القلب أن قد برده
وعليٌّ واضع أقدامه ... بمحلّ وضع الله يده[3]

---

(١) عنه في الأنوار النعمانيّة ١: ٣٤، ورواه الصفّار في بصائر الدرجات: ٤٧٤/ح١٣، والكليني في الكافي ١: ٢٧٢/ح٣، والحسن بن سليمان في مختصر بصائر الدرجات: ٢، بإسنادهم إلى المفضل بن عمر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: والمطّلع على زهاء ألف حديث هو السيّد نعمة الله الجزائريّ رحمه الله. (منه رحمه الله) هذا وانظر هذه الأمور الاثني عشر في الأنوار النعمانيّة ١: ٢١ ـ ٣٤، وعنه في اللمعة البيضاء: ٢١٢ ـ ٢٢٥.

(٣) انظر الشعر في إرشاد القلوب ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وقد نسب القندوزي الشعر في ينابيع المودّة ١: ٤٢٣ إلى الشافعي.

وليس المطلب إظهار مدائحه عليه السلام، فإنّا نبجّله ونعظّمه عن مدحنا؛ لأنّ من مدحه الله سبحانه وتعالى في محكم آياته ومتشابهاتها، ومدحه أنبياؤه المرسلون وملائكته المقرّبون لا يليق بنا أن نذكر شيئاً من مناقبه على طريق المدح، وإنّما المقصود من هذا تحصيل المثوبات الأُخرويّة، بأن ننتسب بهذا وأمثاله إلى الانسلاك في سلك عبيدهم ومحبّيهم.

«في أوصاف الإمام عليه السلام»

وروى الصدوق في **الفقيه**: عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: «للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأعبد الناس، وأسخى الناس، ويلد[1] مختوناً، ويكون مطهَّراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع على الأرض من بطن أُمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ويكون محدّثاً، ويستوي عليه درع رسول الله، ولا يُرى له بول ولا غائط؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما خرج منه، ويكون رائحته[2] أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأُمّهاتهم، ويكون أشدّ الناس تواضعاً للّه جلّ ذكره، ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكفّ الناس عمّا ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى أنّه لودعا على صخرة لانشقّت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) في المصدر: (ويولد) وفي المعاني والعيون كالمثبت.

(٢) في المصدر: (لرائحته) وفي المعاني والعيون كالمثبت.

وسيفه ذوالفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه وُلد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر؛ إهاب ماعز وإهاب كبش، فيها جميع العلوم حتّى الخدش وحتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام»[1].

روى الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره؛ فمن ذكر فضيلة من فضائله عليه السلام مُقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلّا بولايته والبراءة من أعدائه»[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٨/ح ٥٩١٤، وهو في معاني الأخبار: ١٠٢/ح ٤، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٢/ح ١، والخصال: ٥٢٧/أبواب الثلاثين في فوق ـ ح ١.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠١/المجلس الثامن والعشرون ـ ح ١٠، ورواه ابن شاذان القمي في مائة منقبة: ١٧٦ ـ ١٧٧ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، وعن ابن شاذان في مناقب الخوارزمي: ٣٢/ح ٢، وعنه في كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١: ١٠٩، والمحتضر لابن سليمان الحلّي: ١٧٦/ح ٢٠٧، وأورده الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ١١٤، مرسلاً.

وهو الذي يحدو المؤلّفين على ذكر ما ذكروه من مناقبه عليه السلام، وقد قيل: إنّ معاوية سأل رجلاً من الشيعة فقال: كم لابن أبي طالب من المناقب؟

فقال: كيف أقول فيمن كَتَمَ شيعته مدائحه خوفاً منك، وكتم أعداؤه مناقبه حسداً منهم، وقد ظهر ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين[١][٢].

وما أحسن قول الشاعر:

أُولي النُّهى عجزت عن وصف حيدرة
والعارفون بمعنى ذاته تاهوا
إن أدعه بشراً فالعقل يمنعني
وأتّقي الله في قولي هو اللهُ[٣]

وكذا قول بعضهم:

هو النبأ العظيم وفُلك[٤] نوح وباب الله وانقطع الخطاب[٥]

وما أقول فيمن تنوبه الملائكة في الحروب، روى العامّة والخاصّة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غزا غزوة، فلمّا رجع إلى المدينة فكان عليّ عليه السلام هو قد تخلّف عند أهله، فقسّم المغنم فدفع إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام سهمين، فقال الناس:

---

(١) الخافقين: المغرب والمشرق (النهاية في غريب الحديث ٢: ٥٦ ـ خفق).

(٢) انظر مشارق أنوار اليقين: ١٧١، والقول فيه للشافعي محمّد بن إدريس، وفي الرواشح السماويّة: ٢٨٨ ـ ٢٨٩، وروضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ١٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦ القول فيهما نسب للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٣) انظر الشعر في شجرة طوبى ١: ١٥٣ وقد نسب الشعر فيه للبرسي.

(٤) الفُلك ـ بالضم ـ: السفينة، واحد وجمع، يذكر ويؤنث (الصحاح ٤: ١٦٠٤، فلك).

(٥) انظر مناقب بن شهرآشوب ٢: ٧٧، والشعر فيه نسبه للسوسي، وفي الصراط المستقيم ١: ٢٥٩ و ٣١٠ وج ٢: ١٠١ نسب الشعر فيه لعمرو بن العاص.

يا رسول الله، دفعت إلى عليّ بن أبي طالب سهمين [١] وهو بالمدينة متخلّف.

فقال: «معاشر الناس، ناشدتكم باللّه ورسوله ألم تروا إلى الفارس الذي حمل على المشركين من يمين العسكر فهزمهم، ثمّ رجع إليّ فقال: يا محمّد [٢] إنّ لي معك سهماً، فقد جعلته لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو جبرئيل عليه السلام.

معاشر الناس، ناشدتكم باللّه ورسوله، هل رأيتم الفارس الذي حمل على المشركين من يسار العسكر فهزمهم [٣]، ثمّ رجع فكلّمني، فقال لي: يا محمّد، إنّ لي معك سهماً، وقد جعلته لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فهو ميكائيل عليه السلام؛ فوالله ما جعلت لعليّ إلّا سهم جبرئيل وميكائيل عليهما السلام» فكبّر الناس بأجمعهم [٤] [٥].

وروي عن الرضا عليه السلام «إنّ عليّاً عليه السلام قال: يا رسول الله، أنت أفضل أم جبرئيل عليه السلام؟

فقال: يا عليّ، إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي [٦] لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك عليهم السلام» [٧].

---

(١) من قوله: (فقال الناس) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) ياء النداء والاسم المبارك: (يا محمّد) أثبتناه من المصادر.

(٣) (فهزمهم) أثبتناها من المصادر.

(٤) (فكبّر الناس بأجمعهم) أثبتناها من المصادر.

(٥) أمالي الصدوق: ٤٤٧/المجلس الثامن والخمسون ـ ح٩، علل الشرائع ١: ١٧٢/ح١ و٢ بسندين عن فرات بن إبراهيم، روضة الواعظين: ١١٨ ـ ١١٩، مناقب بن شهرآشوب ٢: ٧٨ وفي الجميع عن أبي هريرة... الحديث.

(٦) (بعدي) أثبتناها من المصادر.

(٧) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ٥/ضمن ح١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٧/ضمن ح٢٢، وكمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٤/ضمن ح٤.

هذا ما ذكره العلماء رضوان الله عليهم في هذه المسألة، ويمكن أن يستدلّ عليها بأدلّة أُخر أيضاً:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[١] فأخبر أنّ إبراهيم عليه السلام الذي هو أفاضل أُولي العزم من شيعة عليّ بنصّ الأخبار الكثيرة[٢]، وقد دلّت أحاديثهم: إنّ شيعتهم خُلِقوا من شعاع نورهم[٣].

الثاني: ما رواه في **بصائر الدرجات** في باب ما خصّ الله به الأئمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين وولاية الملائكة، والأخبار فيه مستفيضة، ونحن نكتفي بذكر واحد منها، قال رحمه الله[٤]: حدّثنا محمّد بن الحسين، عن إبراهيم ابن أبي البلاد، عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ أمركم هذا عُرِض على الملائكة فلم يقرّ به إلّا المقرّبون، وعرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلّا الممتحنون»[٥].

وقال في باب ما خصّ الله به الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام من ولاية أُولي العزم لهم في الميثاق وغيره: حدّثني أبو جعفر أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن مفضّل ابن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[٦]، قال: «عهد إليه في

---

(١) سورة الصافّات ٣٧: ٨٣.

(٢) انظر تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٩/ح ١٥٥، تفسير القمي ٢: ٢٢٣، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٨: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٥ ـ ٤٩٧/ح ٨ ـ ١٠.

(٣) انظر مشارق أنوار اليقين: ٦٢، اللمعة البيضاء: ٢٨ و١٠٣.

(٤) في حاشية «م» «ت»: أي صاحب كتاب بصائر الدرجات. (منه رحمه الله)

(٥) بصائر الدرجات: ٨٧/ح ٥.

(٦) سورة طه ٢٠: ١١٥.

محمّد والأئمّة من بعده، فترك ولم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا، وإنّما سُمّي أُولوا العزم أُولوا العزم؛ لأنّه عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به»(١).

وفي **البصائر**: عن أبي سعيد الخدريّ ـ بحذف السند ـ قال: رأيت رسول الله وسمعته يقول: «يا عليّ، ما بعث الله نبيّاً إلاّ وقد دعاه إلى ولايتك؛ إمّا طائعاً أو كارهاً»(٢).

الثالث: ما رواه في الكتاب المزبور قال ﷺ في باب آخر في ولاية الأئمّة عليهم السلام: حدّثنا عبد الله بن عامر، عن ابن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما تنبّئ نبيٌّ قطّ إلّا بمعرفة حقّنا وبفضلنا عمّن(٣) سوانا»(٤).

وفي رواية أُخرى عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بها»(٥).

وقد ذكر ﷺ في كلّ باب روايات كثيرة ونحن اكتفينا بذكر واحدة من كلّ باب مخافة الإطناب.

وقال السيّد هاشم ﷺ المعروف بالعلّامة في **غاية المرام**: الباب الرابع

---

(١) بصائر الدرجات: ٩٠/ح١، ورواه الكليني في الكافي ١: ٤١٦/ح٢٢، والصدوق في علل الشرائع ١: ١٢٢/ح١.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٢/ح٢، ورواه الشيخ المفيد في الاختصاص: ٣٤٣.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (على).

(٤) بصائر الدرجات: ٩٤/ح٣، ورواه الحسن بن سليمان في المحتضر: ٢٧١/ح٣٥٧.

(٥) بصائر الدرجات: ٩٥/ح٦.

والأربعون في أنّ ولاية رسول الله ﷺ وولاية أمير المؤمنين عليه السلام بعث الله جلّ جلاله عليها النبيّين عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا ﴾ الآية[١] من طريق العامّة وفيه ثلاثة أحاديث[٢].

ومن طريق الخاصّة مع زيادة ولاية الأئمّة عليهم السلام وفيه ستّة أحاديث[٣].

الرابع: الأخبار الدالّة على أنّ لولا الخمسة الأشباح: محمّد رسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، لما خلق الله جلّ جلاله آدم، ولا الجنّة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، وهم الخمسة الأشباح[٤] وأنّ رسول الله ﷺ وعليّاً أمير المؤمنين خُلقا من نور واحد، وخلق ملائكة من نور وجه عليّ عليه السلام، وهي على ما رواه السيّد هاشم رحمه الله في **غاية المرام**: تسعة عشر حديثاً من طريق العامّة[٥].

ومن طريق الخاصّة: أربعة عشر حديثاً بهذا المضمون: لولا محمّد رسول الله ﷺ وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة الأحد عشر من ولده عليهم السلام ما خلق الله تعالى الخلق وهم من نور واحد، وهم الأشباح[٦].

الخامس: روى الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب **الاختصاص** يرفعه إلى عليّ بن

---

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٤٥.

(٢) غاية المرام ٣: ٥٥ ـ ٥٦/الباب الرابع والأربعون.

(٣) غاية المرام ٣: ٥٧ ـ ٥٨/الباب الخامس والأربعون.

(٤) (وهم الخمسة الأشباح) أثبتناها من المصدر.

(٥) غاية المرام ١: ٢٥ ـ ٣٣/الباب الأوّل.

(٦) غاية المرام ١: ٣٤ ـ ٤٩/الباب الثاني.

سويد السائي[١]، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله، ولا خلق خلقاً بعد محمّد أفضل من عليّ عليه السلام»[٢].

السادس: روى الشيخ في **أماليه** قال: أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن النعمان، قال: حدّثنا أبوبكر محمّد بن عمر الجعابي، قال: حدّثني جعفر بن محمّد بن سليمان بن الفضل، قال: حدّثنا داوود بن رشد، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق الثعلبي الموصلي أبو نوفل قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «نحن خيرة الله من خلقه، وشيعتنا خيرة الله من أُمّة نبيّه»[٣].

السابع: فقرات الزيارة الجامعة المعروفة وهي كثيرة، منها: «فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين».

قال الشارح ـ أعني أوجب فلك الرفعة والجلال، وقطب دائرة الفضل والكمال، محمّد المدعوّ بالتقي المجلسيّ والد المجلسيّ المشهور المعبّر عنه بأوّل المجلسيّين كما يعبّر عن ابنه المزبور بثانيهما ـ: «أشرف محلّ المكرّمين» وأفضل مراتبهم «وأعلى منازل المقرّبين» من المرسلين «وأرفع درجات المرسلين» وهي درجات نبيّنا صلى الله عليه وآله فيلزم منه أفضليّتهم على الأنبياء كما ذكره العلّامة النيشابوريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾[٤] بأنّه لا تزال

---

(١) عليّ بن سويد السائي، ينسب إلى قرية من المدينة يقال لها: السماية، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام وقيل: إنّه روى عن أبي عبد الله عليه السلام (انظر رجال النجاشي: ٢٧٦/ رقم الترجمة ٧٢٤).

(٢) الاختصاص: ١٨.

(٣) أمالي الطوسي: ٧٨/ح ٢٢، عن أمالي المفيد: ٣٠٨/ح ١.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٦١.

الشيعة قديماً وحديثاً يستدلّون بهذه الآية على أفضليّة عليّ عليه السلام على جميع الأنبياء بأنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أفضل منهم[١].

وقال: ويؤيّده ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في عبادته، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في زهده، وإلى يحيى في ورعه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٢] فإنّه فيه سبع خصلة من خصال الأنبياء بأنّ كلّ واحد منهم امتاز عن سائرهم بخصلة واحدة بهذه الخصال، فمن اجتمع فيه جميعها فهو أفضل، والأخبار عندنا متواترة بذلك في جميع الأئمّة عليهم السلام[٣].

أقول: قوله: وقال ويؤيّده إلى آخره من كلام الشيخ محمود بن الحسن الحمّصيّ[٤]، وكان من متكلّمي الاثنا عشريّة رحمة الله عليه، وليس من كلام النيشابوري كما يظهر من كلام الشارح رحمه الله، فكيف يمكن أن يكون من كلامه وقد قال بعد نقل استدلال الشيخ المذكور:

وأُجيب بأنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً أفضل من سائر الأنبياء فكذا انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان[٥] على أنّ النبيّ

---

(١) (منهم) أثبتناها من المصدر.

(٢) انظر روضة الواعظين: ١٢٨، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٥٧، الصراط المستقيم ١: ٢١٢.

(٣) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٥: ٤٨٥.

(٤) هو الشيخ الإمام سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمّصي الرازي، علامة زمانه في الأصوليين، ورع، ثقة، له تصانيف منها: التعليق الكبير (انظر فهرست منتجب الدين: ٣٨٩/١٠٧).

(٥) في حاشية «م» «ت»: يعني الشيخ محمود المزبور. (منه رحمه الله)

أفضل ممّن ليس بنبيّ، وأجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام ما كان نبيّاً فعلم أنّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص في حقّ محمّد صلى الله عليه وآله فكذا في حقّ سائر الأنبياء.

وأمّا فضل أصحاب الكساء فلا شكّ في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمّهم إلى نفسه بل قدّمهم في الذكر[1]، انتهى.

أقول: انعقاد الإجماع على كون النبيّ[2] أفضل ممّن ليس بنبيّ مطلقاً، ممنوع كيف وأكثر علماء الإماميّة بل كلّهم قائلون: بأنّ أئمّتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء سوى نبيّنا صلى الله عليه وآله، ولو سُلِّمَ فلا نسلّم حجّيّة مثل هذا الإجماع الذي لم يتحقّق دخول المعصوم فيه، كيف وأخبار أئمّتنا عليهم السلام مستفيضة بخلافه، ولَنِعْم ما فعل حيث أعرض عن الجواب في حقّ الصحابة إذ لم يجد عنه محيصاً؛ كذا قال المجلسيّ عليه الرحمة[3].

«في عدم إمكان الوصول إلى مرتبة الإمامة بالسعي والاجتهاد»

وقال الشارح رحمه الله في شرح قوله عليه السلام: «حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع»: «حيث لا يلحقه لاحق» ممّن هو دونكم، «ولا يفوقه فائق» منهم على الأنبياء كأُولي العزم وإن فاقوا على غيرهم لا يفوقون عليكم، والنبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام مستثنيان بالأخبار، «ولا يسبقه

---

(١) أي انتهى كلام العلامة النيشابوري صاحب تفسير مفاتيح الغيب ٢: ٤٧١ ـ ٤٧٢، ونقله الرازي في تفسيره ٨: ٨٦: ٨٧/المسألة الخامسة، وانظر بحار الأنوار ٢١: ٢٨٣.

(٢) المقصود هنا كلّ نبي مرسل من قبل الله تعالى، وليس المقصود بالنبي هنا هو رسول الله محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(٣) انظر بحار الأنوار ٢١: ٢٨٤.

سابق» في فضيلة من الفضائل عليكم، «ولا يطمع في إدراكه طامع»؛ لأنّهم يعلمون أنّها موهبة خاصّة من الله تبارك وتعالى بكم لا يمكن الوصول إليها بالسعي والاجتهاد[١]، انتهى.

أقول: وإنّما ذكرناه من الأدلّة لأجل التيمّن والتبرّك بكلامهم الشريف، وإلّا فقد سمعت كلام السيّد نعمة الله الجزائريّ عليه السلام أنّه قال: الأخبار الدالّة على هذا المطلب كثيرة جدّاً والذي اطلعت عليه منها زُهاء ألف حديث[٢].

وادّعى الشارح رحمه الله تواترها، وقد عرفت دعوى الإجماع على المدّعى، وكيف يشكّ مؤمن بحقّيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في زُهاء ألف حديث رواها الثقات العظام والعلماء الأعلام، وظنّي أنّ من يشكّ في أمثالها فهو شاكّ في أئمّة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملّة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين من استبعاد المتفلسفين وتشكيكات الملحدين، ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[٣] نظير الاستبعادات والتشكيكات الواردة في الرجعة.

ولمّا كانت المسألة بحمد الله بهذه المرتبة من الوضوح، عدّها علمائنا الثقات في اعتقاداتهم من عقائد الإثنا عشريّة.

قال رئيس المحدّثين ـ المعبّر عنه في عبارات الأصحاب بالصدوق، وهو المولود بالدعوة الموصوف في التوقيع بالمقدّس الفقيه ـ في اعتقاداته: ويجب

---

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٥: ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

(٢) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٣٣.

(٣) سورة الصفّ ٦١: ٨.

أن يعتقد أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد والأئمّة وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله، وأكرمهم، وأولّهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى.

وأنّ الله بعث نبيّه محمّداً للأنبياء في الذرّ، وأنّ الله عزّ وجلّ أعطى ما أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته ومعرفة نبيّنا محمّد، وسبقه إلى الإقرار به.

ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته عليهم السلام وأنّه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء والأرض، ولا الجنّة ولا النار، ولا آدم ولا حوّاء، ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق، صلوات الله عليهم أجمعين[1]، انتهى.

وقال شيخنا ومولانا محمّد المدعوّ بباقر الشهير بالمجلسيّ الثاني قدّس روحه القدّوسيّ في رسالته الاعتقاديّة: ثمّ لابدّ أن تعتقد في النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة أنّهم أشرف المخلوقات جميعاً، وأنّهم أفضل من جميع الأنبياء وجميع الملائكة[2]، انتهى.

أقول: وكيف لا يكونون كذلك وهم عليهم السلام أعظم حجج الله على خلقه؛ لأنّه تعالى خلقهم وأودع في حقائقهم كلّ محك ممكن من علم وكرم، وحكم وحلم، وجزم وحزم، وفهم وعقل، وعزم وفضل، وفكر وذكر، وبصر وصبر، وزهد وورع، وتقوى وتسلّي، ورضا وشجاعة، وسماحة ونباهة، ونجابة واستقامة، واقتصاد وما أشبه ذلك من صفات كمالات الدين والدنيا، كما مرّ مشروحاً في الحديث الأوّل من هذا الكتاب، وقد قال الصادق عليه السلام في آخر

---

(١) الاعتقادات في دين الإماميّة (اعتقادات الصدوق): ٩٣.

(٢) الاعتقادات للمجلسي: ١٥.

الخبر: «ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان».

وخلق ما سواهم وأمرهم بطاعتهم، وجعلهم الوسيلة إليه في كلّ أمر مطلوب وخير مرغوب، ولا يمكن أحد من الخلق ردّ وساطتهم إذا رجع إلى عقله وفهمه، وإلى ما تعرفه العامّة والخاصّة، ولا بميزان شريعة من الشرايع، ولا بمقتضى طبيعة من الطبائع، بل من قبل منهم علم أنّهم أهل ذلك، وكلّ من لم يقبل منهم يعلم أنّه في ذلك مقصّر تارك الاستقامة ومتجنّب للحقّ؛ لأنّ الله سبحانه عرّف كلّ شيء من خلقه من بني آدم، ومن الجانّ[1] والشياطين والملائكة، وسائر الحيوانات والنباتات والجمادات، والجواهر والأعراض، والذوات والصفات، والأعيان والمعاني وكلّ شيء ظهر عن مشيّة الله مقام آل محمّد صلوات الله عليهم، وشرّفهم وعظم شأنهم، وقرّب منزلتهم عنده، وإنّه ليس له باب غيرهم، ولا سبيل إليه إلّا منهم.

وروي في كتاب **منهج التحقيق**[2] بإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشرة ألف عام، فهي أرواحنا».

فقيل له: يابن رسول الله، عدّهم بأسمائهم، فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الجانّ ـ بتشديد النون ـ: أبو الجنّ، وقيل: مسخ الجنّ. (منه رحمه الله لغة)، (انظر مجمع البحرين ٦: ٢٢٦ ـ جنن)

(٢) كتاب منهج التحقيق إلى سواء الطريق، لبعض علماء الإماميّة نقل عنه الحسن بن سليمان في كتابه المحتضر، هذا وأنّ الكتاب من الكتب المفقودة، والتي لم تصل إلى زماننا الحالي، ولعلّ له نسخة ربّما يعثر عليها في المستقبل.

فقال: «محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذريّة[١] الحسين، وتاسعهم قائمهم».

ثمّ عدّهم بأسمائهم، ثمّ قال: «نحن والله الأوصياء الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، ونحن المثاني التي أعطاها الله نبيّنا، ونحن شجرة النبوّة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه في عباده، وحرم الله الأكبر، وعهده المسؤول عنه؛ فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفره[٢] فقد خفر ذمّة الله وعهده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحُسنى، لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التي تلقّاها[٣] آدم من ربّه فتاب عليه.

إنّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يُدلّ عليه، وخزّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى، والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار[٤]، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، ونبت عُشب الأرض، وبعبادتنا عُبِد الله، ولولانا ما عُرِف الله، وأيم الله لولا وصيّة

---

(١) في المحتضر والبحار: (ولد) بدل من: (ذريّة).

(٢) في حاشية «م» «ت»: فلا يخفرنّ الله في ذمّته: أي فلا ينقضن في عهده وذمامه. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٣: ٢٩١ ـ خفر).

(٣) في «م» «ت»: (تلقّى)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) في «م» «ت»: (الأثمار)، وما أثبتناه من المصدر.

سبقت وعهد أُخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه، أو يذهل منه الأوّلون والآخرون»[١].

ومن طرقهم ما هو أعظم ممّا سمعت، وأكبر ممّا اطّلعت عليه وعلمت؛ فهم حجج الله البالغة كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٢].

«في وجه الجمع بين الروايات المختلفة الدالّة على سبق أهل العصمة بينهم وبين الخلائق»

واعلم أنّ السبق المشار إليه في حقّ أهل العصمة عليهم السلام بينهم وبين الخلائق مختلف في الروايات؛ ففي بعضها أربعون ألف سنة[٣]، وفي بعضها أربعة عشرة ألف سنة كما في هذه الرواية، وفي بعضها ثمانية عشرة ألفاً، وغير ذلك من الاختلافات المتكثّرة[٤]، وهي محمولة على اختلاف المراتب والمقامات.

---

(١) رواه عنه الحسن بن سليمان في المحتضر: ٢٨٨/ح٢٩٩، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٤/ح٧.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٤٩.

(٣) انظر المحتضر: ٢٨٦/ح ٣٨٠، ومشارق أنوار اليقين: ٥٨، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٢٤/ح٤٢.

(٤) انظر الخصال: ٦٣٨/ح١٣، وكفاية الأثر: ٧١، وفيهما: قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف سنة، وفي الخصال: ٦٤٠/ح١٦ فيه: قبل خلق آدم بأربعة آلاف عام، وفي كنز الفوائد: ٨٠، وأمالي الطوسي: ٣٠٥/ح٥٩ وغيرها الكثير ... فيها: قبل خلق آدم بألفي عام، وفي معاني الأخبار: ٣٠٦/ح١: خلق نور محمّد قبل خلق المخلوقات كلّها بأربعمائة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة؛ وفي تفسير فرات: ٥٠٤/ح٢: وفيه: باثني عشر ألف سنة، وفي ص٢٥٢/ح٣ بخمسة عشر ألف عام، وفي تفسير المحيط الأعظم ١: ٥١٠ وفيه: قبل أن يخلق آدم بألفي ألفي عام، وبحار الأنوار ٣٧: ٣٣٩/ح٨١ وفيه: بسبعين ألف عام، وغيرها الكثير.

الحديث الثالث[1]

«في علم الأئمّة عليهم السلام، فيه رواية لطيفة»

ما رواه الشيخ الثقة عظيم القدر والمنزلة في كتاب بصائر الدرجات قال رحمه الله:

باب في علم الأئمّة بما في السماوات والأرض والجنّة والنار وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن يونس بن يعقوب، عن الحسن بن المغيرة، عن عبد الأعلى و[2] عبيدة بن بشير.

قوله: «أحمد بن محمّد» هو أحمد بن محمّد بن عيسى، قال «ق»[3] في أوّل إكمال الدين: كان أحمد بن محمّد بن عيسى في فضله وجلالته يروي عن أبي طالب عبد الله بن الصلت، وبقي حتّى لقيه محمّد بن الحسن الصفّار وروى عنه[4].

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٧/ باب ٦ ـ ح ٢.

(٢) الواو أثبتناها من المصدر.

(٣) في حاشية «م» «ت»: أي الصدوق عليه الرحمة. (منه رحمه الله)

(٤) انظر كمال الدين وتمام النعمة: ٣.

وقال الشيخ ﷺ: ثقة[١]، وإن كان فيه كلام، لكن في قبول مثله في شأن مثل هذا الثقة الجليل تأمّل.

وأمّا عبد الرحمن، فقال «جش»: ثقة ثقة[٢].

وأمّا يونس بن يعقوب: فهو موثّق كصحيح؛ لرجوعه عن الفطحيّة[٣].

والحسن بن المغيرة: مجهول[٤].

وعبد الأعلى: مشترك ما بين ثمانية رجال: واحد منهم ثقة، والآخر حسن، والباقي مجاهيل[٥].

---

(١) رجال الطوسي: ٣٥١/ رقم الترجمة ٣.

(٢) رجال النجاشي: ٢٣٥/ رقم الترجمة ٦٢٢.

(٣) هو: يونس بن يعقوب أبو علي الجلاب البجلي الدهني.. (انظر رجال النجاشي: ٤٤٦/ رقم الترجمة ١٢٠٧، رجال الطوسي: ٣٤٥/ رقم الترجمة ٤، خلاصة الأقوال: ٢٩/ رقم الترجمة ٢، معجم رجال الحديث ٢١: ٢٣٨/ رقم الترجمة ١٣٨٧٤).

(٤) الحسن بن المغيرة من أصحاب الباقر عليه السلام (انظرمعجم رجال الحديث ٦: ١٥١/ رقم الترجمة ٣١٥٧). هذا وأنّ الحسن بن المغيرة، قال عنه المصنّف ﷺ مجهول؛ لأنّه لم يترجم له أي رجاليّ من المتقدّمين فقط السيّد الخوئي وهو من المتأخّرين، ولعلّه تصحيف ما في سند رواية بصائر الدرجات من الحارث بن المغيرة إلى الحسن بن المغيرة، لأنّنا لم نجد بأنّ يونس بن يعقوب بأنّه يروي عن الحسن بن المغيرة بل عن الحارث بن المغيرة (انظر ترجمة الحارث بن المغيرة ويونس بن يعقوب في معجم رجال الحديث ٥: ١٥١/ رقم الترجمة ٢٥٢٢ وج ٢١: ٢٣٨/ رقم الترجمة ١٣٨٧٤).

هذا وأنّ سند الرواية في بحار الأنوار ٢٦: ١١٠/ح٧ وج٨٩: ٨٦/ح ٢١ عن البصائر هو: يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة، وكذلك بأنّ الرواية جاءت بنفس السند عن يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة.. في ص١٤٨/ح٥ من البصائر والكافي ١: ٢٦١/ح٢، وهذا ما يؤيّد التصحيف الذي أشرنا إليه.

(٥) هم: ١ ـ عبد الأعلى بن أعين العجلي، مولاهم الكوفي، حسن لا يطعن عليه، من أصحاب ⇐

وعبيدة بن بشير[١] ليس في كتب الرجال، نعم الموجود فيها عبيدة السلمانيّ من الأولياء.

قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداءً منه: «والله إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنّة وما في النار وماكان وما يكون إلى أن تقوم الساعة»، ثمّ قال: «أعلمه من كتاب أنظر إليه هكذا، ثمّ بسط كفّيه»، ثمّ قال: «إنّ الله يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]».

وفي روايةٍ أُخرى: **ثمّ مكث هُنيئة فرأى أنّ ذلك كَبُرَ على من سمعه، فقال له: «علمت ذلك من كتاب الله، إنّ الله يقول: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾».**

⇐ الإمام الصادق عليه السلام.

٢ ـ عبد الأعلى بن زيد، أبو شاكر العبدي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٣ ـ عبد الأعلى بن علي بن أبي شعبة الحلبي، ثقة.

٤ ـ عبد الأعلى بن كثير البصري، الكوفي، أبو عامر، أسند عنه، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥ ـ عبد الأعلى محمّد البصري، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٦ ـ عبد الأعلى مولى آل سام، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٧ ـ عبد الأعلى بن الوضاح الأزدي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٨ ـ عبد الأعلى بن يزيد الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

(انظر نقد الرجال ٣: ٢٨ ـ ٣٠/ رقم الترجمة ١ ـ ٨، ومعجم رجال الحديث ١٠: ٢٧٦ ـ ٢٧٨/ رقم الترجمة ٦٢٣١ ـ ٦٢٤٠).

(١) هو: عبيدة بن بشير الخثعمي، وجاء في تعليقة عى منهج المقال للبهبهاني: يظهر من روايته حسن عقيدته (انظر جامع الرواة ١: ٥٣٠، تعليقة على منهج المقال: ٢٣٦).

أمّا عبيدة السلماني فهو من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام هكذا جاء في ترجمته في رجال الطوسي وطرائف المقال (انظر رجال الطوسي: ٧١/ رقم الترجمة ١٤، طرائف المقال ٢: ٩٩/ رقم الترجمة ٧٥٨٩).

(٢) سورة النحل ١٦: ٨٩.

واعلم أنّ الأخبار الدالّة على علمهم عليهم السلام كثيرة جدّاً، ولكنّ بعناوين مختلفة؛ ولذا جعل الشيخ الثقة محمّد بن الحسن الصفّار لكلّ عنوان باباً، وذكر في كلّ باب غير واحد من الأخبار الدالّة عليه، ونحن نكتفي بذكر واحد منها أو اثنين بحسب اقتضاء المقام في كلّ باب مخافة الإطناب.

منها: ما مرّ في أوّل الحديث.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم أُعطوا علم ما مضى وما بقي إلى يوم القيامة:

حدّثنا أحمد بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمّار قال: كنّا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: «علينا عين؟» فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.

قال: «وربّ الكعبة ـ ثلاث مرّات ـ لوكنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر أُعطيا علم ما كان ولم يُعطَيا علم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة»[1].

ومنها: باب ما يزداد الأئمّة في ليلة الجمعة من العلم المستفاد:

حدّثنا أحمد بن موسى، عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ، عن يوسف الأبزاريّ[2]، عن المفضّل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم ـ وكان لا يكنّي قبل ذلك ـ: «يا أبا عبد الله».

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٩/ باب ٧ ـ ح ١.

(٢) في حاشية «م» «ت»: الأبزار: كأصحاب أو كغراب: بلدة بنيسابور. (منه رحمه الله)، (انظر القاموس المحيط ١: ٣٧١).

فقلت: لبّيك، جعلت فداك.

قال: «إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً».

قلت: زادك الله، وما ذاك؟

قال: «إنّه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله ﷺ العرش ووافى الأئمّة معه ووافينا معهم، فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا»[١].

ومنها: باب ما لا يحجب عن الأئمّة علم السماء وأخباره وعلم الأرض وغير ذلك:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبد الكريم، عن سماعة بن سعد الخثعميّ إنّه كان مع المفضّل عند أبي عبد الله، فقال له المفضّل: جعلت فداك، يفرض الله طاعة عبد على العباد ثمّ يحجب عنه خبر السماء؟

قال: «لا، اللّه أكرم وأرأف بالعباد من أن يفرض عليه طاعة عبد يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً»[٢].

ومنها[٣]: باب ما لا يحجب عن الأئمّة شيء من أمر وإنّ عندهم جميع ما يحتاج إليه الأمر:

حدّثنا محمّد بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن أبي داود، عن إسماعيل

---

(١) بصائر الدرجات: ١٥٠/ باب ٨ ـ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٤٤/ باب ٥ ـ ح ١.

(٣) (ومنها) أثبتناها من عندنا لوحدة السياق.

ابن فروة، عن محمّد بن عيسى، عن سعد بن أبي الأصبغ قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل عليه الحسين بن السريّ الكرخيّ قال: سألته، فقال أبو عبد الله عليه السلام له شيء، فأجابه في شيء، فقال: «ليس هو كذلك» ـ ثلاثاً ـ ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أترى من جعله الله حجّة على خلقه يخفى عليه شيء من أُمورهم؟»[١].

ومنها: باب ما عند الأئمّة من كتب الأوّلين، كتب الأنبياء: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم:

حدّثنا محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا[٢] محمّد، إنّ الله لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[٣]».

قلت: جعلت فداك، وهي الألواح؟

قال: «نعم»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم ورثوا علم آدم وجميع العلماء:

حدّثنا أبوالقاسم، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمّد ابن الحسن الصفّار، قال: حدّثني يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن ربعي، عن عبد الله بن الجارود، عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٢/ باب ٤ ـ ح ٤.

(٢) (أبا) أثبتناه من المصدر.

(٣) سورة الأعلى ٨٧: ١٩.

(٤) بصائر الدرجات: ١٥٦/ باب ١٠ ـ ح ٥.

أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع، وإنّ العلم يتوارث، وما يموت منّا عالم حتّى يخلفه من أهله من يعلم علمه أو ما شاء الله»[١].

ومنها: باب في الأئمّة أنّهم ورثوا علم أُولي العزم من الرسل وجميع الأنبياء وأنّهم صلوات الله عليهم أُمناء الله في أرضه وعندهم علم المنايا والبلايا وأنساب العرب:

حدّثنا أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن عمرو بن ميمون، عن هارون، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في أرضه، فلمّا قبضه الله كنّا أهل البيت ورثته؛ فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب وفصل الخطاب ومولد الإسلام، قال: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ يا آل محمّد ﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمّد[٢] ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فقد علمنا وبلّغنا ما علمنا، واستودعنا علمه، ونحن ورثة أُولي العزم من الرسل ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ الصلاة و ﴿الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ وكونوا على جماعة ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[٣]»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّه صار إليهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء وأمر العالمين:

حدّثنا محمّد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعاً، عن حنان بن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ للّه علماً عامّاً وعلماً خاصّاً؛ فأمّا الخاص فالذي لم يطّلع

---

(١) بصائر الدرجات: ١٣٤/باب ١ ـ ح ١.

(٢) ياء النداء والاسم المبارك: (يا محمّد) أثبتناه من بحار الأنوار.

(٣) سورة الشورى ٤٢: ١٣.

(٤) بصائر الدرجات: ١٣٩/باب ٣ ـ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ٢٤٩/ح ١٩.

عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وأمّا علمه العام الذي اطّلعت عليه الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين قد رفع ذلك كلّه إلينا».

ثمّ قال: «أما تقرأ: ﴿عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[1]»[2].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم خزّان الله في السماء والأرض على علمه:

حدّثنا أحمد بن الحسين بن سعيد، عن عليّ بن أسباط، عن أبيه أسباط، عن سورة بن كُليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه؛ لا على ذهب ولا على فضّة إلّا على عِلمه»[3].

ومنها: باب في العلماء أنّهم يرثون العلم بعضهم من بعض ولا يذهب العلم من عندهم:

حدّثنا عبد الله بن موسى، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن محمّد بن سالم، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان عليّ عليه السلام عالم هذه الأُمّة، والعلم يتوارث، وليس يهلك هالك منهم حتّى يؤتى من أهله من يعلم مثل علمه»[4].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون ما رأوا في الميثاق وغيره:

حدّثنا أحمد بن محمّد ومحمّد بن الحسين جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول:

---

(١) سورة لقمان ٣١: ٣٤.

(٢) بصائر الدرجات: ١٢٩/ باب ٢١ ـ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ١٢٣/ باب ١٩ ـ ح ١.

(٤) بصائر الدرجات: ١٣٨/ باب ٢ ـ ح ٣.

«إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ والإقرار له بالربوبيّة ولمحمّد ﷺ بالنبوّة، وعرض الله على محمّد أُمّته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عالم وعرضهم عليه، وعرّفهم رسول الله وعرّفهم عليّاً، ونحن نعرفهم في لحن القول»[١].

ومنها: في الأئمّة عليهم السلام وما قال فيهم رسول الله ﷺ بأنّ الله أعطاهم فهمي وعلمي:

حدّثنا محمّد بن عبد الحميد، عن منصور بن يونس، عن سعيد بن ظريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي جنّة عدن منزلي، قضيب[٢] من قضبانه غرسه ربّي بيده ثمّ قال له: كن فكان، فليتولّ عليّاً من بعدي، والأوصياء من ذريّتي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، وأيم الله ليقتلنّ ابني، لا أنالهم الله شفاعتي»[٣].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّ عندهم الصحيفة الجامعة التي هي إملاء رسول الله وخطّ عليّ عليه السلام بيده وهي سبعون ذراعاً:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ عندنا لصحيفة سبعين ذراعاً إملاء رسول الله ﷺ وخطّ عليّ عليه السلام بيده، ما من

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٩/ باب ١٦ ـ ح ١.

(٢) في حاشية «م» «ت»: القضيب: الغصن المقطوع، وقد يراد منه العود. (منه عليه السلام)، (انظر مجمع البحرين ٢: ١٤٤ ـ قضب).

(٣) بصائر الدرجات: ٦٨/ باب ٢٢ ـ ح ١.

حلال ولا حرام إلّا وهو فيها حتّى أرش الخدش[١]»[٢].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم أُعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد الجمّال، عن أحمد بن عمر، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إنّي أسألك جعلت فداك عن مسألة ليس هنا أحد يسمع كلامي؟ فرفع أبو عبد الله ستراً بيني وبين بيت آخر فاطّلع فيه، ثمّ قال: «يا أبا محمّد، سل عمّا بدا لك».

قال: جعلت فداك، إنّ الشيعة يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّاً باباً يفتح منه ألف باب.

قال: فقال أبو عبد الله: «يا أبا محمّد، علّم ـ والله ـ رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب».

قال: قلت: والله هذا العلم.

فنكت ساعة في الأرض، ثمّ قال: «إنّه لعلم وما هو بذلك»، ثمّ قال: «يا أبا محمّد، وإنّ عندنا الجامعة وما يُدريهم ما الجامعة».

قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملاء من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش» وضرب بيده إليّ فقال: «تأذن لي يا أبا محمّد؟».

---

(١) أرش الخدش: الأرش دية الجراحات، والجمع أُروش، مثل فرش وفروش، والخدش مصدر، خدش وجهه إذا ظفره فأدماه، أو لم يدمه، ثمّ سمّي به الأثر، ولهذا يجمع على خدوش (انظر المصباح المنير: ١٦٥ ـ خدشا).

(٢) بصائر الدرجات: ١٦٢/ باب ١٢ ـ ح ٣.

قال: قلت: جعلت فداك، إنّما أنا لك، اصنع ما شئت.

قال: فغمزني بيده، فقال: «حتّى أرش هذا» كأنّه مغضب.

قال: قلت: جعلت فداك، هذا والله العلم.

قال: «إنّه لعلم وليس بذلك»، ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: «إنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؛ مسك شاة أو جلد بعير».

قال: جعلت فداك، ما الجفر؟

قال: «وعاء أحمر أو أدم أحمر فيه علم النبيّين والوصيّين».

قلت: هذا والله هو العلم.

قال: «إنّه لعلم وما هو بذلك»، ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة»، قال: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها».

قال: قلت: هذا والله هو العلم.

قال: «إنّه لعلم وليس بذاك»، قال: ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: «إنّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

قال: قلت: جعلت فداك، هذا والله هو العلم.

قال: «إنّه لعلم وما هو بذاك».

قال: قلت: جعلت فداك، فأيّ شيء هو العلم؟

قال: «ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»[1].

---

(١) بصائر الدرجات: ١٧١/ باب ١٤ ـ ح٣.

ومنها: باب في الأئمّة عندهم الكتب التي فيها أسماء الملوك الذين يملكون:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن جماعة سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول وقد سُئل عن محمّد[١]، فقال: «عندي لكتابين فيهما اسم كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك، والله ما محمّد بن عبد الله في أحدهما»[٢].

ومنها: باب ما عند الأئمّة عليهم السلام من ديوان شيعتهم الذي فيه أسمائهم وأسماء آبائهم:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ظريف بن ناصح وغيره، عمّن رواه عن حبّابة الوالبيّة قالت: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم وإنّي أُحبّ أن تُعلمني أمن شيعتكم؟

قال: «وما اسمه؟».

قالت: قلت: فلان بن فلان.

فقال: «يا فلانة، هات الناموس»، فجاءت بصحيفة ـ تحملها ـ كبيرة، فنشرها ثمّ نظر فيها فقال: «نعم، هو ذا اسمه واسم أبيه هاهنا»[٣].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام عندهم الصحيفه التي فيها أسماء أهل الجنّة وأسماء أهل النار.

أقول: الظاهر أنّه فرق بين كتابة الله وكتابة المخلوق، إذ لو حاول المخلوق أن يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه لم يقدر عليها ولم يف به كلّ ورق في

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أقول هذا هو محمّد بن عبد الله بن الحسن الذي ينسب إليه الخلافة، ولكن لم يتيسر له ولم يكن من خلفاء هذه الأمة، كما يظهر من الأخبار الأُخر. (منه رحمه الله)

(٢) بصائر الدرجات: ١٨٩/ باب ٢ ـ ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات: ١٩٠/ باب ٣ ـ ح ١.

العالم، كما سيجيء تفصيله في الحديث الخامس والثلاثين في كلام شمس العلماء المحقّقين، وزبدة العرفاء المدقّقين المشتهر بصدر الدين الشيرازي ﷺ.

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عمرو، عن الأعمش قال: قال الكلبيّ: يا أعمش، أيّ شيء أشدّ ما سمعت من مناقب عليّ عليه السلام؟

قال: فقال: حدّثني موسى بن ظريف، عن عباية قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: «أنا قسيم النار؛ فمن تبعني فهو منّي، ومن عصاني فهو من أهل النار».

فقال الكلبيّ: عندي أعظم ممّا عندك؛ أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام كتاباً فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء أهل النار فوضعه عند أُمّ سلمة، فلمّا ولّى أبوبكر فقالت: ليس لك، فلمّا ولّى عمر طلبه فقالت: ليس لك، فلمّا ولّى عثمان طلبه فقالت: ليس لك، فلمّا ولّى عليّ عليه السلام دفعته إليه[1].

ومنها: باب إنّ الأئمّة أنّهم أُعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن محمّد ابن مسلم، قال: دخلت عليه بعد ما قُتِل أبو الخطّاب، قال: فذكرت له ما كان يروي من أحاديثه تلك العظام قبل أن يحدث ما أحدث.

فقال: «فحسبك ـ والله ـ يا أبا محمّد أن تقول فينا يعلمون الحلال والحرام وعلم القرآن وفصل ما بين الناس».

فلمّا أردت أن أقوم، أخذ بثوبي فقال: «يا أبا محمّد، وأيّ شيء الحلال والحرام في جنب العلم، إنّما الحلال والحرام في شيء يسير من القرآن»[2].

---

(١) بصائر الدرجات: ٢١١/ باب ٥ ـ ح٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٢١٤/ باب ٧ ـ ح٢.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم الراسخون في العلم الذي ذكرهم الله تعالى في كتابه:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكنانيّ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[1]»[2].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أُوتوا العلم وأُثبت ذلك في صدورهم:

حدّثنا يعقوب بن يزيد ومحمّد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بريد بن معاوية[3]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: قول الله: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[4]، قال: «إيّانا عنى»[5].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم أُعطوا اسم الله الأعظم وكم حرف هو:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن الفضيل، قال:

---

(١) سورة النساء ٤: ٥٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٢٢/ باب ١٠ ـ ح ١.

(٣) في «م» «ت»: (يزيد بن معاوية)، وما أثبتناه من المصدر هو الصواب؛ لأنّه لم نجد من أصحاب الباقر عليه السلام اسمه يزيد بن معاوية، نعم هناك بهذا الاسم من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام.
وبريد بن معاوية، أبو القاسم العجلي، عربي روى عن الباقر والصادق عليهما السلام مات في حياة أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وجه من وجوه أصحابنا، وفقيه أيضاً، له محل عند الأئمّة عليهم السلام. (انظر رجال النجاشي: ١١٢/ رقم الترجمة ٢٨٧).

(٤) سورة العنكبوت ٢٩: ٤٩.

(٥) بصائر الدرجات: ٢٢٤/ باب ١١ ـ ح ١.

أخبرني ضريس الوابشيّ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم»[1].

ومنها: باب في الإمام عليه السلام إنّ عنده اسم الله الأعظم إذا سأله به أُجيب:

حدّثنا إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد، عن أبي بصير وداود الرقّيّ، عن معاوية بن عمّار الدهنيّ ومعاوية بن وهب، عن ابن سنان، قال: كنّا بالمدينة حين بعث داود بن عليّ إلى المعلّى بن خنيس فقتله، فجلس أبو عبد الله عليه السلام فلم يأته شهراً.

قال: فبعث إليه أن ائتني، فأبى أن يأتيه، فبعث إليه خمس نفر من الحرس قال: ائتوني به، فإن أبى فأتوني به أو برأسه، فدخلوا عليه وهو يصلّي ونحن نصلّي معه الزوال، فقالوا: أجب داود بن عليّ.

قال: «فإن لم أجب؟».

قال: أُمرنا أن نأتيه برأسك.

فقال: «وما أظنّكم تقتلون ابن رسول الله».

قالوا: ما ندري ما تقول وما نعرف إلّا الطاعة.

قال: «انصرفوا، فإنّه خير لكم في دنياكم وآخرتكم».

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٢٨/ باب ١٢ ـ ح ١.

قالوا: والله لا ننصرف حتّى نذهب بك معنا، أو نذهب برأسك.

قال: فلمّا علم أنّ القوم لا يذهبون إلّا بذهاب رأسه وخاف على نفسه، قالوا: رأيناه قد رفع يديه فوضعها على منكبه، ثمّ بسطهما، ثمّ دعا بسبّابته فسمعناه يقول: «الساعة الساعة» فسمعنا صراخاً عالياً، فقالوا له: قُم.

فقال لهم: «أما إنّ صاحبكم قد مات وهذا الصراخ عليه، فابعثوا رجلاً منكم فإن لم يكن هذا الصراخ عليه قُمتُ معكم».

قالوا: فبعثوا رجلاً منهم فما لبث أن أقبل، فقال: يا هؤلاء، قد مات صاحبكم وهذا الصراخ عليه، فانصرفوا.

فقلت له: جعلنا الله فداك، ما كان حاله؟

قال: «قتل مولاي المعلّى بن خنيس فلم آته منذ شهر فبعث إليّ أن آتيه، فلمّا أن كان الساعة لم آته فبعث إليّ ليضرب عنقي، فدعوت الله باسمه الأعظم فبعث الله إليه ملكاً بحربة فطعنه في مذاكيره[1] فقتله».

فقلت له: فرفع اليدين ما هو؟ قال: «الابتهال».

فقلت: فوضع يديك وجمعها؟ قال: «التضرّع».

قلت: ورفع الإصبع؟ قال: «البصبصة»[2][3].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والذكر: العضو المعروف، ويعبر عنه بالقضيب، وجمعه ذكرة كعنبة ومذاكير على غير القياس، وقطع مذاكيره، أي استأصل ذكره، وإنّما جمع على ما حوله، كقولهم شابت مفارق رأسه. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٣: ٣١٣ ـ ذكر).

(٢) في حاشية «م» «ت»: وفي الحديث القدسي: يا عيسى سروري أن تبصبص إليَّ، أي تقبل إليَّ بخوف وطمع، والبصبصة: هي أن ترفع سبابتيك إلى السماء وتحركهما وتدعو. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٤: ١٦٤ ـ بصبص).

(٣) بصائر الدرجات: ٢٣٧/ باب ٢ ـ ح ٢.

ومنها: باب ما يلقى إلى الأئمّة في ليلة القدر ممّا يكون في تلك السنة ونزول الملائكة عليهم:

حدّثنا العبّاس بن معروف، عن سعدان بن مسلم، عن عبد الله بن سنان قال: سألته عن النصف من شعبان؟

فقال: «ما عندي فيه شيء، ولكن إذا كانت ليلة تسعة عشر من شهر رمضان قسّم فيه الأرزاق، وكتب فيها الآجال، وخرج فيها صكاك الحاجّ، واطّلع الله عباده فغفر الله لهم إلّا شارب الخمر، فإذا كانت ليلة ثلاثة وعشرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم، ثمّ ينهي[1] ذلك ويمضي».

قال: قلت: إلى مَن؟

قال: «إلى صاحبكم، ولولا ذلك لم يعلم»[2].

«في كيفيّة تولّد الإمام عليه السلام»

حدّثنا عباد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ نطفة الإمام عليه السلام من الجنّة، وإذا وقع من بطن أُمّه إلى الأرض، وقع وهو واضع يده إلى الأرض رافع رأسه إلى السماء».

قلت: جعلت فداك، ولِمَ ذاك؟

قال: «لأنّ منادياً يناديه من جوّ السماء، من بطنان العرش، من الأُفق الأعلى:

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والانهاء: الإبلاغ، وانهيت الأمر إلى الحاكم، أعلمته به. (منه عليه السلام)، (انظر مجمع البحرين ١: ٤٢٦ ـ نها).

(٢) بصائر الدرجات: ٢٤٠/ باب ٣ ـ ح٣.

يا فلان بن فلان، أثبت فإنّك صفوتي في خلقي، وعيبة علمي، ولك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحتُ جناني، وأحللت جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأُصلينّ [١] من عاداك أشدّ عذابي وإن أوسعت عليهم في دنيا من سعة رزقي».

قال: «فإذا انقضى صوت المنادي أجابه هو: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰه إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢] فإذا قالها أعطاه العلم الأوّل والعلم الآخر، واستحقّ زيادة الروح في ليلة القدر» [٣].

حدّثنا الحسن بن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن الحسن بن عبّاس بن جريش إنّه عرضه على أبي جعفر عليه السلام فأقرّ به، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ القلب الذي يعاين ما ينزل في ليلة القدر لعظيم الشأن».

قلت: وكيف ذاك يا أبا عبد الله؟

قال: «ليشقّ والله بطن ذلك الرجل، ثمّ يؤخذ إلى قلبه ويكتب بمداد النور، فذلك جميع العلم، ثمّ يكون القلب مصحفاً للبصر، ويكون اللسان مترجماً للإذن، إذا أراد ذلك الرجل علم شيء نظر ببصره وقلبه فكأنّه ينظر في كتاب».

قلت له بعد ذلك: وكيف العلم في غيرها أيشقّ القلب فيه أم لا؟

قال: «لا يشقّ، لكن الله يلهم ذلك الرجل بالقذف في القلب حتّى يخيّل إلى الأُذن أنّه تكلّم بما شاء الله من علمه، والله واسع عليم» [٤].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وصليت النار وبالنار إذا نالك حرّها. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ١: ٣٦٦ ـ صلا).

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٤٣/ باب ٣ ـ ح ١٣.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٤٣/ باب ٣ ـ ح ١٤.

ومنها: باب في أنّهم يخاطبون ويسمعون الصوت ويأتيهم صور أعظم من جبرئيل وميكائيل:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم الجوهريّ، عن عليّ، عن[1] أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّا لنزداد في الليل والنهار، ولو لم نزد لنفد ما عندنا».

قال أبو بصير: جعلت فداك، من يأتيكم؟

قال: «إنّ منّا من يعاين، وإنّ منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وإنّ منّا لمن يسمع بأُذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطشت».

قال: فقلت له: من الذي يأتيكم بذلك؟

قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل»[2].

ومنها: باب ما يلهم الإمام ممّا ليس في الكتاب والسنّة من المعضلات:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان عليّ عليه السلام يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله، فإذا ورد عليه شيء والحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنّة ألهمه الله الحقّ فيه إلهاماً، وذلك والله من المعضلات»[3].

---

(١) قوله: (علي عن) لم يرد في البصائر ح٥، والمراد بعلي هنا هو: عليّ بن أبي حمزة البطائني قائد أبو بصير.

(٢) رواه الصفّار بسندين في بصائر الدرجات: ٢٥٢/ باب ٧ ـ ح٥ و٧ وعنه في بحار الأنوار ١٨: ٢٧٠/ ح٣٣ وج٢٦: ٨٦/ ح٤.

وروى الصفّار أيضاً صدر الحديث وبنفس السند في بصائر الدرجات: ٤١٥/ باب ١٠ ـ ح٥.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٥٤/ باب ٩ ـ ح١ و٢ بسند آخر، عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون الأضمار وحديث النفس قبل أن يُخبَروا به:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن يزيد بن إسحاق، عن ابن أسلم، عن عمران بن يزيد[١] قال: دخلت إلى أبي عبد الله عليه السلام وهو مضطجع ووجهه إلى الحائط، فقال لي حين دخلت عليه: «يا عُمر، اغمز[٢] رجلي»، فقعدت أغمز رجله، فقلت في نفسي: الساعة أسأله عن عبد الله وموسى أيّهما الإمام، قال: فحوّل وجهه إليّ وقال: «إذن والله لا أُجيبك»[٣].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرّهم وأفعال غيبهم وهم غيبٌ عنهم:

حدّثنا إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقيّ، عن إبراهيم بن محمّد الأشعريّ، عن أبي كهمس قال: كنت نازلاً بالمدينة في دار فيها وصيفة كانت تعجبني، فانصرفت ليلاً ممسياً فاستفتحت الباب ففتحت إليّ، فمددت يدي فقبضت على ثديها، فلمّا كان من الغد دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبا كهمس، تُب إلى الله ممّا صنعت البارحة»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يخبرون شيعتهم أضمارهم وحديث أنفسهم وهم غيب عنه[٥] منهم:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن الحسن بن زياد الميثميّ، قال: حدّثنا

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (عمر بن يزيد).

(٢) الغمز: العصر باليد (كتاب العين ٤: ٣٨٦ ـ غمز).

(٣) بصائر الدرجات: ٢٥٥/ باب ١٠ ح ٢.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٦٢/ الباب ١١ ـ ح ١.

(٥) في «م» «ت»: (عنهم)، وفي نسختي بدل منهما كالمثبت، و(منهم) أثبتناها من المصدر.

الحسن الواسطيّ، عن هشام بن سالم قال: لمّا دخلت إلى عبد الله بن أبي عبد الله فسألته، فلم أر عنده شيئاً فدخلني من ذلك ما الله به عليم، وخفت أن لا يكون أبو عبد الله عليه السلام ترك خلفاً، فأتيت قبر النبيّ فجلست عند رأسه أدعو الله وأستغيث به، ثمّ فكّرت فقلت: أصير على قول الزنادقة، ثمّ فكّرت فيما يدخل عليهم ورأيت قولهم يفسد، ثمّ قلت: لا بل قول الخوارج فآمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأضرب بسيفي حتّى أموت، ثمّ فكّرت في قولهم وما يدخل عليهم فوجدته يفسد، ثمّ قلت: إلى المرجئة، ثمّ فكّرت فيما يدخل عليهم فإذا قولهم يفسد، فبينا أنا أُفكّر في نفسي وأمشي إذا مرّ بعض مولى أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: تحبّ أن أستأذن لك على أبي الحسن عليه السلام؟

فقلت: نعم، فذهب فلم يلبث أن عاد إليّ، قال: قم وادخل عليه.

فلمّا نظر إليّ أبوالحسن عليه السلام فقال لي مبتدئاً: «يا هشام، لا إلى الزنادقة ولا إلى الخوارج ولا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة، ولكن إلينا».

قلت: أنت صاحبي، ثمّ سألته فأجابني عمّا أردت[1].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام إنّهم يعلمون من يأتي أبوابهم، ويعلمون بمكانهم من قبل أن يستأذنوا عليهم:

حدّثني يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن عبد الله الكنانيّ، عن موسى بن بكر، عن عبد الله بن عطاء المكّيّ، قال: اشتقت إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا بمكّة، فقدمت المدينة، ما قدمتها إلّا شوقاً إليه، فأصابتني تلك الليلة مطَرَة وبَرَد شديد، فانتهيت إلى بابه نصف الليل، فقلت: ما أطرقه هذه الساعة حتّى

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٧١/الباب ١٢ ـ ح ٤.

أصبح، وإنّي لأُفكّر في ذلك إذ سمعته يقول: «يا جارية، افتحي الباب لابن عطا فقد أصابه برد شديد في هذه الليلة».

قال: فجاءت ففتحت الباب[١].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون من يمرض من شيعتهم ويحزنون ويدعون ويؤمّنون على دعاء شيعتهم وهم غيب عنهم:

حدّثنا الحسن بن عليّ بن النعمان، عن أبيه، قال: حدّثني الشاميّ، عن أبي داود السبيعيّ، عن أبي سعيد الخدريّ، عن رميلة قال: وعكت وعكاً شديداً في زمان أميرالمؤمنين عليه السلام فوجدت من نفسي خفّة في يوم الجمعة وقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أفيض على نفسي من الماء وأُصلّي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلت ثمّ جئت إلى المسجد، فلمّا صعد أميرالمؤمنين عليه السلام المنبر أعاد علَيّ ذلك الوعك، فلمّا انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر دخلت معه، فقال: «يا رميلة، رأيتك وأنت متشبّك بعضك في بعض».

فقلت: نعم، وقصصت عليه القصّة التي كنت فيها والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه.

فقال: «يا رميلة، ليس من مؤمن يمرض إلّا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلّا حَزَنّا بحزنه، ولا يدعو إلّا أَمّنّا لدعائه، ولا يسكت إلّا دعونا له».

فقلت له: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، هذا لمن معك في القصر، أرأيت من كان في أطراف الأرض؟!

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٧٧/ باب ١٤ ـ ح ١.

قال: «يا رميلة، ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها»[١].

ومنها: في قول الأئمّة عليهم السلام لشيعتهم: لو كان على أفواههم أوكية[٢] وكتموا على أنفسهم لأخبروهم بجميع ما يصيبهم من المنايا والبلايا وغيره:

حدّثنا الحجّال، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤيّ، عن ابن سنان، عن إسحاق ابن عمّار، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، من أين أصاب أصحاب عليّ ما أصابوا في علمهم[٣] بمناياهم أو بلاياهم؟

فأجابني شبه المغضب: «ممّ ذاك[٤]، ما ذاك إلّا منهم».

قال: قلت: فما يمنعك جعلني الله فداك؟

قال: «ذلك[٥] باب قد أُغلق إلّا أنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام فتح منه شيئاً يسيراً»، ثمّ قال: «يا أبا محمّد، إنّ أُولئك كانت على أفواههم أوكية»[٦].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام إنّهم يعرفون آجال شيعتهم وسبب ما يصيبهم:

حدّثنا أبوالقاسم، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن، قال: حدّثنا أحمد بن عليّ بن الحكم، عن ربيع بن محمّد المكّيّ، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نُباتة، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقف

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٧٩/ باب ١٦ ـ ح ١.

(٢) الوكاء: الخيط الذي تشدّ به الصرّة والكيس وغيرهما (لسان العرب ١٥: ٤٠٦ ـ وكي).

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (من علمهم).

(٤) في «م»: (ممّ ذلك)، وقوله: (ما ذاك) لم يرد في المصدر.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ذاك).

(٦) بصائر الدرجات: ٢٨١/ باب ١٧ ـ ح ٤.

الرجل بين يديه قال: يا فلان استعدّ وأعد لنفسك ما تريد، فإنّك تمرض في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا، وسبب مرضك كذا وكذا، وتموت في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا».

قال سعد: فقلت: هذا الكلام لأبي جعفر عليه السلام، فقال: «كان ذاك»، فقلت: جعلت فداك، فكيف لا تقول أنت فلا تخبرنا فنستعدّ له؟

قال: «هذا باب أغلق الجواب فيه عليّ بن الحسين عليهما السلام حتّى يقوم قائمنا»(١).

منها: باب في الأئمّة عليهم السلام إنّهم يعرفون من يدخل عليهم في الإيمان والنفاق:

حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار، عن أحمد بن الحسين، عن الحسين بن سعيد، عن عمر بن تميم، عن عمّار بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق»(٢).

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون من يدخل عليهم بالخير والشرّ والحبّ والبغض:

حدّثنا محمّد بن حمّاد الكوفيّ، عن أخيه، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو ابن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا فينا من صلب آدم، فنعرف بذلك حبّ المحبّ وإن أظهر خلاف ذلك بسبيله، ونعرف بغض المبغض وإن أظهر حبّنا أهل البيت»(٣).

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٨٢/ باب ١ ـ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٠٨/ باب ٨ ـ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ١٠٩/ باب ٩ ـ ح ٢.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام إنّهم يعلمون كلّ أرض مخصبة وكلّ أرض مجدبة، وكلّ فئة يهتدي وتضلّ إلى يوم القيامة:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن أبي زكريّا، أو عمّن رواه عن أبي زكريّا عن بعض أصحابه، عن عمرو بن شمر، قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام يقول: «قال عليّ عليه السلام: ما من أرض مخصبة ولا أرض مجدبة ولا فئة تضلّ مائة وتهدي مائة إلّا وأنا أعلمها وقد علمتها، يعلمها كبيرهم وصغيرهم إلى يوم القيامة»[1].

ومنها: باب فيه الحروف التي علّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن حمران الحلبيّ، عن أبان بن تغلب قال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام: «كان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة صغيرة، وإنّ عليّاً عليه السلام دعا ابنه الحسن عليه السلام فدفعها إليه ودفع إليه سكّيناً، وقال له: افتحها، فلم يستطع أن يفتحها، ففتحها له، ثمّ قال له: اقرأ، فقرأ الحسن الألف والباء والسين واللّام وحرفاً بعد حرف، ثمّ طواها فدفعها إلى ابنه الحسين عليه السلام فلم يقدر أن يفتحها، ففتحها[2] له، ثمّ قال له: اقرأ يا بنيّ، فقرأها كما قرأ الحسن عليه السلام، ثمّ طواها فدفعها إلى ابنه ابن الحنفيّة، فلم يقدر على أن يفتحها، ففتحها له، فقال: اقرأ، فلم يستخرج منها شيئاً، فأخذها عليّ وطواها، ثمّ علّقها من ذؤابة السيف».

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: وأيّ شيء كان في تلك الصحيفة؟

---

(١) بصائر الدرجات: ٣١٧/ باب ١٣ ـ ح٦.

(٢) (ففتحها) ساقط من «م».

قال: «هي الأحرف التي يفتح كلّ حرف ألف حرف[١]».

قال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: «فما خرج منها إلّا حرفان إلى الساعة»[٢].

ومنها: باب في الإمام عليه السلام بأنّه إذا شاء أن يعلم العلم علم:

حدّثنا أحمد بن الحسن بن فضّال، عن عمر بن سعيد المدائنيّ، عن مِصدق ابن صدقة، عن عمّار الساباطيّ، أو عن أبي عبيدة، عن عمّار الساباطيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام أيعلم الغيب؟

قال: «لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء علّمه الله ذلك»[٣].

ومنها: باب ما يفعل بالإمام عليه السلام من النكت والقذف والنقر[٤] في قلوبهم وأُذنهم:

حدّثنا عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن عمرو بن سعيد المدائنيّ، عن عيسى بن حمزة الثقفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب، وأحياناً تطرق ثمّ تجيبنا؟!

قال: «نعم، إنّه ينقر وينكت في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكت أو نقر نطقنا، وإذا أمسك عنّا أمسكنا»[٥].

---

(١) في «م» «ت»: (باب) بدل من: (ألف حرف)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٢٧/ باب ١٧ ـ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٣٥/ باب ٢ ـ ح ٤.

(٤) في حاشية «م» «ت»: من جملة علومهم: نكت في القلوب، ونقر في الأسماء؛ أمّا النكت في القلوب فإلهام، وأمّا النقر في الأسماء فأمر الملك، وأصله من النكت بالحصى، يقال: نكت الأرض بالقضيب: وهو أن يخط بها خطأً كالمفكر المهموم (انظر مجمع البحرين ٢: ٢٢٧ ـ نكت). وأصل النقر: صوت يسمع من قرع الأبهام على الوسطى. (منه ﷺ لغة)، (انظر مجمع البحرين ٣: ٥٠١ ـ نقر).

(٥) بصائر الدرجات: ٣٢٦/ باب ٣ ـ ح ٣.

ومنها: باب فيه تفسير الأئمّة عليهم السلام لوجوه علومهم الثلاثة وتأويل ذلك:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن حمزة بن بزيع، عن عليّ السائي [١] قال: سألت الصادق عليه السلام عن مبلغ علمهم؟

فقال: «مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث؛ فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبيّ بعد نبيّنا» [٢].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم مُحدَّثون [٣] مفهّمون:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع قال: سمعت أبي الحسن عليه السلام يقول: «الأئمّة علماء صادقون، مفهَّمون مُحدَّثون» [٤].

ومنها: باب ما يلقى شيء بعد شيء، يوماً بيوم، وساعة بساعة، ممّا يحدث:

حدّثنا أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن شعيب، عن ضريس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّما العلم ما حدث بالليل والنهار، يوم بيوم، وساعة بساعة» [٥].

---

(١) في «م» «ت»: (عليّ الشاميّ)، وما أثبتناه من المصدر هو الصواب، وهو: عليّ بن سويد السائي، ينسب إلى قرية قريبة من المدينة يقال لها الساية (انظر رجال النجاشي: ٢٧٦/٧٢٤).

(٢) بصائر الدرجات: ٣٣٨/ باب ٤ ـ ح ١.

(٣) في حاشية «م» «ت»: أقول: معنى المحدّث وتفسيره كما ورد به الرواية، قال: عبد الغفّار الحارثي قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ فلاناً حدّثني أنّ عليّاً عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام كانا محدّثين، قال: قلت: كيف ذلك؟ فقال: «إنّه كان ينكت في اذانهما» قال: «صدق». (منه رحمه الله)، (بصائر الدرجات: ٣٤١/ باب ١ ـ ح ١، وفيه: عبد الغفّار الجازي وكلاهما واحد (انظر جامع الرواة ١: ٤٦١، منتهى المقال في أحوال الرجال ٤: ١٤٢/ رقم الترجمة ١٦٤٤).

(٤) بصائر الدرجات: ٣٣٩/ باب ٥ ـ ح ١.

(٥) بصائر الدرجات: ٣٤٤/ باب ٧ ـ ح ١.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون الزيادة والنقصان من الحقّ والباطل:

حدّثنا محمّد بن عيسى، عن ابن سنان، وعليّ بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان في الأرض[1]؛ فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا أكمله لهم، فقال: خذوه كاملاً، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم ولم يفرّقوا بين الحقّ والباطل»[2].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يتكلّمون الألسن كلّها:

حدّثنا أحمد بن الحسين، عن الحسن بن برا، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: حدّثني رجل من أهل جسر بابل، قال: كان في القرية رجل يؤذيني ويقول: يا رافضيّ، ويشتمني، وكان يلقّب بقرد القرية.

قال: فحججت سنة من ذلك اليوم فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال ابتداءً: «قوفه ما نامت».

قلت: جعلت فداك، متى؟

قال: «في الساعة»، فكتبت اليوم والساعة، فلمّا قدمت الكوفة تلقّاني أخي فسألته عمّن بقي وعمّن مات، فقال لي: قوفه ما نامت، وهي بالنبطيّة: قرد القرية مات.

فقلت له: متى؟ فقال لي: يوم كذا وكذا في الوقت الذي أخبرني به أبو عبد الله عليه السلام[3].

---

(١) (في الأرض) أثبتناها من المصدر.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٥١/ باب ١٠ ـ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٥٤/ باب ١١ ـ ح ٧.

أقول: وفي الحديث المرفوع إلى الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه قال: «إنّ للّه مدينتين إحداهما بالمشرق والأُخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعين ألف ألف لغة، يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبه وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما، وما عليهما حجّة غيري والحسين أخي»[١].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام إنّهم يقرؤون الكتب التي نزلت على الأنبياء باختلاف ألسنتهم التوراة والإنجيل وغير ذلك:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبان بن عثمان، عن موسى النميريّ قال: جئت إلى باب أبي جعفر عليه السلام لأستاذن عليه، فسمعنا صوتاً حزيناً يقرأ بالعبرانيّة، فبكينا حيث سمعنا الصوت وظننّا أنّه بعث إلى رجل من أهل الكتاب يستقرأه، فأذن لنا فدخلنا عليه فلم نر عنده أحداً، فقلنا: أصلحك الله، سمعنا صوتاً بالعبرانيّة فظننّا أنّك بعثت إلى رجل من أهل الكتاب تستقرأه.

قال: «لا، ولكن ذكرت مناجات إليا لربّه فبكيت من ذلك».

قال: قلنا: وما كان مناجاته جعلني الله فداك؟

قال: «جعل يقول: يا ربّ، أتراك معذّبي بعد طول قيامي لك؟[٢] أتراك معذّبي بعد طول صلاتي لك؟ وجعل يعدّد أعماله، فأوحى الله إليه: إنّي لست أُعذّبك.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٥٩/ باب ١٢ ـ ذيل ح ٤.

(٢) قوله: (أتراك معذّبي بعد طول قيامي لك) لم ترد في المصدر، وهو موجود في بحار الأنوار.

قال: فقال: يا ربّ، وما يمنعك أن لا تقول لا بعد نعم[١] وأنا عبدك وفي قبضتك؟ قال: فأوحى الله إليه: إنّي إذا قلت قولاً وفيتُ به»[٢].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون منطق الطير:

حدّثنا عبد الله بن محمّد، عمّن رواه، عن محمّد بن عبد الكريم، عن عبد الله ابن عبد الرحمن، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عبّاس: «إنّ الله علّمنا منطق الطير كما علّمه سليمان بن داود، ومنطق كلّ دابّة في برّ أو بحر»[٣].

ومنها: باب في أنّ الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون منطق البهائم ويعرفونهم ويجيبونهم إذا دعوهم:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن العبّاس بن معروف، عن أبي القاسم الكوفيّ، عن محمّد بن الحسن بن محمّد بن عمران، عن زرعة، عن سماعة، عن أبي بصير، عن رجل، قال: خرجت مع عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى مكّة، فلمّا رحلنا عن الأبواء[٤] كان على راحلته وكنت أمشي، فرأى غنماً وإذا نعجة

---

(١) في حاشية «م» «ت»: «نعم، جواب في التصديق إذا وقعت بعد الماضي، مثل: هل قام زيد، وهي تبقي الكلام على ما كان عليه، من إيجابه ونفي، لم تبطل النفي كما تبطله بلى، وفي التنزيل ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ولو قالوا نعم لكفروا، إذ معناه: لست بربنا، لأنّها لا تزيل النفي بخلاف بلى، وقوله عليه السلام: وما يمنعك ألا تقول لا بعد نعم، لعلّه من قبيل قوله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. (منه رحمه الله)

(٢) بصائر الدرجات: ٣٦١/ باب ١٣ ـ ح٣، وعنه في بحار الأنوار ١٣: ٤٠٠/ ح٧.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٦٣/ باب ١٤ ـ ح١٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٧: ٢٦٤/ ح١٠.

(٤) الأبواء ـ بفتح الهمزة وسكون الباء والمد ـ: هو جبل بين مكّة والمدينة، وعنده بلد ينسب إليه (النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٢٠).

قد تخلّفت عن الغنم وهي تثغو ثغاءً[١] شديداً، وتلتفت، وإذا سخلة[٢] خلفها تثغو وتشتدّ في طلبها، وكلّما قامت السخلة ثفت النعجة، فتبعتها السخلة.

فقال علي[٣] عليه السلام: «يا عبد العزيز، أتدري ما قالت النعجة؟».

قال: قلت: لا والله، ما أدري.

قال: «فإنّها قالت: الحقي بالغنم؛ فإنّ أُختها عام أوّل تخلّفت في هذا الموضع، فأكله الذئب»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون منطق المسوخ ويعرفونهم:

حدّثنا الحجّال، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤيّ، عن ابن سنان، عن فضيل الأعور، قال: حدّثني بعض أصحابنا قال: كان رجل عند أبي جعفر عليه السلام من هذه العصابة، يحادثه في شيء من ذكر عثمان، فإذا وزغ قد قرقر من فوق الحائط، فقال أبو جعفر عليه السلام: أتدري ما يقول؟ قلت: لا، قال: يقول: لتكفّنّ عن ذكر عثمان، أو لأسبّنّ عليّاً»[٥].

---

(١) في المصدر: (تثفو ثفاءً) وكذا في المورد التالي، ولم أجد لها معنى.
وفي حاشية «م» «ت»: والنعجة، الأنثى من الضأن، والثغا بالضم، صوت الغنم. (لغة منه رحمه الله)، (انظر مجمع البحرين ٢: ٣٣٣ ـ نعج، القاموس المحيط ٤: ٣٠٨ ـ ثغا).

(٢) في حاشية «م» «ت»: والسخلة، يقال لأولاد الغنم ساعة تضعه، من الضأن والمعز جميعاً ذكراً كان أو أنثى. (لغة منه رحمه الله)

(٣) الاسم المبارك: (علي) أثبتناه من المصدر.

(٤) بصائر الدرجات: ٣٦٧/ باب ١٥ ـ ح ٢، وعنه في مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٨١.

(٥) بصائر الدرجات: ٣٧٤/ باب ١٦ ـ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٧: ٢٦٧/ باب ١٦ ـ ح ١٥.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم المتوسّمون في الأرض وهم الذين ذكر الله في كتابه يعرفون الناس بسيماهم:

حدّثني السنديّ بن الربيع، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب إنّه مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس بمحجوب من الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله، ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه هو مؤمن أو كافر» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [1] «فهم المتوسّمون» [2].

ومنها: باب في الإمام عليه السلام أنّه لا يحتاج من معرفة أصحابه إلى أحد، ولا يقبل قول أحد فيهم لمعرفته بهم:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا عنده، فتناول رجل من أهل الكناسة رجلاً من أصحابنا، قال: فصدّ وجهه عنه، قال: غمز [3] الثانية، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن كنت إنّما أتولّ الرجل وأبرأ منهم بأقاويل الناس، فبئست النسبة هذه» ثمّ أخذ بلحيته فهزّها هزّاً شديداً، قال: ثمّ بقي في راحته شيئاً، فنفخه [4] [5].

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٧٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٧٤/ باب ١٧ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٤: ١٣٠/ باب ٤٢ ـ ح ١٦.

(٣) في حاشية «م» «ت»: وأغمزت في فلان، إذا عبته وصغرت من شأنه. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٣: ٨٨٩ ـ غمز).

(٤) في حاشية «م» «ت»: وفي روايةٍ أخرى: «ونفخ في الشعر في كفّه». (منه رحمه الله)

(٥) بصائر الدرجات: ٣٨٢/ باب ١٩ ـ ح ٤، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ١٣٠/ باب ٧ ـ ح ٣٧.

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّ عندهم أسرار الله يؤدّي بعضهم إلى بعض وهم أُمنائه:

حدّثنا محمّد بن أحمد، عمّن رواه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليّاً عليه السلام في المرض الذي توفّي فيه، فقال: يا عليّ، ادن منّي حتّى أُسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ، وأئتمنك على ما ائتمنني الله عليه، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعليّ عليه السلام، وفعله عليّ عليه السلام بالحسن عليه السلام، وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام، وفعله الحسين عليه السلام بأبي، وفعله أبي بي، صلوات الله عليهم أجمعين»(١).

أقول: وفي رواية أُخرى، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «لا يقدر العالم أن يخبر بما يعلم، فإنّ سرّ الله أسرّه إلى جبرئيل، وأسرّه جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى من شاء الله»(٢).

ومنها: باب في أنّ ما فوّض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوّض إلى الأئمّة عليهم السلام:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن أحمد بن الحسن بن زياد، عن محمّد بن الحسن الميثميّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إنّ الله أدّب رسوله صلى الله عليه وآله، حتّى قوّمه على ما أراد، ثمّ فوّض إليه، فقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾(٣)؛ فما فوّض الله إلى رسوله، فقد فوّضه إلينا»(٤).

منها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يوفّقون ويسدّدون، فيما لا يوجد في الكتاب والسنّة:

حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن أيّوب، عن عليّ بن إسماعيل، عن

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٩٧/ باب ٣ ـ ح ١.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٩٨/ باب ٣ ـ ح ٦، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٧٥/ باب ٢٦ ـ ح ١٤.

(٣) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٠٣/ باب ٥ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٣٣٢/ ح ٩.

ربعي، عن خيثم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: يكون شيء لا يكون في الكتاب والسنّة؟ قال: «لا»، قلت: فإن جاء شيء؟ قال: «لا»، حتّى أعدت عليه مراراً، فقال: «لا يجيء»، ثمّ قال بإصبعه: «بتوفيق وتسديد، ليس حيث تذهب، ليس حيث تذهب»[١].

أقول: وفي رواية أُخرى، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علياً عليه السلام[٢] إذا ورد عليه أمر، ما نزل به كتاب ولا سنّة، قال رجم فأصاب»، قال أبو جعفر عليه السلام: «وهي المعضلات»[٣].

ومنها: باب في الإمام عليه السلام إنّه يعرف شيعته من عدوّه، بالطينة التي خلقوا فيها بوجوههم وأسمائهم:

حدّثنا إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقيّ، عن خلف بن حمّاد، عن سعد الإسكاف، عن الأصبغ بن نُباتة، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «يا أيّها الناس، إنّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، لا يشذّ فيها شاذّ[٤]، ولا يدخل فيها داخل، وإنّي لأعرفهم حين ما أنظر إليهم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا تفل في عيني وأنا أرمد، قال: أذهب عنه الحرّ والقرّ والبرد، وبصّره صديقه من عدوّه، فلم يصبني رمد بعد، ولا حرّ، ولا برد، ولأنّي لأعرف صديقي من عدوّي».

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٠٨/ باب ٦ ـ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٧٥/ باب ٢٣ ـ ح ١٦.

(٢) في حاشية «م» «ت»: أقول: إمّا كان عليٌّ أو إنّ علياً، كما في رواياتٍ أُخر، لا كان علياً كما في هذه النسخة. (منه رحمه الله)

(٣) بصائر الدرجات: ٤٠٩/ باب ٧ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٧٦/ باب ٢٣ ـ ح ١٩.

(٤) في حاشية «م» «ت»: وفي الحديث: «الشاذ عنك يا علي في النار» أي المنفرد المعتزل عنك. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٣: ١٨٢ ـ شذذ).

فقام رجل من الملأ، فسلّم، ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين، إنّي لأُدين الله[١] بولايتك، وإنّي لأُحبّك في السرّ كما أُظهر في العلانية.

فقال له عليّ عليه السلام: «كذبت، فوالله ما أعرف اسمك في الأسماء، ولا وجهك في الوجوه، وإنّ طينتك لمن غير تلك الطينة».

قال: فجلس الرجل قد فضحه الله وأظهر عليه، ثمّ قام آخر، فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام، إنّي لأُدين الله بولايتك، وإنّي لأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية.

فقال له: «صدقت، طينتك من تلك الطينة، وعلى ولايتنا أُخذ ميثاقك، وإنّ روحك مع[٢] أرواح المؤمنين، فاتّخذ للفقر جلباباً، فوالذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الفقر إلى محبّينا[٣] أسرع من السيل من أعلى الوادي إلى أسفله»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يزدادون في الليل والنهار، ولولا ذلك لنفد ما عندهم:

حدّثنا الحسن بن عليّ بن النعمان، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن صفوان بن يحيى، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كان جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: «لولا أنّا نزداد لأنفدنا»[٥].

---

(١) لفظ الجلالة: (الله) أثبتناه من المصدر.

(٢) في المصدر (من) بدل من: (مع).

(٣) في «م» «ت»: (محبّنا)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) بصائر الدرجات: ٤١٠/ باب ٨ ـ ح ١، ورواه الشيخ المفيد بالاختصاص: ٣١٠.

(٥) بصائر الدرجات: ٤١٥/ باب ١٠ ـ ح ١.

ومنها: في قدرة الأئمّة عليهم السلام وما أُعطوا من ذلك:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الدنيا تمثّل للإمام في فلقة الجوز، فما تعرّض لشيء منها، وإنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء»[١].

ومنها: باب الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة صلوات الله عليهم:

حدّثنا أحمد بن موسى، عن يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عنه عليه السلام قال: «تعرض الأعمال يوم الخميس على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمّة عليهم السلام»[٢].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم تعرض عليهم الأعمال في أمر العمود الذي يرفع للأئمّة وما يصنع بهم في بطون أُمّهاتهم:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن أبي داود المسترقّ، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الله إذا أراد أن يخلق الإمام، أنزل قطرة من ماء المزن[٣]، فيقع على كلّ شجرة[٤]، فيأكل منه، ثمّ يواقع فيخلق الله منه الإمام فيسمع الصوت في بطن أُمّه، فإذا وقع على الأرض رفع له منار من نور

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٢٨/ باب ١٥ ـ ح٣، وعنه في ينابيع المعاجز: ١٨٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٤٦/ باب ٤ ـ ح١٦، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٣٤٥/ باب ٢٠ ـ ح٣٨.

(٣) في حاشية «م» «ت»: المزن، السحاب الأبيض (مجمع البحرين ٦: ٣١٦ ـ مزن).
وترعرع الصبي، تحرك ونشأ. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٤: ٣٣٧ ـ رعع).

(٤) في حاشية «م» «ت»: وفي رواية أخرى: (فيلقيها على ثمرةٍ أو على بقلة، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة، الإمام الذي يخلق الله منه نطفة الإمام الذي يقوم من بعده». (منه رحمه الله)

يرى أعمال العباد، فإذا ترعرع كتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) (٢).

ومنها: باب في أنّ الإمام عليه السلام يرى ما بين المشرق والمغرب بالنور:

حدّثنا معاوية بن حكيم، عن أبي داود المسترقّ، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الإمام يسمع الصوت في بطن أُمّه، فإذا بلغ أربعة أشهر، كُتِب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء والأرض (٣)، فإذا درج (٤) رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب» (٥).

ومنها: باب في الإمام عليه السلام يرفع له في كلّ بلد منار، ينظر فيه إلى أعمال العباد:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن حديد، عن جميل بن درّاج، قال: روى غير واحد من أصحابنا، قال: «لا تتكلّموا في الإمام؛ فإنّ الإمام عليه السلام يسمع الكلام وهو جنين في بطن أُمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، فإذا قام بالأمر، رفع له في كلّ بلد منار، ينظر به إلى أعمال العباد» (٦).

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١١٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥١/ باب ٧ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٣٨/ باب ٢ ـ ح ٥.

(٣) (والأرض) أثبتناها من المصدر.

(٤) في «م» «ت»: (أُدرج)، وما أثبتناه من المصدر.

(٥) بصائر الدرجات: ٤٥٤/ باب ٨ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ١٣٢/ باب ٨ ـ ح ١.

(٦) بصائر الدرجات: ٤٥٥/ باب ٩ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ١٣٣/ باب ٨ ـ ح ٣.

ومنها: باب الفصل الذي فيه الأحاديث النوادر، ممّا يفعل بالأئمّة عليهم السلام من الأبواب التي ذكر العمود والنور وغير ذلك:

حدّثنا عبد الله بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن سليم، أو عمّن رواه، عن أحمد بن سليم، عن أبي محمّد الهمدانيّ، عن إسحاق الحريريّ، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته وهو يقول: «إنّ للّه عموداً من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق[١]، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أُذن الإمام؛ فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أُذن الإمام»[٢].

أقول: وفي رواية أُخرى: قال أبوالحسن عليه السلام: «إنّما منزلة الإمام في الأرض بمنزلة القمر في السماء، وفي موضعه هو مطّلع على جميع الأشياء كلّها»[٣].

ومنها: باب ما جعل الله في الأنبياء والأوصياء والمؤمنين وسائر الناس، من الأرواح، وإنّه فضّل الأنبياء والأئمّة من آل محمّد بروح القدس وذكر الأرواح الخمس:

حدّثنا عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد، أخبرنا يحيى بن صالح، حدّثنا محمّد بن خالد الأسديّ، عن الحسن بن جهم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح الإيمان.

وفي المؤمنين أربعة أرواح، أفقدها روح القدس: روح البدن، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح الإيمان.

---

(١) في «م» «ت»: (الخلق)، ما أثبتناه من المصدر.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٩/ باب ١٢ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ١٣٤/ باب ٨ ـ ح ٩.

(٣) انظر بصائر الدرجات: ٤٦٣/ باب ١٣ ـ ح ٨، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ١٣٦/ باب ٨ ـ ح ١٤.

وفي الكفّار ثلاثة أرواح: روح البدن، وروح القوّة، وروح الشهوة».

ثمّ قال: «روح الإيمان[١] يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل بكبيرة فارقه الروح، وروح القدس من سكن فيه، فإنّه لا يعمل بكبيرة أبداً»[٢].

أقول: وفي رواية أُخرى عن أبي جعفر عليه السلام حين سأله جابر عن علم العالم، قال: «يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة؛ فبروح القدس يا جابر علمنا ما تحت العرش إلى تحت الثرى».

ثمّ قال: «يا جابر، إنّ هذه الأرواح يصيبه الحدثان، إلّا أنّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب»[٣].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّ روح القدس يتلقّاهم إذا احتاجوا إليه:

حدّثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن معلّى بن محمّد، حدّثني أبوالفضل عبد الله بن إدريس، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مُرخىً عليه ستره؟

فقال: «يا مفضّل، إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوّة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه أمر وعدل، وروح القدس

---

(١) في الأصل هنا زيادة (أن) وهي غير صحيحة.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٦٧/ باب ١٤ ـ ح٣، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٥٤/ باب ٣ ح١٤.

(٣) انظر بصائر الدرجات: ٤٦٧/ باب ١٤ ـ ح٤.

فبه حمل النبوّة؛ فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس فصار في الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها».

قلت: جعلت فداك، يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟

قال: «نعم، وما دون العرش»[١].

ومنها: باب الروح التي قال الله في كتابه: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ أنّها في رسول الله ﷺ وفي الأئمّة يخبرهم ويسدّدهم ويوفّقهم:

حدّثنا محمّد بن عبد الحميد، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله[٢] عليه السلام: جعلت فداك، عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾**[٣].

قال: «يا أبا محمّد، خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل، وقد كان مع رسول الله ﷺ يُخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة يُخبرهم ويُسّددهم»[٤].

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٧٤/ باب ١٥ ـ ح ١٣، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ٥٧/ باب ٣ ـ ح ٢٥.

(٢) في حاشية «م» «ت»: وفي روايةٍ أخرى: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ ...﴾ إلى آخره. (منه رحمه الله)

(٣) سورة الشورى ٤٢: ٥٢ و٥٣.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٧٥/ باب ١٦ ـ ح ١.

ومنها: باب في الإمام عليه السلام أنّه يعلم الساعة التي يمضي فيها، وما يزداد في الليل والنهار، ولا يوكل إلى نفسه:

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الإمام إذا مات، يعلم الذي بعده في تلك الساعة مثل علمه؟

قال: «يورث كتباً، ويزاد في كلّ يوم وليلة، ولا يوكل إلى نفسه»(١).

أقول: وفي رواية أُخرى: «يا أبا محمّد، يخلفه العالم من بعده في ذلك اليوم، أو في تلك الساعة مثل علمه»(٢).

ومنها: باب في الإمام عليه السلام أنّه يعرف من يكون بعده قبل موته:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، والحسن بن عليّ بن فضّال، عن مثنّى الحنّاط، عن الحسن الصيقل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يموت الرجل منّا حتّى يعرف وليّه»(٣).

أقول: وفي رواية أُخرى، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده»(٤).

ومنها: باب الوقت الذي يعرف الإمام عليه السلام الأخير ما عند الأوّل:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يعرف الإمام

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٨٥/ باب ٢٠ ـ ح٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٦: ٩٥/ باب ٣ ـ ح٢٩.

(٢) انظر بصائر الدرجات: ٤٨٥/ باب ٢٠ ـ ح٣.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٩٤/ باب ٣ ـ ح١، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٧٣/ باب ٣ ـ ح١٨.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٩٤/ باب ٣ ـ ح٤ و٥ و٧، وعنه في بحار الأنوار ٢٣: ٧٣/ باب ٣ ـ ح٢٣.

الذي بعده علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه»[١].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم لو وجدوا من يحتمل عنهم لأعطوهم علماً لا يحتاجون إلى نظر في حلال وحرام ممّا عندهم:

حدّثنا محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن ذريح المحاربيّ، وأحمد بن محمّد، عن البرقيّ، عن صفوان، عن ذريح، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ أبي نعم الأب رحمة الله عليه، كان يقول: لو أجد ثلاثة رهط[٢] أستودعهم العلم وهم أهلٌ لذلك، لحدّثت بما لا يحتاج فيه إلى نظر في حلال ولا حرام، وما يكون إلى يوم القيامة، إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به[٣] إلّا عبد امتحن الله قلبه للإيمان»[٤].

ومنها: باب في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون متى يموتون، ويعلمون ذلك قبل أن يأتيهم الموت عليهم السلام:

حدّثنا محمّد بن عبد الجبّار[٥]، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن النعمان، عن عمر بن مسلم صاحب الهرويّ، عن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه، فبكى بعض

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٩٧/ باب ٥ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢٧: ٢٩٤/ باب ٤ ـ ح ١، الكافي ١: ٢٧٤/ ح ٢.

(٢) في حاشية «م» «ت»: الرهط، قوم الرجل وقبيلته، ومن ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة، وما فيهم إمرأة ولا واحد له من لفظته ج: أرهط. (منه رحمه الله)، (القاموس المحيط ٢: ٣٦١ ـ رهط).

(٣) (به) أثبتناها من المصدر.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٩٨/ باب ٦ ـ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٢: ٢١٢/ باب ٢٧ ـ ح ١.

(٥) في «م» «ت»: (عبد الله) بدل من: (عبد الجبار)، وما أثبتناه من المصدر.

أهله عند رأسه، فنظر، فقال لي: إنّي لست بميّت من وجعي هذا، إنّه أتاني اثنان فأخبراني، أنّي لست بميّت من وجعي هذا».

قال: «فبرأ، ومكث ما شاء الله أن يمكث، فبينا هو صحيح ليس به بأس، قال: يا بنيّ، إنّ اللَّذَين أتياني من وجعي ذلك، أتياني فأخبراني أنّي ميّت يوم كذا وكذا».

قال: «فمات في ذلك اليوم»[1].

أقول: اعلم أنّ العناوين الدالّة على إحاطة علمهم عليهم السلام غير منحصرة بما ذكرناه، ولكن اكتفينا به؛ لإمكان إرجاع باقيها إليها بنحو من التصرّف، فلا يحتاج إلى ذكرها وتطويلها.

ثمّ إنّما ذكرت ما ذكرت من العناوين الكثيرة، مع ذكر بعض الأخبار الدالّة عليها في كلّ باب، لابتناء ما يرجّح في النظر القاصر عليها، وهو مع إثبات جهات علومهم عليهم السلام بهذه الأخبار المزبورة في تلك العناوين، يصير كدعوى الشيء ببيّنة وبرهان.

وإذا عرفت الأخبار الدالّة على إحاطة علمهم عليهم السلام، بالممكنات بعناوين مختلفة وجهات متكثّرة، فاعلم أنّ قبالها روايات كثيرة دالّة على خلافها، منها ما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام ردّاً على الغلاة، كما في **الاحتجاج**، قال:

«يا محمّد بن عليّ، تعالى الله عزّ وجلّ عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركائه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في

---

(١) بصائر الدرجات: ٥٠١/ باب ٩ ـ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار ٢٧: ٢٨٧/ ح ٦.

محكم كتابه تباركت أسماؤه[١]: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٢] وأنا وجميع آبائي من الأوّلين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيّين، ومن الآخرين محمّد رسول الله وعليّ بن أبي‌طالب والحسن والحسين، وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة عليهم السلام إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري عبيد الله عزّ وجلّ؛ لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٣].

يا محمّد بن عليّ، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وأُشهد الله الذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيداً، ومحمّداً رسوله صلى الله عليه وآله، وملائكته وأنبيائه وأوليائه عليهم السلام، وأُشهدك وأُشهد كلّ من سمع كتابي هذا، أنّني بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول: إنّا نعلم الغيب، أو نشارك الله في ملكه، أو يحلّنا محلّاً سوى المحلّ الذي نصبه الله لنا وخلقنا له، ويتعدّى بنا عمّا فسّرته لك، وبيّنته في صدر كتابي، وأُشهدكم أنّ كلّ من نبرأ منه فإنّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأوليائه، وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانته في عنقك، وعنق من سمعه أن لا يكتمه من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالي، لعلّ الله عزّ وجلّ يتلافاهم[٤]، فيرجعون إلى دين الله الحقّ، وينتهوا عمّا لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه، فكلّ من فهم كتابي

---

(١) (تباركت أسماؤه) أثبتناها من المصدر.

(٢) سورة النمل ٢٧: ٦٥.

(٣) سورة طه ٢٠: ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٤) في حاشية «م» «ت»: وتلافيته، تداركته. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٦: ٢٤٨٤ ـ لفا).

ولم يرجع إلى ما أمرته ونهيته، فقد حلّت عليه اللعنة من الله، وممّن ذكرت من عباده الصالحين»[١].

أقول: والأحاديث في هذا المعنى كثيرة بل قيل متواترة لا يمكن ردّها.

«اختلاف العلماء في علمهم عليهم السلام الغيب»

وأمّا من يميل إلى القول بعلم الغيب فيهم عليهم السلام، فإنّه لا يردّها، وإنّما يؤوّلها، واختلف العلماء في تأويلها، وفي الجمع بينها وبين ما يدلّ بظاهره على أنّهم يعلمون الغيب، وهي أيضاً كثيرة جدّاً كما عرفت شطراً منها ممّن لم يقل بعلم الغيب فيهم.

فالأوّلون حملوا الغيب الذي لا يعلمونه على الغيب الأزليّ الذي هو الذات جمعاً.

وهذا خطأ؛ لأنّ الدليل القطعيّ عقلاً ونقلاً، قد دلّ على أنّهم مخلوقون مربوبون، لا قيام لوجودهم إلّا بالمدد الدائم من فيض القديم الكريم الدائم، ولا ريب أنّ ذلك المدد حادث ولا يمدّون بما وصل إليهم، وإنّما يمدّون بما لم يصل إليهم، وهذا المدد قبل أن يصل إليهم لا يعلمونه قطعاً، وإلّا لكان قد وصل إليهم قبل أن يصل إليهم، وهذا باطل، فكيف يصحّ أنّ ما سوى الذات يعلمونه كيف، وقد قال سيّدهم وأفضلهم وأعلمهم عن أمر ربّه له: ﴿**رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[٢] فهل يسأل الله أن يزيده من الأزل، أم يزيد من العلوم الممكنة؟ وهل

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) سورة طه ٢٠: ١١٤.

يسأله أن يزيده ممّا علمه، أم ممّا لا يعلمه؟ وهل يعلمون عليهم السلام ما لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي هو واسطة بين الله عزّ وجلّ وبينهم الذي هو مدينة العلم؟

أيضاً: العلم منه ما هو بالمستقبل، ومنه ما هو بالحال، ومنه ما هو بالماضي، فإذا ادّعيتم علمهم بالماضي وبالحال، حال السؤال.

قلنا: إنّ الأدلّة العقليّة والنقليّة تساعدكم، ولكن العلم بالمستقبل لا تساعدكم عليه الأدلّة؛ لأنّهم إذا علموا بشيء سيكون قبل أن يكون، هل كان بعلمهم واجباً لا تتعلّق به القدرة ولا يمكن فيه، أو كان بعلمهم مستحيلاً كذلك؟

فإن قلت: كان ممكناً وإن علموا به.

قلنا: للّه فيه البداء أم لا؟

فإن قلت: ليس للّه فيه البداء، عارضتك الأدلّة العقليّة والنقليّة.

وإن قلت للّه فيه البداء، فكيف يعلمون شيئاً يجوز للّه أن يغيّره كيف شاء؟ فهذا معنى قول عليّ عليه السلام لميثم التمّار: «لولا آية في كتاب الله تعالى، لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة» وهو قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ (١) (٢).

فإن قيل: إنّ الأدلّة الدالّة على علمهم بكلّ شيء واردة عنهم، كلّها بألفاظ العموم من غير استثناء.

قلنا: حقّ، ولكن العموم في كلّ الأدلّة عموم عرفيّ، ولا يقال: إنّه على

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٣٩.

(٢) انظر الاختصاص: ٢٣٥، الاحتجاج ١: ٣٨٤.

خلاف أصل الاستعمال؛ لأنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة، والأدلّة القطعيّة المخصّصة صارفة إلى المجاز، فيجب المصير إليه للدليل.

والآخرون حملوا الأحاديث الدالّة على علم الغيب على وجوه، منهم من قال: إنّهم عليهم السلام يعلمون كلّ ما سوى الأُمور الخمسة التي دلّت النصوص على أنّ الله تفرّد بها، وهي ما في الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾[1].

هذا ليس بصحيح لوجوه:

الأوّل: أنّ أشياءً كثيرة أخبروا بأنّهم لا يعلمونها، وليست من هذه الخمسة على مرادكم.

الثاني: أنّ هذه الخمسة إذا تتبعتها رأيت كلّ الغيب منحصراً فيها، أو راجعاً إليها، فإن عنيتم خصوص ظاهرها، صدق عليهم أنّهم يعلمون الغيب ولا يضرّهم هذه الأشياء القليلة، كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، فإنّه يقال له أسود ولا يضرّه وجود شعرة واحدة مخالفة.

وإن عنيتم معناها وما يؤول إليها، كان كثيراً من الخلق مثلهم، فإنّ أصحاب النجوم والرمّالون والجفريّون، والكهنة وأهل القيافة وزاجر[2] والطير، وغيرهم

---

(١) سورة لقمان ٣١: ٣٤.

(٢) في حاشية «م» «ت»: والزجر، القيافة، وهو ضرب من التكهن، تقول: زجرت أنّه يكون كذا وكذا (الصحاح ٢: ٦٦٨ ـ زجر).
وعفت الطير، أعيفها عيافة، أي زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها، والعائف: المتكهن. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٤: ١٤٠٨ ـ عيف).

يعلمون أكثر من هذا، بل قد يعلمون هذه الخمسة أو بعضها، وإن كان قد يقع الخطأ في بعض الأشياء النادرة، وبيان هذه الأُمور يطول به البحث، والغرض الإشارة إلى وجه الدليل.

الثالث: أنّهم عليهم السلام كثيراً ما أخبروا به من هذه الخمسة، ومن تتبّع أحاديثهم تبيّن له ذلك، كما عرفت بعضها في ذيل العناوين، بل رواه العامّة المنكرون لفضلهم.

ومنهم من قال: إنّهم لا يعلمون كلّ شيء، فلهذا قلنا إنّهم عليهم السلام لا يعلمون، وإن علموا الأكثر؛ لأنّا لا نريد بعلم الغيب إلّا العلم بكلّ شيء، وهذا لا يحصل لغير الله.

أقول: هذا أيضاً ليس بشيء؛ لأنّ التخصيص بالكلّ ليس شرطاً في الصدق ولا في التسمية؛ لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، ولا دليل على شيء من هذا، لا من جهة العقل، ولا من النقل، ولا في اللغة.

ومنهم من قال: إنّ المراد بعلم الغيب هو أن يعلم في نفسه بغير آلة ولا معلّم، وهم لا يعلمون من أنفسهم، وإنّما يعلّمهم الله سبحانه، فلا يعلمون الغيب لذلك، ولا يصحّ إطلاقه عليهم لذلك.

وهذا ليس بشيء أيضاً؛ لأنّ كلّ من يدّعي لهم علم الغيب من المسلمين لا يدّعي أنّ ذلك ليس من الله، إلّا الذين يقولون أنّهم أرباب وليسوا بحادثين، ولا يرجعون إلى ربّ، وهؤلاء لا جواب لهم، فذرهم وما يفترون.

ومن يدّعي أنّهم يعلمون الغيب، يقول: إنّهم مخلوقون، ويستدلّ بقوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ**

﴿يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[١] فأخبر أنّ من ارتضاه من رسله يظهرهم على غيبه، فينسب إليهم الغيب، وهو قد أظهرهم عليه؛ هذا في التفسير الظاهر[٢]، وفي الباطن من التأويل: المرتضى من محمّد ﷺ هو عليّ عليه السلام[٣]، والمعنى واحد.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٤] يعني فيطّلعهم على الغيب؛ هذا في التفسير الظاهر[٥]، وفي الباطن في التأويل: المجتبى من محمّد، عليّ، والمعنى واحد.

والنصوص من الكتاب والسنّة لا تحصى بكونهم يخبرون بالغيب، مثل قول يوسف الصدّيق: ﴿لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[٦]، وقال في حقّ عيسى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[٧] وهذا كثير، وقد سمّى هذا غيباً، ولا شكّ فيه، وهو من تعليم الله سبحانه.

ومنهم من قال: إنّهم لا يعلمون شيئاً؛ قليلاً ولا كثيراً، وإنّما ذلك وراثة من رسول الله ﷺ.

وهذا ليس بشيء على مرادهم، من أنّ هذا لا يصلح ولا يصدق على مثل ذلك

---

(١) سورة الجنّ ٧٢: ٢٦ و٢٧.

(٢) انظر التبيان في تفسير القرآن ١٠: ١٥٨.

(٣) انظر تفسير القمي ٢: ٣٩٠.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٧٩.

(٥) انظر تفسير جوامع الجامع ١: ٣٥٤.

(٦) سورة يوسف ١٢: ٣٧.

(٧) سورة آل عمران ٣: ٤٩.

علم الغيب، وإنّما علم الغيب ليعلم شيئاً لم يوقف عليه، وقد أشرنا إلى ردّ هذا بأنّ هذا الاشتراط لا أصل له، فإنّ الغيب والشهادة يراد بهما عالم المحسوسات وما غاب عن الحواسّ، فمن علم بما غاب عن الحواسّ فقد علم بشيء من الغيب، ولهذا قال سبحانه: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ (١).

والذي يترجّح في النظر القاصر، ويظهر من الأخبار الكثيرة الذي مرّ ذكر بعضها في العناوين الماضية وفاقاً لبعض الأجلّة، هو أنّهم عليهم السلام يعلمون ما اشتمل عليه الكتاب، وهو علم جمّ، قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ (٣)، وقال الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٤).

وظاهر هذه الآيات الإحاطة بكلّ شيء، وليس كذلك، بل الأشياء منها ما كان، ومنها المحتوم، ومنها المشروط، ومنها الموقوف:

فأمّا ما كان: فإنّ الله سبحانه قد أطلعهم على جميعه بواسطة محمّد صلى الله عليه وآله، ولا احتمال في أنّه كان.

وأمّا أنّه يبقى أو يتغيّر فعلى أقسام، منه ما أخبر الله تعالى بأنّه لا يتغيّر أبداً، وأنّه ليس في عالم الغيب والشهادة له مقتضى التغيير، وأخبرهم تعالى بأنّه إذا

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٧٣.

(٢) سورة يس ٣٦: ١٢.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

(٤) سورة يوسف ١٢: ١١١.

شاء أن يغيّره سبّب له المقتضيات، كما يشاء يغيّره[١] كيف يشاء؛ لأنّ ذاته سبب من لا سبب له، وسبب كلّ ذي سبب، ومسبّب الأسباب من غير سبب، فهم يعلمون بقوله، أنّ له أن يغيّره إن شاء ولا يعلمون هل يشاء تغييره أم لا، وهم من خشيته مشفقون، ويعلمون أنّه لا يتغيّر، ركوناً إلى قوله، وتصديقاً بوعده، وهم من خشيته مشفقون في الحالين، وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه** ﴾[٢]، وتدبّر في سرّ قوله: ﴿ **عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾[٣]، فمن تصديقهم بوعده، وثبات ركونهم إلى قوله، هم عباد مكرمون.

ومن علمهم أنّ كلّ هذه أشياء ممكنة لا تخرج بالوعد من الإمكان الذاتي، فإنّه لو شاء أن يغيّرها، غيّرها كيف شاء، وهم من خشيته مشفقون.

وقد روي عن الصادق عليه السلام، ما معناه انّ النبيّ إلياس عليه السلام سجد وبكى وتضرّع، فأوحى الله إليه: أن[٤] إرفع رأسك فإنّي لا أُعذّبك، قال: يا ربّ، إن قلت: إنّي لا أُعذّبك، ثمّ عذّبتني، ألست عبدك؟[٥]

ودعا عليّ بن الحسين عليه السلام في السجود بعد صلاة الليل، الذي أوّله: «إلهي، وعزّتك وجلالك لو أنّني منذ بدأت فطرتي من أوّل الدهر عبدتك دوام خلود

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فغيره).

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٤٧.

(٣) سورة الأنبياء ٢١: ٢٦ ـ ٢٨.

(٤) (إليه أن) أثبتناها من المصدر.

(٥) انظر الكافي ١: ٢٢٧/ح ٢، وعنه في بحار الأنوار ١٣: ٣٩٢/ باب ١٦ ـ ح ١.

ربوبيّتك بكلّ شعرة في كلّ طرفة عين»[١] إلى آخر الدعاء؛ فتدبّره تجده شاهداً بما نقول وإن كان معناه لا تدركه العقول، وإنّما تعرفه الأفئدة.

وفي قوله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[٢] قال عليه السلام ما معناه: إنّه لو شاء ذلك لفعل، ولكن لا يفعل ذلك به أبداً[٣].

وبيان هذا الحرف بالضرورة، أنّهم ممّن وعدهم النجاة، وأنّهم إلى رضوانه صائرون البتة، فإذا كان كذلك، فلم يخافون خوفاً لا يكون من أحد من الخلق، وهم يعلمون عن قوله إنّهم مقرّبون مرضيّ عنهم، بل ما خلق الجنّة والرضوان إلّا لهم ولأتباعهم؛ فافهم إن كنت تفهم.

ومنه: ما أخبرهم الله بأنّه يتغيّر وله ألّا يغيّر، فيحكمون بقول الله أنّه يتغيّر، ويعلمون عن تعليم الله لهم أنّ بيده ملكوت كلّ شيء، فإذا شاء عدم تغيّره يفعل[٤]، ولا رادّ لإرادته، ولا معقّب لحكمه.

ومنه: ما أخبر بأنّه لا يتغيّر، ولم يحتم لهم بأن يطلعهم على انتفاء مقتضى التغيير في الشهادة، وإن دلّ إخباره لهم ولملائكته مقتضى التغيير في الشهادة، وإن دلّ إخباره لهم ولملائكته على انتفاء مقتضى التغيير في الغيب؛ لأنّه إذا أخبر أنبياءه ورسله فإنّه لايكذّب نفسه، ولا يكذّب المخبرين عنه بالصدق، فيخبرون عنه سبحانه بأنّ هذا الشيء ثابت، ولله البداء فيما شاء، فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت.

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: ٥٣٥.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٨٦.

(٣) انظر توحيد الصدوق: ٤٥٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٦٧.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: :(فعل).

وأمّا ما يكون، فما أخبرهم الله بأنّه سيكون حتماً على صفة كذا، لا مانع له في الغيب من أسباب القدر، من متّمات قوابل الوجود، ومشخّصات التقدير، ولا مانع له في الشهادة من أسباب القضاء في متّماته كذلك، كالدعاء والصدقة والبرّ، وعدمها سابقة على القضاء بالإمضاء، بل ولاحقة؛ لأنّ اللّاحقة زماناً قد تكون سابقاً دهراً، ربّما يكون اللّاحقة بالفعل والسابقة بالقوّة، ولا ريب أنّ ما بالفعل سابق دهراً على ما بالقوّة، وإن تأخّر زماناً، فما كان كذلك، فإنّه سيكون ويعلمون، أنّ ذلك خلق الله وفي قبضته، فهو كما مرّ.

ومنه: ما أخبرهم سيكون، ولم يحتم لهم بكشف الحال في الغيب والشهادة، فهذا كحكم ما كان في عدم تغييره مع عدم الحتم كما تقدّم.

ومنه المحتوم، وهو كما مرّ.

ومنه المشروط، ويعلمون أنّه يجوز أن يقع شرطه وأن لا يقع، وما وقع شرطه يجوز أن لا يقع؛ لإيجاد مانع أقوى، ولمنع ذاته جلّ وعلا، وإن كان لازم الوقوع مع عدم المنع، ومع وجود الإذن، إذ بدون الإذن، بل الأسباب السبعة: المشيّة، والإرادة، والقدرة، والقضاء، والإذن، والأجل، والكتاب؛ لا يكون، فلا يكفي حصول الأسباب في الوجود بدون الإيجاد من الفاعل، انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً﴾[1] وإلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾[2].

ويجوز أن يقع لما يشاء من الأسباب والمتمّمات من المشخّصات، فإذا

---

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٦٩.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

حصلت الأسباب السبعة الفعليّة: المشيّة وما بعدها القابليّة، ومتمّماتها السبعة: الكمّ، والكيف، والجهة، والوقت، والرتبة، والمكان، والوضع؛ فإذا اجتمعت العلويّة والسفليّة أوجد بفضله ذلك الشيء إن شاء؛ فأُمّ الكتاب الذي لا محو فيه ولا تغيير، هو كون الشيء حين كونه، وأمّا قبله وما بعده، فهو الذي فيه المحو والإثبات لا أنّ فيه المثبت والممحوّ، كما يتوهّمه من لا بصيرة له[1] في الدين، فإنّ ذلك ممّا يجوز فيه المحو والإثبات، والله على كلّ شيء قدير، وهذا أيضاً يعلمونه على نحو ما سمعت.

ومنه الموقوف على المشيّة، فإن شاء الله إيجاده وجد، وإلّا فهو باق فيما شاء الله إمكانه، ولا شيء غير الله إلّا ما شاء إمكانه، ولا يشاء إيجاد ما لم يشاء إمكانه، إذ ليس شيئاً غيره سبحانه وتعالى، إنّ المعلوم والعالم من كلّ شيء سوى الله سبحانه لا قوام له إلّا بأمره، ولا وجود له إلّا عن مشيّته، وليس حالة غير هذه الحالة التي هي حالة الفقر إلى الله، وليست الأسباب أسباباً إلّا باللّه تعالى، بمعنى أنّ الأسباب إنّما تفعل بفعل الله تعالى، فإذا حدث مسبّب عن سبب، فإنّما الله أحدثه وهو سبحانه أقرب إليه منه في كلّ حال، لا فرق في ذلك بين الذات والصفة والاتصاف والتلازم والتقارن.

فإذا فهمت هذا فاعلم، أنّهم عباد مكرمون لا يعلمون إلّا ما علّمهم الله تعالى كلّ شيء بخصوصه، وما خصّصه لهم خصّصوه بتخصيصه لهم، وما أجمله لهم لا يستطيعون تخصيصه، بل ما خصّصه لهم لا يستطيعون إجماله إلّا به سبحانه، فإذا أعلمهم بشيء في أن لا يستطيعون أن يعلمونه في آن آخر إلّا بتعليم منه

---

(١) (له) أثبتناها من عندنا لمناسبة الكلام.

جديد، كما في الآن الأوّل بنسبته واحدة، فهم فيما سمعت وسائر الناس سواء، ولكنّه دعاهم، فأجابوا كما دعاهم ولم يتخلّفوا عن دعوته طرفة عين، فاجتباهم بعلمه، واختارهم لما هم أهله، فأدمنوا ذكره، ومجّدوا شأنه، وأعلنوا دعوته، فعلّمهم على نحو ما سمعت ما لم يكونوا يعلمون، وكان فضل الله عليهم عظيماً.

ولمّا كان صنعه جلّ وعلا للأشياء على حسب مقتضى قابليّتها، كان ما علّمهم من العلوم لا يتناهى بالنسبة إلى ما سواهم، بمعنى أنّ من سواهم ليس في وسعهم أن يتحمّلوا ما تحمّلوا عليهم السلام، وإن علّمهم الله إلّا أن يقلّب حقائقهم ويجعلهم كآل محمّد صلى الله عليه وآله، وهو قادر على ذلك، فإن كان ذلك القلب بحكم المقتضي الذي هو مقتضى القابليّة الجاري على الاختيار، لم يكن ذلك المجعول إلّا آل محمّد صلى الله عليه وآله، وإن كان ذلك الجعل بمقتضى القدرة لا غير، تصادمت الحكم وعلا بعضهم على بعض، وفسد النظام، فلا يمكن لأحد من الخلق أن يتحمّل ما تحمّلوه.

والحاصل: أنّهم لا يعلمون إلّا ما علّمهم الله سبحانه، وتعليمه في كلّ آن، فلو لم يعلّمهم في آنٍ ما كان عندهم شيء، ولا يعلّمهم الله إلّا بواسطة محمّد صلى الله عليه وآله، وهو قولهم الحقّ، كما في **الكافي**، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لولا أنّا نزداد لأنفدنا».

قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «أما إنّه إذا كان ذلك عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ على الأئمّة، ثمّ انتهى الأمر إلينا»[1].

---

(١) الكافي ١: ٢٥٥/ح٣، وعنه في بحار الأنوار ١٧: ١٣٦/ باب ١٧ ـ ح١٦.

ومثله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس يخرج شيء من عند الله عزّ وجلّ، حتّى يُبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ بأمير المؤمنين، ثمّ بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا»(١).

وإذا أراد الله أن يعلمهم شيئاً، فتح لهم باب خزانة العلم بهم، فعلموا ما شاء الله ويحجب عنهم ما شاء، وأعطاهم الاسم الأعظم، وهو مسمّى بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا شاؤوا أن يعلموا شيئاً علّمهم الله، وهو قول أبي عبد الله عليه السلام: «إذا أراد الإمام عليه السلام أن يعلم شيئاً، أعلمه الله عزّ وجلّ ذلك»(٢).

فقد ظهر لك أنّهم يعلمون علماً جمّاً، وأنّهم لو لم يزدادوا لأنفدوا، وأنّهم أبداً يستمدّون، ولا يستمدّون إلّا ما لا يعلمون، وقد أشرنا لك أنّ ما لا يعلمونه على وجهين: أحدهما هذا، والثاني ما علموه في آن لا يعلمون في آن آخر، إلّا بتعليم جديد؛ فافهم وثبّت ثبّتك الله.

وقد تقدّم أنّ الغيب هو ما غاب عن الحواسّ الظاهرة، فإذا قلت: لا يعلمون الغيب، صدقت؛ لأنّهم لا يعلمون شيئاً إلّا بتعليم الله على نحو ما ذكرت، وإن قلت: يعلمون الغيب، وتريد ما غاب عن الحواسّ الظاهرة يعلمون منه ما علّمهم الله صدقت، ولا عيب في شيء من ذلك، وعلى هذا المعنى تحمل النصوص الدالّة على علمهم بالأُمور المغيّبة والمستقبلة قبل أن تقع؛ لأنّهم إذا شاؤوا علّمهم الله.

---

(١) الكافي ١: ٢٥٥/ح٤.

(٢) الكافي ١: ٢٥٨/ح٣.

وفي **الكافي**: عن معمّر بن خلّاد، قال: سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له: أتعلمون الغيب؟

فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنّا فلا نعلم» وقال: «سرّ الله أسرّه إلى جبرئيل، وأسرّه جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمّد إلى من شاء الله»[1].

وهذا ما نبّهتك عليه، وإن أُريد بعلم الغيب أنّهم يطّلعون بذواتهم على ما غاب عنهم، كما يدّعونه الغلاة والقشريّة في أشباه الناس، فهو ما أشار إليه الحجّة عليه السلام في التوقيع المتقدّم؛ لأنّ في ذلك استقلال الحادث، ويلزم منه مشاركة الله في ملكه، كما ذكره عليه السلام في التوقيع، ولا تتوهّم إنّي جريت على القشر في بيان هذا الأمر، بل كشفت لك عن حقيقة الحقائق، وأوضحت ما أُبهم على الجمّ الغفير من سلوك مستقيمات الطرائق، والله خليفتي عليك.

وإنّما أطلت الكلام في هذا المقام لعظم الحاجة إليه، وقلّة العاثر عليه، وأنا سائل ممّن حسن سجيّته، وسلم من داء الحسد طبيعته، إذا عثر على شيء طغى به القلم، أو زلّت به القدم، أن يغتفر ذلك في جنب ما قرّبت عليه من البعيد، ورددت إليه من الشريد، وأرحته من التعب، وصيّرتُ القاصي يناد به من كثب[2]، وأن يحضر قلبه أنّ الجواد قد يكبو، وأنّ الصارم قد ينبو، وأنّ السهو والنسيان كالطبيعة الثانية للإنسان.

---

(١) الكافي ١: ٢٥٦/ح ١.

(٢) في حاشية «م» «ت»: والقصا: البعد، والكثب: القرب. (منه عليه السلام)، (انظر الصحاح ٦: ٢٤٦٢ ـ قصا، وج ١: ٢٠٩ ـ كثب).

وهذه المسألة الشريفة مع كثرة الحاجة إليها وقلّة الباحث عنها بهذا البسط والبيان وبهذا التوجيه والتبيان، لا توجد مجتمعة في كلام، ولا مجموعة الأطراف في كتاب؛ فاغتنم هذا وكُن من الشاكرين.

وإذا شككت، أو تأمّلت في ما ترجّح في نظرنا، وما ادّعينا ظهور الأخبار فيه، فارجع إلى ملاحظة أخبار العناوين، حتّى يزول عنك الشكّ والتأمّل، فتكون من الموقنين.

ولمّا كان إحاطة علمهم عليهم السلام بهذه المثابة، عدّها علماؤنا الثقات رحمة الله عليهم في رسائلهم الاعتقاديّة من اعتقادات الإثني عشريّة.

«اعتقادات المجلسي في إحاطة علم الإمام عليه السلام»

قال المجلسيّ الثاني عليه الرحمة في رسالته الاعتقاديّة: ثمّ لابدّ أن نعتقد في النبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمّة عليهم السلام، أنّهم يعلمون علوم جميع الأنبياء، وأنّهم يعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأنّ عندهم آثار الأنبياء وكتبهم، كالتوراة والإنجيل والزبور، وصحف آدم وإبراهيم وشيث، وعصا موسى وخاتم سليمان، وقميص إبراهيم والتابوت والألواح، وغير ذلك، وأنّه كان جهاد من جاهد منهم، وقعود من قعد عن الجهاد، وسكوت من سكت، ونطق من نطق، وجميع أفعالهم وأقوالهم بأمر الله، وأنّ كلّما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله علّمه عليّاً عليه السلام، وكذا كلّ لاحق يعلم جميع علم السابق عند إمامته، وأنّهم لا يقولون برأي ولا اجتهاد، بل يعلمون جميع الأحكام من الله تعالى، ولا يجهلون شيئاً يُسئلون عنه، ويعلمون جميع اللغات، وجميع أصناف الناس بالإيمان والكفر، ويُعرَض عليهم أعمال

هذه الأُمّة كلّ يوم؛ أبرارها وفجّارها، ولا تعتقد أنّهم خلقوا العالم بأمر الله تعالى، فإنّا نُهينا في صحاح الأخبار عن القول به، ولا عبرة بما رواه البرسيّ، وغيره من الأخبار الضعيفة، ولا يجوز عليهم السهو والنسيان، وما ورد به من الأخبار محمولة على التقيّة[1].

فلمّا انجرّ الكلام إلى هنا، فلا بأس بذكر ما وصل إلينا من كلمات فحول العلماء رضوان الله عليهم:

قال المجلسيّ ﷺ في **البحار**: تحقيقٌ: وقد عرفت مراراً، أنّ نفي علم الغيب عنهم معناه: أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم، بغير تعليمه تعالى، بوحي أو إلهام، وإلّا فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من هذا القبيل، وإحدى وجوه إعجاز القرآن أيضاً، اشتماله على الإخبار بالمغيّبات، ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المغيّبات بإخبار الله تعالى، ورسوله، والأئمّة صلوات الله عليهم، كالقيامة وأحوالها، والجنّة والنار، والرجعة وقيام القائم عليه السلام، ونزول عيسى عليه السلام، وغير ذلك من أشراط الساعة، والعرش[2] والكرسيّ والملائكة.

وأمّا الخمسة التي وردت في الآية، فتحتمل وجوهاً:

الأوّل: أنّ المراد أنّ تلك الأُمور لا يعلمها على التعيين والخصوص إلّا الله تعالى، فإنّهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلاني، فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقة التي تفارق الروح الجسد فيها مثلاً، ويحتمل أن يكون ملك الموت أيضاً لا يعلم ذلك.

---

(١) الاعتقادات للمجلسي: ١٥ ـ ١٦.

(٢) (العرش) أثبتناها من المصدر.

الثاني: أن يكون العلم الحتمي بها مختصّاً به تعالى، وكلّ ما أخبر الله به من ذلك كان محتملاً للبداء.

الثالث: أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلّا من قبله، فيكون كسائر الغيوب، ويكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره.

الرابع: ما أومأنا إليه سابقاً، وهو أنّ الله تعالى لم يطلع على تلك الأُمور كليّة أحداً من الخلق على وجه لا بداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها، كليلة القدر، أو أقرب من هذا، وهذا وجه قريب تدلّ عليه الأخبار الكثيرة، إذ لابدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت، كما ورد في الأخبار، وكذا ملائكة السحاب والمطر، بوقت نزول المطر، وكذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث.

تذييلٌ: قال الشيخ المفيد ﷺ في كتاب المسائل: إنّ الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام، قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم، وإنّما أكرمهم الله تعالى به، وأعلمهم إيّاه للطف في طاعتهم، والتبجيل بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنّه وجب لهم من جهة السماع، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بيّن الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلّا الله عزّ وجلّ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة، إلّا من شذّ عنهم من المفوّضة، ومن انتمى من الغلاة[1]. [2]

---

(١) أوائل المقالات: ٤١/٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٦: ١٠٣ ـ ١٠٤.

الحديث الرابع[1]

«في أوصاف النبي ﷺ في الزبر السالفة»

ما رواه السيّد رحمه الله[2] في كتاب **إقبال الأعمال**، قال: روينا بالأسانيد الصحيحة والروايات الصريحة إلى أبي المفضّل محمّد بن عبد المطّلب الشيبانيّ رحمه الله من كتاب المباهلة، ومن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل بن أشناس من كتاب عمل ذي الحجّة، فيما رويناه بالطرق الواضحة عن ذوي الهمم الصالحة، لا حاجة إلى ذكر أسمائهم، لأنّ المقصود ذكر كلامهم.

أقول: قد كفانا السيّد السند والبحر المعتمد عن تصحيح السند بتصحيحه فلانعيده، والرواية طويلة جدّاً، لأنّ المناظرة الواقعة بين السيّد والعاقب وبين حارثة كانت أيّاماً كثيرة إلّا أنّا نذكر موضع الحاجة منها؛ ليعلم الناظر أنّ أوصاف النبيّ ﷺ كانت مذكورة في الكتب السماويّة ليزداد بصيرة في الدين.

قالوا: لمّا فتح النبيّ ﷺ مكّة، وانقادت له العرب، وأرسل رُسُله ودُعاته إلى

---

(١) إقبال الأعمال ٢: ٣١٠ ـ ٣٤٨/ الباب السادس ـ الفصل الأوّل، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٢٨٦ ـ ٣٢٥.

(٢) في حاشية «م» «ت»: ابن طاووس. (منه رحمه الله)

الأُمم، وكاتب الملكين كسرى وقيصر[١] يدعوهما إلى الإسلام، وإلّا أقرّا بالجزية والصغار، وإلّا آذنّا بالحرب العَوانِ[٢]، أكبر شأنه نصارى نجران وخلطاؤهم من بني عبد المدان وجميع بني الحارث بن كعب، ومن ضوى[٣] إليهم ونزل بهم في دَهماء الناس[٤] على اختلافهم هناك في دين النصرانيّة من الأروسيّة والسالوسيّة[٥] وأصحاب دين الملك والماروثيّة والعبّاد والنسطوريّة[٦]، وأملأت قلوبهم على تفاوت منازلهم رهبةً منه[٧] ورُعباً، فإنّهم كذلك[٨] في[٩] شأنهم إذ وردت عليهم رسل رسول الله ﷺ بكتابه وهم: عتبة ابن غزوان، وعبد الله بن أبي أُميّة، والهَدير بن عبد الله أخو تيم بن مرّة، وصهيب ابن سنان أخو النمر بن قاسط يدعوهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوا فإخوان، وإن أبوا واستكبروا فإلى الخطّة[١٠] المخزية إلى أداء الجزية عن يدٍ، فإن رغبوا عمّا

---

(١) حاشية «م» «ت»: كسرى: لقب ملك فارس، كما أنّ قيصر لقب ملك الروم. (لغة منه ﷺ)

(٢) في حاشية «م» «ت»: والحرب العوان ما قوتل فيه مرّة بعد أخرى. (لغة منه ﷺ)، (الصحاح ٦: ٢١٦٨ ـ عون).

(٣) ضويت إليه: إذا أويت إليه وانضمت (الصحاح ٦: ٢٤١٠ ـ ضوا).

(٤) دهماء الناس: أي جماعتهم (لسان العرب ١٢: ٢١١ ـ دهم).

(٥) (السالوسيّة) أثبتناها من المصدر.

(٦) في حاشية «م» «ت»: النسطوريّة ـ بالضم ـ أُمّة من النصارى تخالف بقيّتهم، وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٢: ١٤٢).

(٧) (منه) أثبتناها من المصدر.

(٨) في نسختي بدل من «م» «ت»: (وإنّهم لذلك).

(٩) في المصدر: (من).

(١٠) الخطة: الأمر والقصّة.

دعاهم إليه من إحدى المنزلتين وعَنَدوا فقد آذنهم على سواء.

وكان في كتابه ﷺ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

قالوا: وكان رسول الله ﷺ لا يقاتل قوماً حتّى يدعوهم، فازداد القوم لورود رُسِل نبيّ الله ﷺ وكتابه نفوراً وامتزاجاً، ففزعوا لذلك إلى بَيْعَتِهم العظمى، وأمروا فَفُرِشَ أرضها وأُلبس جُدُرها بالحرير والديباج، ورفعوا الصليب الأعظم، وكان من ذهب مرصّع، أنفذه إليهم قيصر الأكبر، وحفظ ذلك بنو الحارث بن كعب، وكانوا ليوث الحرب وفرسان الناس، قد عرفت العرب ذلك لهم في قديم أيّامهم في الجاهليّة، فاجتمع القوم جميعاً للمشورة والنظر في أُمورهم، وأسرعت إليهم القبائل من مذحج وعك وحِمْيَر وأنمار ومن دنا منهم نسباً وداراً من قبائل سبأ، وكلّهم قد وَرَم أنفُهُ غضباً لقومهم، ونكص من تكلّم منهم بالإسلام ارتداداً، فخاضوا وأفاضوا في ذكر المسير بنفسهم وجمعهم إلى رسول الله ﷺ والنزول به بيثرب لمناجزته.

فلمّا رأى أبو حامد حصين بن علقمة ـ أُسْقُفُهم[2] الأوّل وصاحب مدارسهم وعلّامهم، وكان رجلاً من بني بكر بن وائل ـ ما أزمع القوم عليه من إطلاق الحرب، دعا بعصابة فرفع بها حاجبيه عن عينيه ـ وقد بلغ يومئذٍ عشرين ومائة

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٦٤.

(٢) الأسقف: رئيس النصارى في الدين، وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته، والسقف في اللغة طول في انحناء. (منه ﷺ)، (النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٧٩ ـ سقف).

سنة ـ ثمّ قام فيهم خطيباً معتمداً على عصىً وكانت فيه بقيّة وله رأيٌ ورويّة، وكان موحّداً يؤمن بالمسيح وبالنبيّ عليه السلام ويكتم ذلك من كَفَرَة قومه وأصحابه، فقال:

مهلاً بني عبد المدان مهلاً، استديموا العافية والسعادة فإنّهما مطويان في الهوادة[١]، دبوا إلى قوم في هذا الأمر دبيب الذرّ، وإيّاكم والسورة العجلى فإنّ البديهيّة بها لا تنجب.

إنّكم والله على فعل ما لم تفعلوا أقدر منكم على ردّ ما فعلتم إلّا إنّ النجاة مقرونة بالأناة، ألا رُبّ إحجام أفضل من إقدام، وكأيّن من قول أبلغ من صول.

ثمّ أمسك، فأقبل عليه كُرز بن سبرة الحارثي ـ وكان يومئذٍ زعيم بني الحارث ابن كعب، وفي بيت شرفهم، والمتعصّب فيهم وأمير حروبهم ـ فقال: لقد انتفخ سحرك، واستطير قلبك أبا حارثة فظلت كالمسبوع اليراعة الهلوع[٢] تضرب لنا الأمثال، وتخوّفنا النزال، لقد علمتَ وحقّ المنّان بفضيلة الحفاظ بالنَوء بالعِبء وهو عظيم، وتلقّح الحرب وهي عقيم، تُثقِّف أَوَدَ الملك الجبّار، ولنحن أركان الرايس[٣] وذي المنار، الذين شددنا ملكهما فأيّ أيّامنا ينكر؟ أم لأيّها ويك تُلْمَز[٤].

---

(١) الهوادة ـ بفتح الهاء ـ: وهي السكون والمحاباة والصلح والميل واللين (مجمع البحرين ٣: ١٧٠ ـ هود).

(٢) الهلوع: الذي يفزع ويجزع من الشر (لسان العرب ٨: ٣٧٥ ـ هلع).

(٣) في حاشية «م» «ت»: ورأس فلان القوم رياسته وهو رئيسهم، قال يعقوب: هو رأس الكلاب، فهو في الكلاب بمنزلة الرئيس في القوم. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٣: ٩٣٣ ـ رأس).

(٤) اللمز: العيب (الصحاح ٣: ٨٩٥ ـ لمز).

فما أتى على آخر كلامه حتّى انتظم نصلَ نبلةٍ كانت في يده بكفّه غيظاً وغضباً وهو لا يشعر، فلمّا أمسك كرز بن سبرة أقبل عليه العاقب واسمه عبد المسيح بن شرحبيل وهو يومئذٍ عميد القوم وأمير رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون جميعاً إلّا عن قوله، فقال له: أفلح وجهك، وآنس ربعك، وعزّ جارك، وامتنع ذمارك، ذكرت ـ وحقّ مغبّرة الجباه ـ حسباً صميماً[١] وعيصاً كريماً وعزّاً قديماً، ولكن أبا سبرة لكلّ مقام مقال، ولكلّ عصر رجال، والمرء بيومه أشبه منه بأمسه، وهي الأيّام تهلك جيلاً وتديل قبيلاً[٢]، والعافية أفضل جلباب، وللآفات أسباب؛ فمن أوكد أسبابها التعرّض لأبوابها.

ثمّ صمت العاقب مطرقاً، فأقبل عليه السيّد واسمه أهتم بن النعمان ـ وهو يومئذٍ أُسقف نجران، وكان نظير العاقب في علوّ المنزلة، وهو رجل من عاملة، وعداده في لخم[٣] ـ فقال له: سَعِدَ جدُّكَ، وسما جدّك أبا وائلة، إنّ لكلّ لامعة ضياءً وعلى كلّ صواب نوراً، ولكن لا يدركه ـ وحقّ واهب العقل ـ إلّا من كان بصيراً، إنّك أفضيت وهذان فيما تصرّف بكما الكلم إلى سبيلَي حَزَن وسهل، ولكلّ على تفاوتكم حظّ من الرأي الربيق[٤] والأمر الوثيق، إذا أُصيبت به مواضعه، ثمّ إنّ أخا قريش قد نجدكم لخطبٍ عظيمٍ، وأمر جسيم، فما عندكم فيه قولوا وأنجزوا: أبخوعٌ وإقرار أم نزوع؟

---

(١) (حسباً صميماً) أثبتناها من المصدر.

(٢) وتديل قبيلاً: أي تنزع الدولة من قبيلة، وتحوّلها إلى أخرى.

(٣) في حاشية «م» «ت»: لخم حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهليّة. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ٢٢٨ ـ لخم).

(٤) في «م» «ت»: (الرشيق) وما أثبتناه من المصدر.

قال عتبة والهدير[١] والنفر من أهل نجران: فعاد كرز بن سبرة لكلامه وكان كميّاً[٢] أبيّاً، فقال: أنحن نفارق ديناً رسخت عليه عروقنا، ومضى عليه آباؤنا، وعرف ملوك الناس ثمّ العرب ذلك، أنتهالك[٣] إلى ذلك أم نُقرّ بالجزية، وهي الخزية حقّاً، لا والله حتّى نجرّد البواتر[٤] من أغمادها، وتذهل الحلائل عن أولادها، ونُشرقُ نحو محمّد بدمائنا، ثمّ يديل الله عزّ وجلّ بنصره من يشاء.

قال له السيّد: أربع على نفسك وعلينا أبا سبرة، فإنّ سلَّ السيف تُسَلُّ السيوف، وإنّ محمّداً قد بخعت له العرب وأعطته طاعتها، ومَلِكَ رجالها وأعنّتها، وجرت أحكامه في أهل الوبر منهم والمدر، ورمقه الملكان العظيمان كسرى وقيصر، فلا أراكم ـ والروح ـ لو نهد لكم إلّا وقد تصدّع عنكم من حفَّ معكم من هذه القبائل فصرتم جفاءً[٥] كأمس الذاهب أو كلحم على وضم.

وكان فيهم رجل يقال له: جهير بن سراقة البارقي، من زنادقة نصارى العرب، وكان له منزلة من ملوك النصرانيّة، وكان مثواه بنجران، فقال له أبا سعاد: قل في أمرنا وأنجدْنا[٦] برأيك، فهذا مجلس له ما بعده.

فقال: فإنّي أرى لكم أن تقاربوا محمّداً وتطيعوه في بعض ملتمسه عندكم،

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وهدر الحمام هديراً: صوّت، ويقال: بنو فلان. هَدَرَةٌ أي ساقطون ليسوا بشيء. (منه ﷺ)، (الصحاح ٢: ٨٥٢ ـ هدر).

(٢) الكمي: الشجاع، سمي به؛ لأنّه يتكمن في السلاح، أي: يتغطى به (العين ٥: ٤١٩ ـ كمي).

(٣) أنتهالك: أي نسرع إلى هذا الدين فندخل فيه من غير روية.

(٤) البواتر: السيوف القاطعة.

(٥) في حاشية «م» «ت»: الجفاء ما قذفه السيل. (منه ﷺ)

(٦) وفي حاشية «م» «ت»: وأنجدنا، أي أخذنا في بلاد نجد، ونجد في بلاد العرب خلاف الغور، والغور هو تهامة، وكلّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد. (منه ﷺ)

ولينطلق وفودكم إلى ملوك أهل ملّتكم إلى الملك الأكبر بالروم قيصر، وإلى ملوك هذه الجلدة السوداء الخمسة، يعني ملوك السودان: ملك النوبة، وملك الحبشة، وملك عُلوه، وملك الرعا، وملك الراحات، ومريس والقبط، وكلّ هؤلاء كانوا نصارى.

قال: وكذلك من ضوى[١] إلى الشام وحلّ بها من ملوك غسّان ولخم وجذام وقضاعة وغيرهم من ذوي يمنكم، فهم لكم عشيرة وموال وأعوان، وفي الدين إخوان، يعني إنّهم نصارى، وكذلك نصارى الحيرة من العباد وغيرهم، فقد صَبت إلى دينهم قبائل تغلب بنت وائل، وغيرهم من ربيعة بن نزار لتسير وفودكم ثمَّ[٢] لتخرق إليهم البلاد اغذاذاً[٣]، فيستصرخونهم لدينكم فستنجدكم الرّوم وتسير إليكم الأساودة مسير أصحاب الفيل، وتقبل إليكم نصارى العرب من ربيعة اليمن، فإذا وصلت الأمداد واردة، سرتم أنتم في قبائلكم وسائر من ظافركم، وبذل نصره ومؤازرته لكم، حتّى تضاهئون من أنجدكم وأصرخكم، من الأجناس، والقبائل الواردة عليكم، فأمّوا محمّداً[٤] حتّى تنيخوا[٥] به جميعاً، فسيعنق إليكم وافداً لكم من صبا إليه مغلوباً مقهوراً، وينعق به من كان

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وضوى إليه، أي مال منه. (منه ﷺ)

(٢) (ثمّ) أثبتناها من بحار الأنوار.

(٣) اغذاذاً: أي سريعاً.

(٤) فأمّوا محمّداً: أي أقصدوا محمّداً.

(٥) في «م» «ت» والمصدر: (تنجوا) وما أثبتناه من البحار هو الصواب.
وأنخت: من أبركت، من أنخت الجمل فاستناخ: أي أبركته فبرك (الصحاح ١: ٤٣٤ ـ نوخ).

منهم في مَدَرَتِهِ[١] مكثوراً فيوشك تصطلموا[٢] حوزته وتطفؤوا جمرته، ويكون لكم بذلك الوجه والمكان في الناس، فلا تتمالك العرب حينئذٍ حتّى تتهافت دخولاً في دينكم، ثمّ لتعظمنّ بيعتكم هذه، ولتشرفنّ حتّى تصير كالكعبة المحجوجة بتهامة؛ هذا الرأي فانتهزوه، فلا رأي لكم بعده.

فأعجب القوم كلام جهير بن سُراقة، ووقع منهم كلّ موقع، فكاد أن يتفرّقوا على العمل به، وكان فيهم رجل من ربيعة بن نزار من بني[٣] قيس بن ثعلبة يُدعى حارثة بن أُثال على دين المسيح عليه السلام، فقام حارثة على قدميه وأقبل على جهير، وقال متمثّلاً:

متى ما تقد بالباطل الحقّ يأبه[٤] وإن قُدْتَ بالحقّ الرواسيَ تَنْقِد

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدي

ثمّ استقبل السيّد والعاقب والقسّيسين والرهبان وكافّة نصارى نجران بوجهه لم يخلط معهم غيرهم، فقال: سمعاً يا أبناء الحكمة وبقايا حملة الحجّة، إنّ السعيد والله من نَفَعَتْهُ الموعظة ولم يَعْشِ عن التذكرة.

«في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله على لسان عيسى عليه السلام»

ألا وإنّي أُنذركم وأُذكّركم قول مسيح الله عزّ وجلّ، ثمّ شرح وصيّته ونصّه

---

(١) المدرة: واحدة المدر، والعرب تسمّي القرية مدرة (الصحاح ٢: ٨١٢ ـ مدر).

(٢) في حاشية «م» «ت»: والاصطلام الاستئصال. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٥: ١٩٦٧ ـ صلم)

(٣) (بني) أثبتناها من المصدر.

(٤) في المصدر: (بابه).

على وصيّه شمعون بن يوحنّا وما يحدث على أُمّته من الافتراق ثمّ ذكر عيسى عليه السلام وقال: إنّ الله جلّ جلاله أوحى إليه:

فخذ يابن أمتي كتابي بقوّةٍ ثمّ فسّره لأهل سوريا بلسانهم، وأخبرهم أنّي أنا الله لا إله إلّا أنا الحيّ القيّوم، البديع الدائم، الذي لا أحول ولا أزول، إنّي بعثت رسلي ونزلت كتبي رحمةً ونوراً وعصمةً لخلقي، ثمّ إنّي باعث بذلك نجيب رسالتي أحمدَ صفوتي وخيرتي في بريّتي البارقليطا عبدي، أُرسله في خُلوٍّ من الزمان، انبعثه بمولده فاران من مقام إبراهيم عليه السلام، أنزل عليه توراةً[1] حديثةً أفتح بها أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً[2] وقلوباً غلفاً، طوبى لمن شهد أيّامه وسمع كلامه فآمن به واتّبع النور الذي جاء به، فإذا ذكرتَ يا عيسى ذلك النبيّ فصلّ عليه فإنّي وملائكتي نصلّي عليه.

قالوا: فما أتى حارثة بن أثال على قوله هذا حتّى أظلم بالسيّد والعاقب مكانهما، وكرها ما قام به في الناس معرباً ومخبراً عن المسيح عليه السلام بما أخبر وأقدم[3] من ذكر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، لأنّهما كانا قد أصابا بموضعهما من دينهما شرفاً بنجران ووجهاً عند ملوك النصرانيّة جميعاً، وكذلك عند سوقتهم وعُربهم في البلاد، فأشفقا أن يكون ذلك سبباً لانصراف قومهما عن طاعتهما لدينهما، ونسخاً لمنزلتهما في الناس.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (نوراً).

(٢) في المصدر: (صماء).

(٣) في المصدر: (وقدم).

فأقبل العاقب على حارثة، فقال: أمسك عليك يا حارُ[١] فإنّ رادّ هذا الكلام عليك أكثر من قابله، ورُبّ قول يكون بليّته[٢] على قائله وللقلوب نفرات عند الإصداع بمضنون الحكمة، فاتّق نفورها فلكلّ نبأ[٣] أهل، ولكلّ خطب محلّ، وإنّما الدرك ما أخذ لك بنواصي[٤] النجاة وألبسكَ جُنّة السلامة، فلا تعدلنّ بهما حظّاً، فإنّي لم آلُكَ لا أبا لك نُصحاً[٥].

إلى أن قال حارثة بن أثال بعد مناظرة كثيرة صارفاً إلى السيّد وجهه: ألم تعلم ما أنبأ به المسيح في بني إسرائيل وقوله لهم:

كيف بكم إذا ذهب إلى أبي وأبيكم، وخلف بعد أعصار يخلو من بعدي وبعدكم صادق وكاذب، قالوا: ومَن هما يا مسيح الله؟ قال: نبيّ من ذريّة إسماعيل صادق، ومتنبئ[٦] من بني إسرائيل كاذب، فالصادق منبعث منهما برحمة وملحمة يكون له الملك والسلطان ما دامت الدنيا، وأمّا الكاذب فله نبز يذكر به المسيح الدجّال يملك فواقاً، ثمّ يقتله الله بيدي إذا رجع بي.

قال حارثة: وأُحذّركم يا قوم أن يكون من قِبَلكم من اليهود أُسوة لكم إنّهم أُنذروا بمسيحين: مسيح[٧] رحمة وهدى، ومسيح ضلالة، وجعل لهم على كلّ

---

(١) حارُ: مرخم من حارث.

(٢) في المصدر: (بلية).

(٣) في «م» «ت»: (بناء)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) في المصدر: (بمواضي).

(٥) أي لم أقصر في نصحك.

(٦) في «م» «ت»: (مستبئ)، وما أثبتناه من المصدر.

(٧) (مسيح) أثبتناها من المصدر.

واحد منهما آية وأمارة، فجحدوا مسيح الهدى وكذّبوا به، وآمنوا بمسيح الضلالة الدجّال وأقبلوا على انتظاره، وأضربوا في الفتنة وركبوا نُتُجها، ومن قبل ما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءه والقوّامين بالقسط من عباده فحجب الله عزّ وجلّ عنهم البصيرة بعد التبصرة بما كسبت أيديهم، ونزع ملكهم[١] ببغيهم وألزمهم الذلّة والصغار، وجعل منقلبهم إلى النار.

وقال العاقب: فما أشعرك يا حارُ أن يكون هذا النبيّ المذكور في الكتب هو قاطن يثرب؟ ولعلّه ابن عمّك صاحب اليمامة، فإنّه يذكر من النبوّة ما يذكر منها أخو قريش، وكلاهما من ذريّة إسماعيل، ولجميعهما أتباع وأصحاب يشهدون بنبوّته ويقرّون له برسالته، فهل تجد بينهما في ذلك من فاصلة فتذكرها؟

قال حارثة: أجل والله أجدها، والله أكبر وأبعد ممّا بين السحاب والتراب، وهي الأسباب التي بها وبمثلها تثبت حجّة الله في قلوب المعتبرين من عباده لرسله وأنبيائه، وأمّا صاحب اليمامة فليكفك[٢] فيه ما أخبركم به سفهاؤكم وعيركم والمنتجعة منكم أرضه ومن قدم من أهل اليمامة عليكم، ألم تُخبِرْكم جميعاً عن رواد مسيلمة وسُمّاعه[٣] ومن أوفده صاحبهم إلى أحمد بيثرب فعادوا إليه جميعاً بما تعرّفوا هناك في بني قيلة وتبيّنوا به، قالوا: قدم علينا أحمد يثرب وبثارنا ثمادٌ، ومياهنا مَلِحةٌ، وكنّا من قبله لا نستطيب ولا نستعذب، فبصق في بعضها ومجّ في بعض، فعادت عِذاباً مُحْلَوْلية، وجاش منها[٤] ما كان ماؤها

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ملكتهم)، وكذا في البحار.

(٢) في «م» «ت»: (فليكفيك)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في المصدر: (سماعيه).

(٤) في المصدر: (منهما).

ثماداً فحار بحراً، وقالوا: تفل محمّد في عيون رجال ذوي رَمَد، وعلى كلوم رجال ذوي جراح، فبرئت لوقته عيونهم فما اشتكوا، واندملت جراحهم فما ألموها في كثير ممّا أدّوا ونبّؤا عن محمّد ﷺ من دلالة وآية.

وأرادوا صاحبهم مسيلمة على بعض ذلك فأنعم لهم كارهاً، وأقبل بهم إلى بعض بئارهم فمجّ فيها وكانت الرُّكي مُعذوذبة فحارت مُلحاً لا يستطاع، وبصق في بئر كان ماؤها وَشَلاً فعادت فلم تَبُضَّ بقطرة من ماء، وتفل في عين رجل كان بها رمد فعميَت، وعلى جراح أو قالوا جراح آخر فاكتسى جلده برصاً، فقالوا لمسيلمة فيما أبصروا في ذلك منه واستبرؤوه[1] وقال: ويحكم، بئس الأُمّة أنتم لنبيّكم، والعشيرة لابن عمّكم، إنّكم تحيّفتموني يا هؤلاء من قبل أن يوحى إليّ في شيء ممّا سألتم، والآن فقد أُذِن لي في أجسادكم وأشعاركم دون بئاركم ومياهكم، هذا لمن كان منكم بي مؤمناً، وأمّا من كان مرتاباً فإنّه لا يزيده تفلتي[2] عليه إلّا بلاءً؛ فمن شاء الآن منكم فليأت لأتفل في عينه وعلى جلده، قالوا: ما فينا ـ وأبيك ـ أحدٌ يشاء ذلك، إنّا نخاف أن يشمتَ بك أهل يثرب، وأضربوا عنه حميّة لنسبه فيهم وتذمُّماً لمكانه منهم.

فضحك السيّد والعاقب حتّى فحصا الأرض بأرجلهما، وقالا[3]: ما النور والظلام، والحقّ والباطل بأشدّ تبايناً وتفاوتاً ممّا بين هذين الرجلين صدقاً وكذباً.

قالوا: وكان العاقب أحبّ مع ما تبيّن من ذلك أن يشيّد ما فرّط من تقريظه في

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (واستزاده).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (نفثي).

(٣) في «م» «ت»: (ملاقاً)، وما أثبتناه من المصدر.

مسيلمة ويؤوّل منزلته ليجعله لرسول الله ﷺ كُفؤاً استظهاراً بذلك في بقاء عزّه وما طار له[١] في السموّ في أهل ملّته، فقال: ولئن فجر أخو بني حنيفة[٢] في زعمه أنّ الله عزّ وجلّ أرسله وقال من ذلك ما ليس بحقّ فلقد برّ في أن نقل قومه من عبادة الأوثان إلى الإيمان بالرحمان.

قال حارثة: أُنشدك باللّه الذي دحاها، وأشرق باسمه قمراها، هل تجد فيما أنزل الله عزّ وجلّ في الكتب السالفة:

يقول الله عزّ وجلّ: أنا الله لا إله إلّا أنا ديّانُ يوم الدين، أنزلتُ كتبي وأرسلتُ رُسُلي لأستنقذ بهم عبادي من حبائل الشيطان، وجعلتهم في بريّتي وأرضي كالنجوم الدراري في سمائي يهدون بوحيي وأمري، من أطاعهم أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، وإنّي لعنتُ وملائكتي في سمائي وأرضي واللّاعنون من خلقي من جحد بربوبيّتي، أو عدل بي شيئاً من بريّتي، أو كذّب بأحد من أنبيائي ورسلي، أو قال أُوحي إليّ ولم يُوحَ إليه شيئاً، أو غَمَضَ سلطاني أو تقمّصه متبرئاً[٣]، أو أكْمَه عبادي وأضلّهم عنّي، ألا وإنّما يعبدني من عرف ما أُريد من عبادتي وطاعتي من خلقي؛ فمن لم يقصد إلي من السبيل التي نهجتها برسلي لم يزدد في عبادته منّي إلّا بُعداً.

---

(١) (له) أثبتناها من المصدر.

(٢) في «م» «ت»: (خيفة)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في «م» «ت»: (أو غمض سلطاني أو تغمضه مبرّناً)، وما أثبتناه من نسختي بدل منهما موافق لما في المصدر.

قال العاقب: رويدك، فأشهدُ لقد نبّأت حقّاً.

قال حارثة: فما دون الحقّ من مقنع، ولا بعده لامرئ مفزع، ولذلك قلت الذي قلت.

فاعترضه السيّد وكان ذا محال وجدال شديد، فقال: ما أحرى وما أرى أخا قريش مُرسَلاً إلّا إلى قومه بني إسماعيل دينه وهو مع ذلك يزعم أنّ الله عزّ وجلّ أرسله إلى الناس جميعاً.

قال حارثة: أفتعلم أنت يا أبا قرّه أنّ محمّداً مُرسل من ربّه إلى قومه خاصّة؟

قال: أجل.

قال: أتشهد له بذلك؟

قال: ويحك، وهل يستطاع دفع الشواهد؟ نعم أشهد غير مرتاب بذلك، وبذلك شهدت له الصحف الدّارسة والأنباء الخالية.

فأطرق حارثة ضاحكاً ينكت الأرض بسبّابته.

قال السيّد: ما يضحكك[1] يابن أثال؟

قال: عجبت فضحكت.

قال: أوعجب ما تسمع؟

قال: نعم، العجب أجمع، أليس بالإله بعجيب من رجل أُوتي أَثَرَةً من علمٍ وحكمة يزعم أنّ الله عزّ وجلّ اصطفى لنبوّته، واختصّ برسالته، وأيّد بروحه وحكمته رجلاً خرّاصاً يكذب عليه ويقول: أُوحي إليّ ولم يُوحَ إليه فيخلط كالكاهن كذباً بصدق، وباطلاً بحقّ؟

---

(١) في «م» «ت»: (ممّا تضحك)، وما أثبتناه من المصدر.

فارتدع السيّد وعلم أنّه قد وَهَلَ[١] فأمسكَ محجوجاً[٢].

قالوا: وكان حارثة بنجران جنيباً يعني غريباً، إلى أن قال حارثة: وذكرتما محمّداً بما حَكَمَت له به الشهادات الصادقة، وبيّنته فيه الأسفار[٣] المستحفظة، ورأيتماه مع ذلك مُرسلاً إلى قومه لا إلى الناس جميعاً، وأن ليس بالخاتم الحاشر[٤]، ولا الوارث العاقب، لأنّكما زعمتماه أبتر أليس كذلك؟

قالا: نعم.

قال: أرأيتكما لو كان له بقيّة وعقب هل كنتما ممترين لِما تجدان وبما تكذّبان[٥] من الوراثة والظهور على النواميس[٦] أنّه النبيّ الخاتم والمرسل إلى كافّة البشر؟

قالا: لا.

قال: أفليس هذا القيل لهذه الحال مع طول اللوائم والخصائم عندكما مستقرّ؟

قالا: أجل.

قال: الله أكبر.

قالا: كبّرت كبيراً، فما دعاك إلى ذلك؟

---

(١) وَهَلَ: غلط (القاموس المحيط ٤: ٦٦ ـ وهل).

(٢) في حاشية «م» «ت»: المغلوب بالحجّة. (منه ﷺ)

(٣) في «م» «ت»: (الأشعار) وما أثبتناه من المصدر.

(٤) في حاشية «م» «ت»: والحاشر من أسماء النبي ﷺ وهو الذي يحشر الناس خلفه ممّن هو على دينه وملّته وسمّي النبيّ ﷺ العاقب؛ لأنّه عقب من كان قبله من الأنبياء، أي جاء بعدهم. (منه ﷺ)

(٥) في «م» «ت»: (وما تذكران)، وما أثبتناه من المصدر.

(٦) في حاشية «م» «ت»: وناموس الرجل: صاحب سرّه. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٤: ١٢٠ ـ نمس).

قال حارثة: الحقّ أبلج، والباطل لَجْلَج، ولنقل ماء البحر ولشقّ الصخر أهون من إماتة ما أحياه الله عزّ وجلّ؛ و[١]إحياء ما أماته، الآن فاعلَما أنّ محمّداً غير أبتر، وإنّه الخاتم الوارث، والعاقب الحاشر حقّاً، فلا نبيّ بعده، وعلى أُمّته تقوم الساعة، ويرث الله الأرض ومَن عليها، وإنّ من ذريّته الأمير الصالح الذي بيّنتما ونبّأتما أنّه يملك مشارق الأرض ومغاربها، ويظهره عزّ وجلّ بالخفية[٢] الإبراهيميّة على النواميس كلّها.

قالا: أولى لك يا حارثة، لقد أغفلناك[٣] وتأبى إلّا مراوغةً كالثعالبة، فما تسأم المنازعة، ولا تُملّ من المراجعة، ولقد زعمت مع ذلك عظيماً، فما برهانك به؟

قال: أما وجَدِّكما لأُنبئكما ببرهان يجير من الشبهة، ويُشفي به جوى الصدور، ثمّ أقبل على أبي حارثة حصين بن علقمة شيخهم وأسقفهم الأوّل، فقال: إن رأيت أيّها الأب الأثير أنْ تؤنس قلوبنا وتُثلج[٤] صدورنا بإحضار الجامعة والزاجرة.

قالوا: وكان هذا المجلس الرابع من اليوم الرابع، وذلك لمّا حلّقت الشمس وركدت، وفي زمن قيظ شديد، فأقبلا على حارثة، فقالا: أَرْجِ هذا إلى غدٍ، فقد بلغت القلوب منّا الصدور، فتفرّقوا على إحضار الزاجر والجامعة من غدٍ للنظر فيهما والعمل بما يتراؤون[٥] منهما.

---

(١) في «م» «ت»: (إذ) بدل من: (و) وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في «م» «ت»: (بالحنيفيّة)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في حاشية «م» «ت»: أغفلناك: أي وجدناك غافلاً. (منه ﷺ)

(٤) في «م» «ت»: (وتبلج) وما أثبتناه من المصدر.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (يثيران)، وفي المصدر: (يتراءان).

فلمّا كان من الغد صار أهل نجران إلى بيعتهم لاعتبار ما أجمع صاحباهم مع حارثة على اقتباسه وتبيينه من الجامعة، ولمّا رأى السيّد والعاقب اجتماع الناس لذلك قُطِعَ بهما؛ لعلمهما بصوابِ قولِ حارثة واعترضاه ليصُدّانه عن تصفّح الصحف على أعين الناس، وكانا من شياطين الإنس، فقال السيّد: إنّك قد أكثرت وأملت[١] فضّ الحديث لنا فضةً[٢] ودعنا من تبيانه.

فقال حارثة: وهل هذا إلّا منك[٣] وصاحبك، فمن الآن فقولا ما شئتما.

فقال العاقب: ما من مقال إلّا ما قلنا، وسنعود فنخبّر بعد ذلك لك تخبيراً غير كاتمين للّه عزّ وجلّ من[٤] حجّة، ولا جاحدين له آية، ولا مفترين مع ذلك على الله عزّ وجلّ لعبد إنّه مرسل منه وليس برسوله، فنحن نعترف يا هذا بمحمّد ﷺ إنّه رسول من الله عزّ وجلّ إلى قومه من بني إسماعيل عليه السلام في غير أن يجب له بذلك على غيرهم من عرب الناس، ولا أعاجمهم تباعة ولا طاعة بخروج له عن ملّة، ولا دخول معه في ملّة إلّا الإقرار له بالنبوّة والرسالة إلى أعيان قومه ودينه.

قال حارثة: وبم شهدتما له بالنبوّة والأمر؟

قالا: حيث جاءتنا فيه البيّنة من تباشير الأناجيل والكتب الخالية.

فقال: منذ وجب هذا لمحمّد ﷺ عليكما في طويل الكلام وقصيره وبدئه

---

(١) في «م» «ت»: (وأملكت)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (قصّ الحديث لنا قصّةً)، وفي المصدر: (فضّ الحديث لنا مع فضّة).

(٣) في «م» «ت»: (لامتك)، وما أثبتناه من المصدر.

في حاشية «م» «ت»: واللامة: الأمر الذي يلام عليه. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ٢٠٣٤ ـ لوم).

(٤) (من) أثبتناها من المصدر.

وعوده فمن أين زعمتما أنّه ليس بالوارث الحاشر، ولا المرسل إلى كافّة البشر؟

قالا: لقد علمتَ وعلمنا فما نمتري بأنّ حجّة الله عزّ وجلّ لن ينتهي أمرها وإنّها كلمة الله جارية في الأعقاب، ما اعتقب الليل والنهار، وما بقي من الناس شخصان، وقد ظننّا من قبل أنّ محمّداً ﷺ ربُّها وأنّه القائد بزمامها، فلمّا أعقمه الله عزّ وجلّ بمهلك الذكورة من ولده علمنا أنّه ليس به؛ لأنّ محمّداً أبترٌ، وحجّة الله عزّ وجلّ الباقية ونبيّه الخاتم بشهادة كتب الله عزّ وجلّ المنزلة ليس بأبتر، فإذا هو نبيّ يأتي ويخلد بعد محمّد ﷺ، اشتقّ اسمه من اسم محمّد، وهو أحمد الذي نبأ المسيح عليه السلام باسمه وبنبوّته ورسالاته الخاتمة، وبملكة ابنه القاهرة الجامعة للناس جميعاً على ناموس الله عزّوجلّ الأعظم ليس بظهرة دينه ولكنّه من ذريّته وعقبه، يملك قرى الأرض وما بينها من لوبٍ وسهل وصخرٍ وبحر ملكاً مورثاً موطّناً، وهذا نبأ أحاطت سَفَرَةُ الأناجيل به علماً، وقد أوسعناك بهذا القيل سمعاً، وعُدنا لك به آنفة بعد سالفة، فما إربُك إلى تكراره؟

قال حارثة: قد أعلم أنا وإيّاكما في رَجْعٍ من القول منذ ثلاث وما ذاك إلّا ليذكر ناسٍ، ويرجع فارط، ويطمئن لنا الكلم، وذكرتما نبيّين يبعثان يعتقبان بين مسيح الله عزّ وجلّ والساعة، قلتما وكلاهما من بني إسماعيل: أوّلهما محمّداً بيثرب، وثانيهما أحمد العاقب، وأمّا محمّد ﷺ أخو قريش هذا القاطن بيثرب فأنا به حقٌّ مؤمن، أجل وهو والمعبود أحمد الذي نبّأتْ به كتب الله عزّ وجلّ، ودلّت عليه آياته، وهو حجّة الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ الخاتم الوارث حقّاً، ولا نبوّة ولا رسول للّه عزّ وجلّ ولا حجّة بين ابن البتول والساعة غيره.

بلى، ومن كان منه من ابنته البهلولة[١] الصدّيقة فأنتما ببلاغ الله لكنّكما من نبوّة محمّد ﷺ في أمر مستقرّ، ولولا انقطاع نسله لما ارتبتما فيما زعمتما به أنّه السابق العاقب.

قالا: أجل إنّ ذلك لمِن أكبر أماراته عندنا.

قال: فأنتما والله فيما[٢] تزعمان من نبيٍّ ثانٍ من بعده في أمر ملتبس، والجامعة في ذلك يحكم بيننا.

فتنادى الناس من كلّ ناحية وقالوا: الجامعة يا أبا حارثة الجامعة، وذلك لما مسّهم في طول تحاور الثلاثة من السأمة والمَلَل، وظنّ القوم مع ذلك أنّ الفَلَج لصاحِبَيْهما بما كانا يدّعيان في تلك المجالس من ذلك، فأقبل[٣] أبو حارثة إلى عِلج واقف منه أَمَماً، فقال: إمض يا غلام فأت بها، فجاء بالجامعة يحملها على رأسه وهو لا يكاد يتماسك لثقلها.

قال: فحدّثني رجلٌ صدقٌ من النجرانيّة ممّن كان يُلزم السيّد والعاقب ويخلف لهما في بعض أُمورهما، ويطّلع على كثير من شأنهما.

قال: لمّا أُحضرت[٤] الجامعة بلغ ذلك من السيّد والعاقب كلّ مبلغ، لعلمهما بما يهجمان عليه في تصفّحهما من دلائل رسول الله ﷺ وصفته، وذكر أهل بيته وأزواجه وذريّته، وما يحدث في أُمّته وأصحابه من بوائق الأُمور من بعده إلى فناء الدنيا وانقطاعها.

---

(١) البهلول: العزيز الجامع لكلّ خير (لسان العرب ١١: ٧٣ ـ بهل).

(٢) (فيما) أثبتناها من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فانفتل)، وفي القاموس: انفتل وجهه عنهم: حرفه. (منه ﷺ)

(٤) في المصدر: (حضرت).

فأقبل أحدهما على صاحبه فقال: هذا يوم ما بورك لنا[١] في طلوع شمسه، لقدشهدته أجسامنا، وغابت عنه آراؤنا بحضور طغامنا وسفلتنا، وَلَقَلّ ما شهد سفهاء قوم مجمعة إلّا كانت لهم الغلبة.

قال الآخر: فهم شرّ غالب لمن غلب، إنّ أحدهم ليفتق بأدنى كلمة، ويفسد في بعض ساعة ما لا يستطيع الآسي الحليم له رتقاً ولا[٢] الخوليّ[٣] النفيس إصلاحاً له[٤] في حولٍ مُجرَّم، ذلك لأنّ السفيه هادم، والحليم بان، وشتّان بين البناء والهدم.

قال: فانتهز حارثة الفرصة فأرسل في خيفة وسر إلى النفر من أصحاب رسول الله ﷺ فاستحضرهم استظهاراً بمشهدهم فحضروا فلم يستطع الرجلان فضّ ذلك المجلس ولا إرجاؤه، وذلك لما بيّنا من تطلّع عامّتهما من نصارى نجران إلى معرفة ما تضمّنت الجامعة من صفة رسول الله ﷺ وانبعاثهم[٥] له مع حضور رسل رسول الله ﷺ لذلك، وتأليب حارثة عليهما فيه، وصَغْو أبي حارثة شيخهم إليه.

قال: قال لي ذلك الرجل النجرانيّ: فكان الرأي عندهما أن ينقادا لما يدهمهما من هذا الخطب، ولا يظهرانِ شماساً منه ولا نفوراً حذار أن يطرقا الظنّة فيه إليهما، وأن يكونا أيضاً أوّل معتبر للجامعة ومستحثّ لها لئلّا يفتات في

---

(١) (لنا) أثبتناها من المصدر.

(٢) (لا) أثبتناها من المصدر.

(٣) في حاشية «م» «ت»: الخولي: الحسن القيام بحفظ الشيء. (منه ﷺ)

(٤) (له) أثبتناها من المصدر.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (وابتغائهم).

شيء من ذلك المقام والمنزلة عليهما، ثمّ يستبين أنّ الصواب في الحال ويستنجدانه ليأخذان بموجبه، فتقدّما لما تقدّم في أنفسهما من ذلك إلى الجامعة، وهي بين يدي أبي حارثة، وحاذاهما حارثة بن أُثال وتطاولت إليهما فيه الأعناق، وحفَت رسل رسول الله ﷺ بهم.

«في صحيفة آدم عليه السلام المذكور فيها أوصاف النبي ﷺ»

فأمر أبو حارثة بالجامعة ففتح طَرْفها واستخرج منها صحيفة آدم عليه السلام الكبرى المستودعة علم ملكوت الله عزّ وجلّ جلاله، وما ذرأ وما برأ في أرضه وسمائه، وما وصلهما جلّ جلاله به[1] من ذكر عالميه، وهي الصحيفة التي ورثها شيث من أبيه آدم عليه السلام عمّا دعا من الذكر المحفوظ، فقرأ[2] القوم السيّد والعاقب وحارثة في الصحيفة تطلّباً لما تنازعوا فيه من نعت رسول الله ﷺ وصفته، ومن حضرهم يومئذٍ من الناس إليهم مضجّون[3] مرتقبون لما يَسْتَدْرِك من ذكرى ذلك، فألفَوْا في المصباح الثاني من فواصلها:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا الله لا إله إلّا أنا الحيّ القيّوم، معقِّب الدهور، وفاصل الأُمور، سبّبت[4] بمشيّتي الأسباب، وذلّلت

---

(١) (به) أثبتناها من المصدر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: قال الجوهري: قروت البلاد قروا، وأقريتها واستقريتها: إذا تتبعتها تخرج من أرض إلى أرض، قال الأصمعي يقال: الناس قواري الله في الأرض، أي شهداء الله، أخذ من أنّهم يقرون الناس، أي يتبعونهم فينظرون إلى أعمالهم، انتهى، وأقول: حمله على هذا المعنى أحسن من حمله على القراء المهموزة. (منه ﷺ)، (انظر الصحاح ٦: ٢٤٦١ ـ قرا).

(٣) في «م» «ت»: (مصبحون)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (سبقت).

بقدرتي الصعاب، فأنا العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، أرحَمُ وأترحَّمُ، سبقتْ رحمتي غضبي، وعفوي عقوبتي، خلقتُ عبادي لعبادتي، وألزمتُهُم حجّتي، ألا إنّي باعث فيهم رُسُلي، ومُنزِلٌ عليهم كُتُبي، أبرِمُ ذلك من لَدُن أوّل مذكورٍ من بشرٍ إلى أحمد نبيّي وخاتم رسلي؛ ذلك الذي أجعلُ عليه صلواتي وأسلُكُ في قلبه بركاتي، وبه أكمل أنبيائي ونُذُري.

قال آدم عليه السلام: إلهي، من هؤلاء الرسل؟ ومن أحمد هذا الذي رفعت وشرّفتَ؟

قال: كلٌّ من ذريّتك، وأحمدُ عاقبَهم ووارثَهم.

قال: ربّ بما أنت باعثهم ومرسلهم؟

«في ذكر عدد الشرائع»

قال: بتوحيدي، ثمّ أقفي ذلك بثلاثمائة شريعة وثلاثين شريعة أنظمَها وأكملها لأحمد جميعاً، فأذنتُ لمن جاءني بشريعة منها مع الإيمان بي وبرسلي أن أُدخله الجنّة.

ثمّ ذكر ما جملته أنّ الله تعالى عرض على آدم عليه السلام معرفة الأنبياء عليهم السلام وذرّيّتهم ونظر إليهم آدم عليه السلام ثمّ قال ما هذا لفظه:

ثمّ نظر آدم عليه السلام إلى نور قد لَمَعَ فسدَّ الجوّ المنخرق، فأخذ بالمطالع من المشارق ثمّ سرى كذلك حتّى طبّق المغارب، ثمّ سما حتّى بلغ ملكوت السماء، فنظر فإذا هو نور محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا

الأكناف به قد تضوّعت طيباً، وإذا أنوار أربعة قد اكْتَنَفَتْه عن يمينه وشماله ومن خلفه وأمامه، أشبه شيء به أَرَجاً ونوراً، ويتلوها أنوارٌ من بعدها تستمدّ منها، وإذا هي شبيهة بها[1] في ضيائها وعظمها ونشرها، ثمّ دنت منها فتكلّلت عليها وحفّت بها، ونظر فإذا أنوار من بعد ذلك في مثل عدد الكواكب ودون منازل الأوائل جدّاً جدّاً، وبعض هذه أضوأ من بعض، وهي في ذلك متفاوتون جدّاً، ثمّ طلع عليه سواد كالليل وكالسيل ينسلون من كلّ وجهة وأوبٍ، فأقبلوا كذلك حتّى ملؤا القاع والأكم، فإذا هم أقبح شيء صوراً وهيئة، وأنتنُهُ ريحاً، فبهر آدم عليه السلام ما رأى من ذلك، وقال: يا عالم الغيوب ويا غافر الذنوب، ويا ذا القدرة القاهرة والمشيّة الغالبة، مَن هذا الخلق السعيد الذي كرّمت ورفعتَ على العالمين؟ ومن هذه الأنوار النيفة المكتنفة له؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا آدم، هذا وهؤلاء وسيلتك ووسيلة من أسعدت من خلقي، هؤلاء السابقون المقرّبون والشافعون المشفّعون، وهذا أحمد سيّدهم وسيّد بريّتي، اخترته بعلمي واشتققت اسمه من اسمي؛ فأنا المحمود وهو محمّد، وهذا صنوه ووصيّه، آزرته به، وجعلت بركاتي وتطهيري في عقبه، وهذه سيّدة إمائي والبقيّة في علمي من أحمد نبيّي، وهذان السبطان والخلفان لهم، وهذه الأعيان الصادع نورها أنوارهم بقيّةٌ منهم،

---

(١) (بها) أثبتناها من المصدر.

ألا إنّ كلّاً اصطفيت وطهّرت، وعلى كلٍّ باركت وترحّمت، فكلّاً بعلمي جعلتُ قدوة عبادي، ونور بلادي.

ونظر فإذا شبحٌ في آخرهم يزهر[١] في ذلك الصفيح[٢] كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا، فقال الله تبارك وتعالى: وبعبدي هذا السعيد أفكُّ عن عبادي الأغلال، وأضع عنهم الآصار، وأملأ أرضي به حَناناً ورأفةً وعدلاً، كما مُلئت من قبله قسوة وقشعريّة وجوراً.

قال آدم عليه السلام: ربّ، إنّ الكريم كلّ الكريم[٣] وإنّ الشريف حقّ الشريف من كرّمت وشرّفت[٤]، وحقّ يا إلهي لمن رفعت وأعليت أن يكون كذلك، فياذا النعم التي لا تنقطع، والإحسان الذي لا يجازى ولا ينفذ، بم بلغ عبادك هؤلاء العالون هذه المنزلة من شرف عطائك وعظيم فضلك وحبائك؟ وكذلك من كرّمت من عبادك المرسلين؟

قال الله تبارك وتعالى: إنّي أنا الله[٥] لا إله إلّا أنا الرحمن الرحيم، العزيز الحكيم، عالم الغيوب ومضمرات القلوب، أعلم ما لم يكن ممّا يكون كيف يكون، وما لا يكون كيف لو كان يكون، وإنّي

---

(١) في «م» «ت»: (يظهر) وكذا في المورد الذي بعده، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) الصفيح: السماء ووجه كلّ شيء عريض (انظر القاموس المحيط ١: ٢٣٤ ـ صفح).

(٣) في المصدر: (من كرمت) بدل من: (كلّ الكريم).

(٤) في المصدر: (من شرّفت) بدل من: (حق الشريف من كرّمت وشرّفت).

(٥) (إنّي أنا الله) أثبتناها من المصدر.

اطّلعت يا عبدي في علمي على قلوب عبادي فلم أَرَ فيهم أطوع لي ولا أنصح لخلقي من أنبيائي ورسلي، فجعلت لذلك فيهم روحي وكلمتي، وألزمتهم عِبْء[١] حجّتي، واصطفيتهم على البرايا برسالاتي[٢] ووحيي، ثمّ ألقيت بمكاناتهم تلك في منازلهم حوامَهم وأوصياءهم من بعد فألحقتهم بأنبيائي ورسلي، وجعلتهم من بعدهم ودائع حجّتي والأُساة[٣] في بريتي لأُجبر بهم كسر عبادي، وأُقيم بهم أودهم، ذلك أنّي بهم وبقلوبهم لطيف خبير.

ثمّ اطّلعت في قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد فيهم أطوع لي ولا أنصح لخلقي من محمّد خيرتي وخالصتي، فاخترتُه على علم[٤] ورفعت ذكره إلى ذكري، ثمّ وجدت قلوب حامّته اللّاتي من بعده على صبغة قلبه فألحقتهم به، وجعلتهم ورثة كتابي ووحيي، وأوكار حكمتي ونوري، وآليت بي أن لا أُعذّب بناري[٥] من لقيني معتصماً بتوحيدي، وحَبْلِ مودّتهم أبداً.

ثمّ أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفة شيث الكبرى[٦] التي انتهى

---

(١) في حاشية «م» «ت»: العبئ ـ بالكسر ـ أي الحمل والثقل والعدل والمثل، وبالفتح: ضياء الشمس. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ١: ٢٢ ـ عبء).

(٢) في المصدر: (برسالتي).

(٣) في حاشية «م» «ت»: الإساة جمع الاسوة، بمعنى القدوه. (منه ﷺ)

(٤) في حاشية «م» «ت» كتب: الظاهر (علمي). (منه ﷺ)

(٥) (بناري) أثبتناها من المصدر.

(٦) في حاشية «م» «ت»: في صحيفة شيث الكبرى التي انتهى ميراثها إلى إدريس وكان كتابتها بالقلم السرياني. (منه ﷺ)

ميراثها إلى إدريس النبيّ صلّى الله عليه، قال: وكان كتابتها بالقلم السُريانيّ القديم، وهو الذي كتب به من بعد نوح عليه السلام من ملوك الهياطلة وهم النماردة.

قيل: فاقتصّ القوم الصحيفة وأفضوا منها إلى هذا الرسم، قالوا: اجتمع إلى إدريس عليه السلام قومه وصحابته وهو يومئذٍ[١] في بيت عبادته من أرض كوفان، فخبّرهم فيما اقتصّ عليهم، قال: إنّ بني أبيكم آدم عليه السلام لصُلبه وبني بنيه ذُريّتهم[٢] اختصموا فيما بينهم، وقالوا: أيّ الخلق عندكم أكرم على الله عزّ وجلّ، وأرفع لديه مكانةً، وأقرب منه منزلةً؟

فقال بعضهم: أبوكم آدم عليه السلام؛ خلقه الله عزّ وجلّ بيده وأسجد له ملائكته، وجعله الخليفة في أرضه، وسخّر له جميع خلقه.

وقال آخرون: بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عزّ وجلّ.

وقال بعضهم: لا، بل رؤساء الملائكة الثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.

وقال بعضهم: لا، بل أمين الله جبرئيل عليه السلام.

«في اختلاف أولاد آدم عليه السلام واختصاصهم في أنّ الخلق عند الله أكرم منزلةً»

فانطلقوا إلى آدم عليه السلام فذكروا الذي قالوا واختلفوا فيه، فقال:

يا بَنِيّ، أنا أُخبركم بأكرم الخلائق جميعاً على الله عزّ وجلّ، إنّه والله لمّا أن[٣] نُفِخَ فيّ الروح حتّى استويت جالساً، فَبَرَق لي العرشُ

---

(١) (يومئذٍ) أثبتناها من المصدر.

(٢) في المصدر: (ذريّته).

(٣) (أن) أثبتناها من المصدر.

العظيم فنظرتُ فيه فإذا فيه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فلان صفوة الله، فلان أمين الله، فلان خيرة الله عزّ وجلّ، فذكر عدّة أسماءٍ مقرونةٍ بمحمّد ﷺ.

قال آدم عليه السلام: ثمّ لم أرَ في السماء موضع أديم ـ أو قال: صفيح ـ منها إلّا وفيه مكتوب: لا إله إلّا الله، وما من موضع فيه مكتوب: «لا إله إلّا الله» إلّا وفيه مكتوب خلقاً لا خطّاً: «محمّد رسول الله»، وما من موضع فيه مكتوب: «محمّد رسول الله»[1] إلّا وفيه مكتوب: «فلان خيرة الله، فلان صفوة الله، فلان أمين الله عزّوجلّ»، فذكر عدّة أسماء ينتظم الحساب المعدود.

قال آدم عليه السلام: فمحمّد ﷺ يا بُنيّ ومن خطّ من تلك الأسماء معه أكرم الخلائق على الله عزّ وجلّ جميعاً.

ثمّ ذكر أنّ أبا حارثة سأل السيّد والعاقب أن يقفا على صلوات إبراهيم عليه السلام الذي جاء بها الأملاك من عند الله عزّ وجلّ فقنعوا بما وقفوا عليه في الجامعة.

فقال أبو حارثة: لا، بل شارفوها بأجمعها وأسبروها فإنّه أصرم للعذور[2] وأرفع لحكة[3] الصدور، وأجدر أن لا ترتابوا في الأمر من بعد، فلم يجدا من المصير إلى قوله من بُدٍّ، فعمد القوم إلى تابوت إبراهيم عليه السلام قال:

---

(١) قوله: (فيه مكتوب: «محمّد رسول الله») أثبتناه من المصدر.

(٢) في المصدر: (للمعذور).

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (لحسكة).

«في تابوت إبراهيم عليه السلام المتضمّن لأوصاف النبي صلى الله عليه وآله»

قال: وكان الله عزّ وجلّ بفضله على من يشاء من خلقه قد اصطفى إبراهيم عليه السلام بخلّته، وشرّفه بصلواته وبركاته، وجعله قبلةً وإماماً لمن يأتي من بعده، وجعل النبوّة والإمامة والكتاب في ذرّيّته، يتلقّاها آخرٌ عن أوّلٍ، وورثه تابوت آدم عليه السلام المتضمّن للحكمة والعلم، الذي فضّله الله عزّ وجلّ به على الملائكة طرّاً، فنظر إبراهيم عليه السلام في ذلك التابوت فأبصر فيه بيوتاً بعدد ذوي العزم من الأنبياء المرسلين وأوصيائهم من بعدهم، ونظر فإذا بيت محمّد صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء عن يمينه عليّ بن أبي طالب عليه السلام آخذٌ بحجزته، فإذا شكل عظيم يتلألؤ نوراً، فيه هذا صنوه ووصيّه المؤيّد بالنصر.

فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي وسيّدي، من هذا الخلق الشريف؟

فأوحى الله عزّ وجلّ: هذا عبدي وصفوتي الفاتح الخاتم، وهذا وصيّه الوارث.

قال: ربّ، ما الفاتح الخاتم؟

قال: هذا محمّد خيرتي، وبكر فطرتي، وحجّتي الكبرى في بريّتي، نبّأته واجتبيته إذ[1] آدم بين الطين والجسد، ثمّ إنّي باعثه

---

(١) في «م» «ت»: (إذا)، وما أثبتناه من المصدر.

عند انقطاع الزمان لتكملة ديني، وخاتم به[١] رسالاتي ونذري[٢]، وهذا عليٌّ أخوه وصدّيقه الأكبر، آخيت بينهما، واخترتهما وصلّيت وباركت عليهما، وطهّرتهما، وأخلصتهما والأبرار منهما وذريّتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي وما فيهما وما بينهما من خلقي، وذلك لعلمي بهم وبقلوبهم، إنّي بعبادي عليم خبيرٌ.

قال: ونظر إبراهيم عليه السلام فإذا اثنا عشر عظيماً، تكاد تلألأ أشكالهم بحسنها نوراً، فسأل ربّه جلّ وتعالى، فقال: ربّ نبّئني بأسماء هذه الصور المقرونة بصورتَي محمّد ووصيّه، وذلك لما رأى من رفيع درجاتهم والتحاقهم بشكلَي محمّد ووصيّه عليهما السلام؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: هذه أمتي، والبقيّة من نبيّي فاطمة الصدّيقة الزاهرة[٣]، وجعلتها مع خليلها عُصبةً لذريّة نبيّي هؤلاء[٤]، وهذان الحسنان، وهذا فلان وهذا فلان، وهذا كلمتي التي أنشر به رحمتي في بلادي، وبه أريشُ[٥] ديني وعبادي، ذلك بعد أياس منهم وقنوط منهم من غياثي، فإذا ذكرت محمّداً نبيّي بصلواتك فصلّ عليهم معه يا إبراهيم.

قال: فعندها صلّى عليهم إبراهيم فقال: ربّ صلِّ على محمّد

---

(١) (به) أثبتناها من المصدر.

(٢) (ونذري) أثبتناها من المصدر.

(٣) في المصدر: (الزهراء).

(٤) (هؤلاء) أثبتناها من المصدر.

(٥) في المصدر: (أنتاش). وفي حاشية «م» «ت»: وأصل التأريش إيقاد النار. (منه رحمه الله)

وآل محمّد[١] كما اجتبيتهم وأخلصتهم إخلاصاً.

فأوحى الله عزّ وجلّ: ليهنئك كرامتي وفضلي عليك، فإنّي صائرٌ بسلالة محمّد ﷺ ومَنِ اصطفيت معه منهم إلى قناة[٢] صُلبك، ومُخرجهم منك، ثمّ من بكرك إسماعيل عليه السلام، فأبشر يا إبراهيم فإنّي واصل صلواتك بصلواتهم، ومتبع ذلك بركاتي وترحّمي عليك وعليهم، وجاعل حناني وحجّتي إلى الأمد المعدود، واليوم الذي أرثُ فيه سمائي وأرضي، وأبعث له خلقي بفصل قضائي وإفاضة رحمتي وعدلي.

قال: فلمّا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ما أفضى إليه القوم من تلاوة ما تضمّنت الجامعة والصحف الدارسة من نعت رسول الله ﷺ وصفة أهل بيته المذكورين معه بما هم به منه وبما شاهدوا من مكانتهم عنده ازداد القوم بذلك يقيناً وإيماناً، واستطيروا[٣] له فرحاً.

«في ما أنزل على موسى عليه السلام من التوراة في أوصاف النبي ﷺ»

قال: ثمّ صار القوم إلى ما نزل على موسى عليه السلام فألفوا في السِفر الثاني من التوراة:

إنّي باعثٌ في الأُمّيّين من ولد إسماعيل عليه السلام رسولاً أنزل عليه كتابي

---

(١) (وآل محمّد) أثبتناها من المصدر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: قناة: الظهر التي تنتظم الفقار. (منه رحمه الله)

(٣) في حاشية «م» «ت»: واستطير الشيء أي طُيّر. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٢: ٧٢٨ ـ طير).

وأبعثه بالشريعة القيّمة إلى جميع خلقي، أوتيه حكمتي، وأُؤيِّدُهُ بملائكتي وجنودي، تكون ذريّته من ابنةٍ له مباركةٍ باركتها، ثمّ من شبلين[١] لها كإسماعيل وإسحاق، أصلين لشعبين عظيمين، أكثرهم جدّاً جدّاً، يكون منهم اثنا عشر قيّماً، أُكمل بمحمّد ﷺ، وبما أرسله من بلاغ وحكمة ديني، وأختم به أنبيائي ورسلي، فعلى محمّد ﷺ وأُمّته تقوم الساعة.

فقال حارثة: الآن أسفر الصبح لذي عينين، ووضح الحقّ لمن رضي به ديناً، فهل في أنفسكما من مرض تستشفيان به؟

فلم يرجعا إليه قولاً.

«في أوصاف النبيّ ﷺ في إنجيل المسيح عليه السلام»

فقال أبو حارثة: اعتبروا الأمارة الخاتمة من قول سيّدكم المسيح عليه السلام.

فصار القوم إلى الكتب والأناجيل[٢] التي جاء بها عيسى عليه السلام فألفوا في المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام:

يا عيسى، يابن الطاهر[٣] البتول، اسمع قولي، وجُدَّ في أمري، إنّي خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين؛ فإيّاي فاعبد، وعلَيّ

---

(١) في حاشية «م» «ت»: والشبل ولد الأسد. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ١٧٣٤ ـ شبل).

(٢) في حاشية «م» «ت»: والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يُذكّر ويؤنّث فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكّر أراد الكتاب. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ١٨٢٦ ـ نجل).

(٣) في المصدر: (يابن الطاهرة البتول).

فتوكّل، وخذ الكتاب بقوّة، ثمّ فَسِّرْه لأهل سوريا، وأخبرهم أنّي أنا الله لا إله إلّا أنا الحيّ القيّوم، الذي لا أحول ولا أزول، فآمنوا بي وبرسولي النبيّ الأُمّي الذي يكون في آخر الزمان نبيّ الرحمة والملحمة، الأوّل والآخر.

قال: فإنّه[1] أوّل النبيّين خلقاً، وآخرهم مبعثاً، ذلك العاقب الحاشر، فبشّر به بني إسرائيل.

قال عيسى عليه السلام: يا مالك الدهور، وعلّام الغيوب، من هذا العبد الصالح الذي قد أحَبَّهُ قلبي ولم تره عيني؟

قال: ذاك خالصتي ورسولي، المجاهد بيده في سبيلي، يوافق قولُهُ فِعْلَه، وسريرته علانيته، أُنزِل عليه نوراءَ[2] حديثةً أفتح أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً، فيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة وربيع القلوب، وطوباه وطوبى أُمّته.

قال: ربّ، ما اسمه وعلامته؟ وما أكلُ أُمّته؟ ـ يقول: ملك أُمّته ـ وهل له من بقيّة ـ يعني ذرّيّة ـ؟

«في وصف النبي صلى الله عليه وآله بأنّه كثير الأزواج، قليل الأولاد»

قال: سأُنبئك بما سألت، اسمه أحمد، مُنتجَبٌ من ذريّة إبراهيم، ومصطفى من سلالة إسماعيل، ذو الوجه الأقمر، والجبين الأزهر،

---

(١) (فإنّه) لم ترد في المصدر.

(٢) في المصدر: (توراة).

راكب الجمل، تنام عيناه ولا ينام قلبه، يبعثه الله في أُمّةٍ أُمِيّةٍ ما بقي الليل والنهار، مولده[١] في بلد أبيه إسماعيل ـ يعني مكّة ـ كثير الأزواج، قليل الأولاد، نسله من مباركة صدّيقة يكون له منها ابنةٌ لها فرخان سيّدان يستشهدان، أجعلُ نسل أحمد منهما؛ فطوباهما ولمن أحبّهما وشهد أيّامهما فنصرهما.

قال عيسى عليه السلام: إلهي، وما طوبى؟

قال: شجرة في الجنّة، ساقها وأغصانها من ذهب، ورقها حلل، وحملها كثدي الأبكار، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وماؤها من تسنيم، لو أنّ غراباً طار وهو فرخ لأدركه الهرم من قبل أن يقطعها، وليس منزل من منازل أهل الجنّة إلّا وظلاله فَنَنٌ من تلك الشجر.

قال: فلمّا أتى القوم على دراسة ما أوحى الله عزّ وجلّ إلى المسيح عليه السلام من نعت محمّدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته، ومِلك أُمّته، وذكر ذريّته وأهل بيته، أمسك الرجلان مخصومَين، وانقطع التحاور[٢] بينهم في ذلك.

قال: فلمّا فلج[٣] حارثة على السيّد والعاقب بالجامعة وما تبيّنوه في الصحف القديمة ولم يتمّ لهما ما قدّروا من تحريفها، ولم يمكنهما أن يُلبِّسا على الناس في تأويلهما، أمسكا عن المنازعة من هذا الوجه، وعَلِما أنّهما قد أخطئا سبيل

---

(١) (مولده) أثبتناه من المصدر.

(٢) في «م» «ت»: (التجاوب)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) فلج: أي ظفر بها ـ الجامعة ـ (انظر مجمع البحرين ٢: ٣٣٣ ـ فلج).

الصواب بذلك فصارا إلى بَيْعَتهم أَسفَيْن لينظرا ويرتئيا، وفزع إليهما نصارى نجران فسألوهما عن رأيهما وما يعملان في دينهما؟ فقالا ما معناه: تمسّكوا بدينكم حتّى يكشف دين محمّد ﷺ، وسنسير إلى بني قريش إلى يثرب وننظر ما جاء به وإلى ما يدعو إليه.

قالوا: فلمّا تجهّز السيّد والعاقب للمسير إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، انتدب معهما أربعة عشر راكباً من نصارى نجران، هم من أكابرهم فضلاً وعلماً في أنفسهم وسبعون رجلاً من أشرف بني الحارث بن كعب وسادتهم.

قال: وكان قيس بن الحصين ذو الفضّة[١] ويزيد بن عبد المُدان ببلاد حَضْرَموت فقَدِما نجران على تفيئة مسير قومهم فشخصا معهم فاغترز[٢] القوم في أكوار[٣] مطاياهم وجنّبوا خيلهم وأقبلوا لوجوههم حتّى وردوا المدينة.

قال: ولمّا استراث[٤] رسول الله ﷺ خَبَرَ أصحابه أنفذَ إليهم خالد بن الوليد في خيل سرّحها معه لمشارفة أمرهم، فأَلْفَوْهم وهم عامدون إلى رسول الله ﷺ.

قال: ولمّا دنوا من المدينة، أحبّ السيّد والعاقب أن يباهيا المسلمين وأهل المدينة بأصحابهما، ومن حفّ من بني الحارث معهما، فاعترضاهم فقالا: لو كففتم صدور ركابكم ومسستم الأرض، فألقيتم عنكم تفثكم وثياب سفركم وشننتم عليكم من باقي مياهكم كان ذلك أمثل[٥].

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ذو القضيّة).

(٢) اغترز القوم، ركب القوم (انظر لسان العرب ٥: ٣٨٦ ـ غرز).

(٣) في حاشية «م» «ت»: الأكوار جمع: الكور ـ بالضم ـ وهو الرحل. (منه ﷺ)

(٤) الاستراثة: الأستيطاء (انظر لسان العرب ٢: ١٥٧ ـ روث).

(٥) في حاشية «م» «ت»: وفلان أمثل بني فلان، أي أدناهم للخير. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ١٨١٦ ـ مثل).

فانحدر القوم عن الركاب فأماطوا من شعثهم، وألقَوْا عنهم ثياب بِذلتهم، ولبسوا ثياب صونهم من الأتحميّات والحرير والحِبَر، وذرّوا المسك في لممهم ومفارقهم، ثمّ ركبوا الخيل واعترضوا بالرماح على مناسج[1] خيلهم، وأقبلوا يسيرون رزدقاً واحداً، وكانوا من أجمل العرب صُوَراً، وأتمّهم أجساماً وخُلْقاً، فلمّا تشوّفهم الناس أقبلوا نحوهم فقالوا: ما رأينا وفداً أجمل من هؤلاء.

فأقبل القوم حتّى دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده، وحانت صلاتهم فقاموا يصلّون إلى الشرق، فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفّهم رسول الله ﷺ، ثمّ أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً، فلم يَدْعهم ولم يسألوه لينظروا إلى هَدْيه ويعتبروا ما يشاهدون منه ممّا[2] يجدون من صفته، فلمّا كان بعد ثالثةٍ دعاهم ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: يا أبا القاسم، ما أخبَرَتْنا كتب الله عزّ وجلّ بشيء في صفة النبيّ المبعوث من بعد الروح عيسى عليه السلام إلّا وقد تعرّفناه فيك إلّا خِلّةً هي أعظم الخلال آيةً ومنزلةً، وأجلاها أمارةً ودلالةً.

قال: «وما هي؟».

قالوا: إنّا نجد في الإنجيل من صفة النبيّ الغابر من بعد المسيح، أنّه يصدّق به ويؤمن به، وأنت تسبّه وتكذبُ به وتزعم أنّه عبدٌ.

قال: فلم تكن خصومتهم ولا منازعتهم للنبيّ ﷺ إلّا في عيسى عليه السلام، فقال النبيّ ﷺ: «لا، بل أُصدّقه وأُصدّق به أؤمن به[3]، وأشهد أنّه النبيّ المرسل من

---

(١) في حاشية «م» «ت»: ومنسج الفرس: أسفل من حاركه، والحارك من الفرس: فروع الكتفين، وهو أيضاً الكاهل. (منه ﷺ)، (انظر الصحاح ١: ٣٤٤ ـ نسج، وج ٤: ١٥٧٩ ـ حرك).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بما).

(٣) (أؤمن به) أثبتناها من المصدر.

ربّه عزّ وجلّ، وأقول: إنّه عبدٌ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً».

قالوا: وهل تستطيع العبيد أن تفعل ما كان يفعل؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة؟ ألم يكن يُحيي الموتى، ويُبرئ الأكمه والأبرص، ويُنبِّئهم بما يكنّون في صدورهم، وما يدّخرون في بيوتهم؟ فهل يستطيع هذا إلّا الله عزّ وجلّ، أو ابن الله؟ وقالوا في الغلوّ فيه وأكثروا، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فقال ﷺ: «قد كان عيسى أخي كما قلتم، يُحيي الموتى، ويُبرئ الأكمه والأبرص، ويُخبر قومه بما في نفوسهم وبما يدّخرون في بيوتهم، وكلّ ذلك بإذن الله عزّ وجلّ وهو للّه عزّ وجلّ عبدٌ، وذلك عليه غير عارٍ، وهو منه غير مستنكفٍ، فقد كان لحماً ودماً وشعراً وعظماً وعصباً وأمشاجاً يأكل الطعام ويظمأ وينصب، والله باريه[1] وربّه الأحد الحقّ الذي ليس كمثله شيء، وليس له نِدٌّ».

قالوا: فأرنا مثله جاء[2] من غير فحل ولا أب.

قال: «هذا آدم عليه السلام أعجب منه خلقاً، جاء من غير أب ولا أُمّ، وليس شيء من الخلق بأهون على الله عزّ وجلّ في قدرته من شيء ولا أصعب، إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»، وتلا عليهم: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[3].

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بارّ به).

(٢) (جاء) أثبتناها من المصدر.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٥٩.

قالا: فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلّا تبايناً[١]، وهذا الأمر الذي لا نقرّه لك فهلمّ فلنُلاعنك أيّنا أولى بالحقّ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين فإنّها مُثلة وآية[٢] معجّلة.

فأنزل الله عزّ وجلّ آية المباهلة على رسول الله ﷺ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣] فتلا عليهم رسول الله ﷺ ما نزل[٤] عليه في ذلك من القرآن، فقال: «إنّ الله قد أمرني أن أصير إلى ملتمسكم، وأمرني بمباهلتكم إن أقمتم وأصررتم على قولكم».

قالا: وذلك آية ما بيننا وبينك، إذا كان غداً باهلناك، ثمّ قاما وأصحابهما من النصارى معهما، فلمّا أبعدا وقد كانوا أُنزلوا بالحُرّة[٥]، أقبل بعضهم على بعض فقالوا: قد جائكم هذا بالفصل من أمره وأمركم، فانظروا أوّلاً بمن يباهلكم، أبكافّة أتباعه أم بأهل المكانة[٦] من أصحابه، أو بذوي التخشّع والتمكّن[٧] والصفوة ديناً وهم القليل منهم عدداً، فإن جاءكم بالكثرة وذوي الشدّة منهم فإنّما جاءكم مباهياً كما يصنع الملوك، فالفلج إذاً لكم دونه، وإن أتاكم بنفرٍ قليل

---

(١) في «م» «ت»: (ثباتاً)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في «م» «ت»: (وآيته)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٤) في «م» «ت»: (أنزل)، وما أثبتناه من المصدر.

(٥) في حاشية «م» «ت»: الحُرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنّها أُحرقت بالنار. (منه ﷺ)، (الصحاح ٢: ٦٢٦ ـ حرر).

(٦) في نسختي بدل من «م» «ت»: (الكتابة)، وفي المصدر: (الكتاب).

(٧) في نسختي بدل من «م» «ت»: (التمسكن)، وفي المصدر: (التمسّك).

ذوي تخشّع فهؤلاء سجيّة الأنبياء وصفوتهم وموضع بهلتهم فإيّاكم والإقدام إذاً على مباهلتهم، فهذه لكم أمارة، وانظروا حينئذٍ ما تصنعون بينكم وبينه، فقد أعذر من أنذر.

فأمر ﷺ بشجرتين فقصدتا وكَسَح[1] ما بينهما، وأمهل حتّى إذا كان من الغد أمر بكساء أسود رقيقٍ فَنُشِر على الشجرتين، فلمّا أبصر السيّد والعاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن وعبد المنعم وسارة ومريم، وخرج معهما نصارى نجران، وركب فرسان بني الحارث بن كعب في أحسن هيئة، وأقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم وأحسن شارتهم وهيئتهم لينظروا ما يكون من الأمر.

ولبث رسول الله ﷺ في حجرته حتّى متع النهار، ثمّ خرج آخذاً بيد عليّ والحسن والحسين أمامه، وفاطمة عليها السلام من خلفهم، فأقبل بهم حتّى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته، فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعواه إليه من المباهلة، فأقبلا إليه فقالا: بمن تُباهلنا يا أبا القاسم؟

قال: «بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عزّ وجلّ، بهؤلاء» ـ وأشار لهما إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ـ.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: كسحت البيت: كنسته. (منه رحمه الله)، (الصحاح ١: ٣٩٨ ـ كسح).

قالا: فما نراك جئت لمباهلتنا بالكِبَر ولا من الكَثَر ولا أهل الشارة[١] ممّن نرى ممّن آمن بك واتّبعك، وما نرى هاهنا معك إلّا هذا الشابّ والمرأة والصبيّين، أفبهؤلاء تباهلنا؟!

قال: «نعم، أولم أُخبركم بذلك آنفاً، نعم، بهؤلاء أُمرتُ، والذي بعثني بالحقّ أن أُباهلكم».

فاصفارّت حينئذٍ ألوانهما وكرّا وعادا إلى أصحابهما وموقفهما، فلمّا رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما، قالوا: ما خطبكما؟

فتماسكا وقالا: ما كان ثمّة من خَطْبٍ فنُخبركم.

وأقبل عليهم شابّ كان من خيارهم قد أُوتي فيهم علماً، فقال: ويحكم! لا تفعلوا واذكروا ما عثرتم عليه في الجامعة من صفته، فوالله إنّكم لتعلمون حقّ العلم أنّه لصادق وإنّما عهدكم بإخوانكم حديث، قد مُسِخوا قردةً وخنازير، فعلموا أنّه قد نصح لهم فأمسكوا.

قال: وكان للمنذر بن علقمة أخي أُسقفهم أبي حارثة حظّ من العلم فيهم يعرفونه له، وكان نازحاً عن نجران في وقت تنازعهم، فقدم وقد اجتمع القوم على الرحلة إلى رسول الله ﷺ، فشخص معهم، فلمّا رأى المنذر انتشار أمر القوم يومئذٍ وتردّدهم في رأيهم، أخذ بيد السيّد والعاقب وأقبل على أصحابه فقال: اخلوني[٢] وهذين، فاعتزل بهما ثمّ أقبل عليهما فقال: إنّ الرائد لا يكذب

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الشارة والشور والشيار: الحسن والجمال والهيئة واللباس والسمن والزينة. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٢: ٦٥).

(٢) في «م» «ت»: (خلوني)، وما أثبتناه من المصدر.

أهله، وأنا لكما حقّ نصيح، وعليكما جدّ شفيق، فإن نظرتما لأنفسكم نجوتما، وإن تركتما ذلك هلكتما وأهلكتما.

قالا: أنت الناصح جَيْباً[١]، المأمون عيباً، فهات.

قال: أتعلمان أنّه ما باهل قوم نبيّاً قطّ إلّا كان مهلكهم كلمح البصر؟ وقد علمتما وكلّ ذي أرب من ورثة الكتب معكما أنّ محمّداً أبا القاسم هذا هو الرسول الذي بَشَّرت به الأنبياء عليهم السلام، وأفصحت بنعته وأهل بيته الأُمناء، وأُخرى أُنذركما بها فلا تعشوا عنها.

قالا: وما هي يا أبا المثنّىٰ؟

قال: أُنظرا إلى النجم قد استطلع على الأرض، وإلى خشوع الشجر، وتساقط الطير بإزائكما لوجوهها، قد نشرت على الأرض أجنحتها، وفاءت[٢] ما في حواصلها، وما عليها للّه عزّ وجلّ من تبعة، ليس ذلك إلّا لما قد أظلّ من العذاب، وانظرا إلى اقشعرار الجبال، وإلى الدخان المنتشر، وقزع السحاب، هذا[٣] ونحن في حمّارة القيظ وإبّان الهجير، وانظرا إلى محمّد صلى الله عليه وآله رافعاً يده والأربعة من أهله معه إنّما ينتظر ما تجيبان[٤] به، ثمّ اعلموا أنّه إن نطق فوه بكلمة من بُهلة لم نتدارك هلاكاً، ولم نرجع إلى أهل ولا مال.

فنظرا فأبصرا أمراً عظيماً فأيقنا أنّه الحقّ من الله عزّ وجلّ، فزلزلت أقدامهما

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وهو ناصح الجيب: أي القلب والصدر (القاموس ١: ٥٠). وناصح الجيب أبين. (منه رحمه الله)

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فات).

(٣) (هذا) أثبتناها من المصدر.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (تجيئان).

وكادت أن تطيش عقولهما، واستشعرا أنّ العذاب واقع بهما، فلمّا أبصر المنذر ابن علقمة ما قد لقيا من الخيفة والرهبة، قال لهما: إنّكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله وآجله، وإن أثرتما دينكما[١] وغضارة أيكتكما وشححتما بمنزلتكما من الشرف في قومكما، فلست أحجر عليكما الضنّ[٢] بما نلتما[٣] من ذلك، ولكنّما بدهتما محمّداً ﷺ بتطلّب المباهلة وجعلتماها حجازاً وآية بينكما وبينه، وشخصتما من نجران وذلك من تأليكما[٤] فأسرع محمّد ﷺ إلى ما بغيتما منه، والأنبياء إذا أظهرت بأمر لم ترجع إلّا بقضائه وفعله، فإذ نكلتما عن ذلك وأذهلكتما مخافة ما تريان فالحظّ في النكول لكما، فالوحى يا إخوتي الوحى، صالحا محمّداً ﷺ وارضياه، ولا ترجئا ذلك فإنّكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس، لمّا غشيهم العذاب.

قالا: فكن[٥] يا أبا المثنّى أنت الذي تلقى محمّداً ﷺ بكفالة ما يبتغيه لَدَينا، والتمس لنا إليه ابن عمّه هذا ليكون هو الذي يبرم الأمر بيننا وبينه، فإنّه ذو الوجه والزعيم عنده، ولا تبطئنّ لنطمأنّ بما ترجع إلينا به.

وانطلق المنذر إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلّا الله[٦] الذي ابتعثك، وأنّك وعيسى عليه السلام عبدان للّه عزّ وجلّ مرسلان،

---

(١) في «م» «ت»: (دنياكما)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في المصدر: (الضنين)، وما أثبتناه موافق لما في بحار الأنوار.

(٣) (بما نلتما) أثبتناها من المصدر.

(٤) في نسختي بدل من النسختين: (بالكما).

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت» زيادة: (أنت).

(٦) لفظ الجلالة (الله) أثبتناه من المصدر.

فأسلمَ وبلّغه ما جاء له، فأرسل رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام لمصالحة القوم، فقال عليّ عليه السلام: «بأبي أنت، على ما أُصالحهم؟» فقال له: «رأيك يا أبا الحسن فيما تبرم معهم[1] رأيي».

فصار إليهم فصالحاه على ألف حُلّة، وألف دينار خرجاً في كلّ عام يؤدّيان شطر ذلك في المحرّم، وشطراً في رجب، فصار عليّ عليه السلام بهما إلى رسول الله ﷺ ذليلين صاغرين، وأخبره بما صالحهما عليه، وأقرّا له بالخرج والصغار.

فقال لهما رسول الله ﷺ: «قد قبلت ذلك منكم، أما إنّكم لو باهلتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجّج، ثمّ لساقها الله عزّ وجلّ إلى[2] من ورائكم في أسرع من طرف العين إلى من ورائكم فحرّقهم[3] تأجّجاً».

فلمّا رجع النبيّ ﷺ بأهل بيته وصار إلى مسجده، هبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرئُك السلام، ويقول لك: إنّ عبدي موسى عليه السلام باهل عدوّه قارون بأخيه هارون وبنيه، فخسفتُ بقارون وأهله وماله، وبمن آزره[4] من قومه، وبعزّتي أُقسم وبجلالي ـ يا أحمد ـ لو باهلت بك وبمن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض والخلائق جميعاً، لتقطّعت السماء كِسَفاً، والجبال زُبَراً، ولساخت الأرض فلم تستقرّ أبداً إلّا أن أشاء ذلك.

فسجد النبيّ ﷺ ووضع على الأرض وجهه، ثمّ رفع يديه حتّى تبيّن للناس عُفرة إبطَيْه، فقال: «شكراً للمنعم، شكراً للمنعم» ـ قالها ثلاثاً ـ فسُئل نبيّ الله ﷺ

---

(١) في «م» «ت»: (تروم)، و(تبرم معهم) أثبتناها من المصدر.

(٢) (إلى) أثبتناها من المصدر.

(٣) في «م» «ت»: (فحرقتهم)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) في حاشية «م» «ت»: وأزرت فلاناً أي عاونتهُ. (منه رحمه الله)

عن سجدته وعمّا رأى من تباشير السرور في وجهه، فقال: «شكراً لله[١] عزّوجلّ لِما أبلاني من الكرامة في أهل بيتي»، ثمّ حدّثهم بما جاء جبرئيل عليه السلام.

وقال المجلسي رحمه الله: ولنُوضح بيان ألفاظ هذا الحديث الطريف لوفور فوائده وإن كان ما وصل إلينا من النسخ سقيمة:

«وإلّا أذنّا» كَعَلِمْنا بمعنىً، و«ضويت إليه» أضوي ضويّاً: إذا آويتَ إليه وانضممت، ذكره الجوهري وقال: «دُهَماء» الناس جماعتهم[٢]، و«الخطّة» بالضمّ: الأمر والقصّة، كذا قال المجلسي عليه الرحمة، ولكنّه غير مناسب للمقام والمناسب له «الحِطّة» وهي فعلةٌ من حطّ الشيء يحطّه إذا أنزله وألقاه، وحططت الرجل وغيره حطّاً من باب «قتل» أنزلته من علوّ إلى سفل.

و«حفزه» يحفزه دفعه من خلفه، وبالرمح طعنه، وعن الأمر أعجله وأزعجه.

و«أزمعت» على أمر إذا ثبت عليه عزمه و«كانت فيه بقيّة» أي من القوّة أو شفقة، والبقاء على قومه؛ كذا قال المجلسيّ رحمه الله والأولى أن يقال: وكانت فيه بقيّة رأي ورويّة كما صرّح به في الرواية، يعني إنّه لم يبلغ من الهرم مقام الخرافيّة وفساد العقل.

و«الهوادة» الصلح، و«دبّوا» إلى قومٌ لعلّه بتشديد الباء في إليّ ورفع قومٍ من قبيل أكلوني البراغيث أو بالتخفيف، وجرّ قوم أي دبّ قوم إلى قوم في هذا الأمر كدبيب النمل من غير رويّة وتأمّل، وفي بعض النسخ القديمة أي قوم حرف نداء فدُبُّوا أمرٌ والمراد به التأنّي والتثبّت وترك الاستعجال، وهو أظهر.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (لربّي).

(٢) انظر الصحاح ٥: ١٩٢٤ ـ دهم.

و«السورة» الشدّة والحدّة والسطوة والاعتداء، قوله: «فإنّ البديهة بها» أي المفاجآة بالسورة من غير تأمّل، «لا ينجب» ولا يحسن، و«الأناة»: كقناة الترفّق والحلم، و«الإحجام» الكفّ، و«الصول» الاستطالة والحملة، و«المعصّب» كمحدّث: السيّد المطاع؛ لأنّه يعصّب بالتاج، أو تُعَصَّبُ به أُمور الناس، أي تردّ إليه، و«السَّحَر» بالفتح والضمّ والتحريك: الريّة، ويقال للجبان: «انتفخ سحره»، وفي **القاموس**: «استطار الفجر»: انتشر، والسوق: ارتفع، والحائط انصدع، و«استطير» طُيِّر وفلان: ذُعِرَ[1]، و«المسبوع»: الذي افترسه السبع أو افتُرِس وَلَدُهُ[2].

و«اليراعة»: الأحمق والجبان والنُّعامة، و«الهلع»: أفحش الجزع، قوله: «بالنوء» بالعبء أي حمل الأثقال العظيمة، يُقال: ناء بالحمل: إذا نهض به مثقّلاً، والعِبء بالكسر: الحمل، و«تلقيح الحرب» أي جعل الحرب ذات حمل أي فائدة، و«هي عقيم» أي معطّلة غير قائمة وغير مفيدة، وفي بعض النسخ: «نلقح» بصيغة المتكلّم، و«تثقيف الرماح»: تسويتها، و«الأَوَد» بالتحريك: الإعوجاج، وقوله: «وَيْكَ» بمعنى ويلك، و«اللمز»: العيب، و«الرَّبْع» بالفتح: الدار والمحلّة والمنزل، و«الذمّار» بالكسر: ما يلزمك حفظه وحمايته، وفي **القاموس**: «العيص» بالكسر: الشجر الكثير الملتفّ والأصل، وما اجتمع وتدانى من العِضاة[3]، وفي بعض النسخ: «عصباً» وهو بالتحريك: خيار القوم.

---

(١) الذعر: الخوف. (لغة منه ﷺ)

(٢) انظر القاموس المحيط ٢: ٨٠، وقوله: (والسوق: ارتفع) لم يرد في المصدر.

(٣) انظر القاموس المحيط ٢: ٣١٠.

⇐

قوله: «والمرء بيومه أشبه منه بأمسه»: أي ينبغي للإنسان أن ينظر إلى أحوال زمانه فيعمل بما يناسبه، ولا يقيس على الأزمنة السالفة، و«الجيل» بالكسر: الصنف من الناس، و«الجلباب»: الملحفة.

قوله: «من الرأي الربيق» أي الرأي عُزم عليه كأنّه مشدود في ربقة أو يلزم العمل به كأنّه يجعل عُنُق الإنسان في ربقة، وهي العروة التي يشدّ بها البهيمة، يقال: رَبِقَهُ يربقه ـ بالضم والكسر ـ: إذا جعل رأسه في الربقة، والربيقة كسفينة: البهيمة المربوقة، وفي بعض النسخ القديمة بالتاء من الرتق ضدّ الفتق.

و«النجد»: الغلبة، وأنجد: ارتفع، والدعوة: أجابها، و«النجدة»: القتال والشجاعة والشدّة والهول، و«نجد الأمر»: وضح واستبان، و«التنجيد» العَدْو والتزيين، و«استنجد»: استعان وقَوِيَ بعد ضعف، وفي بعض النسخ بالذال المعجمة، يقال: نجذه: أي ألحّ عليه، و«نجز» كفرح ونَصَر: انقضى وفني، والوعدُ: حَضَرَ، والكلامُ انقطع، وأنجز حاجته: قضاها، والوعدَ: وفىٰ به.

و«بخع» بالحقّ بخوعاً: أقرّ به وخضع له، و«نزع» عن الأمر: انتهى عنه، و«الكَميّ» الشجاع.

قوله: «أَنَتهالك»: أي نُسْرِع إلى هذا الدين فندخل فيه من غير رويّة، من قولهم: تهالك الفراش: إذا تساقط، و«البواتر»: السيوف القاطعة.

قوله: «أو نشرق» على المجرّد أي نظر، أو على التفعيل من قولهم شَرّق: إذا

⇐ في حاشية «م» «ت»: العضاة: كل شجر يعظم وله شوك، واحدة العضاة: عضاهة، وعضهة، وعضة بحذف الهاء الأصليّة كما حذفت من الشفة. (منه ﷺ)، (الصحاح ٦: ٢٢٤٠ ـ عضبه).

أخذ في ناحية المشرق، ولعلّه تصحيف، وقولهم: «أربع على نفسك» بفتح الباء: أي أرفق بنفسك وكُفَّ، ورمقته أرمقه: نظرت إليه.

قوله: «والروح»: أقسمُ بروح القدس، و«نهد» إلى العدوّ كمنع أي نهض، و«الجفاء» بالضمّ: ما قذفه السيل، و«الوَخَم» بالتحريك: كلّ شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض، و«الخرق»: قطع المفاوز، و«الاغداذ»: الإسراع في السير، و«أعنق»: أسرع في السير، وفي نسخة قديمة بالتاء المثنّاة الفوقانيّة من «عَتَقَ»[1] الفرس كضرب أي سبق فنجا.

و«نعق» الراعي بغنمه يَنْعِقُ ـ بالكسر ـ: أي صاح بها وزجرها، و«المدرة»: البلدة، و«المكثور»: المغلوب بالكثرة، و«الحوزة»: الناحية، و«انتهزه»: اغتنمه، و«عشوت» إلى النار أعشو إليها عشواً: إذا استدلَلْتُ عليها ببصر ضعيف وإذا صَدَرْتَ عنه إلى غيره قلت: عشوت عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ **مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ** ﴾[2].

و«الخَلَقُ» بالتحريك: البالي، وهنا كناية عن فساد الزمان وامتداد الفترة، و«في القديمة في خلوّ» بالواو المشدّدة أي عند خلوّ الزمان من الحجج وآثار الهداية، و«فاران»: اسم جبل بمكّة، و«السوقة»: خلاف الملِك، و«الصدع»: الشقّ، وصدع بالأمر تكلّم به جهاراً، و«الدرك» بالتحريك: اللحاق والوصول إلى الشيء، و«الملحمة»: القتال، و«النبز»: بالفتح نبزه أي لقّبه ـ بالتحريك ـ اللقب

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أعتقها صاحبها: أي أعجلها وأنجاها. (لغة منه ﷺ)، (انظر الصحاح ٤: ١٥٢٠ ـ عتق).

(٢) سورة الزخرف ٢٣: ٣٦.

ولعلّه أظهر، و«الفواق» بالضمّ والفتح: ما بين الحلبتين من الوقت وهو كناية عن قلّة زمان ملكه.

قوله: «واضربوا» في الفتنة لعلّه من قولهم: أضرب الرجل الفحل الناقة فضربها وفيه استعارة بليغة، و«قطن» بالمكان: أقام به، و«النجعة»: طلب الكلاء في موضعه، تقول: انتجعت ونجعت فلاناً إذا أتيته تطلب معروفه، و«الروّاد» جمع الرائد وهو الذي يُبْعَث لاستعلام الأمر، وفي الأصل هو الذي يتقدّم القوم يُبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، ومنه قومهم: الرائد لا يكذب أهله، و«وفد» فلان على الأمير ورد رسولاً، وأوفدته أرسلته، والمراد «بصاحبهم» مُسيلمة و«بنو قيلة» الأنصار.

و«الثمد» بالفتح والتحريك: ككتاب الماء القليل الذي لا مادّة له، وماءٌ «ملح» بالكسر: أي ليس بعذب، و«استعذب» القوم ماءهم إذا استقوهُ عذباً، و«مجّ» الماء من فيه رمى به، و«احلولى»: أي صار حُلْواً، و«جاش» الوادي: كثر مائُه وزَخُرَ وامتدّ، و«حار»: أي رجع، و«تحيّر» الماء: اجتمع ودار، و«الجراح»: جمع الجراحة بكسرهما، و«الكَلِم»: الجراحة، و«الأَلَم»: الوجع، و«أنْعَمَ»: أي قال له نعم، و«الركيّ»: جمع الركيّة وهي البئر.

و«الوشل» بالتحريك: الماء القليل، و«بضّ» الماء يبضّ بالكسر: أي سال قليلاً قليلاً، و«تحيَّفْتُه» تنقّصْتُه من حيفه أي من نوحيه، قوله: «وأبيك» الواو للقسم، و«التذمّم»: اللاستنكاف، و«فرط إليه مِنّي قول»: أي سبق، و«التقريظ»: المدح بباطل أو حقّ، و«التأثيل»: التأصيل.

قوله: «دحاها» أي الأرض، و«القمران»: الشمس والقمر، و«الكوكب»

الدرّي: الثاقب المضيء، و«غمضه»: احتقره، و«التقمّص»: لبس القميص أي ادّعى سلطان الله وخلافته، «مُتبرّئاً من صاحبه» أو من شرايطه أو بغير همز، قولهم «تبرّيت له»: أي تعرّضت لمعروفه والأظهر أنّه كان «مبتزّاً» بالزاء: أي غاصباً من قولهم ابتزّ الشيء أي سلبه، و«الكمه»: العمى، قوله: «رويدك»: أي أمهل، و«المقنع» بالفتح: ما يقنع به، و«المحال»: ككتاب الكيد والمكر والقدرة والجدل والمعاداة.

قوله: «الدارسة»: أي القديمة من درست الآثار عَفَتْ، ودرس الثوب خَلَقَ، و«الخالية»: الماضية، و«النكت»: أي الضرب في الأرض بقضيب فيؤثّر فيها، قوله: «أَثَرَةٌ» من عِلْم بالتحريك: أي بقيّة، و«الخرّاص»: الكذّاب، و«المحجوج»: المغلوب بالحجّة، ويقال: «جَنَبَ»: أي نزل غريباً، و«البلوج»: الإشراق، وبلج الحقّ إذا اتّضح، يقال: الحقّ أبلج والباطل لجلج أي يردّد من غير أن ينفذ.

وقولهم: «أولى لك»: تهديد ووعيد، قوله: «أغفلناك»: أي تركناك، وفي بعض النسخ «عقلناك» من أعقله أي وجده عاقلاً، وفي بعضها: «من أعضلناك»، يقال: أعضلني فلانٌ أي أعياني أمره، وعضّلتُ عليه تعضيلاً إذا ضيّقت عليه في أمره، و«راغ»: الرجل والثعلب مال وحاد عن الشيء، و«المراوغة»: المصارعة، و«الجوى»: داء الجوف إذا تطاول.

ويقال: «ثلجت» نفسي: كنصرت اطمأنت، و«تحليق» الشمس: ارتفاعها، يقال: «أرجأت» الأمر وأرجيته: أي أخّرته، و«قطع» بفلان إذا عجز عن سفره من

نفقة ذهبت أو قامت[١] عليه راحلته أو أتاه أمرٌ لا يقدر أن يتحرّك، قوله: «فضّ» الحديث بالفاء والضاء المعجمة، والفضّ: الكسر، أو بالقاف والصاد المهملة من قصّة الجناح إذا قطع، أو من القصّة، أو بالقاف والضاد المعجمة من قضّ اللؤلؤة ثقبها، والشيء دقّه، والوتد قطعه، وجاؤوا قضّهم وقضيضهم أي جميعهم.

قوله: «فَنخبُر» بالخاء المعجمة بمعنى: الإخبار أو الاختبار أو بالمهملة تحبير الكلام تحسينه، و«التباشير»: البشرى، وتباشير الصبح أوائله، قوله: «ليس بظهرة» دينه: أي ليس هذا الرجل من أعوان دينه وأُمّته بل من ذرّيّته، و«اللُّوبُ» بالضمّ جمع اللوبة: وهي الحَرَّة، قوله: «مُوَطَّأً»: أي مهيّأً، و«الأرب» بالكسر: الحاجة، و«الفارط»: المقصّر والمضيّع، قوله: «البهلولة»: البهلول بالضمّ السيّد الجامع لكلّ خير، وفي بعض النسخ «البتولة» وهو أظهر، و«الآسي»: كالقاضي الطبيب، و«الخائل»: الحافظ للشيء، يقال: هو خَوْلّى مالٍ أي حسُن القيام به، وخَوْلٌ مُحرّمٌ كعظّم تامّ، و«التأليب»: التحريص، و«الصِغْو» بالكسر والفتح: الميل، و«شمس» الفرس شموساً وشماساً: منع ظهره.

قوله: «لأن لا يفتات» في **القاموس**: لا يفتات عليه: لا يعمل دون أمره[٢]، قوله: «واستنجدني» فأنجدته: أي استعان به فأعنْتُهُ، وقال أبو عبيد: أضجّ القوم أضجاجاً إذا جلبوا جمع وصاحوا فإذا جزعوا في شيء وغلبوا، قيل: ضجّوا، واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه به، و«ضاع المسك» وتضوّع: أي تحرّك

---

(١) في حاشية «م» «ت»: قامت الدابّة: وقفت من الكلال. (منه ﷺ)، (انظر الصحاح ٥: ٢٠١٦ ـ قوم، مجمع البحرين ٦: ١٤٩ ـ قوم).

(٢) القاموس المحيط ١: ١٥٤.

فانتشى رائحته، و«أرج» الطبيب يأرج أرَجاً بالتحريك: فاح وتضوّع، والتكلّل الإحاطة، و«نسل»: ـ كضرب ـ أسرع، و«الأوب»: الناحية، و«القاع»: المستوي من الأرض، و«الأَكَم»: التلال، و«بَهَرَهُ»: غلبه، و«ناف» الشيء: أي طال وارتفع، وأناف على الشيء أشرف، و«الصفيح»: السماء ووجه كلّ شيء عريض.

و«الإصْر»: الذنب والثقل، و«اقشعرّ» جلده أخذته قشعريرةٌ: أي رعدة، والسَّنة أمحَلَتْ، وكعلابط الخش المسنّ، و«الهياطلة»: جنس من الترك والهند كانت لهم شوكة، و«شارفه»: وعليه اطّلع من فوقه، و«السبر»: امتحان غور الشيء، و«الصَّرَم»: القطع، قوله «لِحَكَمة» الصدور: أي لخلجان الشبه فيها، وفي بعض النسخ «لِحَسَكَة» الصدور: وهي نبات تعلّق ثمرته بالصوف، و«الحقد»: العداوة، قوله: «طُرّاً» بالضمّ: أي جميعاً، والعُصبة قوم الرجل الذين يتعصّبون له بما هم به منه أي الذين ذُكِرُوا بنعتٍ هم متلبّسون به من قرابة الرسول ونسبه، و«قنات» الظهر: التي تنتظم الفقار، و«البكر» بالكسر: أوّل كلّ شيء وأوّل ولد الأبوين، و«الانتياش»: التناول والإخراج، و«الفنن»: الغُصْن، و«الأسف»: أشدّ الحزن، وقد أسف على ما فاته تلهّف وأسف عليه غضب.

و«ارتأى»: يرتئي افتعال من الرأي، و«ندبه» للأمر فانتدب له: أي دعاه فأجابه، و«تفيئَةُ»: الشيء حينه وإبّانه، ويقال: «غرز» رجله في الغرز: وهو ركاب من جلد وضعها فيها كأغرز، واغترز السير دنا، و«راث» على خبرك أبطأ، و«الاستراثة»: الاستبطاء، و«التّفث»: الشعث والكثافات، و«شنّ»: الماء صبّه وفرّقه، و«أماط»: أبعد، و«البِذلة» بالكسر: ما يصان من الثياب، و«الأتحميّة»: نوع من البرد، و«ذرّ» الملح والطيب: نَشَرَه وفرّقه، و«اللِمَم» كعنب جمع اللمة

بالكسر: وهي الشعر يجاوز شحمة الأُذُن، و«منسج» الفرس: أسفل من حاركه[١]، و«الرزدق»: الصفّ من الناس، و«تشوّفت» إلى الشيء: أي تطلّعت إليه، و«الغابر»: الماضي والباقي، و«كَنَنْتُ» الشيء: سَتَرْتُه وأكْنَنْتُهُ في نفسي أسررته، و«الأمشاج»: الأخلاط.

قوله: «وينصب» والله بِإِرْبِهِ: أي يتعبُ بسبب حاجته، ويمكن أن يكون كناية عن الذهاب إلى الخلأ، فهؤلاء «سجيّة» الأنبياء: أي المباهلة بهم طريقتهم، والأظهر «شَجْنَةٌ» بالشين المعجمة والنون كما في بعض النسخ، قال في **النهاية**: الرحم شجنةٌ من الرحمن أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبّهه بذلك مجازاً واتّساعاً، وأصل الشُّجنة بالكسر والضمّ شعبة من غصن من غصون الشجرة، وفي نسخة قديمة «وشجة»[٢].

و«الشاره»: اللباس والهيئة، و«مَتَعَ» النهار: كمَنَعَ ارتفع، و«النازح»: البعيد، و«رجل ناصح الجيب»: أي أمين، و«القزع» بالتحريك: قطع من السحاب رقيقة، و«حمّارة القيظ» بفتح الحاء وتشديد الراء: شدّته، و«الهجير»: والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحرّ، و«إبّان الشيء» بالكسر والتشديد: وقته، و«الغضارة»: طيب العيش، و«الأيك»: الشجر الكبير والواحدة أيكة، و«الشُّحّ»: البُخل مع حرص، تقول: شححت بالكسر والفتح، و«حَجَرَ»: عليه منعه، و«الضِّنّ» بالكسر: البخل، و«بدهه» بأمر: استقبله به، وبادهه فاجأه، مِن «بالكما»، في

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وحارك الفرس فروع الكتفين وهو أيضاً الكاهل، والكاهل الحارك وهو بين الكتفين. (منه ﷺ)، (الصحاح ٤: ١٥٧٩ ـ حرك).

(٢) في حاشية «م» «ت»: والوشجة عرق الشجرة، ووشجت العروق والأغصان إذا اشتبكت. (منه ﷺ)، (النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٨٧).

القاموس: البال الحال والخاطر والقلب، وفي بعض النسخ: «من تألّيكما» والتألّي التقصير والحلف، وفي الحديث: «من يتألّى على الله بكذبه»: أي من حكم عليه وحلف، و«الوحىٰ»: السرعة، يقال: الوحا الوحا يعني البدار البدار، و«الكِسر» بكسر الكاف وفتح السين: القِطَع، وكذا «الزُبُر» بضمّ الزاء وفتح الباء، و«ساخت» قوائمه دخلت وغابت، و«العفرة» بالضمّ: البياض ليس بالشديد[١].

اعلم أنّ قصّة المباهلة وانحصار أهلها في أصحاب الكساء صلوات الله عليهم ممّا اتفقت عليه روايات الخاصّة والعامّة، وقد أوردوا الأخبار المتواترة في ذلك من الجانبين، ويستفاد منها أُمور:

الأوّل: أنّ الحسنين عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة كما استدلّ به أئمّتنا عليهم السلام في مواطن شتّى على المخالفين، ووجه الاستدلال: أنّه لا خلاف بين الفريقين في أنّ المراد بأبنائنا الحسن والحسين عليهما السلام، وإنّه لم يحضر للمباهلة من يستحقّ هذا الاسم غيرهما، فيدلّ على ما ذهب إليه السيّد المرتضى رضوان الله عليه: من أنّ المنتسب بالأُمّ إلى هاشم في حكم المنتسب بالأب في استحقاق الخمس وحُرمة الزكاة عليه[٢]، وغير ذلك من الأحكام، وهو في غاية القوّة، وبسط القول فيه لا يناسب المقام.

الثاني: لا خلاف في أنّ مصداق «نسائنا» فيها فاطمة صلوات الله عليها؛ لأنّه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، فيدلّ على تفضيلها على غيرها من النساء.

الثالث: المراد بـ«أنفسنا» أمير المؤمنين عليه السلام وهو مصداقه، إذ لا يجوز أن

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٢٥ ـ ٣٣٦/ بيان له على الحديث ١.

(٢) حكاه عن السيّد مرتضى البحراني في الحدائق الناضرة ١٢: ٣٩٠.

يكون المراد به النبيّ ﷺ؛ لأنّه هو الداعي ولزوم المغايرة بين الداعي والمدعوّ ظاهر؛ فوجب أن يكون إشارة إليه عليه السلام؛ لأنّه لا أحدٌ يدّعي دخول غير أمير المؤمنين وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة، وهذا يدلّ على غاية الفضل وعلوّ الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحدٌ إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحدٌ، واستدلّ به أصحابنا رضي الله عنهم على كونه عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء، كما مرّ بيانه في الحديث الثاني.

الرابع: تدلّ هذه الرواية مع الروايات المتواترة في تلك القصّة على أنّ أصحاب الكساء عليهم السلام كانوا أفضل الخلق وأكرمهم على الله وأحبّهم إلى النبيّ ﷺ؛ لأنّه ﷺ خصّهم من بين جميع الخلق بالمباهلة، وبيّن فضلهم بذلك، وبذلك تثبت إمامتهم وعدم جواز تأمّر الغير عليهم لشهادة العقل بقُبح تفضيل المفضول.

الخامس: تلك الواقعة تدلّ على حقّيّة النبيّ ﷺ بوجوه شتّى لا يخفى على من تأمّل فيها وفي الروايات المتضمّنة لها.

ولنُشيّد تلك الفوائد الخمس بإيراد ما ذكره مشاهير المخالفين في ذلك ليكون أجل للعمىٰ، وأبعد عن الارتياب:

قال الزمخشريّ في الكشّاف: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ**﴾ من النصارى ﴿**فِيهِ**﴾ في عيسى ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ أي من البيّنات الموجبة للعلم ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا**﴾ هلّموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالِ نُفكّر في هذه المسألة ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ أي يدع كلّ منّي ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ**﴾ ثمّ نتباهل بأن نقول: بَهْلَةُ الله على الكاذبين منّا ومنكم، والبَهْلَة ـ بالفتح ـ الذمّ واللعنة، وبَهَلَهُ الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك: أبهله

إذا أهمله، وناقة باهل لا صرار عليها، وأصل الابتهال هذا، ثمّ استعمل في كلّ دعاءٍ يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

وروي أنّه لمّا دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالَوْا، قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟

فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً نبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قومٌ نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ولا نَبَتَ صغيرهم، ولئن فعلتم لتَهْلُكَنّ، فإن أبيتم إلّا إلْفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً[1] الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوتُ فأَمِّنوا.

فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا[2] فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبتَ على ديننا.

فقال: فإن أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبَوا.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الحضن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٤: ٢١٥).

(٢) (فلا تباهلوا) أثبتناها من المصدر.

قال: فإنّي أُناجزكم[١].

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقةٌ، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولاتُخيفنا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفَي حلّة: ألفٌ في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية[٢] من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال: والذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمُسِخوا قِرَدَةً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا.

وعن عائشة: أنّ رسول الله ﷺ خرج وعليه مِرْط مرجّل[٣] من شَعْرٍ أسودٍ، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤].

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه، ومن

---

(١) في حاشية «م» «ت»: المناجزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة. (منه ﷺ)، (انظر اصحاح ٣: ٨٩٨ ـ نجز).

(٢) في حاشية «م» «ت»: درعاً عادية، أي قديمة وهي منسوب إلى عاد، وهم عاد الأولى، كما قالوا: داودية، أي محكمة قوية. (منه ﷺ)

(٣) في المصدر: (مرحل).

في حاشية «م» «ت»: المرط ـ بكسر الميم وسكون راء مهملة، بعدها طاء مهملة ـ: كساء من صوف أو خزّ (القاموس المحيط ٢: ٣٨٥).

مرحل ـ كمعظم، برد فيه تصاوير رحل، وفي النسخة ـ بالجيم ـ أي عليه صور الرجال، وقيل هو الصواب. (منه ﷺ)، (انظر القاموس المحيط ٣: ٣٨١ و٣٨٣ ـ رجل ورحل).

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

ذلك أمر يختصّ به[١] وبمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كَبَده، وأحبّ الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستيصال إن تمّت المباهلة.

وخصّ الأبناء والنساء؛ لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب، وربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتّى يُقْتَل، ومِن ثَمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويُسمّون الذادة عنها بأرواحهم حُماة الحقائق[٢]، وقدّمهم في الذكر على الأنفس؛ لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مُفَدَّوْن بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّه لم يَرْوِ أحدٌ من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك[٣]، انتهى.

وروى إمامهم **الرازي في تفسيره** الروايتين في المباهلة والكساء مثل ما رواه الزمخشري إلى قوله: «ويطهّركم تطهيراً»، ثمّ قال: واعلم أنّ هذه الرواية كأنّها متّفق على صحّتها[٤] بين أهل التفسير والحديث.

---

(١) في «م» «ت»: (فذلك أمر يخصّ به)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: يقال: فلان حامي الحقيقة، وهي ما يجب عليك حفظة. (منه رحمه الله)

(٣) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، وعنه في الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٢/ح٣٧، وبحار الأنوار ٢١: ٢٨٠ ـ ٢٨٢، وج٣٥: ٢٥٨ ـ ٢٦٠.

(٤) في المصدر: (كالمتفق على صحّتها).

ثمّ قال: هذه الآية دلّت على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابنَي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال: كان في الرَي رجل يقال له: محمود بن الحسن الخصيمي، وكان متكلّم الاثني عشريّة، وكان يزعم أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وآله، قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وليس المراد بقوله: «وأنفسنا» نفس محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد غيره، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد، ولا يمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، تُرِكَ العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة وفي حقّ الفضل؛ لقيام الدلائل أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من عليّ فيبقى فيما سواه معمولاً به، ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً كان أفضل من سائر الأنبياء؛ فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثمّ قال: وتأكّد الاستدلال بهذه الآية بالحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: «من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلّته، وموسى في قربته، وعيسى في صفوته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»؛ فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرّقاً فيهم، وذلك يدلّ على أنّ عليّاً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلّون بهذه الآية أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من سائر الصحابة، وذلك لأنّ الآية لمّا دلّت على أنّ نفس علي مثل نفس محمّد صلى الله عليه وآله إلّا فيما خصّه

الدليل، وكان نفس محمّد ﷺ أفضل من الصحابة[١]، فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل أيضاً من سائر الصحابة.

والجواب: كما أنّه انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً ﷺ أفضل من عليّ عليه السلام فكذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أنّ النبيّ ﷺ أفضل ممّن ليس بنبيّ، وأجمعوا على أنّ عليّاً ما كان نبيّاً فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية مخصوص في حقّ محمّد ﷺ فكذلك مخصوص في سائر الأنبياء عليهم السلام[٢]، انتهى.

قال المجلسي عليه الرحمة: انعقاد الإجماع على كون النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ مطلقاً ممنوع كيف وأكثر علماء الإماميّة بل كلّهم قائلون بأنّ أئمّتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء سوى نبيّنا ﷺ، ولو سلّم فلا نسلّم حجّيّة مثل هذا الإجماع الذي لم يتحقّق دخول المعصوم فيه كيف وأخبار أئمّتنا عليهم السلام مستفيضة بخلافه، ولنعم ما فعل حيث أعرض عن الجواب في حقّ الصحابة إذ لم يجد عنه محيصاً[٣].

أقول: قد مرّ الكلام مفصّلاً في الحديث الثاني فلا نعيده[٤].

---

(١) من قوله: (وذلك لأنّ الآية لمّا دلّت) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) تفسير الرازي ٨: ٨٥ ـ ٨٧/ المسألة الثانية والرابعة والخامسة، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٢٨٤.

(٤) في حاشية «م» «ت»: فيه أنّ أكثر علماءنا بل كلّهم قائلون بأنّ أئمّتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء سوى نبيّنا ﷺ. (منه رحمه الله)

ثمّ قال الإمام الرازي: هذه الآية دلّت على صحّة نبوّة النبيّ ﷺ من وجهين:

أحدهما: أنّه ﷺ خوّفهم بنزول العذاب، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه؛ لأنّ بتقدير أن رَغِبُوا في مباهلته ثمّ لا ينزل العذاب، فحينئذٍ كان يظهر كذبه، فلمّا أصرّ على ذلك عَلِمْنا أنّه إنّما أصرّ عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم.

والثاني: أنّ القوم لمّا تركوا مباهلته فلولا أنّهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدلّ على نبوّته لما أحجموا[1] عن مباهلته.

فإن قيل: لعلّهم كانوا شاكّين فتركوا مباهلته خوفاً من أن يكون صادقاً فينزل بهم ما ذكر من العذاب.

قلنا: هذا مدفوع من وجهين:

الأوّل: أنّ القوم كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع رسول الله ﷺ فلو كانوا شاكّين لما فعلوا ذلك.

الثاني: فقد نقل عن تلك النصارى أنّه قال[2]: والله هو النبيّ المبشَّر به في التوراة والإنجيل وانّه لو باهلتموه لحصل الاستيصال، وكان ذلك تحريصاً منهم بأنّ الامتناع عن المباهلة كان لأجل علمهم بأنّه نبيٌّ مرسلٌ من عند الله تعالى[3]، انتهى كلامه.

وأمّا النيشابوري فقد ذكر في **تفسيره** الروايتين بمثل ما مرّ، ثمّ قال بعد قوله

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وأحجم عن الشيء كفّ عنه مثل أحجم. (منه ﷺ)

(٢) في المصدر: (أنّهم قالوا).

(٣) تفسير الرازي ٨: ٨٧ ـ ٨٨/ المسألة السادسة، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٢٨٤.

«ويطهّركم تطهيراً»: وهذه الرواية كالمتفق على صحّتها، ثمّ ساق الكلام نحواً ممّا ساقه الرازي في الاستدلال والجواب، ثمّ قال: وأمّا فضل أصحاب الكساء فلا شكّ في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمّهم إلى نفسه، بل قدّمهم في الذكر، وفيها أيضاً دلالة على صحّة نبوّته ﷺ فإنّه لو لم يكن واثقاً بصدقه لم يتجرّأ على تعريض أعزّته وخُوَيْصَته وأفلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنّه الاستيصال[1].

وقال البيضاوي بعد تفسير الآية وإيراد خبر المباهلة: وهو دليل على نبوّته وفضل من أتى بهم من أهل بيته[2].

---

(١) حكاه المجلسي عنه في بحار الأنوار ٢١: ٢٨٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٤٧، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٢٨٥.

الحديث الخامس[1]

«في أصل حقيقة أمر الخلافة بعد النبيّ ﷺ»

ما أخرج من كتاب **إرشاد القلوب** تأليف الشيخ الزكي الحسن بن أبي الحسن الديلمي ممّا رواه مرفوعاً قال: لمّا استخلف عثمان بن عفّان، آوى إليه عمّه الحكم بن العاص، وولده مروان، والحارث بن الحكم، ووجّه عمّاله في الأمصار، وكان فيمن وجّه عمر بن سفيان بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميّة إلى مشكان[2]، والحارث بن الحكم إلى المدائن، فأقام فيها مدّة يتعسّف أهلها ويُسيء معاملتهم، فوفد منهم إلى عثمان وفدٌ شَكَوْا إليه وأعلموه بسوء ما يعاملهم به، وأغلظوا عليه في القول، فولّى حذيفة بن اليمان عليهم، وذلك في آخر أيّامه، فلم ينصرف حذيفة بن اليمان من المدائن، إلى أن قُتِل عثمان، واستخلف عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاقام حذيفة عليها وكتب إليه:

---

(١) إرشاد القلوب ٢: ٣٢١ـ٣٤٣، وعنه في بحار الأنوار ٢٨: ٨٦/ح٣.

(٢) في حاشية «م» «ت»: مشكان بالضم علم قرية بإصطخر، وقرية بفيروز أباذ فارس، وبلد من عمل همدان والعسوف والظلوم. (منه ﷺ)، (انظر القاموس المحيط ٣: ٣١٩).

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى حذيفة بن اليمان؛

سلامٌ عليك؛

فإنّي قد ولّيتك ما كنت تليه لمن كان قبلي من حِرَف المدائن، وقد جعلت إليك أعمال الخراج والرُستاق[1] وجباية أهل الذمّة، فاجمع إليك[2] ثقاتك ومن أحببت، ممّن ترضى دينه وأمانته، واستعن بهم على أعمالك، فإنّ ذلك أعزّ لك ولوليّك، وأكْبَتُ لعدوّك، وإنّي آمُرك بتقوى الله وطاعته في السرّ والعلانية، فاحذر[3] عقابه في المغيب والمشهد، وأتقدّم إليك بالإحسان إلى المحسن، والشدّة على المعاند، وآمرك بالرفق في أُمورك، واللين والعدل في رعيّتك، فإنّك مسؤول عن ذلك، وإنصاف المظلوم، والعفو عن الناس، وحسن السيرة ما استطعت؛ فاللّه يجزي المحسنين.

وآمرك أن تُجبي خراج الأرضين على الحقّ والنَصَفَة، ولا تتجاوز ما تقدّمت به إليك، ولا تَدَع منه شيئاً، ولا تبتدعْ فيه أمراً، ثمّ أقْسِمْهُ بين أهله بالسويّة والعدل، واخفض لرعيّتك جناحك، وواس بينهم

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الرستاق: فارسي معرّب، والجمع الرساتيق وهي السواد. (منه ﷺ)، (انظر مجمع البحرين ٥: ١٦٩ ـ رستق).

(٢) في «م» «ت»: (عليك)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (وأحذّرك).

في مجلسك، وليكن القريب والبعيد عندك في الحقّ سواء، واحكم بين الناس بالحقّ، وأقم فيهم بالقسط، ولا تتّبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم؛ فإنّ الله مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون.

وقد وجّهت إليك كتاباً لتقرأه على مملكتك؛ ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين، فأحضرهم[1] واقرأه عليهم، وخُذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم إن شاء الله تعالى».

فلمّا وصل عهد[2] أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة جمع الناس فصلّى بهم، ثمّ أمر بالكتاب فقرئ عليهم وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين؛

سلامٌ عليكم؛

فإنّي أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، وأسأله أن يصلّي على محمّد وآله.

فأمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، إحكاماً لصُنْعه وحُسْنِ تدبيره، ونظراً منه[3] لعباده، وخصّ به مَن

---

(١) في «م» «ت»: (فاحذرهم)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: وتمسّكوا بعهد فلان، أي بما يأمركم به ويوصيكم. (منه عليه السلام)، (مجمع البحرين ٣: ١١٦ ـ محمّد).

(٣) (منه) أثبتناها من المصدر.

أحبَّ من خلقه، فبعث إليهم محمّداً ﷺ، فعلّمهم الكتاب والحكمة، وإكراماً وتفضّلاً لهذه الأُمّة، وأدّبهم لكي يهتدوا، وجمعهم لئلّا يتفرّقوا، ووفقهم لئلّا يجوروا، فلمّا قضى ما كان عليه من ذلك، مضى إلى رحمة ربّه حميداً محموداً، ثمّ إنّ بعض المسلمين أقاموا بعده رجلين رضوا بهديهما وسيرتهما فأقاما[1] ما شاء الله، ثمّ توفّاهما الله عزّ وجلّ، ثمّ ولّوا بعدهما الثالث، فأحدث أحداثاً، ووجدتِ الأُمّة عليه فعالاً، فاتّفقوا عليه ثمّ نقموا منه، فغيّروا، ثمّ جاؤني كتتابع الخيل فبايعوني، فأنا[2] أستهدي الله بهُداه، وأستعينه على التقوى.

ألا وإنّ لكم علينا، العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه والقيام عليكم بحقّه، وإحياء سنّته، والنُّصح لكم بالمغيب والمشهد، وباللّه نستعين على ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد ولّيت أُموركم حذيفة بن اليمان، وهو ممّن أرتضي بهداه[3]، وأرجو صلاحه، وقد أمرتُهُ بالإحسان إلى مُحسنكم، والشدّة على مريبكم، والرفق بجميعكم، أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

---

(١) في المصدر: (قاما).

(٢) في «م» «ت»: (فأني)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بهديه).

قال: ثمّ إنّ حذيفة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ وآله، ثمّ قال: الحمد للّه الذي أحيا الحقّ وأمات الباطل، وجاء بالعدل وأدحض الجور، وكَبَتَ[١] الظالمين.

أيّها الناس، إنّما[٢] وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً، وخير من نعلمه بعد نبيّنا محمّد رسول الله ﷺ، وأولى الناس بالناس[٣] وأحقّهم بالأمر، وأقربهم إلى الصدق، وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله وسيلة، وأمسّهم برسول الله ﷺ رَحِماً، أنيبوا إلى طاعة أوّل الناس سلماً، وأكثرهم علماً، وأقصدهم طريقاً، وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً، وأعزّهم مقاماً، أخي رسول الله ﷺ وابن عمّه، وأبي الحسن والحسين، وزوج الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين، فقوموا أيّها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ للّه في ذلك رضىً، ولكم مقنعٌ وصلاح، والسلام.

فقام الناس بأجمعهم[٤] فبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام أحسن بيعةٍ وأجمعها، فلمّا استتمّت البيعة قام إليه فتىً من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمّد بن عمارة بن التيّهان أخو أبي الهيثم بن التيّهان، يقال له مُسْلِمٌ، متقلّداً سيفاً، فناداه من أقصى الناس: أيّها الأمير، إنّا[٥] سمعناك تقول: إنّما وليّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وكَبَتَ العدو: أهانه وأذلّه. (لغة منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٢: ٢١٦ ـ كبت).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (إنّه قد ولّاكم الله وأمير المؤمنين عليه السلام).

(٣) (بالناس) أثبتناها من المصدر.

(٤) (بأجمعهم) أثبتناها من المصدر.

(٥) (إنّا) أثبتناها من المصدر.

حقّاً حقّاً، تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنّهم لم يكونوا أُمراء المؤمنين حقّاً، فعرِّفنا ذلك أيّها الأمير رحمك الله ولا تكتمنا، فإنّك ممّن شهد وعاين[1]، ونحن مقلّدون ذلك أعناقكم، والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأُمّتكم، وصدق الخبر عن نبيّكم ﷺ.

فقال حذيفة: أيّها الرجل، أمّا إذا سألت وفحصتَ هكذا، فاسمع وافهم ما أُخبرك به؛ أمّا من تقدّم من الخلفاء قبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ممّن تَسمَّى بأمير المؤمنين، فإنّهم تسمّوا بذلك، وسمّاهم الناس به، وأمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّ جبرئيل عليه السلام سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالى، وشهد له رسول الله ﷺ عن سلام جبرئيل عليه السلام بإمرة المؤمنين، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يدعونه في حياة رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين.

قال الفتى: خَبِّرنا كيف كان ذلك يرحمك الله؟

قال حذيفة: إنّ الناس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ قبل الحجاب إذا شاؤوا، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يدخل أحدٌ إليه وعنده دحية بن خليفة الكلبي، وكان رسول الله ﷺ يُراسل قيصراً ملك الروم وبني حنيفة وملوك بني غسّان على يده، وكان جبرئيل عليه السلام يهبط عليه في صورته، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يدخل المسلمون عليه إذا كان عنده دحية.

قال حذيفة: وإنّي أقبلتُ يوماً لبعض أُموري إلى رسول الله ﷺ مهجّراً رجاء أن ألقاه خالياً، فلمّا صرت بالباب، فإذا أنا بالشملة قد سُدِلَتْ على الباب، فرفعتها وهممت بالدخول ـ وكذلك كنّا نصنعُ ـ فإذا أنا بدحية قاعد عند

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (وغبنا).

رسول الله ﷺ والنبيّ نائم ورأسه في حجر دحية، فلمّا رأيته انصرفت، فلقيني عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض الطريق فقال: «يابن اليمان، من أين أقبلتَ؟».

قلت: من عند رسول الله ﷺ.

قال: «وماذا صنعت عنده؟».

قلتُ: أردت الدخول عليه في كذا وكذا فذكرت الأمر الذي جئت له فلم يتهيّأ لي ذلك.

قال: «ولِمَ؟».

قلت: كان عنده دحية الكلبي، وسألت عليّاً عليه السلام معونتي على رسول الله ﷺ في ذلك.

قال: «فارجِعْ معي»، فرجعت معه، فلمّا صرنا إلى باب الدار[1] جلست بالباب ورفع عليّ عليه السلام الشملة ودخل فسلّم، فسمعتُ دحية يقول: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثمّ قال: اجلس فخُذ رأس أخيك وابن عمّك من حجري فأنت أولى الناس به، فجلس عليّ عليه السلام وأخذ رأس رسول الله ﷺ، فجعله[2] في حجره وخرج دحية من البيت.

فقال عليّ عليه السلام: «أُدخل يا حذيفة»، فدخلت وجلست، فما كان بأسرع أن انتبه رسول الله ﷺ فضحك في وجه عليّ عليه السلام، ثمّ قال: «يا أبا الحسن، مِن حجرِ مَن أخذت رأسي؟».

فقال: «من حجر دحية الكلبي».

---

(١) في «م» «ت»: (بالدار) بدل من: (إلى باب الدار) وما أثبتناه من المصدر.

(٢) (فجعله) أثبتناها من المصدر.

فقال ﷺ: «ذلك جبرئيل عليه السلام، فما قلت له حين دخلتَ؟ وما قال لك؟».

قال: «دخلتُ فسلّمت، فقال لي: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

فقال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، سلَّمَتْ عليك ملائكة الله وسكّان سماواته بإمرة المؤمنين من قبل أن يُسلّم عليك أهل الأرض.

يا عليّ، إنّ جبرئيل عليه السلام فعل ذلك من أمر الله تعالى، وقد أُوحِيَ إليّ عن ربّي عزّوجلّ من قبل دخولك أن أفرض ذلك على الناس، وأنا فاعل ذلك إن شاء الله تعالى».

فلمّا كان من الغد بعثني رسول الله ﷺ إلى ناحية فدك في حاجة، فلبثت أيّاماً فقدمت فوجدت الناس يتحدّثون أنّ رسول الله ﷺ أمر الناس أن يسلِّموا على عليٍّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، وأنّ جبرئيل عليه السلام أتى بذلك عن الله عزّ وجلّ، فقلت: صدق رسول الله ﷺ وأنا قد سمعتُ جبرئيل عليه السلام يسلّم على عليٍّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، وحدّثتهم الحديث، فسمعني عمر بن الخطّاب وأنا أُحدِّث الناس في المسجد، فقال لي: أنت رأيت جبرئيل وسمعته؟! اتَّقِ القول، فقد قلت قولاً عظيماً وقد خولط بك.

فقلت: نعم أنا سمعت ذلك ورأيته، فأرغم الله أنف من رغم، فقال: يا أبا عبد الله، لقد رأيت وسمعتَ عجباً.

قال حذيفة: وسمعني بُرَيْدة بن الحصيب الأسلمي وأنا أُحدّث ببعض ما رأيتُ وسمعتُ، فقال لي[1]: والله يابن اليمان، لقد أمرهم رسول الله ﷺ

---

(١) (لي) أثبتناها من المصدر.

بالسلام على عليّ بإمرة المؤمنين[١]، فاستجاب له طائفةٌ يسيرة من الناس، وردّ ذلك عليه وأباه كثيرٌ من الناس.

قلت: يا بريدة، أكنتَ شاهداً ذلك اليوم؟

فقال: نعم من أوّله إلى آخره.

فقلت له: حدِّثني به يرحمك الله تعالى فإنّي كنت عن ذلك اليوم غائباً.

فقال بريدة: كنت أنا وعمّار أخي مع رسول الله ﷺ في نخيل بني النجّار، فدخل علينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسلّم، فردّ عليه السلام رسول الله ﷺ ورددنا، ثمّ قال له: «يا عليّ اجلس هناك»، فجلس ودخل رجالٌ، فأمرهم رسول الله ﷺ بالسلام على عليّ بإمرة المؤمنين، فسلّموا وما كادوا، ثمّ دخل أبوبكر وعمر، فسلّما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «سلِّما على عليّ بإمرة المؤمنين»، فقالا: إنّ الأمر من الله ورسوله؟

فقال: «نعم»، ثمّ دخل طلحة وسعد بن مالك فسلّما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «سلّما على عليّ بإمرأة المؤمنين»، فقالا[٢]: أمرٌ من الله[٣] ورسوله؟

فقال: «نعم»، قالا: سمعنا وأطعنا، ثمّ دخل سلمان الفارسي وأبوذرّ الغفاري رضي الله عنهما، فسلّما، فردّ عليهما السلام، ثمّ قال: «سلِّما على عليٍّ عليه السلام

---

(١) إنّ سلام القوم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين، قد روي بأسانيد عديدة وألفاظ مختلفة، وقد أفرد لها كتاباً خاصّاً السيّد ابن طاووس رحمه الله فاسماه بـ «اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بامرة المؤمنين»، فراجع، وغيره الكثير من المؤلفين من كتبوا في ذلك أيضاً.

(٢) من قوله: (إنّ الأمر من الله ورسوله) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: أعن الله.

بإمرة المؤمنين»، فسلّما ولم يقولا شيئاً، ثمّ دخل خزيمة بن ثابت وأبوالهيثم بن التيّهان فسلّما، فردّ عليهما السلام، ثمّ قال: «سلِّما على عليٍّ بإمرة المؤمنين»، فسلّما ولم يقولا شيئاً، ثمّ دخل عمّار ومقداد فسلّما، فردّ عليهما السلام وقال: «سلِّما على عليٍّ بإمرة المؤمنين»، ففعلا ولم يقولا شيئاً، ثمّ دخل عثمان وأبوعبيدة فسلّما، فردّ عليهما السلام، ثمّ قال: «سلِّما على عليّ بإمرة المؤمنين»، قالا: عن الله ورسوله؟

قال: «نعم»، ثمّ دخل فلان وفلان، وعدّ جماعةً من المهاجرين والأنصار، كلّ ذلك يقول رسول الله ﷺ: «سلِّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين»، فبعض يسلّم ولا يقول شيئاً، وبعض يقول للنبيّ: أعن الله ورسوله؟ فيقول: «نعم»، حتّى غصَّ المجلس بأهله، وامتلأت الحجرة وجلس بعضٌ على الباب وفي الطريق، وكانوا يدخلون فيُسلّمون ويخرجون، ثمّ قال لي ولأخي: «قُم يا بريدة أنت وأخوك فسلِّما على عليّ بإمرة المؤمنين»، فقُمنا وسلَّمنا ثمّ عُدنا إلى مواضعنا.

قال: ثمّ اقبل رسول الله ﷺ عليهم جميعاً، فقال: «اسمعوا وعُوا، إنّي أمرتكم أن تُسلِّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وإنّ رجالاً سألوا في ذلك: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ وما كان لمحمّد أن يأتي أمراً من تلقاء نفسه؛ بل بوحي ربّه وأمره، أفرأيتم ـ والذي نفسي بيده ـ لأن أبيتم ونقضتموه لتكفرون، ولتفارقون[1] ما بعثني به ربّي؛ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

قال بريدة: فلمّا خرجنا سمعت من بعض أُولئك الذين أُمروا بالسّلام على

---

(١) في المصدر: (لتكفرنّ ولتفارقنّ).

عليٍّ بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه وقد التفَّتْ بهما طائفةٌ من الجفاة البطاء عن الإسلام من قريش: أما رأيت ما صنع محمّد بابن عمّه من علوّ المنزلة والمكانة، ولو يستطيع والله لجعله نبيّاً من بعده.

فقال له[١] صاحبه: أمسك لا يكبرنّ عليك هذا الأمر[٢]، فلو أنّا[٣] فقدنا محمّداً لكان قوله[٤] هذا تحت أقدامنا.

فقال حذيفة: ومضى بريدة إلى بعض طريق الشام ورجع، وقد قُبِضَ رسول الله ﷺ وبايع الناس أبابكر، فأقبل بريدة فدخل المسجد وأبوبكر على المنبر، وعمر دونه بمرقاة، فناداهما من ناحية المسجد: يا أبابكر ويا عُمر! قالا: مالك يا بريدة، أجُنِنْتَ؟

فقال لهما: والله ما جُنِنْتُ ولكن أين سلامكما بالأمس على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين؟ فقال له أبوبكر: يا بريدة، الأمر يحدث بعده الأمر وإنّك غبتَ وشهدنا، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فقال لهما: رأيتما ما لم يره الله ورسوله، ووفّى لك صاحبك بقوله: لو فُقِدنا محمّداً لكان هذا قوله تحت أقدامنا، ألا إنّ المدينة حرامٌ عليّ أن أسكنها أبداً حتّى أموت، فخرج بريدة بأهله وولده فنزل بين قومه بني أسلم، فكان يطلع في الوقت دون الوقت.

---

(١) (له) أثبتناها من المصدر.

(٢) (الأمر) أثبتناها من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فإنّا لو).

(٤) في متن «م» «ت» والمصدر: (فعله)، وما أثبتناه من نسختي بدل عنهما هو الصواب، بقرينة ما سيأتي من قول بريدة لأبي بكر وعمر.

فلمّا أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، سار إليه وكان معه حتّى قدم العراق، فلمّا أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام سار إلى خراسان فنزلها، ولبث هناك إلى أن مات رحمه الله تعالى.

قال حذيفة: فهذا أنباء ما سألتني عنه.

فقال الفتى: لا جزى الله الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمعوه يقول هذا القول في عليّ خيراً، فقد خانوا الله ورسوله، وأزالوا الأمر عن وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله[1] وأقرّوه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً، لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً.

فنزل حذيفة عن منبره، فقال: يا أخا الأنصار، إنّ الأمر كان أعظم ممّا تظنّ، إنّه عزب والله البصر[2] وذهب اليقين، وكثر المخالف، وقلّ الناصر لأهل الحق.

فقال له الفتى: فهلّا انتضيتم أسيافكم، ووضعتموها على قرابكم، وضربتم بها الزائلين عن الحقّ قُدُماً[3] قدما، حتّى تموتوا أو تدركوا[4] الأمر الذي تحبّونه من طاعة الله عزّ وجلّ وطاعة رسوله؟

فقال له: أيّها الفتى، إنّه أُخِذَ والله بأسماعنا وأبصارنا، وكرهنا الموت، وزُيِّنت عندنا الدنيا، وسبق علم الله بإمرة الظالمين، ونحن نسأل الله التغمّد لذنوبنا والعصمة فيما بقي من آجالنا فإنّه مالك رحيم.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (عمّن رضيه الله ورسوله).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (الصبر).

(٣) في حاشية «م» «ت»: ومضى قُدُماً ـ بضمّ الدال ـ، لم يعرج ولم ينثن، وإنثنى أي انعطف. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٥: ٢٠٠٧ ـ قدم).

(٤) في «م» «ت»: (يدرك)، وما أثبتناه من المصدر.

ثمّ انصرف حذيفة إلى منزله وتفرّق الناس.

قال عبد الله بن سلمة: فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قَدِمْتُ فيه من[١] الكوفة من قبل قدوم عليّ عليه السلام إلى العراق، فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة، فرحّب به وأدناه وقرّبه من مجلسه، وخرج من كان عند حذيفة من عوّاده، وأقبل عليه الفتى، فقال: يا أبا عبد الله، سمعتك يوماً تحدّث[٢] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنّه سمع بعض القوم الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه[٣]: أما رأيت اليوم ما صنع محمّد بابن عمّه من التشريف وعلوّ المنزلة حتّى لو قدر أن يجعله نبيّاً لفعل، فأجابه صاحبه، فقال: لا يكبرنّ عليك، فلو فقدنا محمّداً لكان قوله تحت أقدامنا، وقد ظننتُ نداء[٤] بريدة لهما، وهما على المنبر أنّهما صاحبا القول.

قال حذيفة: أجل، القائل عمر، والمجيب أبوبكر.

فقال الفتى: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، هلك والله القومُ وبطلتْ أعمالهم.

قال حذيفة: ولم يزل القوم على ذلك الارتداد، وما يعلم الله منهم أكثر.

قال الفتى: قد كنتُ أُحبّ أن أتعرّف هذا الأمر من فعلهم، ولكنّي أجدك مريضاً وأنا أكره أن أملّك بحديثي ومسألتي، وقام لينصرف، فقال حذيفة: لا، بل إجلس يابن أخي وتلقَّ منّي حديثهم، وإن كَرِبَني ذلك فلا أحسبني إلّا

---

(١) (من) أثبتناها من المصدر.

(٢) (تحدّث) أثبتناها من المصدر.

(٣) (لصاحبه) أثبتناها من المصدر.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بنداء).

مفارقكم إنّي لا أُحبّ أن يُغْتَرَّ[١] بمنزلتهما في الناس، فهذا ما أقدر عليه من النصيحة لك، ولأميرالمؤمنين عليه السلام من الطاعة له، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وذكر منزلته.

فقال: يا أبا عبد الله، حدِّثني بما عندك من أُمورهم، لأكون على بصيرة من ذلك.

فقال حذيفة: إذاً والله لأُخبرنّك بخبر سمعته ورأيته، ولقد والله دلّنا ذلك من فعلهم على أنّهم والله ما آمنوا باللّه ولا برسوله طرفة عين، وأُخبرك أنّ الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وآله في سنة عشر من مهاجرته من مكّة إلى المدينة، أن يحجّ هو ويحجّ الناس معه، فأوحى الله إليه بذلك: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾[٢] فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله المؤذّنين فأذّنوا في أهل السافلة والعالية[٣]: ألا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد عزم على الحجّ في عامه هذا لِيُفْهِم الناس حجّهم ويعلمهم مناسكهم، فيكون سُنّةً لهم إلى آخر الدهر.

قال: فلم يبق أحد ممّن دخل في الإسلام إلّا حجّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله لسنة عشر، ليشهدوا منافع لهم، ويُعْلِمَهم حجّهم، ويُعرِّفهم مناسكهم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس وخرج بنسائه معه، وهي حجّة الوداع، فلمّا استتمّ حجّهم وقضوا مناسكهم وعرّف الناس جميع ما يحتاجون إليه، وأعلمهم أنّه قد أقام لهم ملّة إبراهيم عليه السلام وقد أزال عنهم جميع ما أحدثه المشركون بعده، وردّ الحجّ إلى حالته الأُولى، دخل مكّة فأقام بها يوماً واحداً، فهبط جبرئيل بأوّل سورة

---

(١) في المصدر: (تغتر).

(٢) سورة الحجّ ٢٢: ٢٧.

(٣) في حاشية «م» «ت»: والعالية: ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ماوراء مكّة، وهي الحجاز وما والاها. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٦: ٢٤٣٦ ـ علا).

العنكبوت، فقال: يا محمّد، اقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الَمَ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١).

فقال رسول الله ﷺ: «يا جبرئيل، وما هذه الفتنة؟».

فقال: يا محمّد، إنّ الله تعالى يُقرِئُك السلام ويقول: إنّي ما أرسلتُ نبيّاً قبلك إلّا أمرتُهُ عند انقضاء أجله أن يستخلف على أُمّته من بعده مَن يقوم مقامه، ويحيي لهم سنّتهُ وأحكامه؛ فالمطيعون للّه فيما يأمرهم به رسول الله هم الصادقون، والمخالفون على أمره هم الكاذبون، وقد دنا ـ يا محمّد ـ مصيرك إلى ربّك وجنّته، وهو يأمرك أن تنصب لأُمّتك من بعدك (٢) عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتعهد إليه (٣) فهو الخليفة القائم برعيّتك وأُمّتك إن أطاعوه وإن عصوه، وسيفعلون ذلك وهي الفتنة التي تلوت عليه (٤) الآي فيها، وإنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تعلّمه جميع ما علّمك، وتستحفظه جميع ما حفظك واستودعك، فإنّه الأمين المؤتمن.

يا محمّد، إنّي اخترتك من عبادي نبيّاً، واخترته لك وصيّاً.

قال: فدعا رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام يوماً فخلا به يومه ذلك وليلته، واستودعه العلم والحكمة التي آتاه إيّاها، وعرّفه ما قال جبرئيل عليه السلام، وكان ذلك في يوم

---

(١) سورة العنكبوت ٢٩: ١ ـ ٤.

(٢) (من بعدك) أثبتناها من المصدر.

(٣) في حاشية «م» «ت»: وعهد إلي النبي بكذا أي أوصى. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٤: ٤٠٠).

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (عليك).

عائشة بنت أبي بكر، فقالت: يا رسول الله، لقد طال استخلاؤك بعليّ منذ اليوم؟

قال: فأعرض عنها رسول الله ﷺ، فقالت: لِمَ تُعرض عنّي يا رسول الله بأمرٍ لعلّه يكون لي صلاحاً؟

فقال: «صدقتِ، وأيم الله، إنّه لأمرٌ صلاحٌ لمن أسعده الله بقبوله والإيمان به، وقد أُمرتُ بدعاء الناس جميعاً إليه، وستعلمين ذلك إذا أنا قُمتُ به في الناس».

قالت: يا رسول الله، ولِمَ لا تخبرني به الآن لأتقدّم بالعمل به والأخذ بما فيه الصلاح.

قال: «سأُخبرك به فاحفظيه، إلى أن أُومر بالقيام به في الناس جميعاً، فإنّك إن حفظتيه حفظك الله في العاجلة والآجلة جميعاً، وكانت لكِ الفضيلة بالسبقة والمسارعة إلى الإيمان باللّه ورسوله، وإن أضَعْتِيه وتركتِ رعايةَ ما أُلقي إليك منه كفرتِ بربّك، وحبط أجرك، وبرئت منكِ ذمّة الله وذمّة رسوله، وكنتِ من الخاسرين، ولم يضرّ الله ذلك ولا[1] رسوله».

فضمنت له حفظه، والإيمان به ورعايته، فقال: «إنّ الله تعالى أخبرني أنّ عمري قد انقضى، وأمرني أن أنصب عليّاً للناس عَلَماً، وأجعله فيهم إماماً، وأستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي أوصياءهم[2]، وإنّي صائر إلى أمر ربّي، وآخذ فيه بأمره، فليكن الأمرُ منكِ تحت سويداء قلبك إلى أن يأذن الله بالقيام به»، فضمنت له ذلك، وقد أطلع الله نبيّه على ما يكون منها فيه ومن صاحبتها حفصة وأبويهما.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ولن).

(٢) في «م» «ت»: (أوصيائها)، وما أثبتناه من المصدر.

فلم تلبث أن أخبرت حفصة، وأخبرتْ كلّ واحدة منهما أباها، فاجتمعا فأرسلا إلى جماعة الطّلقاء والمنافقين فخبّراهم بالأمر، فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إنّ محمّداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته كسنّة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر، ولا والله ما لكم في الحياة من حظّ، إن أفضى هذا الأمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإنّ محمّداً عامِلكم على ظاهركم، وإنّ عليّاً يعاملكم على ما يجد في نفسه منكم، فأحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك، وقدّموا رأيكم فيه.

ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب، وأجالوا الرأي، فاتفقوا على أن ينفّروا بالنبيّ صلى الله عليه وآله ناقته على عقبة هرشىٰ[1]، وقد كانوا عملوا مثل ذلك في غزوة تبوك[2]، فصرف الله الشرّ عن نبيّه صلى الله عليه وآله.

فاجتمعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله من القتل والاغتيال وإسقاء السمّ على غير وجه، وقد[3] كان اجتمع أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله من الطلقاء من قريش، والمنافقين من الأنصار، ومن كان في قلبه الارتداد من العرب في المدينة وما حولها، فتعاقدوا وتحالفوا أن ينفروا به ناقته، وكانوا أربعة عشر رجلاً، وكان من عزم

---

(١) هرشى ـ بالفتح ثمّ السكون والقصر ـ: ثنية في طريق مكّة، قريبة من الجحفة، يرى منها البحر، ولها طريقان، فكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد (معجم البلدان ٥: ٣٩٧).

(٢) إن ما حدث في غزوة تبوك هو ملخصاً: إنّ بعضاً من القوم اجتمعوا واتّفقوا فيما بينهما عند عودة الرسول صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك أن يغتالوه صلى الله عليه وآله، وكانوا اثني عشر رجلاً من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله أرادوا أن ينفروا ناقته ليلة العقبة في تبوك، وقد عرفهم حذيفة بأسماءهم وصورهم (انظر بحار الأنوار ٢١: ٢٤٩/ح٢٧، وروى هذه القصّة أيضاً البيهقي في دلائل النبوّة: ٢٤٧، والهيتمي في مجمع الزوائد ١: ١١٠).

(٣) (قد) أثبتناها من المصدر.

رسول الله ﷺ أن يقيم عليّاً عليه السلام وينصبه للناس بالمدينة إذا قدم[١].

فسار رسول الله ﷺ يومين وليلتين، فلمّا كان في اليوم الثالث أتاه جبرئيل عليه السلام بآخر سورة الحجر، فقال: اقرأ: ﴿ **فَوَ رَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾[٢].

قال: ورحل رسول الله ﷺ وأغذّ المسير[٣] مسرعاً على دخوله المدينة، لينصب عليّاً عليه السلام عَلَماً للنّاس، فلمّا كانت الليلة الرابعة هبط جبرئيل في آخر اللّيل، فقرأ عليه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[٤] وهم الّذين همّوا برسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما تراني يا جبرئيل أُغِذّ المسير مجدّاً فيه لأدخل المدينة، فأفرض ولايته على الشاهد والغائب؟».

فقال له جبرئيل عليه السلام: إنّ الله يأمرك أن تفرض ولايته غداً إذا نزلت منزلك.

فقال رسول الله ﷺ: «نعم يا جبرئيل غداً أفعل إن شاء الله».

وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل من وقته، وسار الناس معه حتّى نزل بغدير خمّ، وصلّى بالناس وأمرهم أن يجتمعوا إليه، ودعا عليّاً عليه السلام ورفع رسول الله ﷺ يد عليّ اليسرى بيده اليمنى، ورفع صوته بالولاء لعليّ عليه السلام على الناس أجمعين، وفرض طاعته عليهم، وأمرهم أن لا يختلفوا عليه بعده، وخبّرهم أنّ ذلك

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (قدمها).

(٢) سورة الحجر ١٥: ٩٢ ـ ٩٥.

(٣) في المصدر: (السير) وكذا في المورد التالي.

(٤) سورة المائدة ٥: ٦٧.

عن أمر الله عزّ وجلّ، وقال لهم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، ثمّ أمر الناس أن يبايعوه، فبايعه الناس جميعاً ولم يتكلّم منهم أحدٌ.

وقد كان أبوبكر وعمر تقدّما إلى الجحفة، فبعث وردّهما ثمّ قال لهما النبيّ ﷺ متهجّماً: «يابن أبي قحافة ويا عمر، بايعا عليّاً عليه السلام بالولاية من بعدي».

فقالا: أمرٌ من الله ومن رسوله؟

فقال: «وهل يكون مثل هذا من غير الله؟ نعم أمرٌ من الله ومن رسوله»، فبايعا ثمّ انصرفا.

وسار رسول الله ﷺ باقي يومه وليلته، حتّى إذا دنوا من عقبة هرشى تقدّم القوم، فتواروا في ثنيّة[1] العقبة، وقد حملوا معهم دباباً، وطرحوا فيها الحصى.

فقال حذيفة: فدعاني رسول الله ﷺ ودعا عمّار بن ياسر وأمره أن يسوقها وأنا أقودها، حتّى إذا صرنا في رأس العقبة، ثار[2] القوم من ورائنا ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذعرتْ وكادت أن تنفر برسول الله ﷺ، فصاح بها النبيّ ﷺ: «أن اسكني، وليس عليك بأس»، فأنطقها الله تعالى بقول عربيّ مبين فصيح، فقالت: والله يا رسول الله، لا أزلتُ يداً عن مستقر يد، ولا رجلاً

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وفيه ذكر ثنية هرشى، هي ثنية بين مكة والمدينة وقيل هرشى جبل قرب الجحفة. (منه ﷺ)، (النهاية الأثيريّة ٥: ٢٦٠).

(٢) في «م» «ت»: (سار)، وما أثبتناه من المصدر.

عن موضع رجلٍ، وأنت على ظهري، فتقدّم القوم إلى الناقة ليدفعوها، فأقبلتُ أنا وعمّار نضرب وجوههم بأسيافنا، وكانت ليلة مظلمة فزالوا عنّا، وأيسوا ممّا ظنّوا ودبروا[١].

فقلت: يا رسول الله، مَن هؤلاء القوم الذين يريدون ما ترى؟

فقال: «يا حذيفة، هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة».

فقلت: ألا تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟

فقال: «إنّ[٢] الله أمرني أن أعرض عنهم، فأكره أن يقول الناس إنّه دعا ناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له، فقاتل بهم حتّى إذا ظهر على عدوّه، أقبل عليهم فقتلهم، ولكنْ دَعْهُمْ يا حذيفة، فإنّ الله لهم بالمرصاد، وسيُمْهِلُهُم قليلاً ثمّ يضطرّهم إلى عذاب غليظ».

فقلت: ومَن هؤلاء القوم المنافقون يا رسول الله؟ أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فسمّاهم لي رجلاً رجلاً حتّى فرغ منهم، وقد كان فيهم أُناس أنا كارهٌ أن يكونوا منهم[٣]، فأمسكتُ عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «يا حذيفة، كأنّك شاكّ في بعض من سمّيت لك، ارفع رأسك إليهم»، فرفعت طرفي إلى القوم وهم وقوف على الثنيّة، فبَرَقَتْ برقةٌ فأضاءت جميع ما حولنا، وثبتتِ البرقة حتّى خلتُها شمساً طالعة، فنظرتُ والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً، فإذا هم كما قال رسول الله ﷺ وعدد القوم أربعة عشر رجلاً، تسعة من قريش، وخمسة من سائر الناس.

---

(١) في «م» «ت»: (وقد ردّوا)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) (إنّ) أثبتناها من المصدر.

(٣) في «م» «ت»: (فيهم)، وما أثبتناه من المصدر.

فقال له الفتى: سمِّهم لنا يرحمك الله تعالى.

قال حذيفة: هم ـ والله ـ أبوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وأبو عبيدة بن الجرّاح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، هؤلاء من قريش، وأمّا الخمسة الأُخر: فأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري.

قال حذيفة: ثمّ انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله ﷺ فتوضّأ وانتظر أصحابه حتّى انحدروا[1] من العقبة واجتمعوا، فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس، وصلّوا خلف رسول الله ﷺ، فلمّا انصرف من صلاته التفتَ، فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون، فأمر منادياً فنادى في الناس: لا تجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسرٍّ.

وارتحل رسول الله بالناس من منزل العقبة، فلمّا نزل المنزل الآخر رأى سالم مولى حذيفة أبابكر وعمر وأبا عبيدة يسارّ بعضهم بعضاً، فوقف عليهم، وقال: أليس قد أمر رسول الله ﷺ أن لا تجتمع ثلاثة نفر من الناس على سرّ واحد، والله[2] لتخبروني فيما أنتم، وإلّا أتيت رسول الله ﷺ حتّى أُخبره بذلك منكم.

فقال أبوبكر: يا سالم، عليك عهد الله وميثاقه، لئن نحن خبّرناك بالذي نحن

---

(١) في «م» «ت»: (الأصحاب فانحدروا) بدل من: (أصحابه حتّى انحدروا)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) واو القسم ولفظ الجلالة: (والله) أثبتناه من المصدر.

فيه وبما اجتمعنا له، فإن أحببتَ أن[١] تدخل معنا فيه دخلتَ وكنت رجلاً منّا، وإن كرهت ذلك كتمته علينا.

فقال سالم: لكم ذلك، وأعطاهم بذلك عهده وميثاقه، وكان سالم شديد البغض والعداوة لعليّ بن أبي طالب وعرفوا ذلك منه، فقالوا له: إنّا[٢] قد اجتمعنا على أن نتحالف ونتعاقد على أن لا نطيع محمّداً فيما فرض علينا من ولاية عليّ بن أبي طالب.

فقال لهم سالم: عليكم عهد الله وميثاقه، إنّ في هذا الأمر كنتم تخوضون وتتناجون؟

قالوا: أجل، علينا عهد الله وميثاقه أنّا إنّما كنّا في هذا الأمر بعينه لا في شيء سواه.

قال سالم: وأنا والله أوّل مَن يعاقدكم على هذا الأمر، ولا يخالفكم عليه، إنّه والله ما طلعت الشّمس على أهل بيت، أبغض إليّ من بني هاشم، ولا في بني هاشم أبغض إليّ ولا أمقت من عليّ بن أبي طالب، فاصنعوا في هذا الأمر ما بدا لكم؛ فإنّي واحد منكم[٣]، فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر ثمّ تفرّقوا.

فلمّا أراد رسول الله ﷺ المسير أتوه، فقال لهم: «فيما كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟».

فقالوا: يا رسول الله، ما التقينا غير وقتنا هذا.

---

(١) (أن) أثبتناها من المصدر.

(٢) (إنّا) أثبتناها من المصدر.

(٣) (فإنّي واحد منكم) أثبتناها من المصدر.

فنظر إليهم النبيّ ﷺ مليّاً، ثمّ قال لهم: «﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]».

ثمّ سار حتّى دخل المدينة واجتمع القوم جميعاً، وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر، وكان أوّل ما في الصحيفة، النَكْث لولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّ الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج منهم[2]، وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر، واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة بن الجرّاح وجعلوه أمينهم عليها.

قال: فقال الفتى: يا أبا عبد الله، يرحمك الله، هبنا نقول إنّ هؤلاء القوم رضوا بأبي بكر وعمر وأبو عبيدة، لأنّهم من مشيخة قريش، فما بالهم رضوا بسالم وهو ليس من قريش، ولا من المهاجرين ولا من الأنصار، وإنّما هو لامرأة من الأنصار؟

قال حذيفة: يا فتى، إنّ القوم أجمع تعاقدوا على إزالة هذا الأمر عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهة لأمره، اجتمع لهم مع ذلك ما كان في قلوب قريش من سفك الدماء، وكان خاصّة رسول الله ﷺ وكانوا يطلبون الثأر الذي أوقعه رسول الله ﷺ بهم من عند عليّ من بني هاشم، فإنّما كان العقد على إزالة الأمر عن عليّ من هؤلاء الأربعة عشر، وكانوا يَرَوْن أنّ سالماً رجل منهم.

فقال الفتى: فخبِّرْني ـ يرحمك الله ـ عمّا كتب جميعهم في الصّحيفة لأعرفه.

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٠.

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (عنهم).

فقال حذيفة: حدّثتني بذلك أسماء بنت عميس الخثعميّة امرأة أبي بكر، أنّ القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر، فتؤامروا في ذلك، وأسماء تسمعهم وتسمع[١] جميع ما يدبّرونه في ذلك، حتّى اجتمع رأيهم على ذلك فأمروا سعد بن العاص الأمويّ فكتب هو الصحيفة[٢] لهم[٣] باتفاق منهم، وكانت نسخة الصحيفة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اتفق عليه الملأ من أصحاب محمّد[٤] رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار، الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيّه ﷺ، اتفقوا جميعاً بعد أن أجهدوا في رأيهم، وتشاوروا في أمرهم[٥]، وكتبوا هذه الصحيفة نظراً منهم إلى الإسلام وأهله على غابر الأيّام، وباقي الدهور، ليقتدي بهم مَنْ يأتي من المسلمين من بعدهم.

أمّا بعد؛ فإنّ الله بمنّه وكرمه بعث محمّداً ﷺ رسولاً إلى الناس كافّة بدينه، الذي ارتضاه لعباده، فأدّى في ذلك وبلّغ ما أمره الله به، وأوجب علينا القيام بجميعه، حتّى إذا أكمل الدين، وفرض الفرائض، وأحكم السنن، اختار الله ما عنده، فقبضه الله مكرّماً محبوراً من غير أن يستخلف أحداً بعده، وجعل الاختيار إلى[٦] المسلمين، يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونُصحه لهم[٧]، وإنّ

---

(١) (وتسمع) أثبتناها من المصدر.

(٢) (الصحيفة) أثبتناها من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (هؤلاء).

(٤) الاسم المبارك: (محمّد) أثبتناه من المصدر.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (في أُمورهم).

(٦) في «م» «ت»: (على)، وما أثبتناه من المصدر.

(٧) (لهم) أثبتناها من المصدر.

للمسلمين في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[1] وإنّ رسول الله لم يستخلف أحداً؛ لئلّا يجري ذلك في أهل بيت واحد، فيكون إرثاً دون سائر المسلمين، ولئلّا يكون دولة بين الأغنياء منهم، ولئلّا يقول المستخلفُ إنّ الأمر باق في عقبه من والد إلى ولد إلى يوم القيامة.

والذي يجب على المسلمين عند مضيّ خليفة من الخلفاء أن يجتمع ذووا الرأي والصلاح فيتشاوروا في أُمورهم، فمن رأوه مستحقّاً لها ولّوه أُمورهم، وجعلوه القيّم عليهم، فإنّه لا يخفى على أهل كلّ زمان من يصلح منهم للخلافة.

فإن ادّعى مدّع من الناس جميعاً، أنّ رسول الله ﷺ استخلف رجلاً بعينه نصبه للناس، ونصّ عليه باسمه ونَسَبِه، فقد أبطل في قوله، وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله، وخالف على جماعة من المسلمين.

وإن ادّعى مدّع أنّ خلافة رسول الله ﷺ إرث، وأنّ رسول الله ﷺ يورث، فقد أحال في قوله؛ لأنّ رسول الله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نُورِّث ما تركناه صدقة.

وإن ادّعى مدّع أنّ الخلافة لا تصلح إلّا لرجل واحد من بين الناس جميعاً، وأنّها مقصورة فيه، ولا ينبغي لغيره، لأنّها تتلو النبوّة، فقد كَذِبَ؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

وإن ادّعى مدّع أنّه مستحقّ للخلافة والإمامة بقربه من رسول الله، ثمّ هي مقصورةٌ عليه وعلى عقبه، يرثها الولد منهم عن والده، ثمّ هي كذلك في كلّ عصر وزمان لا تصلح لغيرهم، ولا ينبغي أن يكون لأحد سواهم، إلى أن يرث

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

الله الأرض ومن عليها، فليس له ولا لولده، وإن دنا من النبيّ نسبه؛ لأنّ الله يقول وقوله القاضي على كلّ أحد: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «إنّ ذمّة المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم، وكلّهم يدٌ على من سواهم»؛ فمن آمن بكتاب الله وأقرّ بسنّة رسول الله فقد استقام وأناب وأخذ بالصواب، ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحقّ والكتاب، وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه، فإنّ في قتله صلاحاً للأُمّة، وقد قال رسول الله ﷺ: «من جاء إلى أُمّتي وهم جميع ففرّقهم فاقتلوه»، واقتلوا الفرد كائناً من كان من الناس، فإنّ الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب، ولا تجتمع أُمّتي على الضلال أبداً، وإنّ المسلمين يدٌ واحدة على من سواهم، وأنّه[2] لا يخرج من جماعة المسلمين إلّا مفارقٌ ومعاند لهم، ومظاهر عليهم أعداءهم، فقد أباح الله ورسوله دمه وأحلّ قتله.

وكتب سعيد بن العاص، باتفاق ممّن أثبت اسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرّم سنة عشر من الهجرة، والحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم.

ثمّ دُفِعَت الصحيفة إلى أبي عبيدة بن الجرّاح، فوجّه بها إلى مكّة، فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونةً إلى أوان عمر بن الخطّاب، فاستخرجها من موضعها، وهي الصحيفة التي تمنّى أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توفّي عمر، فوقف به وهو مسجّىً بثوبه قال: «ما أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجّى».

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

(٢) (سواهم، وأنّه) أثبتناها من المصدر.

ثمّ انصرفوا، وصلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الفجر، ثمّ جلس في مجلسه يذكر الله حتّى طلعت الشمس، فالتفت إلى أبي عبيدة بن الجرّاح، فقال له: «بخ بخ من مثلك وقد أصبحت أمينَ هذه الأُمّة؟ ثمّ تلا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1] لقد أشبه هؤلاء رجال في هذه الأُمّة ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[2]».

ثمّ قال: «لقد أصبح في هذه الأُمّة في يومي هذا، قومٌ ضاهوهم[3] منهم في صحيفتهم التي كتبوها علينا في الجاهليّة، وعلّقوها في الكعبة، وإنّ شاء[4] الله تعالى يعذّبهم عذاباً[5] ليبتليهم ويبتلي من يأتي بعدهم تفرقةً بين الخبيث والطيّب، ولولا أنّه سبحانه أمرني بالإعراض عنهم للأمر الذي هو بالغه؛ لقدّمتهم فضربت أعناقهم».

قال حذيفة: فوالله، لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله ﷺ هذه المقالة، وقد أخذَتْهم الرعدة، فما يملك أحدٌ منهم من نفسه شيئاً، ولم يخف على أحد ممّن حضر مجلس رسول الله ﷺ ذلك اليوم، وأنّ رسول الله ﷺ إيّاهم عنى بقوله، ولهم ضَرَبَ تلك الأمثال بما تلا من القرآن.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٧٩.

(٢) سورة النساء ٤: ١٠٨.

(٣) في «م» «ت»: (يضاهؤوا منهم)، وما أثبتناه من المصدر.

(٤) (شاء) أثبتناها من المصدر.

(٥) (عذاباً) أثبتناها من المصدر.

قال: ولمّا قدم رسول الله ﷺ من سفره ذلك، نزل منزلَ أُمّ سلمة رضي الله عنها زوجته فأقام به شهراً، لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك.

قال: فشكت عائشة وحفصة ذلك إلى أبويهما، فقالا لهما: إنّا لَنَعْلَمُ لِمَ صنع ذلك ولأيّ شيء هو، اِمْضِيا إليه فلاطفاه في الكلام، وخادعاه عن نفسه، فإنّكما تجدانه حييّاً كريماً، فلعلّكما تسلّان ما في قلبه، وتستخرجان سخيمته[١].

قال: فمضت عائشة وحدها إليه، فأصابته في منزل أُمّ سلمة، وعنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال لها النبيّ ﷺ: «ما جاء بكِ يا حميراء؟» قالت: يا رسول الله، أنكرتُ تخلّفك عن منزلك هذه المرّة[٢]، وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله.

فقال ﷺ: «لو كان الأمر كما تقولين، لَما أظهرتِ سرّاً أوصيتك بكتمانه، لقد هلكتِ وأهلكت أُمّة من الناس».

قال: ثمّ أمر خادمة لأُمّ سلمة، فقال: «أجمعي لي هؤلاء» ـ يعني نساءه ـ فجمعتهُنّ له في منزل أُمّ سلمة، فقال لهنّ: «اِسْمَعن ما أقول لكنّ» ـ وأشار بيده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ فقال لهنّ: «هذا أخي و[٣]وصيّي ووارثي والقائم فيكنّ وفي الأُمّة من بعدي، فأَطِعْنَه فيما يأمركنّ به، ولا تعصينه فَتَهْلِكْن بمعصيته».

---

(١) السخيمة: الضغينة الموجدة في النفس (الصحاح ٥: ١٩٤٨ ـ سخم).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (المدّة).

(٣) (أخي و) أثبتناه من المصدر.

ثمّ قال: «يا عليّ، أُوصيك بهنّ، فأَمْسِكْهُنّ ما أطعن الله وأطَعْنَكَ، وأنفق عليهنّ من مالك، ومُرْهُنّ بأمرك، وَانْهَهُنّ عمّا يُريبك، وخَلِّ سبيلهنّ إن عصينك».

فقال عليّ عليه السلام: «يا رسول الله، إنّهنّ نساء وفيهنّ الوَهْنُ، وضعف الرأي».

فقال: «اِرْفِق بهنّ ما كان الرفق أمثل بهنّ؛ فمن عصاك منهنّ فطلِّقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها».

قال: وكلّ نساء النبيّ قد صَمَتْنَ، فما يقلن شيئاً، فتكلّمتْ عائشة فقالت: يا رسول الله، ما كنّا لتأمرنا بشيء فنخالف إلى ما سواه!

فقال لها: «بلى يا حميراء، قد خالفتِ أمري أشدّ خلافاً، وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي أُخلِّفك فيه، متبرّجةً قد حُفَّ بكِ فِئامٌ من الناس، فتخالفينه ظالمة له، عاصية لربّك، ولتُنْبِحَنَّك في طريقكِ كلاب الحوأب، ألا إنّ ذلك كائن».

ثمّ قال: «قُمْن فانصرِفْنَ إلى منازلكنّ»، قال: فقمن فانصرفن.

قال: ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع أُولئك النفر ومَن مالأهم[1] على عليّ عليه السلام وطابقهم على عداوته، ومن كان من الطلقاء والمنافقين، وكانوا زهاء[2] من أربعة آلاف رجل، فجعلهم تحت يدي أُسامة بن زيد مولاه، وأمّره عليهم، وأمره بالخروج إلى ناحية من الشام، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قدمنا من سفرنا

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وفي حديث علي صلوات الله عليه وآله: ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله، أي ما ساعدت ولا عاونت. (منه عليه السلام)، (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٣٥٣).

(٢) في حاشية «م» «ت»: وفي حديث أنس، قيل له: كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، أي قدر ثلاثمائة. (منه عليه السلام)، (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٣٢٣).

الذي كنّا فيه معك، ونحن نسألك أن تأذن لنا في المقام، لنصلح من شأننا ما يصلحنا في سفرنا.

قال: فأمرهم أن يكونوا في المدينة رَيْث[1] إصلاح ما يحتاجون إليه، أمر أُسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حدّ له رسول الله منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا من أُمورهم وقضاء حوائجهم، وإنّما أراد رسول الله ﷺ بما صنع من ذلك، أن تخلوا المدينة منهم، ولا يبقى بها أحد من المنافقين.

قال: فهم على ذلك من شأنهم ورسول الله ﷺ دائب يحثّهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الذي ندبهم إليه، إذ مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفّي فيه، فلمّا رأوا ذلك تباطئوا عمّا أمرهم رسول الله ﷺ من الخروج، فأمر قيس بن سعد بن عبادة وكان سيّاق[2] رسول الله ﷺ، والحباب بن مُنْذِر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد، والحُباب بن منذر، حتّى ألقاهم لعسكرهم، وقالا لأُسامة: إنّ رسول الله لم يُرخِّص لك في التخلّف، فسِرْ من وقتك هذا ليعلم رسول الله ﷺ ذلك، فارتحل بهم أُسامة، وانصرف قيس والحباب إلى رسول الله ﷺ، فأعلماه برحلة القوم، فقال لهما: «إنّ القوم غير سائرين».

قال: فخلا أبوبكر وعمر وأبو عبيدة بأُسامة، وجماعة من أصحابه، فقالوا:

---

(١) في حاشية «م» «ت»: ومنه فلم يلبث إلّا ريثما، أي إلّا قدر ذلك وقد يستعمل بغير ما ولا أن، كقوله: لا يصعب الأمر إلّا ريث تركبه، وهي لغة فاشية في الحجاز، يقولون: يريد يفعل، أي أن يفعل. (منه ﷺ)، (النهاية الأثيريّة ٢: ٢٨٧).

(٢) في المصدر: (سيّاف) وفي بحار الأنوار: (سبّاق).

إلى أين ننطلق ونخلّي المدينة، ونحن أحوج ما كنّا إليها وإلى المقام بها؟

فقال لهم: وما ذلك؟

قالوا: إنّ رسول الله ﷺ قد نزل به الموت، ووالله لئن خلّينا المدينة لَتُحدِثَنّ بها أُمور لا يمكن إصلاحها، ننظر ما يكون من أمر رسول الله ﷺ، ثمّ المسير بين أيدينا.

قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأوّل، وأقاموا به، وبعثوا رسولاً يتعرّف لهم أمر رسول الله ﷺ فأتى الرسول إلى عائشة، فسألها عن ذلك سرّاً، فقالت: إمْضِ إلى أبي بكر وعمر ومن معهما وقل لهما: إنّ رسول الله قد ثَقُلَ، فلا يبرحنّ أحدٌ منكم، وأنا أُعلِّمكم بالخبر وقتاً بعد وقت.

واشتدّت علّة رسول الله ﷺ، فدعت عائشة صُهَيباً، فقالت: إمضِ إلى أبي‌بكر وأعلِمْهُ أنّ محمّداً في حال لا يُرجى، فهلمّ إلينا، أنت وعمر وأبوبكر، وأبو عبيدة ومن رأيتم أن يدخل معكم، وليكن دخولكم في الليل سرّاً.

قال: فأتاهم الخبر، فأخذوا بيد صهيب، فأدخلوه إلى أُسامة فأخبروه الخبر، وقالوا له: كيف ينبغي لنا أن نتخلّف عن مشاهدة رسول الله ﷺ واستأذنوه في الدخول، فأذن لهم وأمرهم أن لا يعلم بدخولهم أحدٌ، وإن عوفي رسول الله ﷺ رجعتم إلى عسكركم، وإن حدث حادثُ الموت، عرّفونا ذلك، لنكون في جماعة الناس.

فدخل أبوبكر وعمر وأبو عبيدة ليلاًالمدينة، ورسول الله ﷺ قد ثَقُلَ، فأفاق بعض الإفاقة، فقال: «لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شرٌّ عظيم»، فقيل له: وما هو يا رسول الله؟

فقال: «إنّ الذين كانوا في جيش أُسامة، قد رجع منهم نفرٌ يخالفون عن أمري، ألا إنّي إلى الله منهم براء، وَيْحَكُمْ نَفِّذوا جيش أُسامة»، فلم يزل يقول ذلك حتّى قالها مرّاتٌ كثيرةٌ.

قال: وكان بلال مؤذّن رسول الله ﷺ يؤذّن بالصلاة، في كلّ وقت صلاة، فإن قدر على الخروج تحامل[1] وخرج وصلّى بالناس، وإن هو لم يقدر على الخروج أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام فصلّى بالناس، وكان عليّ بن أبي طالب، والفضل بن عبّاس لا يزايلانه في مرضه ذلك.

فلمّا أصبح رسول الله ﷺ من ليلته تلك التي[2] قدم فيها القومُ الذين كانوا تحت يدي أُسامة، أذّن بلال، ثمّ أتاه يخبره كعادته، فوجده قد ثقل، فمنع من الدخول إليه، فأمرتْ عائشةُ صهيباً أن يمضي إلى أبيها فيعلمه أنّ رسول الله قد ثقل في مرضه، وليس يطيق النهوض إلى المسجد، وعليّ بن أبي طالب قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس، فاخْرُجْ أنت إلى المسجد، فصلِّ بالناس، فإنّها حالة تهيئك وحجّة لك بعد اليوم.

قال: فلم يشعر الناس وهم في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ أو علياً يصلّي بهم كعادته التي عرفوها في مرضه، إذ دخل أبوبكر المسجدَ، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد ثقل، وقد أمرني أن أُصلّي بالناس.

فقال له رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: وأنّىٰ لك ذلك، وأنت في جيش أُسامة، ولا والله لا أعلم أحداً بعث إليك، ولا أمرك بالصلاة.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وتحاملت على نفسي، إذا تكلّفت الشيء على مشقّة. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٤: ١٦٧٨ ـ حمل).

(٢) (التي) أثبتناها من المصدر.

ثمّ نادى الناس بلالاً، فقال: على رِسْلكم، رحمكم الله لأستأذن رسول‌الله ﷺ في ذلك، ثمّ أسرع حتّى أتى الباب فدقّه دقّاً شديداً، فسمعه رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا الدقّ العنيف؟ فانظروا ما هو؟».

قال[1]: فخرج الفضل بن عبّاس، ففتح الباب فإذا بلال، فقال: ما وراءك يا بلال؟

فقال: إنّ أبابكر قد دخل المسجد، وقد تقدّم حتّى وقف في مقام رسول الله ﷺ، وزعم أنّ رسول الله ﷺ أمره بذلك.

فقال: أو ليس أبوبكر مع جيش أُسامة، هذا هو والله الشرّ العظيم، الذي طرق البارحة المدينة، لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك، ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه، فقال: «ما وراءك يا بلال؟» فأخبر رسول الله الخبر.

فقال: «أقيموني أقيموني، أخرجوا بي إلى المسجد، والذي نفسي بيده، قد نزلت بالإسلام نازلةٌ وفتنةٌ عظيمة من الفتن»، ثمّ خرج ﷺ معصوب الرأس، يتهادى بين عليّ والفضل بن عبّاس، ورجلاه تجرّان في الأرض، حتّى دخل المسجد وأبوبكر قائم في مقام رسول الله ﷺ وقد أطاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب، والنفر الذين دخلوا، وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال.

فلمّا رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد، وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض، أعظموا ذلك، وتقدّم رسول الله ﷺ فجذب أبابكر من ردائه فنحّاه عن المحراب، وأقبل أبو بكر والنفر الذين كانوا معه فتواروا خلف

---

(١) (قال) أثبتناها من المصدر.

رسول الله ﷺ، وأقبل الناس فصلّوا خلف رسول الله ﷺ وهو جالسٌ، وبلال يُسمِّع الناس التكبير، حتّى قضى صلاته، ثمّ التفت فلم ير أبابكر، فقال: «أيّها الناس، ألا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الذين أنفَذْتهم وجعلتهم تحت يد أُسامة، وأمرتهم بالمسير إلى الوجه الذي وجّهوا إليه فخالفوا ذلك ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة، ألا وإنّ الله قد أركسهم فيها، اعرجوا بي إلى المنبر»، فقام وهو مربوط[1] حتّى قعد على أدنى مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

«أيّها الناس، إنّي قد جاءني من أمر ربّي ما الناس إليه صائرون، وإنّي قد تركتكم على الحجّة الواضحة، ليلها كنهارها، فلا تختلفوا من بعدي، كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل.

أيّها الناس، إنّه لا أُحلّ لكم إلّا ما أحلّه القرآن، ولا أُحرّم عليكم إلّا ما حرّمه القرآن، وإنّي مخلّف فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، هما الخليفتان فيكم، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فأسائلكم بماذا خلّفتموني فيهما، وليُذادنّ يومئذٍ رجالٌ عن حوضي، كما تُذاد الغريبة من الإبل، فيقول رجالٌ: أنا فلان وأنا فلان، فأقول: أمّا الأسماء فقد عرفتُ، ولكنّكم ارتددتم[2] من بعدي، فسُحقاً لكم سحقاً[3]»، ثمّ نزل عن المنبر وعاد إلى حجرته، ولم يظهر أبوبكر ولا أصحابه حتّى قُبِضَ رسول الله ﷺ، وكان من الأنصار وسعد من السقيفة ما كان، فمنعوا أهل بيت

---

(١) كتب فوقها في «م» «ت»: أي مشدود الرأس معصوب.

(٢) في متن «م» «ت»: (ارتديتم)، وما أثبتناه عن نسختي بدل منهما موافق لما في المصدر.

(٣) (سحقاً) أثبتناها من المصدر.

نبيّهم حقوقهم التي جعلها الله عزّ وجلّ لهم؛ وأمّا الكتاب فمزّقوه كلّ ممزّق، وفيما أخبرتك يا أخا الأنصار من خطب معتبر، لمن أحبّ الله هدايته.

فقال الفتى: سَمِّ لي القوم الآخرين الذين حضروا الصحيفة وشهدوا فيها.

فقال حذيفة: أبو سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميّة بن خَلَف، وسعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، وعيّاش بن أبي ربيعة، وبشير بن سعدٍ، وسُهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبو الأعور السلميّ ومطيع بن الأسود المدري، وجماعة من هؤلاء ممّن سقط عنّي إحصاء عددهم.

فقال الفتى: يا عبد الله، ما هؤلاء في أصحاب رسول الله ﷺ حتّى قد انقلب الناس أجمعون بسببهم؟

فقال حذيفة: إنّ هؤلاء رؤوس القبائل وأشرافها، وما من رجل من هؤلاء إلّا ومعه من الناس خلق عظيم، يسمعون له ويطيعون، وأُشربوا في قلوبهم من أبي بكر، كما أُشرب قلوب بني إسرائيل من حُبّ العجل والسامري حتّى تركوا هارون واستضعفوه.

قال الفتى: فإنّي أُقسم باللّه حقّاً حقّاً أنّي لا أزال لهم مبغضاً، وإلى الله منهم ومن أفعالهم متبرّئاً، ولا زلت لأميرالمؤمنين عليه السلام متوالياً ولأعاديه معادياً، ولألحقنّ به، وإنّي لأُؤمّل أن أُرزق الشهادة معه وشيكاً إن شاء الله تعالى، ثمّ ودّع حذيفة، وقال: هذا وجهي إلى أمير المؤمنين، فخرج إلى المدينة واستقبله عليّ عليه السلام وقد شخص من المدينة يريد العراق، فسار معه إلى البصرة، فلمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل، كان ذلك الفتى أوّل من قُتِل من أصحاب أمير المؤمنين، وذلك أنّه لمّا صافّ القوم واجتمعوا على الحرب أحبّ

أمير المؤمنين عليه السلام أن يستظهر عليهم بدعائهم إلى القرآن وحكمه، فدعا بمصحف، وقال: «من يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه، فيُحيي ما أحياه ويُميت ما أماته؟».

قال: وقد شرعت[1] الرماح بين العسكرين، حتّى لو أراد امرءٌ يمشي عليها لمشى.

قال: فقام الفتى وقال: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه.

قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثانية: «من يأخذ هذا المصحف فيعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه؟» فلم يقم إليه أحدٌ، فقام الفتى وقال: يا أمير المؤمنين، أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه، قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ نادى الثالثة، فلم يقم إليه أحد من الناس إلّا الفتى، وقال: أنا آخذه وأعرضه عليهم، وأدعوهم إلى ما فيه[2].

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّك إن فعلت ذلك إنّك لمقتول»[3].

فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما شيء أحبُّ إليّ من أَنْ أُرزق الشهادة بين يديك وأن أُقتلَ في طاعتك.

فأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام المصحف، فتوجّه به نحو عكسرهم، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «إنّ الفتى ممّن حشى الله قلبه نوراً وإيماناً وهو مقتول،

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وأشرعت الرمح قبله، أي سدّدته، فشرع هو. (منه رحمه الله)، (الصحاح ٣: ١٢٣٦ ـ شرع).

(٢) من قوله: (قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثالثة) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فأنت مقتول).

ولقد أشفقت عليه من ذلك، ولن يفلح القوم بعد قتلهم إيّاه».

فمضى الفتى بالمصحف حتّى وقف بأزاء عسكر عائشة وطلحة والزبير حينئذٍ عن يمين الهودج وشماله، وكان له صوت، فنادى بأعلا صوته: معاشر الناس، هذا كتاب الله وإنّ أمير المؤمنين[1] يدعوكم إلى كتاب الله والحكم بما أنزل الله فيه، فأنيبوا إلى طاعة الله والعمل بكتابه.

قال: وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون قوله فأمسكوا، فلمّا رأى ذلك أهل عسكرهم بادروا إلى الفتى والمصحف في يمينه، فقطعوا يده اليمنى، فتناول المصحف بيده اليسرى وناداهم بأعلى صوته مثل ندائه أوّل مرّة، فبادروا إليه وقطعوا يده اليسرى، فتناول المصحف واحتضنه ودماؤه تجري عليه وناداهم مثل ذلك، فشدّوا عليه فقتلوه، ووقع ميّتاً فقطّعوه إرباً إرباً، ولقد رأينا شحم بطنه أصفر.

قال: وأمير المؤمنين عليه السلام واقف يراهم، فأقبل على أصحابه وقال: «إنّي والله ما كنت في شكّ ولا لُبْسٍ من ضلالة القوم وباطلهم، ولكن أحببتُ أن يتبيّن لكم جميعاً من بعد قتلهم الرجل الصالح، حكيم بن جبلة العبدي في رجال صالحين معه، وتضاعف ذنوبهم بهذا الفتى وهو يدعوهم إلى كتاب الله، والحكم به، والعمل بموجبه، فثاروا إليه فقتلوه، ولا يرتاب بقتلهم مسلم، ووقدت الحرب واشتدّت».

فقال أمير المؤمنين: «احملوا بأجمعكم عليهم، بسم الله الرحمن الرحيم حم لا ينصرون»، وحمل هو بنفسه والحسنان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله معه، فغاص

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (عليّ بن أبي طالب).

في القوم بنفسه، فوالله ما كان إلّا ساعة من نهار حتّى رأينا القوم شلايا يميناً وشمالاً صرعىٰ تحت سنابك الخيل، ورجع أمير المؤمنين عليه السلام مؤيّداً منصوراً، وفتح الله عليه ومنحه أكتافهم، وأمر بذلك الفتى وجميع من قتل معه، فلفّوا في ثيابهم بدمائهم لم تُنْزَع عنهم ثيابهم، وصلّى عليهم ودفنهم، وأمرهم أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتّبعوا لهم مدبراً، وأمر بما حوى العسكر، فجمع له فقسّمه بين أصحابه، وأمر محمّد بن أبي بكر أن يُدخل أُخته البصرة، فيُقيم بها أيّاماً ثمّ يرحلها إلى منزلها بالمدينة.

قال عبد الله بن سلمة: كُنت ممّن شهد حرب أهل الجمل، فلمّا وضعت الحرب أوزارها، رأيت أُمّ ذلك الفتى واقفة عليه، فجعلتْ تبكي عليه وتُقبّله وأنشأت تقول:

يا ربِّ إنّ مسلماً أتاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم[1]

يأمرهم بالأمر من مولاهم ... فخضّبوا من دمه قناهم

وأُمّه[2] قائمة تراهم ... تأمرهم بالغيّ[3] لا تنهاهم

قال المجلسي رحمه الله: توضيح قوله عليه السلام: «من حِرَف المدائن» في بعض النسخ بالحاء المهملة أي من كسب المدائن، من قولهم: حَرِفَ لعياله: أي كسب، أو هو بمعنى الطَّرَفِ والذروة لكونه في جانب من بلاد العرب، أو من أعالي البلاد، وفي بعضها بالجيم، قال في **القاموس**: «الجَرْف» المال من الناطق

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (كي يخشاهم).

(٢) في حاشية «م» «ت»: لعلّ المراد من الأُمّ أُمّ المؤمنين. (منه رحمه الله)

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (البغي).

والصامت والخصب والكلاء الملتف، وبالكسر وقد يضمّ المكان الذي لا يأخذ السيل، وبالضمّ ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض[١]، ولا يخفى مناسبة أكثرها للمقام.

ويقال: «كَبَتَ الله العدوّ»: أي صرفه وأذلّه.

قوله عليه السلام: «أحمد إليكم الله» ولعلّه ضمن معنى الإنهاء: أي أحمد الله منهيّاً إليكم نعمه، قال في **النهاية**: في كتابه صلى الله عليه وآله: «أمّا بعد فإنّي أحمد إليك الله»: أي أحمده معك فأقام إلى مقام مع، وقيل: معناه: أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاها[٢]، انتهى.

و«الأوحاض»: الأبطال، و«التهجير»: والهَجُرُ في الهاجرة وفي نصف النهار عند اشتداد الحرّ، و«الشملة»: كساء يشتمل به.

قوله: «وما كادوا»: أي وما كادوا يفعلون ذلك لعسره عليهم كما قال تعالى: ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[٣]، ويحتمل أن يكون من الكيد أي لم يسألوا شيئاً كما سأل المنافقون بعد ذلك كيداً ومكسراً.

و«بَطُؤ» ككرم ضدّ أسرع كأبطأ، فالبطاءُ جمع الباطي، ويقال: «مللته» منه: أي سأمته، وأملنّي وأملّ عليّ أبرمني، وكربه الغم: أحزنه، وقال الجزري فيه: ذكر العالية والعوالي في غير موضع وهي أماكن بأعلى أرض المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية[٤].

---

(١) القاموس المحيط ٣: ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ جرف.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١: ٤٣٧.

(٣) سورة البقرة ٢: ٧١.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣: ٢٩٥.

قوله تعالى: «فليعلمنّ الله» علماً حاليّاً متعلّقاً بالموجود وبه يكون الثواب والعقاب.

قوله تعالى: «أن يسبقونا»: أي يفوّتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم، وقال الجوهري «حفظته الكتاب»: حملته على حفظه، واستحفظته سألته أن يحفظه[١].

قوله: «وأغذ» بالمعجمتين: أي أسرع، قال في **القاموس**: غذّ وأغذّ السير وفيه أسرع[٢]، وقال: جهمه استقبله بوجه كريم كتهجّمه[٣]، وقال: «هرشىٰ»: كسكرىٰ ثنيّة قرب الجحفة[٤]، والحبرة: النعمة الحسنة، و«الدُولة» بالضمّ: ما تتداوله الأغنياء وتدور بينهم، و«أبطل»: أتى بالباطل وتكلّم به كأحال أي أتى بالمحال.

قوله: «يسعى بها أدناهم»: أي يجب على المسلمين إمضاء أمان أدناهم لآحاد المشركين.

قوله: «وكلّهم يد»: أي هم مجتمعون على دفع أعدائهم لا يسع التخاذل بينهم بل يعاونُ بعضهم بعضاً على جميع الأديان والملل، كأنّه جعل أيديهم يد واحدةً، وفعلهم فعلاً واحداً.

قوله: «أُحبّ أن ألقى الله»: أي أُحبّ أن أُخاصمه عند الله بسبب صحيفته التي كتبها، وفي بعض النسخ «ما أَحَبّ إليّ أن ألقى الله» بصيغة التعجّب، و«المسجّى»

---

(١) الصحاح ٣: ١١٧٢ ـ حفظ.

(٢) القاموس المحيط ١: ٣٥٦.

(٣) القاموس المحيط ٤: ٩٢.

(٤) القاموس المحيط ٢: ٢٩٣.

بالتشديد على بناء المفعول: المغطّى بثوب، و«الرِعْدة» بالكسر والفتح: الاضطراب، وفي **النهاية** «الرأب»: الجمع والشد، يقال: رأب الصدع إذا شعبه[١]، ورأب الشيء إذا جمعه وشدّه برفق[٢]، وقال: «الرِسل» بالكسر: الهنيئة والتأنّي، يقال: افعل كذا على رِسلك اتّئد فيه.

وقال في الحديث: «إنّه خرج في مرضه يتهادى بين رجلين»: أي يمشي بينهما متعمّداً عليهما من ضعفه وتمايله من تهادت المرأة في مشيتها إذا تمايلت، وكلٌّ من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه.

قوله: «وهو مربوط»: أي مشدود الرأس معصوب، و«التمزيق»: التخريق، والممزّق أيضاً مصدر، و«الحِضن» بالكسر: ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر أو العضدان وما بينهما.

و«حضن» الشيء واحتضنه: جعله في حضنه، قوله: «فشدّوا»: أي احملوا عليه، و«الإرَب» بالكسر: العضو، و«اللُّبس» بالضمّ: الشبهة، قوله: «ووقدت الحرب» كوعد: أي التهبت نار الحرب.

وقال الجزري في حديث الجهاد: «إذا بُيِّتُم[٣] فقولوا حم لا ينصرون» وقيل معناه: اللهمّ لا ينصرون، ويريد به الخبر لا الدّعاء؛ لأنّه لو كان دعاء لقال

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الشعب كالمنع: الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد والصدع والتفرّق. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ١: ٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ١٧٦.

(٣) في حاشية «م» «ت»: تبييت العدو، وهو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة، وهو البيان ومنه الحديث: إذا بيّتم فقولوا حم لا ينصرون. (منه ﷺ)، (النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ١٧١).

لا ينصروا مجزوماً، فكأنّه قال: والله لا ينصرون، وقيل: إنّ السُّوَر التي أوّلها «حم» سورةٌ لها شأن، فنبّه أنّ ذكرها لشرف منزلتها ممّا يستظهر به على استنزال النصر من الله، وقوله: «لا ينصرون»: كلام مستأنف كأنّه حين قال: «قولوا حم»، قيل: ماذا يكون إذا قلناها؟ فقال: لا ينصرون[١].

وفي **القاموس**: «الشِّلو» بالكسر العضد والجسد من كلّ شيء، كالشلاء، وكلّ مسلوخ أُكِلَ منه شيء وبقيت منه بقيّة، والجمع أشلّاء، والشليّة الفدرة وبقيّة المال[٢]، انتهى.

قوله: «ومنحه أكتافهم»: لعلّه كناية عن تسلّطه عليه السلام كأنّه ركب أكتافهم أو عن انهزامهم وتعاقب عسكره عليه السلام كما ورد في حديث بَدْرٍ وإلّا فاركبوا أكتافهم أي اتّبعوهم أو عن الظفر عليهم مكتوفين.

قولها: «قناهم»: هي جمع القناة وهي الرمح.

التعرّض لأجزاء هذا الخبر وبَسْطُ القول فيها لا يتيسّر إلّا في مجلّدات شتّى، ومن أراد الاطّلاع على حقيقة الأمر فيها فعليه بكتاب **بحار الأنوار**[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٤٤٦.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٣٥٠.

(٣) انظر بحار الأنوار ٢٨: ١١٤ ـ ١١٦.

الحديث السادس[1]

«في أنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى»

ما رواه ثقة الإسلام في **روضة الكافي**: عن عليّ بن إبراهيم، عن عمرو بن عثمان، عن عليّ بن عيسى رفعه قال: إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته:

يا موسى لا يُطوِّل في الدنيا أَمَلَك فيقسو لذلك قلبك، وقاسي القلب منّي بعيد.

يا موسى، كُن كمسرّتي فيك؛ فإنّ مسرّتي أن أُطاع فلا أُعصى، فأَمِتْ قلبك بالخشية، وكُن خَلِقَ الثياب جديد القلب، تخفى على أهل الأرض وتعرف في[2] أهل السماء، حلس البيوت مصباح الليل، واقْنُتْ بين يديّ قُنُوت الصابرين، وصِحْ إليّ من كثرة الذنوب صياح المذنب الهارب من عدوّه، وَاسْتَعِن بي على ذلك فإنّي نعم العَوْن ونعم المستعان.

---

(١) الكافي ٨: ٤٢/ح٨، وعنه في بحار الأنوار ٧٤: ٣١/ح٧.

(٢) (في) أثبتناها من المصدر.

يا موسى، إنّي أنا الله فوق العباد، والعباد دوني، وكلٌّ لي داخرون[١]، فاتَّهِم نفسك على نفسك[٢]، ولا تأتَمِنْ وُلْدك على دينك، إلّا أن يكون وُلْدُك مثلك يُحبّ الصالحين.

يا موسى، اغْسِل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين.

يا موسى، كُن إمامُهم في صلاتهم، وإمامهم فيما يتشاجرون[٣]، واحكُم بينهم بما أنزلتُ عليك، فقد أنزلتُهُ حُكماً بيِّناً، وبرهاناً نيّراً، ونوراً ينطق بما كان في الأوّلين وبما هو كائنٌ في الآخرين.

أُوصيك ـ يا موسى ـ وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الأتان والبُرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومَنْ بَعدَه بصاحب الجمل الأحمر، الطيّب الطاهر المطهّر، فَمَثَلُهُ في كتابك أنّه مؤمن مهيمن[٤] على الكتب كلّها، وإنّه راكع ساجد، راغب راهب، إخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون، ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلّة من المال، اسمه أحمد، محمّد الأمين من الباقين من ثلّة الأوّلين الماضين، يؤمن بالكتب كلّها، ويصدّق جميع المرسلين، ويُشهد بالإخلاص لجميع النبيّين، أُمّته مرحومة مباركة، ما بقوا[٥] في الدين على حقائقه، لهم ساعات مؤقّتات يؤدّون فيها الصلوات أداء العبد إلى سيّده نافلته؛ فبه فصدِّق، ومناهجه فاتَّبِعْ، فإنّه أخوك.

---

(١) أي صاغرون، عاجزون.

(٢) (نفسك) أثبتناها من المصدر.

(٣) التشاجر: التنازع والتخاصم.

(٤) في «م» «ت»: كتب فوقها: (رقيب).

(٥) في «م» «ت»: (سابقوا) ويمكن قراءتها كما في المتن، وما أثبتناه من المصدر.

يا موسى، إنّه أُمّيّ، وهو عبدٌ صَدِقٌ مبارك[١] له فيما وضع يده عليه، ويبارك عليه، كذلك كان في علمي، وكذلك خلقته، به أفتح الساعة، وبأُمّته أختم مفاتيح الدنيا، فَمُرْ ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه، ولا يخذلوه وإنّهم لفاعلون، وحبّه لي حسنةٌ، فأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبهم الغالبون، فتمّت كلماتي لأُظْهِرَنَّ دينه على الأديان كلّها، ولأعبدنّ بكلّ مكان، ولأُنزلنّ عليه قرآناً فرقاناً شفاءً لما في الصدور مِنْ نفث الشيطان، فصلِّ عليه يابن عمران فإنّي أُصلّي عليه وملائكتي.

يا موسى، أنت عبدي وأنا إلهُك، لا تستذلّ الحقير الفقير، ولا تغبط الغني بشيء يسير، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوته برحمتي طامعاً، وأسْمِعْني لَذاذة التوراة بصوتٍ خاشع حزين، اطمئنّ عند ذكري، وذكِّر بي من يطمئنّ إليّ، واعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وتحَرَّ مسرّتي، إنّي أنا السيّد الكبير، إنّي خلقتك من نطفة من ماء مهين، من طينة أخرجتها من أرض ذليلة ممشوجة فكانت بشراً، فأنا صانعها خلقاً، فتبارك وجهي، وتقدّس صنعي[٢]، ليس كمثلي شيء، وأنا الحيّ الدائم الذي لا أزول.

يا موسى، كُن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، عَفِّر وجهك لي في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقْنُتْ بين يدي في القيام، وناجني حين تناجي بخشية من قلب وجل، وأَحْي بتوراتي أيّام الحياة، وعَلِّم الجهّال محامدي،

---

(١) في المصدر: (يبارك)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في بحار الأنوار.

(٢) في المصدر: (صنيعي)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في بحار الأنوار.

وذكِّرْهم آلائي ونعمتي، وقل لهم لا يتمادون في غيّ ما هم فيه، فإنّ أخذي أليمٌ شديد.

يا موسى، إذا انقطع حبلك مني[١]، لم يتّصل بحبل غيري، فاعبدني وقُم بين يديّ مقام العبد الحقير الفقير، ذَمّ نفسك فهي أولى بالذمّ، ولا تتطاول بكتابي على بني إسرائيل، فكفى بهذا واعظاً لقلبك ومنيراً، وهو كلام ربّ العالمين جلّ وتعالى.

يا موسى، متى ما[٢] دعوتني ورجوتني فإنّي سأغفر لك على ما كان منك، السماء تسبّح لي وَجِلاً، والملائكة من مخافتي مشفقون، والأرض تسبّح لي طمعاً، وكلّ الخلق يسبّحون لي داخرون، ثمّ عليك بالصلاة فإنّها منّي بمكان، ولها عندي عهد وثيق، وألْحِق بها ما هو منها زكاة القربان، من طيّب المال والطعام، فإنّي لا أقبل إلّا الطيّب يراد به وجهي، وأَقْرِن مع ذلك صلة الأرحام، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم والرحم[٣]، أنا خلقتها فضلاً من رحمتي ليتعاطف بها العباد، ولها عندي سلطان في معاد الآخرة، وأنا قاطع من قطعها، وواصل مَن وصلها، وكذلك أفعل بمن ضيّع أمري.

يا موسى، أكرم السائل إذا أتاك بردٍّ جميل، أو إعطاء يسير، فإنّه يأتيك مَن ليس بإنْس ولا جانّ، ملائكة الرحمن يبلونك كيف أنت صانع فيما أوليتك،

---

(١) (مني) أثبتناها من المصدر.

(٢) (متى ما) أثبتناها من المصدر.

(٣) (الرحم) أثبتناها من المصدر، وفي حاشية «م» «ت»: والرحم ـ بفتح الراء وكسر الحاء ـ القرابة، والرحم أيضاً ما يشتمل على ماء الرجل من المرأة، ويكون فيه الحمل، وهو أنثى في المعنيين، وقيل مذكر وهو الأكثر في القراءة. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٦: ٦٨ ـ رحم).

وكيف مواساتك فيما خوّلتك؟ واخشع لي بالتضرّع، واهتف[١] لي بولولة[٢] الكتاب، واعلم أنّي أدعوك دعاء السيّد مملوكه، ليبلغ به شرف المنازل، وذلك من فضلي عليك وعلى آبائك الأوّلين.

يا موسى، لا تنسني على كلّ حال[٣]، ولا تفرح بكثرة المال؛ فإنّ نسياني يقسي القلوب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب، الأرض مطيعة والسماء مطيعة والبحار مطيعة، وعصياني شقاء الثقلين، وأنا الرحمن الرحيم؛ رحمان كلّ زمان، آتي بالشدّة بعد الرخاء، وبالرخاء بعد الشدّة، وبالملوك بعد الملوك، وملكي قائم دائم لايزول ولا يخفى علَيّ شيء في الأرض ولا في السماء، وكيف يخفى علَيّ ما مِنّي مبتدأه، وكيف لا يكون همّك فيما عندي وإليّ تُرْجَعُ لا محالة.

يا موسى، اجعلني حِرزك، وضَع عندي كَنْزَكَ من الصالحات، وخِفْني ولا تَخَفْ غيري، إليّ المصير.

يا موسى، اِرحم مَن هو أسفل منك في الخَلْقِ، ولا تحسد مَن هو فوقك، فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

يا موسى، إنّ ابنَي آدم تواضعا في منزلة لِيَنالا بها من فضلي ورحمتي فقرَّبا قُرباناً ولا أقبل إلّا من المتّقين، فكان من شأنهما ما قد علمت، فكيف تثق بالصاحب بعد الأخ والوزير.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الهتف أي الصوت. (منه ﷺ)

(٢) الولولة: صوت متتابع بالويل والاستغاثة، وقيل: هي حكاية صوت النائحة (النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٢٢٦ ـ ولول).

(٣) في «م» «ت»: (قالٍ)، وما أثبتناه من المصدر.
والمقال: الابتداء (انظر لسان العرب ١١: ٥٧٤ ـ قول).

يا موسى، ضَعِ الكبر، ودَعِ الفَخْر، واذكُر إنّك ساكن القبر، فليمنعك ذلك من الشهوات.

يا موسى، عجِّل التَّوْبَة، وأخِّر الذنب، وتأنّ في المكث بين يديّ في الصلاة، ولا تَرْجُ غيري، اتّخذني جُنَّةً للشدائد، وحِصْناً لِمُلِمّات الأُمور.

يا موسى، كيف تخشع لي خليقةٌ لا تعرفُ فضلي عليها، وكيف تعرف فضلي عليها[1] وهي لا تنظر فيه؟ وكيف تنظر فيه وهي لا تؤمن به؟ وكيف تؤمن به وهي لا ترجو ثواباً؟ وكيف ترجو ثواباً وهي قد قنعتْ بالدنيا واتَّخَذَتْها مأوى وركنتْ إليها ركون الظالمين؟

يا موسى، نافِسْ في الخير أهلَه؛ فإنّ الخير كاسمه، ودع الشرّ لكلّ مفتون.

يا موسى، اجعل لسانك من وراء قلبك تَسْلَمْ، وأكثر ذكري بالليل والنهار تغنم، ولا تتّبع الخطايا فتندمْ؛ فإنّ الخطايا موعدها النار.

يا موسى، أَطِبِ الكلام لأهل الترك للذنوب، وكُن لهم جليساً، واتَّخِذْهم لغيبك إخواناً، وجِدّ معهم يجدُّون معك.

يا موسى، الموت لاقيك[2] لا محالة، فتزوَّدْ زادَ مَنْ هو على ما يتزوّد واردٌ.

يا موسى، ما أُريد به وجهي فكثير قليله، وما أُريد به غيري فقليل كثيره، وإنّ أصلح أيّامك الذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو، فأعدّ له الجواب، فإنّك موقوف به ومسؤول، وخُذْ موعظتك من الدهر وأهله، فإنّ الدهر طويلهُ قصير، وقصيره طويل، وكلّ شيء فانٍ، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك، لكي يكون

---

(١) (وكيف تعرف فضلي عليها) أثبتناها من المصدر.

(٢) في المصدر: (يأتيك) بدل من: (لاقيك).

أطمع لك في الآخرة لا محالة، فإنّ ما بقي من الدنيا كما ولّى منها، وكلّ عامل يعمل على بصيرة ومثالٍ، فكن مرتاداً[1] لنفسك ـ يابن عمران ـ لعلّك تفوز غداً يوم السؤال فهنالك يخسر المبطلون.

يا موسى، ألق كفّيك ذُلّاً بين يدي، كفعل العبد المستصرخ إلى سيّده؛ فإنّك إذا فعلت ذلك رَحِمْتَ، وأنا أكرم القادرين.

يا موسى، سلني من فضلي ورحمتي؛ فإنّهما بيدي لا يملكهما أحدٌ غيري، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي، لكلّ عامل جزاءٌ، وقد يجزي الكفور بما سعى.

يا موسى طِبْ نفساً عن الدنيا، وانْطَوِ عنها؛ فإنّها ليست لك ولست لها، ما لك ولدار الظالمين إلّا العامل فيها بالخير فإنّها له نعم الدار.

يا موسى، ما آمرك به فاسمع، ومهما أراه فاصنَعْ، خُذ حقائق التوراة إلى صدرك، وتيقّظ بها في ساعات الليل والنهار، ولا تمكّن أبناء الدنيا من صدرك، فيجعلونه وَكْراً كَوَكْرِ الطَّيْر.

يا موسى، أبناء الدنيا وأهلها فَتِنٌ بعضهم لبعض، فكلٌّ مزيّن له ما هو فيه، والمؤمن من زَيَّنَتْ له الآخرة فهو ينظر إليها ما يَفْتَرُ، قد حالت شهوتها بينه وبين لذّة العيش، فأَدلَجْتُهُ بالأسحار[2]، كفعل الراكب السائق إلى غايته، يظلّ كئيباً ويمسي حزيناً فطوبى له، لو قد كشف الغطاء ماذا يعاين من السرور.

---

(١) الرود: الطلب (القاموس المحيط ١: ٢٩٦ ـ رود).

(٢) في حاشية «م» «ت»: أي السير في أوّل الليل. (منه ﷺ)

يا موسى، الدنيا نطفة[١]، ليست بثواب للمؤمن، ولا نقمةٌ من فاجر، فالويل الطويل لمن باع ثواب معاده بلعقة لم تبق وبلعسة لم تَدُمْ، وكذلك فكن كما أمرتك، وكلّ أمري رشادٌ.

يا موسى، إذا رأيت الغنى مقبلاً، فقُل: ذنبٌ عُجِّلَتْ لي عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، ولا تكن جبّاراً ظلوماً، ولا تكن للظالمين قريناً.

يا موسى، ما عمرٌ وإن طال يذمّ آخره[٢]، وما ضرّك مازوي عنك إذا حُمِدَتْ مغَبَّتُهُ.

يا موسى، صَرّخَ الكتاب إليك صُراخاً بما أنت إليه صائر[٣] فكيف تَرْقَدُ على هذا العيون، أم كيف يجد قومٌ لذّة العيش، لولا التمادي في الغفلة، والإتّباع للشقوة، والتتابع للشهوة، ومن دون هذا يجزع الصدّيقون.

يا موسى، مُرْ عبادي يدعوني على ما كان بعد أن يقرّوا بي إنّي أرحم الراحمين، مُجيب دعوة المضطرّين، وأكشف السوء وأُبدِّل الزمان وآتي بالرخاء، وأشكر اليسير، وأُثيب الكثير، وأُغني الفقير، وأنا الدائم العزيز القدير، فمن لجأ إليك وانضوى إليك من الخاطئين فقل: أهلاً وسهلاً يا رحب الفناء بفناء ربّ العالمين، واستغفر لهم، وكن لهم كأحدهم، ولا تستطيل عليهم بما أنا أعطيتك فضله، وقُل لهم فليسألوني من فضلي ورحمتي؛ فإنّه لا يملكها أحد غيري، وأنا ذوالفضل العظيم.

---

(١) النطفة: ما يبقى في الدلو أو القربة من الماء، كنى بها عن قلتها (انظر مجمع البحرين ٥: ١٢٥ ـ نطف).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (وإن طال يدوم آخره).

(٣) (صائر) أثبتناه من المصدر.

طوبىٰ لك يا موسى كهفُ الخاطئين وجليس المضطرّين، ومستغفر للمذنبين[١]، إنّك منّي بالمكان الرضىٰ، فادعني بالقلب النقي[٢] واللسان الصادق، وكُنْ كما أمرتك أَطِعْ أمري، ولا تستطل على عبادي بما ليس منك مبتدأه، وتقرَّب إليّ فإنّي منك قريب، فإنّي لم أسألك ما يؤذيك ثقله ولا حمله، إنّما سألتك أن تدعوني فأُجيبك، وأن تسألني فأُعطيك، وأن تتقرّب إليّ بما منّي أخذتَ تأويله وعلَيّ تمام تنزيله.

يا موسى، انظر إلى الأرض فإنّها عن قريب قبرك، وارفَعْ عينيك إلى السماء، فإنّ فوقك فيها مَلِكاً عظيماً، وابكِ على نفسك ما دمتَ في الدنيا، وتخوّف العطب[٣] والمهالك، ولا تغرّنّك زينة الدنيا وزهرتها، ولا ترض بالظلم، ولا تكن ظالماً فإنّي للظالم رصيد[٤]، حتّى أُديلَ منه المظلوم.

يا موسى، إنّ الحسنة عشرة أضعاف، ومن السيّئة الواحدة الهلاك، ولا تشرك بي، لا يحلّ لك أن تشرك بي قاربْ، وسَدِّدْ، وادْع دعاء الطامع الراغب فيما عندي، النادم على ما قدّمتْ يداه، فإنّ سواد الليل يمحوه النهار، وكذلك السيّئة تمحوها الحسنةُ، وعشوة الليل تأتي على ضوء النهار، وكذلك السيّئة تأتي على الحسنة الجليلة[٥] فتُسوِّدُها.

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان: قال المجلسي عليه الرحمة: هذا الحديث

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (للمنيبين).

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (التقي).

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (الطعب).

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بمرصد).

(٥) في «م» «ت»: (الجميلة)، وما أثبتناه من المصدر.

القدسي المشتمل على المواعظ البالغة وإن كان من حيث السند مرفوعاً موقوفاً[١]، فهو من حيث المتن رفيع موقّف[٢].

«الخَلَق»: محرّكة البالي، «حِلس البيوت» قال الجوهري: أحلاس البيوت ما يبسط تحت حرّ الثياب، وفي الحديث: «كُن حِلسَ بيتك»: أي لا تبرح[٣]، «مصباح الليل» بأن تقوم وتنوّر بنور العبادة ليلك كالمصباح، «واقْنُتْ» القنوت: الخضوع أو الدعاء في الصلاة، «واستعن بي على ذلك» أي على العدوّ أو على الهَرَب منه، «الدخور»: الصغار والذلّ «فاتَّهِمْ نفسَك على نَفْسِكَ» فإنّ الإنسان كثيراً ما ينخدع من نفسه بأن لا يرى مَساويه بل يراها محاسن، ويكمن فيه كثيرٌ من الصفات الذميمة وهو غافل عنها.

«التشاجر»: التنازع والتخالف، «وصيّة الشفيق»، الشفقة: الخوف وحرص الناصح على صلاح المنصوح والشفيق والمشفق مترادفان أتى بهما للتأكيد.

وإنّما سمّيت مريم عليها السلام بـ«البتول»: لانقطاعها من الأزواج، أو من الخلق إلى الله تعالى ومن النساء في الصفات مأخوذ من البتل وهو القطع.

«الأتان»: بالفتح الحمارة، و«البُرْنس»: بالضمّ قَلَنْسَوةٌ طويلة وكان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام، والمراد بـ«الزيتون والزيت» الثمرة المعروفة

---

(١) في حاشية «م» «ت»: المرفوع، وهو ما أُضِف إلى المعصوم، من قول أو فعل أو تقرير، سواء اعتراه قطع أو إرسال في سنده أم لا، الموقوف: وهو ما روي عن صاحب المعصوم من غير أن يسنده إلى المعصوم. (منه رحمه الله)

(٢) في حاشية «م» «ت»: الوقف من الترس، ما يستدير بحافته من قرن أو حديد وشبهه. (منه رحمه الله)، (القاموس المحيط ٣: ٢٠٥).

(٣) في حاشية «م» «ت»: برح مكانه، أي زال عنه. (منه رحمه الله)، (الصحاح ١: ٣٥٥ ـ برح).

ودهنها؛ لأنّه عليه السلام كان يأكلها، أو نزلتا له في المائدة من السماء، أو المراد بالزيتون مسجد دِمَشق أو جبال الشام كما ذكره الفيروزآبادي[١]، أي أعطاه الله بلاد الشام، وبالزيت الدهن الذي روي أنّه كان في بني إسرائيل وكان غليانها من علامات النبوّة.

و«المحراب»: أي لزومه وكثرة العبادة فيه، وقيل إشارة إلى قوله تعالى في أُمّه عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾[٢]، وقال: لعلّه كان الرزق الزيتون.

«الطيّب»: أي من الذنوب، «الطاهر»: من كلّ دنس وخُلُقٍ سيّئ، «المطهّر»: من الجهل وكلّ شين وعيب، «فَمَثَلُه»: المَثَل بالتحريك: الصفة، «إنّه مؤمن»: أي بجميع الأنبياء والكتب كما هو حقّ الإيمان، أو يؤمّن الناس من ضرّه ولا يؤذيهم، «مُهَيْمِنٌ»[٣]: أي شاهد أو مؤتمن، و«أنصاره قوم آخرون»: أي ليسوا من قومه وعشيرته، و«الأذل»: الضيق والشدّة، «الثُلّة» ـ بالضمّ ـ الجماعة من الناس، أي إنّه من سلالة أشراف الأنبياء وبقيّتهم، «مباركةً»: أي يبارك ويزاد عليهم العلمُ والرحمة، «نافلةً»: أي يؤدّون زائدةً على ما وجبت عليهم، وفي بعض النسخ: «نافلته»: والنافلة الغنيمة والعطيّة، و«الضمير» راجع إمّا إلى العبد أو إلى السيّد، والمراد بها الضريبة التي يلزمها السيّد عبده يؤدّيه إليه في الأوقات المعلومة.

«إنّه أُمّيّ»: أي من قوم لا يكتبون ولا يقرؤون، أو من أُمّ القرى وهي مكّة

---

(١) انظر القاموس المحيط ١: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٣٧.

(٣) في حاشية «م» «ت»: والمهيمن من أسماء الله تعالى، في معنى المؤمن من آمن غيره من الخوف. (منه عليه السلام)، (القاموس المحيط ٤: ٢٧٧).

يبارك فيما يضع يده عليه، «البركة»: من معجزاته ﷺ المتواترة وقد وقع ذلك في مواقع لاتحصى حيث وضع يده على ماء قليل أو طعام قليل وأشبع وأروى بهما خلقاً كثيراً، أو مال قليل فأعطى منه كثيراً، وقد أوردوها في أبواب معجزاته ﷺ.

«به أفتح الساعة»: الباء للملابسة والغرض اتصال أُمّته ودولته ونبوّته بقيام الساعة، و«بأُمّته أختم مفاتيح الدنيا»: هي ما يفتح بها على صاحبها شيء من قتال أو عبادة أو تعلّم، والمراد أنّ هذه المفاتيح تنتهي بانقضاء مدّته[1] كأنّها وضعت في كيس وختم عليها، ويحتمل أن يكون الختم كناية عن التمام والكمال فإنّ الشيء بعد الكمال يختم عليه، ويمكن أن يكون المراد أنّ ما فتح لغيرهم يختم بهم، «أن لا يدرسون»: درسته الريح أي مَحَتْ أثره أي لا يمحو اسمه، و«حُبُّهُ لي»: أي خالصاً لوجهي حسنةٌ عظيمة، و«أنا من حزبه»: أي أنصره و[2]أُعينه.

«فَتَمَّتْ كلماتي»: أي تقديراتي، و«لأُظْهِرَنَّ»: بيان لما قُدِّرَ له، والمراد بالكلمات الأنبياء والحجج، أي به وبأوصيائه تتمّ حجّتي «ولأُنزلنّ عليه قرآناً» أي كتاباً جامعاً لجميع العلوم فرقاناً، أي فارقاً بين الحقّ والباطن، «ولا تغبط الغنيّ بشيء يسير»: أي لا تتمنّى ما أعطيتُ الأغنياء من الدنيا وإن كان كثيراً، فإنّ متاع الدنيا كلّها يسير حقير، «وكن عند ذكري»: أي تلاوة التوراة أو الأعمّ، «واسمِعني لذاذة التوراة»: أي صوتها اللذيذ أو التذاذُكَ بها، قال الجوهري:

---

(١) في المصدر: (أمته).

(٢) (أنصره و) أثبتناها من المصدر.

لِذِذْتُ الشيء ـ بالكسر ـ لذاذاً ولذاذةً وجدته لذيذاً[١]، ولا يدلّ على جواز الغناء في القرآن كما تُوُهِّمَ فإنّ اللذّة لا يستلزم الغناء مع أنّ شرع من قبلنا ليس بحجّة علينا[٢].

«اِطْمَئِنَّ عند ذكري»: الاطمئنان السكون، والمراد طُمَأْنينة القلب عمّا يُزْعِجُهُ من الشكوك والشبهات ودواعي الشهوات، و«تَحَرَّ»: التحرّي الطلب، و«القصد من ماء مهين»: المهين الحقير والقليل والضعيف، «ممشوجة»: أي مخلوطة من أنواع، والمراد إنّي خلقتك من نطفة وأصل تلك النطفة حَصَلَ من شخص خَلَقْتُهُ من طينة الأرض، وهو آدم عليه السلام وأخذت طينة من جميع وجه الأرض المشتملة على ألوان وأنواع مختلفة، كما في خبر ابن سلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سأله عن آدم لِمَ سُمِّي آدم؟

قال: «لأنّه خلق من طين الأرض وأديمها»، قال: فآدم خلق من الطين كُلّه أو من طين واحد؟

قال: «بلى من الطين كلّه، ولو خلق من طين واحد لما عَرَفَ الناس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة»، قال: فلهم في الدنيا مِثْلٌ؟

قال: «التراب فيه أبيض، وفيه أخضر، وفيه أشقر، وفيه أغبر، وفيه أحمر، وفيه أزرق، وفيه عذب، وفيه ملح، وفيه خَشنٌ، وفيه ليّنٌ، وفيه أصهب، فلذلك صار الناس فيهم ليّن وفيهم خشن، وفيهم[٣] أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب»، الخبر.

---

(١) الصحاح ٢: ٥٧٠ ـ لذذ.

(٢) من قوله: (ولا يدلّ على جواز الغناء في القرآن) إلى هنا من كلام المصنّف رحمه الله.

(٣) (وفيهم خشن، وفيهم) أثبتناها من المصدر.

ويحتمل أن يكون المراد التراب الذي يذرّ في النطفة في الرحم على ما ورد به الأخبار.

«وأحْيِ بِتَوْراتي»: أي حَصِّلْ الحياة المعنويّة التي هي بالعلم واليقين بالتوراة وقراءتها والعمل بها، أو كن ملازماً لها في مدّة الحياة، ويمكن أن يُقرء على باب الإفعال.

«لا يتمادون»: التمادي بلوغ المدى والغاية، و«الغيّ»: الضلال، أي لا يبالغوا في الغيّ الحاصل ممّا هم فيه من الجهالة وسائر الصفات الذميمة، وتخصيص النهي بالتمادي لعلّه لبيان أنّ الدخول في الغيّ ينجرّ لا محالة إلى التمادي، فالمراد النهي عن مطلق الدخول، أو المراد الإقلاع عن الغيّ الذي هم فيه وعدم تماديهم فيه.

«إذا انقطع حبلك»: أي قوّتك ووصلتك منّي لم ينفعك التوصّل والتقوّي بغيري، «التطاول»: الرفع والاستعلاء، وقوله: «بهذا» راجع إلى الكتاب، «تسبّح»: أي تنقاد أو تدلّ على عظمتي وجلالي، أو المراد أهل السماء، «بمكان»: أي مكانة ومنزلة رفيعة، «ما هو منها»: أي لاشتراط قبول الصلاة بالزكاة كأنّها جزء منها، «من طيّب المال»: أي الحلال أو من أشرف المال، «ولها عندي سلطان»: أي للرَّحِم عندي سلطنة أقبلُ شفاعتها لِمَنْ وصلها وعلى من قطعها، كما ورد في الأخبار: أنّ الرحم معلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صِلْ من وَصَلَني وَاقْطَعْ من قطعني[1]، «لَمَن ضيّعَ أمري»: أي كلّ أمر من أوامري، «كيف مواساتك فيما خوّلتك»: المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق،

---

(١) من قوله: (كما ورد في الأخبار: أنّ الرحم) إلى هنا من كلام المصنّف ﷺ. وانظر الخبر في الكافي ٢: ١٥١/ باب صلة الرحم ـ ح ٧.

«والتخويل»: التمليك، «بِوَلْوَلَة الكتاب»: الولولة رفع الصوت بالبكاء والصياح، «وكيف يخفى علَيّ ما منّي مبتدأه»: إذ يحكم العقل بديهة أنّ خالق شيء عالمٌ به وبخواصّه وأحكامه، وربّما ينزل على ما قالته الحكماء مِن أنّ العلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول.

«في منزلته»: أي في عبادة واحدة وهي القربان، أو كانا بحسب القاهر في درجة ومنزلة واحدة، «والوزير»: هو معطوف على الصاحب، أي كيف تثق بالصاحب والوزير بعد صدور مثل هذه الخيانة من الأخ الذي هو أَلْصَقُ منهما، «لملمّات الأُمور»: أي نوازلها «كيف تخشع» إلى آخره، حاصله أنّ الركون إلى الدنيا والميل إليها واتّخاذها وطناً ومأوى ينافي الخشوع للّه تعالى، إذ الركون ملزوم لعدم رجاء الآخرة، إذ مَن يرجو الآخرة رجاءً صادقاً ويعرف حقيقة ما فيها يحقّر الدنيا في جنب نعم الآخرة، ولا يتوجّه إليها، وعدم الرجاء ملزوم لعدم الإيمان باللّه ورسوله وبالدار الآخرة، وعدم الإيمان ملزوم لعدم النظر في فضل الله تعالى ونِعَمِهِ عليه، وعدم النظر في ذلك ملزوم لعدم الخشوع، إذ الخشوع إنّما يحصل بتذكرة نِعَمِهِ تعالى وتوقّع إحسانه وفضله وانتظار رحمته واستجلاب نعمته في الدنيا والآخرة بالدعاء والتضرّع والبكاء.

«فإنّ الخير كاسمه»: المراد أنّ الخير لمّا دلّ بحسب أصل معناه في اللغة على الأفضليّة، وما يطلق عليه في العرف والشرع من الأعمال الحسنة هي خير الأعمال، فالخير كاسمه أي إطلاق هذا الاسم على تلك الأُمور على الاستحقاق، والمعنى المصطلح مطابق للمدلول اللغوي، أو المراد أنّ الخير لمّا كان كلّ أحد يستحسنه إذا سمعه فهو حَسَنٌ واقعاً، وحُسْنه حُسْنٌ واقعيّ، والحاصل: أنّ ما يحكم به عقول عامّة الناس في ذلك مطابق للواقع، ويحتمل أن يكون المراد

باسمه ذكره بين الناس، أي أنّ الخير ينفع في الآخرة كما يصير سبباً لرفعة الذكر في الدنيا.

قوله تعالى: «اجعل لسانك من وراء قلبك»: أي كلّما أردت أن تتكلّم به فابدأ أوّلاً باستكمال القلب والعقل فيه، وتفكّر في أنّه هل ينفعك التكلّم به ثمّ تكلّم به، فيكون اللسان بعد القلب ووراءه ويمرّ الكلام أوّلاً بالقلب ثمّ باللسان، ويحتمل أن يكون المراد: لا تتكلّم بما لا يعتقده قلبك، ويحتمل الأعمّ.

«واتّخذهم لغيبك إخواناً»: أي اتّخذهم إخواناً ليحفظوك في غيبتك بأن لا يذكروك في غيبتك بسوء، ويدفعوا عنك الغيبة ويكونوا ناصحين لك حين تغيب عنهم، ويحتمل أن يكون المراد بالغيب القيامة لغيبتها عن الحِسّ، وفي بعض النسخ: «لعيبك» بالعين المهملة، أي لستر معايبك، و«جدّ معهم»: أي أبذل معهم غاية السعي في الطاعة.

وقوله: «يَجُدُّون»: حال عن الضمير المجرور، «طويله قصير»: لسرعة انقضائه، «وقصيره طويل»: لإمكان تحصيل السعادات العظيمة في القليل منه، «وكلّ عامل»: أي كلّ من يعمل ما هو حقّ العمل إنّما يكون عمله على بصيرة ويقين وعلم بكيفيّة العمل وحقيقته وما يعمل له، وعلى «مثالٍ»: يتمثّله في الذهن من الثمرة المقصودة لعلمه، أو على مثال من سبقه من العالمين والمقرّبين، ويحتمل أن يكون المراد بالعامل أعمّ ممّن يعمل لحقّ أو باطل، فقوله «على بصيرة»: المراد به أعمّ ممّا هو باليقين أو بالجهل المركّب، والمراد بالمثال أعمّ من المضيّ على سبيل أهل الحقّ، وطريق أهل الضلال، ويحتمل أن يكون الواو في قوله: «ومثال» بمعنى «أو»: أي كلّ عامل يعمل إمّا على بصيرة في الحقّ، أو على مثال من سبق على وجه الضلال، فاختر لنفسك أيّهما أحرى

وأولى، و«الارتياد»: الطلب، و«المبطلون»: الذين يتّبعون الباطل، أو يبطلون أعمالهم بترك شرائطها أو فعل ما يحبطها، «أَلْقِ كفّيك»: أي في السجود على الأرض، أو عند القيام بمعنى إرسالهما، «من فضلي ورحمتي»: يطلق الفضل غالباً على النعم الدنيويّة، والرحمة على المثوبات الأُخرويّة.

«كيف رغبتك»: أي رجاؤك وشوقك إلى ما تطلبه، ثمّ قوّى الله تعالى رجاءه بأنّ لكلّ عامل جزاء، ولا ينبغي أن ييأس الكفور أيضاً، فإنّه أيضاً قد يجزى «بما سعى عن الدنيا»: أي معرضاً عنها أو بالإعراض عنها، «والانطواء عنها»: الاجتناب والإعراض عنها، يقال: طوى كشحه عنّي، أي أعرض مهاجراً، «ومهما أراه فاصنع»: أي كلّ وقت أرى وأعلم ما آمُرُك حَسَناً فافعل فيه أي أفعل الأوامر في أوقاتها التي أمرتك بأدائها فيها، أو المراد: افعلها في كلّ وقت فإنّي أراه في كلّ حين، أو كلّ شيء أراه لك خيراً فافعل، «وتيقّظ بها»: أي كُن مستيقظاً مُتنبِّهاً متذكّراً بحقائق التوراة في جميع الساعات، أو اترك النوم لتلاوتها في ساعات الليل والنهار.

«ولا تُمكِّن أبناء الدنيا»: أي لا تخطرهم ببالك ولا تشغل قلبك بالتفكّر فيهم وفيما هم فيه من نعيم الدنيا، فإنّه إذا اعتَدْتَ ذلك ومكّنت الشيطان من نفسك فيه يصير صدرك وَكْراً لذكرهم ولا يمكنك إخراج حبّ أطوارهم عن صدرك فيصير ذلك سبباً لرغبتك إلى دنياهم، فتصير إلى مأواهم، ويحتمل أن يكون المراد عدم الإصغاء إلى كلام المفتونين بالدنيا، الذاكرين لها، فيجعلون الصدر وكراً لكلامهم الذي يوجب الافتتان بالدنيا.

«ما يفتّر» كلمة «ما» نافية وضمير «شهوتها» راجع إلى الآخرة، «فأدْلَجته»: الإدلاج السير بالليل، وظاهر العبارة أنّه استعمل هنا متعدّياً بمعنى التسيير بالليل،

ولم يأت فيما عندنا من كتب اللغة، ويمكن أن يكون على الحذف والإيصال، أي أدْلَجت الشهوة معه، وسيّرته بالأسحار كالراكب الذي يسابق قرنه إلى الغاية التي يتسابقان إليها، والغاية هنا الجنّة والفوز بالكرامة والقرب والحبّ والوصال، أو الموت، وهو أظهر.

«يظلّ كئيباً»: الكآبة الغمّ وسوء الحال، والانكسار من الحزن، والمعنى أنّه يكون في نهاره مغموماً وفي ليله محزوناً لطلب الآخرة، ولما فاته من الطاعات، ولكن لو كشف له الغطاء حتّى يرى ما أعدّ له في الآخرة يحصل له من السرور ما لا يحصى.

«الدنيا نطفة»: أي ماء قليل مكدّر، أي الدنيا شيء قليل لا يصلح نعمتها لحقارتها أن تكون ثواباً للمؤمن، ولا بلائها وشدّتها لقلّتها أن تكون عذاباً وانتقاماً من فاجر، و«اللعقة» ـ بالفتح ـ ما تلعقه وتلحسه[1] بإصبعك أو بلسانك مرّة واحدةً، و«اللَعْس» ـ بالفتح ـ العضّ، والمراد هنا ما يقطعه بأسنانه من شيء مأكول مرّة واحدة.

«ما عمرٌ وإن طال» إلى آخره في بعض النسخ: «وإن طال يدوم آخره»: وهو ظاهر، وفي بعضها: «وإن طال ما يذمّ آخره»: أي ليس عمرٌ يذمّ آخره مذموماً محسوباً من العمر، وعلى هذا كان الأظهر «عمراً» بالنصب بأن يكون خبر «ما» واسمه «ما يذمّ»، وفي بعض النسخ: «يذمّ» بدون كلمة «ما» فيحتمل أن يكون كلمة «ما» استفهاميّة أي أيّ شيء عمر يذمّ آخره وإن طال، أو نافية بتقدير الخبر، أي ليس عمر يذمّ آخره بعمر، وعلى الأوّل، فيحتمل أن تكون كلمتا «ما»

---

(١) في حاشية «م» «ت»: واللحس باللسان، يقال: لحس القصعة بالكسر. (منه ﷺ)، (الصحاح ٣: ٩٧٤ ـ لحس).

كلتاهما نافيتين، أي لا يكون عمرٌ لا يذمّ آخره بالانقطاع والفناء.

«وما ضرّك ما زُوي عنك»: أي أُخِذ منك ونقص من العمر أو الأعمّ، وكلمة «ما» نافية أو استفهاميّة على الإنكار، «إذا حَمِدْتَ»: على بناء المعلوم أو المجهول، «مَغَبَّتُهُ»: أي عاقبته، أي كانت عاقبته محمودة، «وكيف ترقد»: أي تنام، «ومن دون هذا»، أي أقلّ من هذا التذكار الذي صرخ وصاح به الكتاب يكفي، «لجزع الصدّيقين»: أي الكاملين في تصديق الأنبياء عليهم السلام.

«على ما كان»: أي لأيّ أمر كان سواء كان حقيراً أو خطيراً، «وأُثيب الكثير»: صفة للمصدر والمحذوف، أي أُثيب الثواب الكثير، من قبيل رجعت القهقرى، أو أُثيب على العمل الكثير.

«وانضوى إليك» قال الجزري فيه: ضوى إليه المسلمون، أي مالوا، يقال: ضوى إليه ضيّاً وضوياً وانضوى إليه، وقالوا: ضواه إليه وأضواه، «أهلاً»: أي صادفتَ أهلاً لا غرباء ووطَئْتَ، «سَهْلاً»، لا حزناً، «يا رحب الفناء»: الرحب الواسع، وفناء الدار ككساء: ما اتّسع من أمامها، أي يا من فنائه الذي نزل به رحبٌ، وقوله: «بفناء» متعلّق بمقدّر، أي نزلت بفناء، وفي كتاب **تحف العقول**: «يا رحب الفناء نزلتَ بفناء ربّ العالمين»[1] وهو الأصوب، وليس في ذلك الكتاب بعد قوله: «العظيم» قوله: «طوبى لك يا موسى» فيكون قوله: «كهف الخاطئين» إلى آخره من أوصافه تعالى.

«بما ليس منك مبتدأه»: أي لا تتكبّر على العباد بما أعطاكه غيرك «فإنّ فوقك فيها ملكاً عظيماً»: بفتح الميم وكسر اللّام: أي العظيم تعالى شأنه، ونسبته إلى

---

(١) تحف العقول: ٤٩٥.

السماء؛ لأنّ ثوابه جنّة وتقديراته وعجائب صنعه فيها، أو بضمّ الميم وسكون اللّام: أي مُلكُ السماء عظيم يستدلّ بها على عظمة مالكها وصانعها، و«تخوّف العطب»: هو بالتحريك: الهلاك، «رصيد»: أي رقيب منتظر لجزائه، وفي **تحف العقول**: «بمرصد حتّى أُديل[١] من المظلوم»[٢]: أي أغلب المظلوم عليه، «ومن السيّئة الواحدة الهلاك»: المراد أنّ الله تعالى يعطي للحسنة عشرة أضعافها، ويجازي بالسيّئة واحدة، ومع ذلك أكثر الناس يهلكون بفعل السيّئات، بأن يزيد سيّئاتهم على عشرة أمثال حسناتهم، كما ورد في الخبر: «ويلٌ لمن غلبت آحاده أعشاره»[٣].

«قارب وسدّد» قال في **النهاية**: وفيه: سدّدوا وقاربوا: أي اقتصدوا في الأُمور كلّها، واتركوا الغلوّ فيها والتقصير، يقال: قارب فلانٌ في أُموره إذا اقتصد[٤]، وقال في السين والدال: قاربوا وسدّدوا، أي اطلبوا بأعمالكم السّداد والاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه[٥].

و«عشوةٌ» بالعين المهملة مفتوحةً: وهي ما بين أوّل الليل إلى ربعه، أو مضمومة وهي ظلمة الليل، أو بالمعجمة مثلّثة أي غطاء الليل بالإضافة البيانيّة[٦].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: ومن كلام الحق لا إله إلّا أنا مديل المظلومين، أي أجعل لهم الدولة والغلبة على من ظلمهم. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٥: ٣٧٤ـ دول).

(٢) تحف العقول: ٤٩٦.

(٣) انظر وسائل الشيعة ١٦: ١٠٣/ باب ٩٨ـ ح٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٣٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٣٥٢.

(٦) حكا المجلسي ﷺ ذلك في مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ٢٥: ٩١ـ ١٠٦.

الحديث السابع[1]

«في أنّ خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى والناس نيام»

ما رواه الشيخ الحرّ العاملي في الوسائل، عن عليّ بن محمّد القاساني، عمّن حدّثه، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام.

أقول: عليّ بن محمّد القاساني مختلف والتعدّد محتمل[2]، وعبد الله بن القاسم هذا يحتمل أن يكون هو ابن القاسم الحارثي أو الحضرمي إن كانا رجلين، وكلاهما ضعيفان، ولكن ضعف الراوي وجهالته لا يضرّ؛ لأنّ الرواية بهذا المضمون كثيرة مذكورة في الوسائل بطرق عديدة.

---

(١) نقله الشيخ العاملي في وسائل الشيعة ١٦: ٣٣٠/ أبواب فعل المعروف، باب استحسان إطعام الطعام ـ ح٣، عن الكافي ٤: ٥٠/ باب فضل إطعام الطعام ـ ح٣، ونقله الشيخ في ج ٢٤: ٢٨٨/ باب ٢٦ ـ ح٦، عن المحاسن ٢: ٣٨٧/ باب الإطعام ـ ح٢.

(٢) قال السيّد الخوئي رحمه الله في رجاله: علي بن محمّد بن شيرة = علي بن محمّد القاشاني وهو متحد مع عليّ بن محمّد بن شيرة القاساني، ويأتي له الروايات بعنوان علي بن محمّد القاساني، وهو ثقة؛ بناءاً على أقوال أوردها من النجاشي وغيره (انظر معجم رجال الحديث ١٣: ١٥٨ ـ ١٥٩ و١٨٤/ رقم الترجمة ٨٤٤٥ و٨٤٤٦ و٨٥١١).

قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى والناس نيام».

أقول: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، فضلها كثير، وثمرها جسيم؛ ولذا قال أبوالحسن عليه السلام: «من موجبات المغفرة، إطعام الطعام»[١]، وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من الإيمان، حُسن الخلق، وإطعام الطعام»[٢]، وقال النبيّ ﷺ: «الرزق أسرع إلى من يُطعم الطعام، من السكّين في السنام»[٣].

---

(١) رواه الشيخ الكليني في الكافي ٤: ٥٠/ باب فضل إطعام الطعام ـ ح ١.

(٢) رواه الشيخ الكليني في الكافي ٤: ٥٠/ باب فضل إطعام الطعام ـ ح ٢.

(٣) رواه الشيخ الكليني في الكافي ٤: ٥٠/ باب فضل إطعام الطعام ـ ح ٣.

الحديث الثامن[1]

«في أنّ قضاء حوائج الإخوان موجب من الله سبحانه الزيادة وفيه استجابة دعاء الإمام عليه السلام»

ما رواه الشيخ الجليل **محمّد بن الحسن الطوسي الثقة في مجالسه:** عن ابن الغضائري، عن التلّعكبري، عن محمّد بن همام، عن عليّ بن الحسين الهمداني، عن محمّد بن خالد البرقي، عن أبي قتادة القمّي، عن داود بن سرحان.

أقول: أمّا ابن الغضائري فهو أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري، وهو من المشايخ الأجلّة والثقات الذين لا يحتاجون إلى التنصيص بالوثاقة، ويأتون قوله في مقابلة أقوال أعاظم الرجال[2]، وفي المجمع: إنّه شيخ الشيخ والنجاشي[3].

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٠٢/المجلس الحادي عشر ـ ح٤٧، وعنه في وسائل الشيعة ١٦: ٣٢٨/ باب ١٥ ـ ح٧.

(٢) انظر تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٦٥، منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢٥١/ رقم الترجمة ١٣٦.

(٣) مجمع الرجال ١: ١٠٨.

وأمّا التلّعكبري: فهو هارون بن موسى بن أحمد، وكان جليلاً، وجهاً في أصحابنا، ثقة، معتمد، لا يطعن عليه[١].

وأمّا «عكبر»: بالمهملة والموحّدة المضمومتين بينهما كاف ساكنة اسم رجل من الأكابر، وقيل: من الأكراد، وأُضيف إليه «التلّ» فقيل: «تلّعكبري» وسمّي به ذلك المكان؛ فالتلّعكبري نسبة[٢].

وأمّا محمّد: فهو ابن همام بن سهيل، شيخ أصحابنا ومتقدّمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، جليل القدر، ثقة، ومحمّد هو الذي كتب أبوه إلى محمّد العسكري عليه السلام يعرِّفه أنّ له حملاً ويسأله أن يدعو له ويجعله ذكراً نجيّاً من مواليهم، فوقّع عليه السلام على رأس الرقعة بخطّ يده: قد فعل ذلك؛ فصحّ الحمل ذكراً[٣].

وأمّا الهمداني: فهو ثقة (دي)[٤]، وفي «صه» من أصحاب الجواد عليه السلام[٥].

ومحمّد بن خالد: هو البرقي المشهور، فحينئذٍ إنّ الاعتماد عندي على قول الشيخ الطوسي من تعديله، وتفصيل ترجمته في **ملخّص المقال في تحقيق أحوال الرجال**[٦].

وأمّا أبو قتادة: فهو عليّ بن محمّد بن حفص ثقة[٧].

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٤٣٩/ رقم الترجمة ١١٨٤.

(٢) انظر تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٣٥١.

(٣) انظر رجال النجاشي: ٣٧٩/ رقم الترجمة ١٠٣٢، خلاصة الأقوال: ٢٤٦/ رقم الترجمة ٣٩.

(٤) انظر رجال الطوسي: ٣٨٨/ رقم الترجمة ١٠، و(دي) أي من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام.

(٥) انظر خلاصة الأقوال: ١٧٦/ رقم الترجمة ١١.

(٦) يقصد به كتابه ملخّص المقال.. وهو قيد التحقيق.

(٧) انظر خلاصة الأقوال: ١٨٩/ رقم الترجمة ٦١.

وداود بن سرحان العطّار الكوفي: ثقة، روى عن «قر» و«ق»[١].

قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه سدير الصيرفي، فسلّم وجلس، فقال له: «يا سدير، ما كثر مال أحد[٢] قطّ إلّا كثرت[٣] الحجّة للّه تعالى عليه، فإن قدرتم تدفعونها[٤] عن أنفسكم فافعلوا».

فقال: يابن رسول الله، بماذا؟

فقال: «بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم»، ثمّ قال: «تلقّوا النعم ـ يا سدير ـ بحسن مجاورتها، واشكروا من أنعم عليكم، وأنعموا على من شكركم، فإنّكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله تعالى الزيادة، ومن إخوانكم المناصحة»، ثمّ تلا: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٥].

أقول: لا شكّ ولا ريب أنّ قضاء حوائج الإخوان والشكر للمنعم حسنهما عقليّ وموجب من الله الزيادة، ومن الإخوان المناصحة؛ ولذا قال: أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام: «من أُعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أُعطي الشكر لم يحرم الزيادة»[٦].

---

(١) انظر رجال النجاشي: ١٥٩/ رقم الترجمة ٤٢٠، خلاصة الأقوال: ١٤٣/ رقم الترجمة ١٠، نقد الرجال ٢: ٢١٣/ رقم الترجمة ١٩.

هذا وقد أجمع كلّ علماء الرجال كالنجاشي والحلّي والتفرشي، و... بأنّه من أصحاب الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام، وليس كما قال المصنّف بأنّه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام.

(٢) في المصدر: (رجل) بدل من: (أحد)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في وسائل الشيعة.

(٣) في المصدر: (عظمت) بدل من: (كثرت)، وفي «م» «ت»: (كثر)، وما أثبتناه من وسائل الشيعة.

(٤) في المصدر: (أن تدفعونها).

(٥) سورة إبراهيم ١٤: ٧.

(٦) رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ٤٥٢/ المجلس السادس عشر ـ ح ١٤.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من عظمت نعمة الله عليه اشتدّت مؤونة الناس إليه، فاستديموا النعمة باحتمال المؤونة، ولا تعرِّضوها للزوال، فقَلَّ من زالت عنه النعمة فكادت أن تعود إليه»[1].

(١) رواه الشيخ الكليني في الكافي ٤: ٣٧/ باب مؤونة النعم ـ ح ١.

الحديث التاسع[1]

«في أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون والفساد»

ما رواه **محمّد بن عليّ بن الحسين في معاني الأخبار**، عن أحمد بن الحسن القطّان، عن أحمد بن يحيى بن زكريّا، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم ابن بهلول، عن أبيه، عن عبد الله بن الفضيل، عن أبي خالد الكابلي.

أقول: أمّا محمّد بن عليّ بن الحسين فهو شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان، وإنّه رئيس المحدّثين المعبّر عنه في عبارات الأصحاب بالصدوق، وهو المولود بالدعوة الموصوف في التوقيع بالمقدّس الفقيه، وصرّح «مه» في «لف» بتعديله وتوثيقه، وقبله «طس»[2].

وأمّا أحمد بن الحسن: فالظاهر أنّه من مشايخ الصدوق ﷺ؛ لأنّه كثيراً ما يروي عنه مترضّياً[3].

---

(١) معاني الأخبار: ٢٧٠/ باب معنى تفسير الذنوب ـ ح٢، وعنه في وسائل الشيعة ١٦: ٢٨١/ باب ٤١ ـ ح٨، وبحار الأنوار ٧٠: ٣٧٥/ ح١٢.

(٢) «مه» يعني به العلّامة الحلّي، في «لف» مختلف الشيعة ٢: ١٣٥، و«طس» يعني به ابن طاووس في فلاح السائل: ١١. وانظر كلّ ذلك في تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٣١٨.

(٣) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢٤٧/ رقم الترجمة ١٣٢.

وأمّا أحمد بن يحيى: فالظاهر أنّه هو الذي يروي عنه الصدوق مترضّياً أيضاً[١].

وأمّا بكر بن عبد الله بن حبيب: فالظاهر أنّه بكر بن عبد الله بن حبيب المزني المذكور في الضعاف، يعرف وينكر[٢].

وتميم بن بهلول ليس في كتب رجالنا[٣].

وأمّا بهلول: فإن كان البهلول المشهور بالجنون، فالذي يظهر من كتب السير وغيرها فضله وجلالته وعلوّ رتبته؛ ولذا ذكرناه في الحسان، وإن كان غيره فلانعرفه[٤].

وعبد الله بن الفضيل: واقفيّ «ظم»[٥].

وأمّا أبو خالد الكابلي: فكأنّه صغير وكبير، والكبير اسمه «وردان» ولقبه «كنكر»، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «ارتدّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلّا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أُمّ الطويل، وجبير بن مطعم، ثمّ إنّ الناس لحقوا وكثروا»[٦]، وأبو خالد الكابلي من حواريّ عليّ بن الحسين عليهما السلام وثقاته[٧]، وفي

---

(١) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢٦٧/ رقم الترجمة ٢٦٩.

(٢) انظر رجال النجاشي: ١٠٩/ رقم الترجمة ٢٧٧.

(٣) وقع تميم بن بهلول في أسانيد الشيخ الصدوق، وقد ذكره النمازي في مستدرك علم رجال الحديث ٢: ٧٣/ رقم الترجمة ٢٢٩٥.

(٤) ذكره المصنّف رحمه الله في كتاب ملخّص المقال «مخطوط»، وترجمه السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث ٤: ٣٧٩/ رقم الترجمة ١٩٠٧.

(٥) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ٤: ٢١٦/ رقم الترجمة ١٧٦٧.

(٦) رواه الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٨/ ح ١٩٤.

(٧) انظر التحرير الطاووسي: ٥٩٠/ رقم الترجمة ٤٤٣.

«قر» و«ق»: وردان أبو خالد الكابلي الأصغر روى عنهما، والأكبر اسمه كنكر[١].

قال: سمعت زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «**الذنوب التي تغيّر النعم**: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٢].

والذنوب التي تورث الندم: قتل النفس التي حرّم الله، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه**﴾[٣]، وقال عزّ وجلّ[٤]: في قصّة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه فسوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله[٥]: ﴿**فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[٦]، وترك صلة القرابة حتّى يستغنوا، وترك الصلاة حتّى يخرج وقتها، وترك الوصيّة، وردّ المظالم، ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت وينغلق اللسان.

والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخريّة منهم.

والذنوب التي تدفع القسم: إظهار الافتقار، والنوم على العتمة، وعن صلاة الغداة، واستحقار النعم، وشكوى المعبود عزّ وجلّ.

والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي

---

(١) انظر كلّ ذلك في نقد الرجال للتفرشي ٥: ٢٤/ رقم الترجمة ٥٦١٦.

(٢) سورة الرعد ١٣: ١١.

(٣) سورة الاسراء ١٧: ٣٣.

(٤) قوله: (﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه﴾ وقال عزّ وجلّ) أثبتناه من المصدر.

(٥) قوله: (فسوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله) أثبتناه من المصدر.

(٦) سورة المائدة ٥: ٣١.

ما يُضحك الناس من اللغو والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والذنوب التي تُديل الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانطياع[1] للأشرار.

والذنوب التي تعجّل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسدّ طريق المسلمين، وادّعاء الإمامة بغير حقّ.

والذنوب التي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزّ وجلّ.

والذنوب التي تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين.

والذنوب التي تكشف الغطاء: الاستدانة بغير نيّة الأداء، والإسراف في النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام، وسوء الخلق، وقلّة الصبر، واستعمال الضجر والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التي تردّ الدعاء: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلاة المفروضات حتّى تذهب أوقاتها، وترك التقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وانطاع له: انقاد. (منه ﷺ)، (مجمع البحرين ٤: ٣٧٣ ـ طوع). وفي المصدر: (الانطباع) بالباء الموحدة.

والذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكّام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب[١] على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل وردّه بالليل».

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان: «بغى عليه»: يبغي بَغياً علا وظلم وعدل عن الحقّ واستطال وكذب[٢]، و«اصطنعت عند فلان صنيعة» أحسنت إليه[٣]، و«التطاول» ضدّ الخشوع، وتطاول علا وارتفع[٤]، و«العَتَمة» بفتحتين: صلاة العشاء أو وقت صلاة العشاء الآخرة، قيل: والوجه في تسمية صلاة العشاء بالعتمة؛ لأنّ الأعراب يعتمّون بالإبل في المرعى فلا يأتون بها إلّا بعد العشاء الآخرة فيسمّون ذلك الوقت عتمة، وعتمة الليل: ظلام أوّله عند سقوط نور الشفق، واعتمّ: دخل في العتمة مثل أصبح[٥].

و«عصمه الله»: من المكروه حفظه، والعصمة ـ بالكسر ـ المنع، والقِلادة[٦] ويضمّ ج كَعِنَب[٧]، و«الإدالة»: الغلبة[٨]، و«الفجر»: الانبعاث في المعاصي والزنا كالفجور فيهما[٩]، و«اليمين»: القسم، سُمِّي بذلك لأنّهم كانوا إذا حالفوا

---

(١) في المصدر: (القلوب)، وما أثبتناه من «م» «ت»: موافق لما في وسائل الشيعة وبحار الأنوار.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٣٠٤ ـ بغا.

(٣) مجمع البحرين ٤: ٣٦١ ـ صنع.

(٤) مجمع البحرين ٥: ٤١٤ ـ طول.

(٥) مجمع البحرين ٦: ١١٠ ـ عتم.

(٦) في حاشية «م» «ت»: والقلادة ـ بالكسر ـ ما جعل في العنق (القاموس المحيط ١: ٣٣٠).

(٧) القاموس المحيط ٤: ١٥١.

(٨) القاموس المحيط ٣: ٣٧٨.

(٩) القاموس المحيط ٢: ١٠٧.

ضرب كلّ منهم يمينه على يمين صاحبه، وقيل: هو مأخوذ من اليمين بمعنى القوّة؛ لأنّ الشخص به يتقوّى على فعل ما يحلف على فعله، وترك ما يحلف على تركه، وقيل: مأخوذ من اليمين والبركة لحصول التبرّك بذكر الله، وكلّ ذلك ذكره الشيخ أبو علي[١].

و«فجر»: الحالف فجوراً كذب ومال عن الصدق[٢]، و«البذاء» بالمدّ: الفحش والكلام القبيح[٣]، و«الأرملة»: التي لا زوج لها، والأَرْمَلُ الرجل الذي لا امرأة له[٤]، و«انتهره»: أي زبره وزجره[٥].

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الذنوب تتنوّع إلى ماليّة وبدنيّة، والبدنيّة إلى قوليّة وفعليّة، والفعليّة تختلف باختلاف الآلات التي تفعل بها إلى غير ذلك، فمنها ما يُغيّر النعم، ومنها ما ينزل النقم، ومنها ما يقطع الرجاء، ومنها ما يُديل الأعداء، ومنها ما يردّ الدعاء، ومنها ما يستحقّ بها نزول البلاء، ومنها ما يحبس غيث السماء، ومنها ما يكشف الغطاء، ومنها ما يعجّل الفناء، ومنها ما يظلم الهواء، ومنها ما يورث الندم، ومنها ما يهتك العصم، ومنها ما يدفع القسم، إلى غير ذلك، ويستفاد منها[٦] ومن الآيات الكثيرة كقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي

---

(١) حكاه الطريحي في مجمع البحرين ٦: ٣٣٢ ـ يمن، عن تفسير مجمع البيان ١٠: ٥٣.

(٢) مجمع البحرين ٣: ٤٣٥ ـ فجر.

(٣) انظر الصحاح ٦: ٢٢٧٩ ـ بذا.

(٤) مختار الصحاح: ١٤٠ ـ رمل.

(٥) مجمع البحرين ٣: ٥٠٧ ـ نهر.

(٦) في حاشية «م» «ت»: أي من الرواية. (منه ﷺ)

النَّاسِ﴾ [١]، وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [٢] وغير ذلك.

«في أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون والفساد»

والقرآن العظيم والفرقان الكريم مشحون، أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون، والفساد من تغيير النعمة، وإنزال النقمة، وإدالة الأعداء، وغير ذلك ممّا هو مذكور في الرواية، وعكسها الحسنات، وقد جاء في الحديث: «صلاة الليل تذهب بما عمل به في النهار» أي تمحوه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [٣] قيل في معناه: أنّ الصلوات الخمس يكفِّرن ما بينهنّ، يؤيّده ما روي في سبب نزول هذه الآية: أنّ رجلاً من الصحابة أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيّ ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، فقال الرجل: أفيّ هذا؟ فقال ﷺ: «لجميع أُمّتي كلّهم» [٤].

«في أنّ الذنوب منحصرة»

واعلم أنّ جميع الذنوب منحصرة في أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٤١.

(٢) سورة الرعد ١٣: ١١.

(٣) سورة هود ١١: ١١٤.

(٤) انظر صحيح البخاري ٤: ٣.

والحسد، والشهوة، والغضب، هكذا روي عنهم عليهم السلام[١]، ولذا عدّ علماء الأخلاق رضوان الله عليهم من رذائل القوّة الشهويّة طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه، ولا ريب في كونه مترتّباً على حبّ الدنيا والحرص عليها وهو أعظم المهلكات، وبه هلك أكثر من هلك، وجُلّ الناس حرموا عن السعادة لأجله، ومنعوا عن توفيق الوصول إلى الله بسببه، ومن تأمّل يعلم أنّ أكل الحرام أعظم حجب للعبد من نيل درجة الأبرار، وأقوى الموانع له عن الوصول إلى عالم الأنوار، وهو الموجب لظلمة القلب وكدورته، وهو الباعث لخبثه وغفلته، وهو العلّة العظمى لخسران النفس وهلاكتها، وهو السبب الأقوى لضلالتها وخبائثها، وهو الذي أنساها عهود الحمى، وهو الذي أهوها في مهاوي[٢] الضلالة والردى[٣]، وما للقلب المتكوّن من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس، وأنّىٰ للنطفة الحاصلة منه والوصول إلى مراتب الأُنس؟ كيف يدخل النور والضياء في قلب أظلمته أدخنة المحرّمات؟ وكيف يحصل الطهارة والصفاء لنفس أخبثتها قذارة المشتبهات؟ ولأمرٍ ما أصبح أصحاب الشرع وأُمناء الوحي محذِّرين عنه غاية التحذير، وزاجرين منه أشدّ الزجر.

---

(١) انظر مجمع البحرين ٢: ٦١ ـ ذنب، وروى الشيخ الصدوق في كتبه هذا الحديث عن هشام بن الحكم، انظر أمالي الصدوق: ٧٣٢/ المجلس السادس والسبعون ـ ح ٥، الخصال: ٢١٥/ باب الأربعة ـ ح ٣٦.

(٢) في حاشية «م» «ت»: والمهوى والمهواة، مابين الجبلين (الصحاح ٦: ٢٥٣٨ ـ هوي).

(٣) في حاشية «م» «ت»: الردي بالكسر، يردى ردى، أي هلك. (لغة منه رحمه الله)، (لسان العرب ١٤: ٣١٦ ـ ردي).

قال رسول الله ﷺ: «للّه ملكاً على بيت المقدس ينادي كلّ ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه[١] صرف ولا عدل»[٢] أي نافلة ولا فريضة.

وقال ﷺ: «من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أين أدخله النار»[٣].

وقال ﷺ: «كلّ لحم نبت من حرام، فالنار أولى به»[٤].

قال ﷺ: «من أصاب مالاً من مأثم، فوصل به رحماً، أو تصدّق به وأنفقه في سبيل الله، جمع الله ذلك جمعاً، ثمّ أدخله في النار»[٥].

وقال ﷺ: «إنّي أخوَف ما أخاف على أُمّتي من بعدي، هذه المكاسب الحرام، والشهوة الخفيّة، والربا»[٦].

وقال ﷺ: «من اكتسب مالاً من الحرام، فإن تصدّق به لم يقبل منه، وإن تركه كان زاده إلى النار»[٧].

وقال عليه السلام: «إذا كسب الرجل مالاً من غير حلّه، ثمّ حجّ فلبّى، نودي: لا لبّيك ولا سعديك، وإن كان من حلّه نودي: لبّيك وسعديك»[٨].

---

(١) (منه) أثبتناها من المصدر.

(٢) إحياء علوم الدين ٥: ٢٢، المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٤، جامع السعادات ٢: ١٧٢.

(٣) عدّة الداعي: ٧٣، المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٤، جامع السعادات ٢: ١٢٧.

(٤) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٤، جامع السعادات ٢: ١٢٧.

(٥) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٥، جامع السعادات ٢: ١٢٨.

(٦) الكافي ٥: ١٢٤/ باب المكاسب الحرام ـ ح ١.

(٧) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٥، جامع السعادات ٢: ١٢٨.

(٨) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٢٠٦، جامع السعادات ٢: ١٢٨.

وقال عليه السلام: «كسب الحرام، يبيّن [١] في الذرّيّة» [٢].

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [٣]: «إنّ أعمالهم كانت بأشدّ بياضاً من القباطي، فيقول الله تعالى: كوني هباءً [٤]، وذلك أنّهم كانوا إذا شرع [٥] لهم حرام أخذوه» [٦].

وقال الكاظم عليه السلام: «إنّ الحرام لا ينمي، وإن نمىٰ لا يبارك فيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه، وما خلّفه كان زاده [٧] إلى النار» [٨].

وفي بعض الأخبار: «إنّ العبد يوقف [٩] عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيُسئَل عن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن رعاية عياله والقيام بحقّهنّ حتّى تفنى تلك المطالبات تمام أعماله فلا يبقى له حسنة، فينادي

---

(١) في حاشية «م» «ت»: البيّن الفراق تقول فيه بان الشيء، يبيّن بيناً، وبينونة الشيء المنبث، الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٥: ٢٠٨٢ ـ بين، وج٦: ٢٥٣٢ ـ هبا).

(٢) الكافي ٥: ١٢٤/ باب المكاسب الحرام ـ ح ٤.

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ٢٣.

(٤) في حاشية «م» «ت»: والهباء، دقائق التراب، نثرت الشيء أنثره نثراً، والاسم النثار ومنه نثار العروس. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٢: ٨٢٢ ـ نثر، وج٦: ٢٥٣٢ ـ هبا).

(٥) في حاشية «م» «ت»: شرع، فتح. (منه عليه السلام)، (مجمع البحرين ٤: ٣٥٢ ـ شرع).

(٦) الكافي ٥: ١٢٦/ باب المكاسب الحرام ـ ح ١٠.

(٧) في حاشية «م» «ت»: الزاد، طعام يتخذ للسفر، المزود: ما يجعل فيه الزاد. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٢: ٤٨١ ـ زود).

(٨) الكافي ٥: ١٢٥/ باب المكاسب الحرام ـ ح ٧.

(٩) في حاشية «م» «ت»: والموقف، الموضع الذي تقف فيه، حيث كان قصّ أثره أي تبعه، وكذلك اقتصّ. (منه عليه السلام)، (الصحاح ٤: ١٤٤ ـ وقف).

الملائكة: هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارْتُهِنَ[١] اليوم بأعماله»[٢].

وورد: أنّ أهل الرجل وأولاده يتعلّقون به يوم القيامة فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون: يا ربّنا، خُذ لنا بحقّنا منه فإنّه ما علّمنا ما نجهل، وكان يُطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم، فيقتصّ لهم منه[٣].

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الرهن معروف، ورهنت الشيء عند فلان، بمعنى أرهنته. (منه ﷺ)، (الصحاح ٥: ٢١٢٨ ـ رهن).

(٢) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٧٢.

(٣) المحجّة البيضاء للكاشاني ٣: ٧٣.

الحديث العاشر[1]

«في فضيلة الصلاة ووجوبها في تشهّد الصلاة واختيارها على غيرها من الأعمال»

ما روى في **ثواب الأعمال**: عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ ابن معبد، عن واصل بن عبد الله، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام.

أقول: أمّا «عليّ» فثقة[2].

وأمّا أبوه «إبراهيم» فَحَسَنٌ عند المشهور[3].

و«عليّ بن معبد» ذكرناه في المهملات[4].

وأمّا «واصل» فإن كان هو الذي روى الكشّيّ عن واصل قال: طليت أبا الحسن عليه السلام فسددت مخرج الماء من الحمّام إلى البئر، ثمّ جمعت ذلك الماء

---

(١) ثواب الأعمال: ١٥٧/ ثواب من صلّى على النبي وأتبع أهل بيته، وعنه في وسائل الشيعة ٧: ٢٠٤/ باب ٤٢ ـ ح ١٠.

ورواه الشيخ الصدوق أيضاً في أماليه: ٦٧٥/ المجلس السادس والسبعون ـ ح ١٨.

(٢) انظر رجال النجاشي: ٢٦٠/ رقم الترجمة ٦٨٠.

(٣) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢١٣/ رقم الترجمة ٩٢.

(٤) ذكره المصنّف رحمه الله في كتابه «تلخيص المقال» وهو قيد التحقيق.

وتلك النورة، وذلك الشعر، فشربته كلّه[١]؛ فهذا يدلّ على علوّ اعتقاده، والسند صحيح فَحَسَنٌ[٢]، ولكن لم يذكر في الرجال أبوه، وإن كان غيره فلا نعرفه.

وأمّا «عبد الله» فمشترك بين أزيد من ثلاثمائة رجل.

وأمّا «عبد الله بن سنان» فثقة جليل، لا يُطعَن عليه بشيء، وكان خازناً للمنصور والمهدي بعده والهادي والرشيد، روى عن «ق» وقيل عن «ظم»، وليس بثبت[٣].

قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأميرالمؤمنين عليه السلام: «ألا أُبشّرك؟ قال: بلى ـ إلى أن قال: ـ قال: أخبرني جبرئيل أنّ الرجل من أُمّتي إذا صلّى عَلَيّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي، فُتِحَت له أبواب السماء، وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة، وإنّه لمذنب خطأ[٤] ثمّ تحاتّ عنه الذنوب، كما يتحاتّ الورق من الشجر، ويقول الله تبارك وتعالى: لبّيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة، وأنا أُصلّي سبعمائة صلاة. وإذا صلّى عَلَيّ، ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي، كان بينها وبين السماوات سبعون حجاباً، ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبّيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تُصعِدوا دعاءه، إلّا أن يلحق بالنبيّ عترته، فلا يزال محجوباً، حتّى يلحق بي أهل بيتي».

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٧١/ح ١١٤٤.

(٢) جامع الرواة ٢: ٢٩٩.

(٣) رجال النجاشي: ٢١٤/ رقم الترجمة ٥٥٨.

(٤) في المصدر: (للذنب خطأ) بدل من: (لمذنب خطأ)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في وسائل الشيعة.

بيانٌ: خطى الرجل خطأً ـ من باب علم ـ إذا أتى بالذنب متعمّداً، وعن أبي عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنى، وقال غيره: خطئ في الدين وأخطأ في كلّ شيء إذا سلك سبيل خطأ عامداً، ويقال: خطأ إذا أثم، وأخطأ إذا فاته الصواب، والخِطْاء ـ بالكسر فالسكون ـ الذنب وما فيه إثم، والخطاء ما لا إثم فيه[١].

وحتّ الورق حتّاً أزاله[٢]، وتحاتت عنه ذنوبه، أي تساقطت[٣].

عن ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريّته من صلبه، ولذلك سمّيت ذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله من عليّ وفاطمة عترة محمّد صلى الله عليه وآله[٤].

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» مَن العترة؟

فقال عليه السلام: «أنا والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين عليه السلام تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»[٥].

«في وجوب الصلاة على النبي وآله»

واعلم أنّ الكلام في الصلاة على النبيّ وآله يقع في مقامات:

---

(١) مجمع البحرين ١: ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ خطا.

(٢) مجمع البحرين ٢: ١٩٧ ـ حتت.

(٣) لسان العرب ٢: ٢٢ ـ حتت.

(٤) مجمع البحرين ٢: ٣٩٥ ـ عتر.

(٥) رواه الصدوق في عيون أخبار عليه السلام ١: ٦٠/ باب النصوص على الرضا عليه السلام بالإمامة ـ ح ٢٥.

منها: هل يجب الصلاه على النبيّ وآله في كلّ من التشهّدين أم لا؟ الأظهر الأشهر، بل عن **الناصريّات**[١] و**«المن»**[٢] و**«كرة»**[٣] و**«ح»**[٤]، و**«عد»**[٥] وعن **«ف»**[٦] و**«الغن»**[٧] و**«المع»**[٨] و**«ذكرى»**[٩] الإجماع عليه، واستدلّ عليه به[١٠] وبقوله تعالى: ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾[١١] والأمر للوجوب، ولا يجب في غير الصلاة إجماعاً فيجب فيها، وبروايات بطريق العامّة[١٢]، وبصحيحة زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من تمام الصوم إعطاء الزكاة، كالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة، ومن صام ولم يؤدّها فلا صوم إذا تركها متعمّداً، ومن صلّى ولم يصلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله فترك ذلك عمداً، فلا صلاة له إنّ الله تعالى بدأ بها قبل

---

(١) انظر الناصريات للشريف المرتضى: ٢٢٨.

(٢) انظر منتهى المطلب ٥: ١٨٧.

(٣) انظر تذكرة الفقهاء ٣: ٢٣٢/ مسألة ٢٩٣.

(٤) انظر تحرير الأحكام ١: ٢٥٧/ مسألة ٨٩٩، وجامع المقاصد ٢: ٣١٨ـ٣١٩.

(٥) انظر قواعد الأحكام ١: ٢٧٨ـ٢٧٩.

(٦) انظر الخلاف للطوسي ١: ٣٦٥ و٣٧٣/ المسألة ١٢٢ و١٣٢.

(٧) غنية النزوع لابن زهرة الحلبي: ٨٠.

(٨) انظر المعتبر للمحقّق الحلّي ٢: ٢٢٦.

(٩) انظر ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣: ٤٠٦.

(١٠) في حاشية «م» «ت»: أي بالإجماع. (منه رحمه الله)

(١١) سورة الأحزاب ٣٣: ٥٦.

(١٢) من روايات العامّة: سُئل الرسول صلى الله عليه وآله كيف يصلّى عليك؟ فقال: «قولو: اللّهمّ صلّى على محمّد وآل محمّد»، انظر سنن ابن ماجة ١: ٢٩٣/ ح ٩٠٤، سنن الدارمي ١: ٣٠٩، سنن أبي داود ١: ٢٥٧/ ح ٩٧٦.

الصلاة، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [١]»[٢].

وقد يقال: إنّ أقصى ما تدلّ عليه الرواية وجوب الصلاة على محمّد وآله في الصلاة، أمّا كونها في كلّ من التشهّدين فلا، على أنّ التشبيه ربّما اقتضى توجّه النفي إلى الفضيلة والكمال لا الصحّة؛ للإجماع على عدم توقّف صحّة الصوم على إخراج الزكاة، والغرض من ذلك تحرير الأدلّة وإلّا فلا ريب في رجحان الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع الأحوال، بل لا يبعد وجوبها كلّما ذكر اسمه كما يأتي، ويستفاد من روايتين وجوب إضافة الآل كما عليه الإجماعات المحكيّة، وقد ادّعى في **المنتهى والتذكرة**[٣] إجماع علمائنا أيضاً على وجوب الصلاة على آله عليهم السلام، وأنّ المجزي من الصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام أن يقول: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»، ويدلّ عليه صحيحة القدّاح[٤].

واعلم أنّ في مقابل هذه الروايات روايات أُخرى تدلّ على الاجتزاء في التشهّد بما دون ذلك، كرواية حبيب الخثعمي[٥]، ورواية بكر

---

(١) من قوله: (إنّ الله تعالى بدأ بها قبل الصلاة) إلى هنا أثبتناه من المصادر، والآيتان ١٤ و١٥ من سورة الأعلى.

(٢) رواها الصدوق في من لا يحضره الفقيه ٢: ١٨٣/ح ٢٠٨٥، والطوسي في تهذيب الأحكام ٢: ١٥٩/باب ٩ ـ ح ٨٣، وج ٤: ١٠٨/باب ٢٩ ـ ح ٤٨، والاستبصار ١: ٣٤٣/باب ١٩٦ وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في التشهّد ـ ح ١.

(٣) انظر منتهى المطلب ٥: ١٨٩، وتذكرة الفقهاء ٣: ٢٣٢/المسألة ٢٩٣.

(٤) صحيحة ابن القداح هي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللّهمّ صلّ على محمّد، فقال له أبي: يا عبد الله لا تبترها لا تظلمنا حقّنا، قل: اللّهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته». رواها الكليني في الكافي ٢: ٤٩٥/ح ٢١.

(٥) رواية حبيب الخثعمي هي: عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إذا جلس الرجل للتشهّد فحمد الله أجزأه» (تهذيب الأحكام ٢: ١٠١ و٣١٩/ح ٣٧٦ و١٣٠٥).

ابن حبيب[١]، وعلى هذه الروايات ونحوها اقتصر الصدوق والكليني في «في»[٢]، ويمكن حملها على حالة الضرورة أو التقيّة، والله أعلم.

ومنها: أنّه يستحبّ أن يزيد في تشهّده في الركعتين الأوليين، ما في رواية عبد الملك: «الحمد للّه، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته وارفع درجته»[٣].

والأكمل منه للتشهّدين، ما في موثّقة أبي بصير[٤].

ومنها: أنّه يستحبّ الإكثار من الصلاة على محمّد وآله واختيارها على ما سواها، ويدلّ عليه الروايات الكثيرة المذكورة في **الوسائل**، ونحن نذكر بعضها مخافة الإطناب:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه؛ فإنّه من صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صفّ من

---

(١) رواية بكر بن حبيب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التشهّد، فقال: «لو كان كما يقولون واجباً على الناس هلكوا إنّما كان القوم يقولون أيسر ما يعلمون إذا حمدت الله أجزأ عنك» (الكافي ٣: ٣٣٧/ ح ١).

هذا وقد قال الفيض الكاشاني في الوافي ٨: ٧٦٥/ في بيان على هذا الحديث ما نصّه: أراد عليه السلام أن ما يشتمل عليه تشهّد الناس يومئذ من التحيّات والتسليمات المتكررة والدعاء وغير ذلك ليس بواجب ولا متّهم به، وإنّما يكفيك بعد الإتيان بالشهادتين والصلاة على النبي التحميد الذي يؤتى به في التشهّد فإذا قلته حسبك عن سائر الأذكار التي يأتون بها فيه قبل أو بعد.

(٢) انظر الكافي ٣: ٣٣٧/ باب التشهّد في الركعتين الأوليتين والرابعة والتسليم.

(٣) تهذيب الأحكام ٢: ٩٢/ ح ٣٤٤.

(٤) انظر موثقة أبي بصير في تهذيب الأحكام ٢: ٩٩/ ح ٣٧٣.

الملائكة، ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلّا صلّى على العبد لصلاة الله وصلاة ملائكته؛ فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته»(١).

وروى محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج عليه السلام(٢) الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجح»(٣).

وقال الرضا عليه السلام في حديثٍ: «من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه، فليكثر من الصلاة على محمّد وآله، فإنّها تهدم الذنوب هَدْماً»(٤).

وقال عليه السلام: «الصلاة على محمّد وآله تعدل عند الله عزّ وجلّ، التسبيح والتهليل والتكبير»(٥).

ومنها: استحباب الإكثار من الصلاة على محمّد وآل محمّد في ليلة الجمعة ويومها.

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ١٩٣/ح ٩٠٩٠، عن الكافي ٢: ٤٩٢/ح٦.

(٢) في حاشية «م» «ت»: الظاهر أنّ فاعل «يخرج» هو الرسول بقرينة قوله عليه السلام في رواية أُخرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا عند الميزان يوم القيامة؛ فمن ثقلت سيّئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتّى أُثقّل بها حسناته». (منه رحمه الله)

(٣) وسائل الشيعة ٧: ١٩٢/ح ٩٠٨٧، عن الكافي ٢: ٤٩٤/ح ١٥.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ١٩٤/ح ٩٠٩٣، عن أمالي الصدوق: ١٣١/ح٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٥/صدر الحديث ٥٢.

(٥) وسائل الشيعة ٧: ١٩٤/ح ٩٠٩٤، عن أمالي الصدوق: ١٣٢/ح٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٥/ذيل ح ٥٢. وقوله: (والتكبير) أثبتناه من المصدر.

واستحباب الصلاة عليهم يوم الجمعة ألف مرّة، وفي كلّ يوم مائة مرّة، ويدلّ عليه أيضاً روايات مذكورة في **الوسائل**:

منها: ما روي عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا عمر، إنّه إذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذرّ، في أيديهم أقلام الذهب وقراطيس الفضّه، لا يكتبون إلى ليلة السبت إلّا الصلاة على محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم؛ فأكثر منها».

وقال: «يا عمر، إنّ من السنّة أنّ تصلّي على محمّد وأهل بيته في كلّ جمعة ألف مرّة، وفي سائر الأيّام مائة مرّة»[١].

رواه الشيخ بإسناده عن محمّد بن يعقوب، مثله[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من قال في يوم مائة مرّة «ربّ صلّى على محمّد وأهل بيته» قضى الله له مائة حاجة؛ ثلاثون منها للدنيا»[٣].

ومنها: كيفيّة الصلاة على محمّد وآله، ويدلّ عليها أيضاً روايات كثيرة:

منها: ما رواه ابن أبي حمزة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[٤].

فقال: «الصلاة من الله عزّ وجلّ رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس دعاء، وأمّا قوله عزّ وجلّ «وسلّموا تسليما» فإنّه يعني التسليم فيما ورد عنه».

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ٣٨٧/ح ٩٦٥٥، عن الكافي ٣: ٤١٦/ح ١٣.

(٢) تهذيب الأحكام ٣: ٤/ح ٩، وعنه في وسائل الشيعة ٧: ٣٨٧/ذيل ح ٩٦٥٥.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٣٨٧/ح ٩٦٥٤، عن ثواب الأعمال: ١٥٨.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣: ٥٦.

قال: فقلت له: فكيف نصلّي على محمّد وآله؟ قال: «تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمّد وآل محمّد والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته».

قال: فقلت: فما ثواب من صلّى على النبيّ بهذه الصلاة؟ قال: «الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته أُمّه»(١).

ومنها: استحباب ختم الكلام والدعاء بالصلاة على محمّد وآل محمّد صلّى الله عليهم، ويدلّ عليه قول النبيّ ﷺ: «من كان آخر كلامه الصلاة علَيّ وعلى علِيّ دخل الجنّة»(٢).

ومنها: استحباب ذكر الرسول عند ذكر الله وفي كلّ مجلس، وذكر الأئمّة عليهم السلام معه، وكراهة ذكر أعدائهم، ويدلّ عليه رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع في مجلس قوم ولم يذكروا الله عزّ وجلّ ولم يذكرونا، إلّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة».

ثمّ قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان»(٣).

وقال أبوالحسن الرضا عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ** ﴾(٤) «أي كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآل محمّد»(٥).

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ١٩٦/ح ٩١٠٠، عن معاني الأخبار: ٣٦٧/ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ١٩٩/ح ٩١٠٧، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٩/ح ٢٧٣.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ١٥٣/ح ٨٩٨١، عن الكافي ٢: ٤٩٦/ح ٢.

(٤) سورة الأعلى ٨٦: ١٥.

(٥) وسائل الشيعة ٧: ٢٠١/ح ٩١١٠، عن الكافي ٢: ٤٩٤/ذيل ح ١٨.

ومنها: استحباب الصلاة على محمّد وآل محمّد في أوّل الدعاء ووسطه وآخره، والدليل عليه رواية ابن القدّاح عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوني كقدح الراكب؛ فإنّ الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء، اجعلوني في أوّل الدعاء وفي آخره وفي وسطه»[١].

أقول: قوله ﷺ: «لا تجعلوني كقدح[٢] الراكب» يعني لا تؤخّروني في الذكر؛ لأنّ الراكب يعلّق قدحه في آخر رحله عند فراغه من ترحاله ويجعله خلفه.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنّ الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمّد وآله لا تحجب عنه»[٣].

ومنها: استحباب تقديم الصلاة على محمّد وآل محمّد كلّما ذكر أحد من الأنبياء وأراد أن يصلّي عليه، والدليل عليه رواية معاوية بن عمّار قال: ذكرت عند أبي عبد الله عليه السلام بعض الأنبياء فصلّيت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمّد وآله ثمّ عليه ﷺ وعلى جميع الأنبياء»[٤].

ومنها: هل يجب الصلاة على النبيّ ﷺ حيث ما ذكر أم يستحبّ؟ المشهور الثاني، بل عن **الناصريّات** و«**ف**» و«**المع**» و«**المن**» و«**كره**» الإجماع على عدم

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ١٨٤/ح ٨٨٢٩، عن الكافي ٢: ٤٩٢/ح ٥.

(٢) في حاشية «م» «ت»: القدح معروف والرحل للبعير كالسرج للفرس وترحل الناس أي تحملهم على الرجل والترحيل والارتحال بمعنى الازعاج والأشخاص. (لغة منه ﷺ)

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٩٥/ح ٨٨٣٣، عن الكافي ٢: ٤٩٤/ح ١٦.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٢٠٨/ح ٩١٢٩، عن أمالي الصدوق: ٤٦٢/ح ٦١٩.

الوجوب، وعن **كنز العرفان** القول بالوجوب، واختاره من مشايخنا المحدّثين صاحب «**ئق**»[1] ونقله عن الصدوق وشيخنا البهائي في **مفتاح الفلاح**، والمحدّث الكاشاني في **الوافي**، والصالح المازندراني في **شرح أُصول الكافي**، وبعض مشايخه البحرانيّين.

وقال المقدّس الأردبيلي في **آيات الأحكام**: ويحتمل وجوب الصلاة عليه كلّما ذكر كما دلّ عليه بعض الأخبار ـ إلى أن قال: ـ ويمكن اختيار الوجوب في كلّ مجلس مرّة إن صلّى آخر، أو إن صلّى ثمّ ذكر يجب أيضاً كما في تعدّد الكفّارة بتعدّد الموجب إذا تخلّلت وإلّا فلا.

احتجّ الموجبون بأدلّة عمدتها الأخبار وأظهرها دلالة وأصحّها سنداً صحيحتا زرارة، وفيهما: «وصلِّ على النبيّ كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في الأذان أو غيره»، وأمّا غيرهما من الأخبار فلا يخلو من قصور في الدلالة والسند كما لا يخفى على المتأمّل فيها.

واحتجّ الآخرون بالإجماعات المتقدّمة، وإطباق جلّ القدماء والمتأخّرين ومعظمهم على انتفاء الوجوب، بل كلّ القدماء.

وأمّا الصدوق فليس وجه النسبة إليه إلّا ذكر بعض الأحاديث المتضمّنة للأمر في كتابه، وكون كلّ أمر للوجوب عنده غير معلوم، ولذا ترى كتابه مشحوناً بالأوامر الغير المحصورة في الأدعية والآداب من غير ذكر معارض، ولم ينسب أحد غيره القول بوجوبه إليه.

---

(١) «ف»: الخلاف للشيخ الطوسي، و«المع» المعتبر، و«المن» منتهى المطلب، و«كره» تذكرة الفقهاء، وهذه للعلّامة الحلّي، و«ئق» صاحب الحدائق الناضرة، ومرّة آنفاً تخريجاته.

ولزوم العسر والجرح غالباً، سيّما إذا وجبت مع ذكر اسمه العلمي واللقبي والوصفي والضمير العائد إليه كما هو مقتضى الصحيحين، وعدم ذكره في أكثر الأدعية المشتملة على اسمه الشريف مع تكثّرها غاية الكثرة، وذكره في القرآن في مواضع كثيرة مع عدم تعرّضهم لوجوب الصلاة كما تعرّضوا لوجوب السجدات، واقتضاء وجوبها اشتهارها أكثر من ذلك، حيث إنّ الغالب في الأذانات الإعلاميّة سماعها جماعة غير محصورة سيّما في البلدان.

أقول: لا شكّ في أنّ مقتضى الصحيحين الوجوب مطلقاً، إلّا أنّ مخالفتها لإجماع القدماء ولا أقلّ من الشهرة العظيمة بينهم يدخل عمومهما في حيّز الشذوذ فالحكم بمقتضى عمومها والإفتاء به في غاية الإشكال، والاحتياط لا يترك في شيء من الأحوال.

ثمّ الوجوب أو الاستحباب ـ على الاختلاف ـ هل يختصّ بذكره ﷺ باسمه العلميّ وهو «محمّد» و«أحمد» أو يتعدّى إلى لقبه وكنيته بل ضميره الراجع إليه؟

صرّح الشيخ البهائي بالتعدّي إلى الأوّلين قطعاً، وإلى الأخير إمكاناً، والمحدّث الكاشاني في **خلاصة الأذكار** بالتعدّي إلى الثلاثة.

وفصّل صاحب الحدائق فتعدّى إلى ما استمرّت تسميته وتوصيفه به واشتهرت في الإطلاق كالمصطفى والنبيّ والرسول وأبي القاسم ونحوها دون ما ليس كذلك كالمختار وخير الخلق وخير البريّة، والضمائر.

والحقُّ التعدّي إلى الكلّ، لصدق ذكره ﷺ فإنّه يحصل بالكلّ ذكره، نعم لا يتعدّى إلى ما يذكر في ضمن الصلوات عليه بعد ذكره لخروجه بالقرينة الحاليّة ولزوم التسلسل.

وهل وجوبه أو استحبابه فوريّ أم لا؟

الأظهر: الثاني للأصل.

ولا يدلّ قوله: «كلّما ذكرت» على الفوريّة؛ لأنّ التوقيت المستفاد من لفظة «ما» يمكن أن يكون مختصّاً بالذكر دون المطويّات، ولو تكرّر الذكر يكتفي للجميع بصلوات واحدة إلّا إن تكرّر بعد الصلاة فيكرّر هي أيضاً[1].

(١) روى هذا المطلب المحقّق النراقي في مستند الشيعة ٥: ٣٣٦ ـ ٣٣٩.

الحديث الحادي عشر[1]

«في تنزيه الأنبياء عليهم السلام»

روى الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمّد بن بابويه قدّس الله روحه، عن تميم ابن عبد الله القرشي ـ ضعّفه «غض» و«صه»[2] وإن روى الصدوق عنه مترضّياً كثيراً ـ عن أبيه عبد الله بن تميم، عن حمدان بن سليمان النيشابوري[3]، عن عليّ بن محمّد بن الجهم ـ وهذه الثلاثة مجاهيل بل غير موجود في كتب رجالنا ـ قال:

قال المأمون لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ** ﴾ الآية[4] كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنّ الله تعالى لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧٤/الباب ١٥ ـ ذيل ح ١، التوحيد: ١٢١/الباب ٧ ـ ح ٢٤.

(٢) رجال ابن الغضائري: ٤٥/رقم الترجمة ٢١، خلاصة الأقوال: ٣٢٩/الفصل ٣ ـ رقم الترجمة ١.

(٣) في حاشية «م» «ت»: والموجود في كتب رجالنا أحمد بن سليمان الحجال روى عنه البرقي، ثمّ الظاهر أنّه غيره ولو كان هو فهو أيضاً مجهول. (منه رحمه الله)

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

فقال الرضا عليه السلام: «إنّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام عَلِمَ أنّ الله تعالى جلّ أن يُرىٰ بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه وقرّبه نجيّاً، رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله تعالى كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم[1] سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمع كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره[2] وسمعوا كلامه من فوقٍ وأسفلَ ويمينٍ وشمالٍ ووراءٍ وأمامٍ، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة، ثمّ جعله مُنْبَعِثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا الذي سمعناه[3] كلام الله حتّى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا[4]، بعث الله عزّ وجلّ عليهم صاعقة فأخذَتْهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ، ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم، وقالوا إنّك ذهبتَ بهم فقتلتهم؛ لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله تعالى إيّاك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله تعالى أن يُرِيَكَ تنظر إليه لأجابك، وكنت تُخْبِرُنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته، فقال موسى: يا قوم، إنّ الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يُعْرَفُ بآياته ويُعْلَمُ بأعلامه، فقالوا: لن نؤمنَ لك حتّى تسأله، فقال موسى: يا ربّ، إنّك قد سمعت

---

(١) من قوله: (سبعمائة ألف رجل) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) قوله: (أن يكلّمه ويسمع كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره) أثبتناه من المصدر.

(٣) (الذي سمعناه) أثبتناه من المصدر.

(٤) (واستكبروا وعتوا) أثبتناه من المصدر.

مقالة بني إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، سَلْني ما سألوك فَلَنْ أُؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلي معرفتي بك عن جهل قومي، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] منهم بأنّك لا تُرى».

فقال المأمون: للّه درّك، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَأىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [2].

فقال الرضا عليه السلام: «لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه، لهمّ بها كما همّت به لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام، أنّه قال: همت بأن تفعل، وهم بأن لا يفعل» [3].

فقال المأمون: للّه درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [4].

فقال الرضا عليه السلام: «ذاك يونس بن متّي عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه، فظنّ بمعنى استيقن ﴿أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أن لن نضيّق عليه رزقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [5] أي: ضيّق وقتّر، ﴿فَنَادىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

(٢) سورة يوسف ١٢: ٢٤.

(٣) من قوله: (ولقد حدّثني أبي) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٤) سورة الأنبياء ٢١: ٨٧.

(٥) سورة الفجر ٨٩: ١٦.

الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني[١] لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له، وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]».

فقال المأمون: للّه درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

قال الرضا عليه السلام: «لم يكن أحدٌ عند مشركي أهل مكّة، أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستّين صَنَماً، فلمّا جائهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٤]، فلمّا فتح الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله مكّة قال له: يا محمّد، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾[٥] عند مشركي أهل مكّة بدعائك إلى توحيد الله تعالى فيما تقدّم وما تأخّر؛ لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكّة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم»[٦].

---

(١) في «م» «ت»: (فرغت) بدل من: (قد فرغتني)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) سورة الصافّات ٣٧: ١٤٣ و ١٤٤.

(٣) سورة الفتح ٤٨: ٢.

(٤) سورة ص ٣٨: ٥ ـ ٧.

(٥) سورة الفتح ٤٨: ١ ـ ٢.

(٦) من قوله: (لأنّ مشركي مكّة أسلم) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

فقال المأمون: شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

بيانٌ: «نجيّا» فعيل بمعنى: المناجاة وهي المسارّة[١] وهو حال من فاعل قرّب، و«جهرةً» أي: عياناً، وانتصابها على المفعول المطلق أو الحال من فاعل «نرى» أو مفعول له[٢]، جعله «دكّاً» أي: مدكوكاً مفتّتاً[٣]، و«الخرور»: السقوط على الوجه[٤]، و«صَعِقا» أي: مغشيّاً عليه[٥]، و«همّ» بالشيء: قصده وعزم عليه[٦]، و«همّ بها» جواب «لولا» مقدّم عليها، أو دالّ على الجواب كما تقول: قتلتك لولا أن أخاف الله[٧].

«سبحانك إنّي كنت من الظالمين بتركي مثل هذه العبادة التي فُرِغْتُ لها في بطن الحوت» هذا الكلام منه عليه السلام لم أظفر به في شيء من التفاسير التي اطّلعت عليها، وهو يؤيّد ما قاله أهل الكشف والعرفان: من أنّ القرب الذي حصل ليونس على نبيّنا وعليه السلام في بطن الحوت، لم يحصل له قبل ذلك ولا بعده مثله حتّى جعلوا التقام الحوت معراجاً له عليه السلام، ونقلوا في ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٨]، وقد نظم العارف الرومي في المثنوي.

---

(١) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٩: ٤٥.

(٢) مجمع البحرين ٣: ٢٥٤ ـ جهر.

(٣) انظر زبدة التفاسير للكاشاني ٢: ٥٩٣.

(٤) انظر مجمع البحرين ٣: ٢٨٣ ـ خرر.

(٥) انظر مجمع البحرين ٥: ٢٠٢ ـ صعق.

(٦) تفسير جوامع الجامع ٢: ٢١٣.

(٧) تفسير جوامع الجامع ٢: ٢١٣.

(٨) انظر شرح الأسماء الحسنى للسبزواري ٣: ٨٣.

«إنّ هذا لشيء يراد» أي: هذا الأمر من نوائب الدهر يراد بنا فلا مردّ له، أو إنّ ما قصد محمّد ﷺ من الرياسة والترفّع على العرب والعجم لشيء يريده كلّ أحدٍ[١].

«ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة» أي: ما سمعنا بما يقوله ﷺ من التوحيد في الملّة التي أدركنا عليها آباءنا، أو في ملّة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فإنّ النصارى مثلّثون غير موحّدين أيضاً[٢].

و«الاختلاق» الكذب المخترع[٣].

توضيح حال وتزييف مقال: قيل: المراد ببرهان ربّه ما نَصَبَه من الدلائل العقليّة والنقليّة الدالّة على اجتناب المحارم والتباعد عن الذنوب والمآثم[٤]، وقد يستفاد من كلام الإمام صلوات الله عليه أنّ من جملة ذلك الهمّ بالمعصية والقصد إليها فإنّه عليه السلام جعل ذلك من منافيات العصمة حيث قال: «والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه»، اللهمّ إلّا أن يقال: جعل الهمّ بالمعصية منافياً للعصمة لا يقتضي كونه ذنباً؛ لجواز كونه من قبيل السهو والنسيان، فإنّهما ينافيان العصمة عند الإماميّة وليسا من الذنوب.

ومن جوّز على الأنبياء صلوات الله عليهم اقتراف المعاصي وارتكاب الآثام فسّر همّ يوسف عليه السلام بأنّه حلّ سراويله وجلس منها مجلس المجامع، وفسّر

---

(١) مجمع البحرين ٣: ٤٨ ـ ردد.

(٢) مجمع البحرين ٥: ٤٧٤ ـ ملل. في حاشية «م» «ت»: أي يجعلوه ابن وأُمّاً وهو تعالى ثالثهم. (منه ﷺ)

(٣) مجمع البحرين ٥: ١٥٧ ـ خلق.

(٤) حكى هذا القول عن بعضهم الطريحي في مجمع البحرين ٦: ٢١٣ ـ برهن.

البرهان بأنّه سمع صوتاً: إيّاك وإيّاها، فلم يرتدعْ، ثمّ سمعه ثانياً، فلم ينتبه، ثمّ سمع ثالثاً: أعرض عنها، فلم يزجر، حتّى تمثّل له يعقوب عاضّاً على أنمُلَته وقيل سمع صوتاً: يا يوسف، لا تكن كالطائر كان له ريش فلمّا زنى قعد لا ريش له.

وقيل: بَدَتْ كفّ فيما بينهما مكتوب فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [١] فلم ينصرف عمّا هو عليه، ثمّ رأى فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [٢]، فلم يتنبّه، ثمّ رأى فيها: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه﴾ [٣] فلم يتأثّر بذلك، فقال الله سبحانه لجبرئيل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحطّ جبرئيل وهو يقول: يا يوسف، أتعملُ عَمَلَ السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء [٤].

وأنا أقول: قاتل الله قوماً يعتقدون في أنبياء الله التلبّس بمعاصيه وعدم الانزجار والارتداع عمّا هم فيه مع مشاهدة هذه الزواجر الجليّة والروادع القويّة، نعوذ باللّه من اقتحام أودية الغواية، ونسأله العصمة والهداية.

وإنّي ليُعجبني كلام العلّامة الزمخشري في التشنيع عليهم أعمى الله أبصارهم وخذل أنصارهم، قال في **الكشّاف** ـ بعد نقل كلامهم وتبيين مرامهم ـ: هذا ونحوه ممّا يُورده أهل الحشو [٥] والجبر الذين دينهم بهت الله وأنبيائه، وأهل

---

(١) سورة الإنفطار ٨٢: ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٣٢.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٨١.

(٤) انظر زبدة التفاسير للكاشاني ٣: ٣٥٧ ـ ٣٥٨، والزمخشري في الكشّاف ٢: ٣١١ ـ ٣١٢، فقد ناقش هذه الأباطيل للحشويّة وقندها.

(٥) في حاشية «م» «ت»: أهل الحشو هم الذين يقولون: لا تحصل معرفة الله إلّا من القرآن والأخبار. (منه ﷺ)

العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم ـ بحمد الله ـ بسبيلٍ، ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلّة لنُعِيَتْ[١] عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نُعِيَت على آدم زلّته، وعلى داود وعلى نوح، وعلى أيّوب وعلى ذي النون، وذُكِرَتْ توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أُثْني عليه وسُمّي مُخْلِصاً، فَعُلِمَ بالقطع أنّه ثبت في ذلك المقام الدحِض وأنّه جاهد نفسه مجاهدة أُولي القوّة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتّى استحقّ من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأوّلين.

ثمّ في القرآن الذي هو حجّة على سائر كُتُبه مُصدِّقٌ لها ولم يقتصر إلّا على استيفاء قصّته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفّة وطيب الأزرار في التثبّت في مواقف العثار، فأخزى الله أُولئك في إبراهيم ما يؤدّي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العزيز المبين، ليقتدى بنبيّ من أنبياء الله في القعود بين شعب[٢] الزانية وفي حلّ تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربّه ثلاث كرّات ويصاح به من عنده ثلاث صيحاتٍ بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سَفَدَ[٣] غير أُنثاه وهو حائم في مربضه ولا يتحلحل[٤] ولا ينتهي ولا يتنبّه حتّى يتداركه الله بجبرئيل، ولو أنّ أوقح[٥] الزناة وأشطرهم وأحدّهم

---

(١) في حاشية «م» «ت»: النعي: اظهار خبر الردى. (منه ﷺ)

(٢) في حاشية «م» «ت»: المراد بالشعب: اليدان والرجلان. (منه ﷺ)

(٣) في حاشية «م» «ت»: السفاد: نزو الذكر على الأُنثى. (منه ﷺ)

(٤) في حاشية «م» «ت»: والتحلل: التزلزل. (منه ﷺ)

(٥) في حاشية «م» «ت»: ووقاحت في حياء. (منه ﷺ)

صدقة وأجلحهم [١] وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبيّ الله ممّا ذكروا لما بقي له عِرْقٌ ينبض [٢] ولا عضو يتحرّك، فيا له من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبينه [٣]، انتهى كلام العلّامة جزاه الله عن أنبياء الله خيراً.

وللفخر الرازي في هذا المقام كلاماً جيّداً تنازعني نفسي إلى ذكره، وتأبى أن أطويه على غَرِّه، قال في **التفسير الكبير**: إنّ الذين لهم تعلّق بهذه الواقعة هم: يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها، والنسوة والشهود وربّ العالمين وإبليس، وكلّهم قالوا ببرائة يوسف عليه السلام عن الذنب فلم يبق لِمُسْلم توقّف في هذا الباب:

أمّا يوسف فلقوله: ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي** ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي** ﴾ [٥].

وأمّا المرأة فلقولها: ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ** ﴾ [٦]، وقالت: ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ** ﴾ [٧].

وأمّا زوجها فلقوله: ﴿ **إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [٨].

وأمّا النسوة فلقولهنّ: ﴿ **امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا**

---

(١) في حاشية «م» «ت»: الأجلح: عديم الحياء. (منه عليه السلام)

(٢) في حاشية «م» «ت»: وينبض: أي يتحرّك. (منه عليه السلام)

(٣) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢: ٣١٢.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٢٦.

(٥) سورة يوسف ١٢: ٣٣.

(٦) سورة يوسف ١٢: ٣٢.

(٧) سورة يوسف ١٢: ٥١.

(٨) سورة يوسف ١٢: ٢٨.

﴿لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (١)، وقولهنّ: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ (٢).

وأمّا الشهود فلقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٣).

وأمّا شهادة الله بذلك فقوله عزّ من قائل: ﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤).

وأمّا إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٥) فأقرّ بأنّه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين وقد قال الله تعالى: «إنّه من عبادنا المخلصين» فقد أقرّ إبليس بأنّه لم يُغْوِهِ، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهّال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله، فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته (٦)، انتهى كلامه وهو كلام ظريف جيّد جدّاً.

إرشاد فيه سداد: اضطرب كلام المفسّرين الذين لا يجوّزون صدور الذنوب صغيرها وكبيرها عن الأنبياء عليهم السلام في تفسير آية ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٧) فإنّ ظاهرها صدور الذنب سابقاً ولاحقاً منه صلى الله عليه وآله، وما ذكره الإمام عليه السلام هو الوجه الصحيح والحقّ الصريح الذي لا ريب فيه ولا شكّ يعتريه.

وقد ذكر أصحاب السير أنّ المشركين كانوا يقولون: إن مكّن الله تعالى محمّداً

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٣٠.

(٢) سورة يوسف ١٢: ٥١.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٢٦.

(٤) سورة يوسف ١٢: ٢٤.

(٥) سورة ص ٣٨: ٨٢ و٨٣.

(٦) تفسير الرازي ١٨: ١١٦ ـ ١١٧.

(٧) سورة الفتح ٤٨: ٢.

من بيته وحكمه في حرمة تبيّنا أنّه نبيّ حقّ، فلمّا يسّر الله له عليه فتح مكّة دخلوا في دين الله أفواجاً وأذعنوا بنبوّته كما نطق به الكتاب العزيز، وزال إنكارهم عليه في الدعوة إلى ترك عبادة الأصنام، وصار ذنبه عندهم مغفوراً[1]، كما قرّره الإمام عليه السلام.

ولا يخفى أنّه إذا حمل الذنب المذكور في الآية على معناه الظاهري الذي فهمه أكثر المفسّرين، لم يصحّ تعليل الفتح بغفران الذنب إلّا بتكلّم بعيد كأن يقال: لمّا كان الفتح متضمّناً لجهاد العدوّ صحّ بهذا الاعتبار جعله سبباً لغفران الذنب المتقدّم والمتأخّر، وأمثال ذلك ممّا لا يخفى بُعده.

وأمّا على ما قرّره الإمام عليه السلام في الجواب فاستقامة التعليل ممّا لا يحوم حوله شكّ ولا ارتياب، والعجب من أكثر علماء الشيعة الإماميّة ومفسّريهم، كشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، والشيخ الجليل أمين الإسلام الشيخ أبي علي الطبرسي، والسيّد الأجل قدوة أهل الإيمان المرتضى علم الهدى قدّس الله أرواحهم، مع كثرة تصنيفهم في التفسير والحديث والكلام، كيف لم يذكروا في شيء من كتبهم هذا الجواب الذي ذكره الإمام عليه السلام وذكروا وجوهاً ضعيفة لاتشفي العليل ولا تروي الغليل مع أنّ هذا الحديث موجود في مؤلّفات الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمّد بن بابويه، ككتاب **عيون الأخبار** وغيره، وزمانه طاب ثراه متقدّم على زمانهم.

وأمّا الذين يجوّزون صدور المعاصي عن الأنبياء صلوات الله عليهم، فمن جوّز عليهم الصغائر والكبائر معاً أبقى الذنب على عمومه، وقال: المراد بما

---

(١) الوافي للكاشاني ١٣: ٨٢٦.

تقدّم وما تأخّر ما وقع منه عليه السلام قبل النبوّة وبعدها، أو قبل الفتح وبعده، أو ما وقع وما سيقع، أو ذنب أبويك آدم وحوّاء ببركتك، وذنب أُمّتك بدعوتك.

ومن جوّز الصغائر فقط ومنع صدور الكبائر عنهم عليهم السلام حمل الذنب على الصغائر وجعل التقدّم والتأخّر كما جعله أُولئك، وكلّ هذه الوجوه مشتركة في عدم استقامة التعليل بدون تكلّف.

ولا يخفى أنّ التقدّم والتأخّر على تفسير الإمام عليه السلام لا يمكن حمله على ما قبل النبوّة وبعدها؛ لأنّه صلوات الله عليه لم يدعهم إلى التوحيد قبل النبوّة، ولا على قبل الفتح وبعده؛ لأنّهم أذعنوا له صلى الله عليه وآله بعد الفتح ولم يكن مذنباً عندهم حينئذٍ، اللهمّ إلّا أن يراد بالنسبة إلى من بلغهم خبر الفتح بعد مدّة، والأنسب حمل ذلك على ما صدر منه صلوات الله عليه من الدعوة إلى التوحيد قبل الهجرة وبعدها، كذا قال الشيخ البهائي رحمه الله[1].

---

(١) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٢٦٠ ـ ٢٦٢.

الحديث الثاني عشر[1]

«في أنّ يهوديّاً كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضاه»

ما رواه عماد الإسلام محمّد بن بابويه، عن الحسين بن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن يحيى الخزّاز، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

أقول: أمّا ابن بابويه عند الإطلاق فهوثقة الإسلام المعروف بالصدوق وقد مرّ.

وأمّا ابن إدريس فلم أجد في كتب رجالنا[2].

وأمّا ابن محمّد فهو ثقة، شيخ القمّيّين ووجههم وفقيههم[3].

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٥١ ـ ٥٥٢/المجلس الحادي والسبعون ـ ح٦ و٧.

(٢) في المصدر: (الحسين بن أحمد بن إدريس)، وقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله: ٤٢٥/ رقم الترجمة ٦١١٣ فقال: روى عنه محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه.

وقال الأردبيلي في جامع الرواة ١: ٢٣٢: الحسين بن أحمد بن إدريس القمي الأشعري، يكنّى أبا عبد الله، روى عنه التلعكبري ومحمّد بن عليّ بن بابويه.

(٣) رجال النجاشي: ٨١ ـ ٨٢/ رقم الترجمة ١٩٨.

وأمّا ابن يحيى الخزّاز ـ بالمعجمات ـ ثقةٌ عين [١].

وأمّا ابن إسماعيل فهو رجل واحد في كتب الرجال، له كتب في الفقه والتفسير [٢].

وأمّا أبوه إسماعيل فهو مشترك بين خمسة وتسعين رجلاً [٣].

قال: إنّ يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضاه، فقال له [٤]: «يا يهودي، ما عندي ما أعطيك».

قال: فإنّي لا أُفارقك ـ يا محمّد ـ حتّى تقضيني.

فقال ﷺ: «إذاً أجلس معك»، فجلس ﷺ معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: «ما الذي تصنعون به؟».

فقالوا: يا رسول الله، يهوديّ يَحبسك!

فقال ﷺ: «لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره».

فلمّا علا النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلتُ بك الذي فعلت إلّا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنّي قرأتُ نعتك في التوراة: محمّد بن عبد الله، مولده

---

(١) رجال النجاشي: ٣٥٩/ رقم الترجمة ٩٦٤.

(٢) رجال النجاشي: ٤١٠/ رقم الترجمة ١٠٩١.

(٣) يمكن القول ـ بعد أن تبيّن بأنّ موسى بن إسماعيل قد روى كتبه محمّد بن الأشعث، كما في رجال النجاشي ـ أنّه: إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فقد روى كتبه ابن الأشعث (انظر رجال النجاشي: ٢٦/ رقم الترجمة ٤٨).

(٤) (له) أثبتناها من المصدر.

بمكّة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظّ ولا غليظاً، ولا سخّاب، ولا مُتَرَنّن[١] بالفحش، ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، وهذا مالي فاحكُمْ فيه بما أنزل الله، وكان اليهوديّ كثير المال.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: «كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة، وكانت مرفقته أدم، حشوها ليف، فثُنِّيَتْ له ذات ليلة، فلمّا أصبح قال: لقد منعني الفراش الليلة الصلاة، فأمر صلى الله عليه وآله أن تجعل بطاقٍ واحدٍ».

بيان: «معاهد» اسم مفعول من العهد بمعنى: الأمان والذمّة[٢]، و«الشطر»: النصف والجزء المطلق[٣]، وكلّ منهما محتمل هنا.

«مولده بمكّة» الملّ بمعنى: النقض والهلاك، وسمّي البلد الحرام مكّة؛ لأنّها تُنقِّض الذنوب، أو تفنيها، أو تهلك من قصدها بظلمٍ كما وقع لأصحاب الفيل[٤].

«ومهاجره بطَيْبَة»، «مُهاجَر» بفتح الجيم: أي موضع هجرته، و«الهِجْرَة» بكسر الهاء أو ضمّها: الخروج من أرض إلى أرض[٥]، و«طَيْبَة»: بفتح الطاء وسكون الياء مدينة الرسول صلى الله عليه وآله[٦].

«ليس بِفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّاب» الفظّ والغليظ متقاربان وهما بمعنى: السيّئ

---

(١) في المصدر: (ولا متزين).

(٢) انظر تاج العروس ٥: ١٤٧ ـ عهد.

(٣) مجمع البحرين ٣: ٣٤٦ ـ شطر.

(٤) مجمع البحرين ٥: ٢٨٩ ـ مكك.

(٥) المصباح المنير: ٦٣٤ ـ هجرا.

(٦) الصحاح ١: ١٧٣ ـ طيب.

الخُلْق القاسي القلب والخشن الكلام[١]، و«السخّاب» بالسين المهملة والخاء المعجمة المشدّدة آخره باء تحتانيّة صيغة مبالغة في «السَخَب» بالتحريك: وهو شدّة الصوت، تساخب القوم أي: تصايحوا وتضاربوا، و«السخب»: الصيحة واضطراب الأصوات للخصام[٢].

«ولا مترنّن بالفحش ولا قول الخنا»، «مترنِّن» بالراء المهملة والنونين من «الرنّة» بالفتح والتشديد بمعنى: الصوت، و«الخناء» بالخاء المعجمة المفتوحة والنون: مرادف للفحش[٣].

و«عباءة» الهاء في «عباة» يجوز أن يكون ضميراً راجعاً إليه وأن يجعل تاءً من أصل الكلمة.

«وكانت مِرْفَقَتُهُ أَدَم»، «المِرْفَقَة»: المخدّة[٤]، و«الأَدَم»: بفتحتين جمع أديم وهو الجلد[٥].

«فثُنِّيت»: أي العباءة، بمعنى جعلت على طاقين.

«لقد منعني الفراش الليلة الصلاة»: أي إنّه للينه ونعومته لم تسمح النفس بمفارقته والقيام عنه إلى صلاة الليل، ولعلّه ﷺ أراد بالصلاة بعضها، فإنّ أصحابنا على أنّ قيام بعض الليل وصلاة الوتر كانا من خصائصه الواجبة عليه ﷺ.

---

(١) انظر مجمع البحرين ٤: ٢٨٩ ـ فظظ.

(٢) انظر مجمع البحرين ٢: ٨١ ـ سخب.

(٣) انظر مجمع البحرين ٦: ٢٥٨ ـ رنن.

(٤) الصحاح ٤: ١٤٨٢ ـ رفق.

(٥) لسان العرب ١٢: ١٠ ـ أدم.

الحديث الثالث عشر[1]

«في وصيّة عليّ عليه السلام»

ما رواه شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي، قال حدّثنا محمّد بن محمّد ابن النعمان في شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة، حدّثنا عمر بن محمّد بن علي الصيرفي المعروف بابن الزيّات، حدّثنا أبو محمّد بن همّام الأسكافي، حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك، حدّثنا أحمد بن سلامة الغنوي، حدّثنا محمّد بن الحسين العامري، حدّثنا أبو معمّر، عن أبي بكر بن عيّاش، عن الفُجَيع العقيلي، حدّثنا الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

أقول: أمّا شيخنا محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله: فهو أجلّ من أن يوصف؛ رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين صدوق، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل[2].

وكذلك محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد: أوثق أهل زمانه وأعلمهم،

---

(١) رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ٧/المجلس الأوّل ـ ح٨، عن أمالي المفيد: ٢٢٠/المجلس السادس والعشرين ـ ح١.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٤٩/رقم الترجمة ٤٧.

انتهت رئاسة الإماميّة في وقته إليه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية[١].

وأمّا أبو محمّد بن همّام الأسكافي: فهو شيخ أصحابنا ومتقدّمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، جليل القدر ثقة، ومحمّد هو الذي كتب أبوه إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام يعرّفه أنّ له حملاً ويسأله أن يدعو له ويجعله ذكراً نجيّاً من مواليهم، فوقّع عليه السلام على رأس الرقعة بخطّ يده: «قد فعل ذلك» فصحّ الحمل ذكراً[٢].

أمّا جعفر بن محمّد بن مالك فمختلف فيه؛ ضعّفه «جش»[٣]، وقال «غض»: كلّ عيوب الضعفاء مجتمعة فيه[٤]، وقال الشيخ في «لم»: ثقة، ونسب تضعيفه إلى قوم[٥]؛ فتتبّع.

وأمّا أحمد بن سلامة الغنوي، فالظاهر أنّه ابن سلامة الجزائري، وكان فاضلاً صالحاً فقيهاً[٦].

وأمّا محمّد بن الحسين فهو مشترك بين عشرة رجال.

وأمّا أبو معمّر فليس في الكُنى.

وأمّا ابن عيّاش، فالظاهر أنّه أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن الحسن بن

---

(١) خلاصة الأقوال: ٢٤٨/ رقم الترجمة ٤٦.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٤٦/ رقم الترجمة ٣٩.

(٣) رجال النجاشي: ١٢٢/ رقم الترجمة ٣١٣.

(٤) رجال ابن الغضائري: ٤٨/ رقم الترجمة ٦.

(٥) رجال الطوسي: ٤١٨/ باب ذكر أسماء من لم يرو عن واحد من الأئمّة ـ رقم الترجمة ٢.

(٦) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢٦٨/ رقم الترجمة ١٥٦.

عيّاش أبو عبد الله، كان سمع الحديث وأكثر، واضطرب في آخر عمره إلّا أنّ كنية هذا أبو عبد الله وكنيته أبو بكر[١]؛ فليتأمّل.

وأمّا الفُجَيع العقيلي فليس في رجالنا.

قال: «لمّا حَضَرَتْ أبي الوفاة أقبل يوصي[٢]، فقال عليه السلام: هذا ما أوصى به عليّ ابن أبي طالب أخو محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه وصاحِبُه. أوّل وصيّتي أنّي أشهدُ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسوله وخيرته[٣]، اختاره بعلمه، وارتضاه بخيرته[٤]، وأنّ الله باعث مَن في القبور، وسائلُ الناس عن أعمالهم، عالِمٌ بما في الصدور.

ثمّ إنّي أُوصيك ـ يا حسنُ ـ وكفى بك وصيّاً بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان ذلك ـ يا بُنيّ ـ الزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك.

وأُوصيك ـ يا بُنيّ ـ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد[٥] والعدل في الرضا والغَضَب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب[٦] البلاء، وصلةُ الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنّه من أفضل العبادة، وقصر الأمل وذكر

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٨٥/ رقم الترجمة ٢٠٧.

(٢) في حاشية «م» «ت»: ولو لم يكن في هذا الكتاب المستطاب إلّا هذا الخبر الشريف والمعني اللطيف لكفى به موعظة لمن اتّعظ وعبرة لمن اعتبر. (منه رحمه الله)

(٣) (وخيرته) أثبتناها من المصدر.

(٤) في المصدر: (لخيرته)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في أمالي المفيد.

(٥) (والاقتصاد) أثبتناها من المصدر.

(٦) في «م» «ت»: (وحسن) بدل من: (وأصحاب)، وما أثبتناه من المصدر.

الموت والزهد في الدنيا[١] فإنّك رهين موت، وغرض بلاء وطريح[٢] سقم.

وأُوصيك بخشية الله في سرائرك[٣] وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدء به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّه حتّى تُصيب رشدك فيه.

وإيّاك ومواطن التُهمة، والمجلس المظنون به السوء؛ فإنّ قرين السوء يَغرُّ جليسه، وكُن للّه ـ يا بُنيّ ـ عاملاً، وعن الخنا زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وراخ[٤] الإخوان في الله، وأحِبّ الصالح لصلاحه[٥]، ودار الفاسق عن دينك، وأبغضه بقلبك وزائله بأعمالك لئلّا[٦] تكون مِثْلَه.

وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودع المماراة، ومجاراة من لاعقل له ولاعلم، واقتصد ـ يا بُنيّ ـ في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصُمْتَ تسلَمْ، وقَدِّم لنفسك تَغْنَمْ، وتَعَلَّم الخير تعلم، وكُن للّه ذاكراً على كلّ حال، وارْحَم من أهلك الصغير، ووقِّر منهم الكبير، ولا تأكُلنّ طعاماً حتّى تصدّق منه قَبْلَ أكله، وعليك بالصوم فإنّه زكاة البدن وجُنّة لأهله، وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذكر، وأكثر من الدعاء فإنّي لَمْ آلُك يا بُنيّ نُصحاً، وهذا فراق بيني وبينك».

---

(١) (في الدنيا) أثبتناها من المصدر، وفي المصدر: (واذكر الموت، وأزهد في الدنيا)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في أمالي المفيد.

(٢) في المصدر: (وصريع)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في أمالي المفيد.

(٣) في المصدر: (سر أمرك).

(٤) في المصدر: (وواخ) وسيأتي شرح معنى (وراخ).

(٥) (لصلاحه) أثبتناها من المصدر.

(٦) في المصدر: (كي لا)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في أمالي المفيد.

بيان: «الخُبْرة» بالخاء المعجمة المضمومة والباء الموحّدة الساكنة يرادف العلم[١]، فهذه الجملة كالمؤكّدة قبلها.

وقوله: «فإذا كان ذلك» إشارة إلى حلول أجله عليه السلام، و«كان» تامّة.

«عند محلِّها» بكسر الحاء: أي أجلها وهو حلول الحول[٢] في النقدين والأنعام، وحول الزكاة عندنا أحد عشر شهراً.

«وحُسنُ الجوار»، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه»[٣]، والأحاديث في ذلك كثيرة، وليس حسن الجوار كفّ الأذى عنه فقط بل تحمّل الأذى منه أيضاً، ومن جملة حسن الجوار ابتدائُهُ بالسلام، وعيادته في المرض، وتعزيته في المصيبة، وتهنئته في الفرح، والصفح عن زلّاته، وعدم التطلّع إلى عوراته، وترك مضايقته في ما يحتاج إليه من وضع جذوعه على جدارك وتسليط ميزابه إلى دارك وما شابه ذلك.

«وإكرام الضيف»، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فَلْيُكْرِم ضيفه»[٤]، إلى غير ذلك من الأحاديث، ومن جملة إكرامه تعجيل الطعام، وطلاقة الوجه، والبشاشة، وحُسن الحديث معه حال المؤاكَلَة، ومشايعتُهُ إلى باب الدار وأمثال ذلك.

---

(١) مجمع البحرين ٣: ٢٨٢ ـ خبر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: بخلاف أهل اللغة فإنّ الحول عندهم إثنا عشر شهراً. (منه رحمه الله)

(٣) انظر من لا يحضره الفقيه ٤: ١٣، أمالي الطوسي: ٥٢٠.

(٤) انظر الكافي ٢: ٦٦٧/ح٦.

«في أنّ الفاكهة قبل الطعام أوفق بالطب وأبعد عن الضرر»

وقد عُدَّ مِن جملة إكرام الضيف تقديم الفاكهة إليه قبل الطعام؛ لأنّه أوفق بالطبّ وأبعدُ عن الضرر كما قدّمها سبحانه في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (١).

«ورحمة المجهود»: أي الذي وقع في تعبٍ ومشقّة (٢).

«وحبّ المساكين ومجالستهم» روي: أنّ الحسن عليه السلام اجتاز بالمدينة في طريقٍ وهو راكب فرأى جماعةً من المساكين وقد أخرجوا كِسَراً يابسةً وهم يأكلونها، فسلّم عليهم، فقالوا: هَلُمّ يابن رسول الله إلى الغداء، فنزل عليه السلام وجلس معهم على الأرض وشاركهم في الأكل حتّى فرغوا، ثمّ قام (٣).

وروي: أنّه عليه السلام مرّ يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون، وكان عليه السلام صائماً، فقالوا: هَلُمّ إلى الغداء؟

فقال: «إنّي صائمٌ»، وخشي أن يكون قد حصل لهم بذلك كَسْرُ قلبٍ، فقال: «تأتوني الليلة جميعاً لأفطرُ معكم»، فأتوه عند المساء وأكل معهم على خوان واحدٍ جبراً لقلوبهم، وربّما روي ذلك عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام (٤).

---

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٢٠ و ٢١.

(٢) مجمع البحرين ٣: ٣٣ ـ جهد.

(٣) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٠٦/ الحديث الثاني والعشرون.

(٤) انظر الكافي ٢: ١٢٣/ باب التواضع ـ ح٨، الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٠٦/ الحديث الثاني والعشرون.

«وقِصَر الأمل»، في الحديث: إذا أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلاتحدِّث نفسك بالصباح، وخُذ مِن صحّتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنّك لا تدري ما اسمك غداً[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما أخاف عليكم اثنين: اتّباع الهوى وطول الأمل؛ أمّا اتّباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فإنّه يُنسي الآخرة»[٢].

وروي أنّ أُسامة بن زيد بن ثابت، اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «ألا تعجبون من أُسامة المشتري إلى شهرٍ؟! إنّ أُسامة لطويل الأمل»[٣]، الحديث.

وسبب طول الأمل هو حبّ الدنيا، فإنّ الإنسان إذا أنس بها وبلذّاتها ثقل عليه مفارقتها، وأحبّ دوامها، فلا يتفكّر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فإنّ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يزيله ويبطله، فلا يزال يمنّي نفسه البقاء في الدنيا بقدر حصول ما يحتاج إليه من أهل ومال وأدوات وأسباب، ويصيّر فكره مستغرقاً في ذلك فلا يخطر الموت بخاطره، وإن خطر بباله الموت والتوبة والإقبال على الأعمال الأُخرويّة أخّر ذلك من يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر، ومن سنة إلى سنة، وقال: إلى أن اكتهل ويزول سنّ الشباب، فإذا اكتهل قال: إلى أن أصير شيخاً، فإذا شاخ قال: إلى أن أُتمّم عمارة هذه الدار وأُزوّج ولدي فلاناً، أو إلى أن أرجع من هذا السفر، وهكذا يؤخّر التوبة شهراً بعد شهر، وسنة بعد

---

(١) انظر أمالي الطوسي: ٥٢٦/ح١١٦٢.

(٢) الكافي ٣٣٥/ باب اتباع الهوى ـ ح٣.

(٣) روضة الواعظين: ٤٣٧.

سنة، وكلّما فرغ من شغل عرض له شغل بل أشغال حتّى يختطفه الموت وهو غافل عنه، غير مستعدّ له، مستغرق القلب في أُمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته وتكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين، نعوذ باللّه منه[١].

«فإنّك رهين موتٍ» فعيل بمعنى مفعول، أي إنّك مرهون الموت وماله وقد رهنك في هذه الدنيا مدّة قليلة ثمّ عن قريب يفكّ رهنه ويتصرّف في ماله[٢].

«وغرض بلاء» بالغين والضاد المعجمين: أي هدف بلاء[٣].

«وطريح سُقم»: أي مطروح له ذليل عنده وهو متمكّن منك غاية التمكّن، إذ الإنسان لتركّبه من الموادّ المضادّة المشرفة على الانحلال في غاية الاستعداد للأمراض والأسقام، و«السَقَم» بفتحتين وبضمّ السين وإسكان القاف كالحَزَن والحُزْن[٤].

«في الفرق بين الخوف والخشية»

«وأُوصيك بخشية الله»، قال المحقّق الطوسي طاب ثراه في بعض مؤلّفاته ما حاصله: أنّ الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد، إلّا أنّ بين الخوف وخشية الله في عرف أرباب القلوب فرقاً، هو أنّ الخوف تألُّمُ النفس من العقاب المتوقّع، بسبب ارتكاب المنهيّات والتقصير في الطاعات، وهو يحصل

---

(١) انظر رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام للسيّد علي خان ٥: ٣٤٧.

(٢) مجمع البحرين ٦: ٢٥٩ ـ رهن.

(٣) مجمع البحرين ٤: ٢١٧ ـ غرض.

(٤) مجمع البحرين ٢: ٣٩٢ ـ طرح.

لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتةً جدّاً، والمرتبة العُليا منه لا تحصل منه إلّا للقليل، والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحقّ وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه الحالة لا تحصل إلّا لمن اطّلع على جلال الكبرياء، وذاق لذّة القرب، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1]؛ فالخشية خوف خاصّ، وقد يطلقون عليها الخوف أيضاً[2]، انتهى كلامه.

والمراد بالخشية في العلانية، أن تظهر آثارها في الأفعال والصفات من كثرة البكاء، ودوام التحرّق، وملازمة الطاعات، وقمع الشهوات حتّى يصير جميعها مكروهاً لديه، كما يصير العسل مكروهاً عند من عرف أنّ فيه سُمّاً قاتلاً مثلاً، وإذا احترقت جميع الشهوات بنار الخوف، ظهر في القلب الذبول والخشوع والانكسار، وزال عنه الحقد والكبر والحسد، وصار كلّ همّه النظر في خطر العاقبة، فلا يتفرّغ لغيره، ولا يصير له شغل إلّا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والاحتراز من تضييع الأنفاس والأوقات ومؤاخذة النفس في الخطوات والخطرات.

وأمّا الخوف الذي لا يترتّب عليه شيء من هذه الآثار فلا يستحقّ أن يطلق عليه اسم الخوف وإنّما هو حديث نفسٍ، ولهذا قال بعض العارفين: إذا قيل لك: هل تخاف الله؟ فاسكُتْ عن الجواب فإنّك إذا قلت: لا[3] كَفَرْت، وإن قلت: نَعَم، كذبت[4].

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٢٨.

(٢) حكاه عن المحقّق الطوسي، الفيض الكاشاني في الوافي ٤: ٢٩٣.

(٣) (إذا قلت: لا) أثبتناها من المصدر.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ١٢: ٣٥٨.

«وأنهاك عن التسرّع في القول والفعل»: أي الإسراع والمبادرة إليها من دون تأمّل وتدبّر[١].

«إذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنَّهُ» الهاء للسكت، ويحتمل أن يكون من باب الحذف والإيصال، أي فتأنّ فيه[٢].

«ومواطن التُّهَمَة» هي بالتحريك.

«يَغِرُّ جليسه»: أي يخدعه ويوقِعُهُ فيما هو.

«وكن للّه ـ يا بُنَيّ ـ عاملاً» تقديم الظرف للحصر: أي ليكن عملك خالصاً لوجه الله غير ملاحظٍ غيره حتّى الفوز بالثواب والخلاص من العقاب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طَمَعاً في جنّتك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك»[٣]، وهذه مرتبة عالية لا يصل إليها إلّا القليل، وإنّما حملنا الكلام عليها؛ لأنّ بقيّة المراتب أظهر من أن يوصي بها.

«وعن الخِنا زجوراً»: أي زاجراً عن الفحش نفسك وغيرك[٤].

«وراخ الإخوان في الله»، «راخ» بالخاء المعجمة من المراخاة وهي ضدّ التشدّد[٥].

«وزائله بأعمالك»: أي ليكن أعمالك مباينة لأعماله، والمزايلة المباينة[٦].

---

(١) مجمع البحرين ٤: ٣٤٥ ـ سرع.

(٢) مجمع البحرين ١: ٤٦٥ ـ ونا.

(٣) بحار الأنوار ٦٧: ١٨٦.

(٤) انظر الصحاح ٦: ٢٣٣٢ ـ خنا.

(٥) مجمع البحرين ١: ١٨٠ ـ رخا.

(٦) انظر الصحاح ٤: ١٧٢٠ ـ زيل.

«ودع المماراة»: أي المجادلة «ومماراة من لا عقل له»: أي الخوض معه في الكلام.

«واقتصد ـ يا بنيّ ـ في معيشتك» الاقتصاد وهو التوسّط بين التبذير والتقصير، والمراد في الاقتصاد في العبادة الإتيان منها بما لا يلحق البدن منه مشقّة شديدة لئلّا يتنفّر الطبع عنها.

روى الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب: عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام: «يا عليّ، إنّ هذا الدين متين، فأوغل[1] فيه برفقٍ، لا تُبغِّض إلى نفسك عبادة ربّك، إنّ المنبتّ ـ يعني المفرط في السير[2] ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هِرَماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً»[3].

«والزم الصمت تسلم» من آفات اللسان والمعاصي الناشئة منه وهي متكثّرة جدّاً؛ فإنّه ما من موجود ومعدوم وخالق ومخلوق ومعلوم وموهوم، إلّا ويتناوله اللسان، ويتعرّض له بنفي أو إثبات، وهذه الخاصيّة لا توجد في بقيّة أعضاء الإنسان؛ فإنّ العين لا تصل إلى غير الألوان والأضواء، والأُذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وأمّا اللسان فميدانه واسع جدّاً، وله في كلّ من الخير والشرّ مجال عريض.

وعن معاذ بن جبل أنّه قال: قلت: يا رسول الله، أنُؤاخذ بما نقول؟

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وأوغل في البلاد والعلم، ذهب وبالغ. (منه قدس سره)، (القاموس المحيط ٤: ٦٦).

(٢) (في السير) لم ترد في المصدر.

(٣) الكافي ٢: ٨٧/ باب الصبر ـ ح٦.

فقال: «ثكلتك أُمّك، وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم»[١].

وعنه ﷺ أنّه قال: «من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر، فليَقُلْ خيراً أو لِيَسْكُت»[٢]، والأحاديث في ذلك كثيرة.

«فإنّه جُنّة»: أي وقاية من النار[٣].

«فإنّي لم آلُك نُصحاً»: أي لم أمنعك، و«الأَلْو» في الأصل بمعنى التقصير، لكنّه كثيراً ما يضمّن معنى المنع فيتعدّى إلى مفعولين[٤]، كما في ما نحن فيه.

«وهذا فراق بيني وبينك» يجوز أن يُقرء بإضافة المصدر إلى الظرف على الاتّساع، ويجوز أن يُقرء «فراقٌ» بالتنوين والظرف نعته، وقد قُرء بالوجهين قوله تعالى: ﴿هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٥].

نقل مقال لإزالة إشكال

ما تضمّنه صدر الحديث من قوله «وابك على خطيئتك» لا يستقيم بظاهره على قواعد الإماميّة القائلين بالعصمة، وقد ورد مثله كثيراً في الأدعية المرويّة عن أئمّتنا عليهم السلام، وأحسن ما يضمحلّ به هذه الشبهة ـ كما أوردناه في شرح

---

(١) انظر سنن الترمذي ٤: ١٢٥/ح ٢٧٤٩، المعجم الأوسط للطبراني ٧: ٢٨٣.

(٢) الكافي ٢: ٦٦٧/ باب حق الدار ـ ذيل ح ٦.

(٣) انظر شرح أصول الكافي ٧: ١١٩.

(٤) انظر لسان العرب ١٤: ٤١ ـ ألا.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٧٨.

نهج البلاغة ـ ما أفاده الفاضل الجليل بهاء الدين عليّ بن عيسى الإربلي[١] قدّس الله روحه في كتاب **كشف الغمّة**، قال ﷺ:

إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام تكون أوقاتهم مستغرقةً بذكر الله تعالى، وقلوبهم مشغولةً به، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة كما قال عليه السلام: «أُعبدِ الله كأنّك تراه، فإن لم تره، فإنّه يراك» فهم أبداً متوجّهون إليه ومُقبِلون بكُلّيّتهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً، واعتقدوه خطيئة، فاستغفروا الله منه، ألا ترى أنّ بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم أنّه بمرئً من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيّده ومالكه، فما ظنّك بسيّد السادات ومالك الأملاك، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: «إنّه لَيُرانُ على قلبي وإنّي لأستغفر بالنهار سبعين مرّةً»، وقوله: «حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين»[٢]؛ هذا ملخّص كلامه خصّه الله بإكرامه.

---

(١) الأُرْبُل ـ بالضمّ ـ موضع في عراق العرب. (منه ﷺ)

(٢) كشف الغمّة ٣: ٤٧ ـ ٤٨، وعنه في مجمع البحرين ١: ٥٨ ـ ٥٩ ـ بكا، ورياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام ٢: ٤٧٣.

الحديث الرابع عشر[1]

«في الحديث القدسي
قال الله عزّ وجلّ: «يا بني آدم، كلّكم ضالّ إلّا من هديت» »

ما رواه الشيخ الجليل، شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي الثقة، عن الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان الثقة، عن عمر بن محمّد، عن عليّ بن مَهْرَوَيْهِ القزويني، عن داود بن سليمان، عن الإمام أبي الحسن بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام.

أقول: أمّا عمر فهو عمر بن محمّد بن سليم بن البراء، يُكنّىٰ أبابكر المعروف بابن الجعابي، خرج إلى سيف الدولة فقرّبه، وكان حفظةً عارفاً بالرجال من العامّة والخاصّة، وعن بعض نسخ «ست» قبل «خرج»: «ثقة»، وبدل «سليم»، «مسلم»[2].

---

(١) أمالي الطوسي: ١٦٦/المجلس السادس ـ ح ٣٠، وعنه في الجواهر السنيّة: ١٥٩ ـ ١٦٠، وبحار الأنوار ٦٨: ١٤٠/ح ٣١.

(٢) انظر الفهرست: ١٨٥/رقم الترجمة ٤، نقد الرجال ٣: ٣٦٢/رقم الترجمة ٦٣.

وأمّا ابن مهرويه فله كتاب رواه أبو نعيم عنه[١].

وأمّا ابن سليمان: فالظاهر أنّه داود بن سليمان بن جعفر أبو أحمد القزويني، له كتاب رواه عن الرضا عليه السلام[٢]، ويحتمل أن يكون هذا هو الذي وثّقه المفيد في **إرشاده**[٣]، وباقي السند واضح.

قال[٤]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّ وجلّ: يا بني آدم، كُلُّكم ضالّ إلّا من هديت، وكُلُّكم عائلٌ إلّا من أغنيت، وكُلُّكم هالكٌ إلّا من أنجيت، فاسألوني أكفكُمْ وأهدِكُم سبيل رُشْدِكم، فإنّ مِن عبادي المؤمنين من لا يُصْلِحه إلّا الفقر[٥] ولو أغنيتُهُ لأفسَدُه ذلك، وإنّ مِن عبادي من لا يصلحه إلّا الغناء، ولو أفقرته لأفسده ذلك[٦]، وإنّ مِن عبادي من لا يصلحه إلّا الصحّة ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإنّ مِن عبادي من لا يصلحه إلّا المرض ولو أصححت جسمه لأفسده ذلك.

وإنّ مِن عبادي لَمَنْ يجتهد في عبادتي وقيام الليل لي، فأُلْقي عليه النُعاس

---

(١) الفهرست: ١٦٤/ رقم الترجمة ٥٦.

(٢) رجال النجاشي: ١٦١/ رقم الترجمة ٤٢٦.

(٣) إرشاد المفيد ٢: ٢٤٨.

(٤) في حاشية «م» «ت»: هذا الحديث من الأحاديث القدسيّة وقد عرّفوا الحديث القدسي بأنّه كلام الله تعالى مُنزَّل على نبيّنا صلى الله عليه وآله لا للإعجاز، والقيد الأوّل لإخراج التوراة والإنجيل ونحوهما، والثاني لإخراج القرآن المجيد. (منه رحمه الله)

(٥) في المصدر: (الفاقة).

(٦) قوله: (وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغناء، ولو أفقرته لأفسده ذلك) لم يرد في المصدر، وهذا القول قد ورد في توحيد للصدوق: ٤٠٠/ باب ٦٢ ـ ح ١.

نظراً منّي إليه[١]، فيرقُد حتّى يصبح ويقومُ حين يقوم وهو ماقت لنفسه زارٍ عليها، ولو خلّيتُ بينه وبين ما يريد لدخله العُجب بعمله، ثمّ كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه فيظنّ أنّه قد فاق العابدين، وجاز باجتهاده حدّ المقصّرين، فيتباعد بذلك منّي وهو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ، أفلا يتّكل[٢] العاملون على أعمالهم وإن حَسُنَتْ، ولا ييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كَثُرَت، لكن برحمتي فَلْيَثِقوا، ولفضلي فليرجوا، وإلى حُسْنِ نظري فليطمئنّوا، وذلك أنّي أُدبّر عبادي بما يُصلحهم، وأنا بهم لطيف خبير».

بيانٌ: «كُلُّكُم ضالّ إلّا من هَدَيْتُ» إذا أُضيفت «كُلّ» إلى ضمير جمع جاز مراعاة لفظها فيفرد ضميرها، ومراعاة معناها فيكون بحسب ما يضاف إليه، يقال: كلّهم قائم وكلّهم قائمون، وقد رُوعي هنا جانب اللفظ كما قال تعالى: ﴿ **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً** ﴾[٣].

والهداية هي الدلالة بلطف سواء كانت دلالة موصلة إلى المطلوب أم دلالة على ما يوصل إليه، ومن الأوّل قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ** ﴾[٦].

---

(١) في المصدر: (له).

(٢) في «م» «ت»: (يتّكلن)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) سورة مريم ١٩: ٩٥.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٥٨، و....

(٥) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٩.

(٦) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ٤ و٥.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[٢]: أي طريقَي الخير والشرّ، فإنّ المراد إرائتهما؛ لأنّ الآية مُورَدَةٌ في معرض الامتنان ولا يُمَنُّ بالإيصال إلى طريق الشرّ، وبهذا يظهر ضعف التفصيل بأنّ الهداية إن تعدّت إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى الدلالة الموصلة إلى المطلوب، وإن تعدّت باللّام أو «إلى» كانت بمعنى الدلالة على ما يوصل.

«وكلّكم عائل»، يقال: عال يعيل عَيْلَةً وعَيُولاً إذا افتقر[٣].

«في أنّ أقسام الهداية خمس»

وهداية الله سبحانه للعباد على خمسة أنواع كما قاله بعض الأعلام:

الأوّل: إفاضة القوى التي يتمكّنون بها من الاهتداء إلى مصالحهم، كالقوّة العقليّة والمشاعر الظاهرة والحواسّ الباطنة.

والثاني: نصب الدلائل العقليّة الفارقة بين الحقّ والباطل، والصلاح والفساد.

والثالث: هدايتهم بإرسال الرسل وإنزال الكُتُب.

والرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر، ويُريهم الأشياء كما هي بالمنامات الصادقة، أو الإلهام، أو الوحي.

والخامس: أن يمحو عنهم ظلمات أبدانهم، ويميط عنهم جلابيب نواسيتهم،

---

(١) سورة فصّلت ٤١: ١٧.

(٢) سورة البلد ٩٠: ١٠.

(٣) مجمع البحرين ٥: ٤٣٢ ـ عيل.

ويُشهِدهم التجلّيات الأحديّة، فتندكّ عند ذلك جبال إنّيّتهم فيخرّون خروراً ويصيرون هباءاً منثوراً، ويستهلك في نظرهم الاعتبار، وتحترقُ الحجب والأستار، وينادون لمن الملك اليوم للّه الواحد القهّار[١].

«في أنّ العجب من المهلكات العظيمة»

«ثمّ كان هلاكه في عجبه» لا ريب أنّ من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيّام وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج، فإن كان من حيث كونها عطيّةً من الله ونعمةً منه تعالى عليه وكان مع ذلك خائفاً من نقصها، مشفقاً من زوالها، طالباً من الله الازدياد منها، لم يكن ذلك الابتهاج عُجْباً[٢]، وإن كان من حيث كونها صفته وقائمةً به ومضافة إليه فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير بها وصار كأنّه يمنّ على الله سبحانه بِسَبَبها، فذلك هو العجب المهلك وهو من أعظم الذنوب حتّى روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لو لم تذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك: العُجب العُجب»[٣]، وقال أمير المؤمنين: «سيّئةٌ تَسُؤْك خيرٌ من حَسَنَةٍ تُعْجِبُك»[٤][٥].

---

(١) انظر زبدة التفاسير للملّا الكاشاني ١: ٣١ـ٣٢، بحار الأنوار ٨٢: ٥٧ـ٥٨.

(٢) في حاشية «م» «ت»: العجب، إمّا منصوب بالبدليّة من لفظة ما الموصولة أو الموصوفة، وإمّا مرفوع بالخبريّة عن مبتدأ محذوف، أي هو العجب. (منه ﷺ)

(٣) التحفة السنية في شرح نخبة المحسنيّة للسيّد الجزائري: ٥٦، مسند الشهاب ٢: ٣٢١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣١٧/الحكمة ٦٤٢.

(٥) وانظر كلّ ذلك في مجمع البحرين ٢: ١١٦ـعجب.

«في ردّ الملائكة عن السماوات عمل الغير الخالص من الشوائب»

«ألا فلا يتّكلنّ العاملون على أعمالهم وإن حَسُنَتْ»: أي لا يعتمدون في دخول الجنّة على محض تلك الأعمال وأنّ ثوابها حَسَنةٌ تامّة الأركان، فإنّ المفسدات الخفيّة كثيرة جدّاً، وقلّما يخلو عملٌ عنها كما تضمّنه الخبر الذي رواه الشيخ العارف جمال الدين أحمد بن فهد في كتاب **عدّة الداعي**: عن معاذ ابن جبل، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ الله خَلَقَ سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض، فجعل في كلّ سماء مَلَكاً قد جَلَّلَها[1] بعظمته، وجعل على كلّ باب من أبواب السماوات بوّاباً، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يَمْسي، ثمّ يرتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس حتّى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكّيه وتكثرهُ، فيقول الملك: قِفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوز إلى غيري، أمرني بذلك ربّي».

قال ﷺ: «تجيء الحفظة من الغد ومعهم عملٌ صالحٌ فتمرّ به وتُزكّيه وتُكثره حتّى تبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنّما أراد بهذا عرض الدنيا، أنا صاحب الدنيا، لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري».

قال ﷺ: «ثمّ تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصَدَقَةٍ وصلاة، فتعجب به

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أي أحاطها في الجلّ وهو كلّ ما يُلتبس، أي جلّل الملك السماء من باب الاستعارة. (منه ﷺ)

الحفظةُ وتجاوزه إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: قِفُوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظَهرَه، أنا ملك صاحب الكِبْر، إنّه عمل وتكبّر على الناس في مجالسهم، أمرني ربّي أن لا أدعُ عمله يجاوزني إلى غيري».

قال ﷺ: «وتصعد الحفظة بعملِ العبد يُزْهِرُ كالكوكب الدرّي في السماء، له دويّ بالتسبيح والصوم والحجّ، فتمرّ به إلى السماء الرابعة، فيقول لهم الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنِه، أنا ملك العُجب، إنّه كان يعجب بنفسه وإنّه عمل وأدخل نفسَهُ العجب، أمرني ربّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري».

قال ﷺ: «وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة[1] إلى بعلها[2]، فتمرّ به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصلاة والصدقة ما بين الصلاتين، ولذلك العمل رنين كرنين الإبل عليه[3] ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: قِفوا، أنا ملك الحسد، اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واحملوه على عاتقه[4]، إنّه يحسد من يتعلّم أو يعمل للّه بطاعته، وإذا رأى لأحدٍ فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله».

قال ﷺ: «وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحجّ وعمرة

---

(١) في حاشية «م» «ت»: زفّ العروس إلى زوجها زفّاً وزفافاً هداها. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٣: ١٤٨ ـ زف).

(٢) في المصدر: (أهلها).

(٣) (رنين كرنين الإبل عليه) أثبتناها من المصدر.

(٤) في حاشية «م» «ت»: والعاتق موضع الرداء من المنكب أو مابين المنكب والعنق. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ٣: ٢٦٢ ـ عتق).

فيتجاوزون به إلى[١] السماء السادسة، فيقول الملك: قِفوا، أنا صاحب الرحمة، اضربوا بهذا العمل على وجه صاحبه واطمسوا عينيه؛ لأنّ صاحبه لم يرحم شيئاً، إذا أصاب عبدٌ من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضُرّاً في الدنيا شَمِتَ به، أمرني به ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني».

قال ﷺ: «وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقهٍ واجتهادٍ وورع، وله صوت كالرعد وضوء كضوء البرق، ومعه ثلاثة آلاف ملكٍ، فتمرّ بهم إلى ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قِفُوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كلّ عملٍ ليس للّه، إنّه أراد رفعةً عند القوّاد[٢]، وذكراً في المجالس، وصِيتاً في المدائن، أمرني ربّي أن لا أدع عملاً يجاوزني إلى غيري ما لم يكن للّه خالصاً».

قال ﷺ: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من صلاة وزكاة وصيامٍ وحجّ وعمرة وحسن الخلق وصُمْتٍ وذكر كثير، تشيّعه ملائكة السماوات السبعة بجماعتهم، فيطؤن الحجب كُلّها حتّى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول: أنتم حفظة عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إنّه لم يُرِدني بهذا العمل، عليه لعنتي، فتقول الملائكة: عليه لعنتك ولَعْنَتُنا»[٣]، الحديث، وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وهو يُنبِّهك على أنّ العمل الخالص من الشوائب أقلّ قليل، نسأل الله العصمة والتوفيق.

---

(١) في «م» «ت»: (فتجاوز) بدل من: (من صلاة وزكاة وحجّ وعمرة فيتجاوزون به إلى) وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في حاشية «م» «ت»: جمع القائد وهو من يقود العسكر كناية عن الملوك والأمراء. (منه ﷺ)

(٣) عدّة الداعي: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، وعنه في بحار الأنوار ٨١: ٣٥٢/ح ٢.

«ولا ييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كثرت»، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

وفي الخبر عن النبيّ ﷺ: «ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خَطَرَتْ قطّ على قلب أحدٍ، حتّى أنّ إبليس ليتطاول لها رجاءَ أن تصيبه»[٣].

وروي في **الكافي** عنه ﷺ أنّه قال: «لولا أنّكم تُذْنِبون فتستغفرون الله لَخَلَقَ الله خلقاً حتّى يذنبوا، ثمّ يستغفروا الله فيغفر لهم»[٤].

ونقل الغزالي في **الإحياء**، عن الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه كان يقول لأصحابه: «أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عزّ وجلّ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا﴾[٥] ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٦]» وزاد عليه السلام: «أنّ النبيّ ﷺ لا يرضى وواحد من أُمّته في النار»[٧].

والأحاديث الواردة في سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته كثيرة جدّاً، ولكن لابدّ لمن يرجوها ويتوقّعها من العمل الخالص المعدّ لحصولها

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٦.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

(٣) المحجّة البيضاء للفيض الكاشاني ٧: ٢٦٤.

(٤) الكافي ٢: ٤٢٣/ باب في تنقل أحوال القلوب ـ ح ١.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ٥٣.

(٦) سورة الضحى ٩٣: ٥.

(٧) إحياء علوم الدين ١٢: ١٨١.

وترك الانهماك في المعاصي المفوّت لهذا الاستعداد، كمن ألقى البذر في أرض وساق إليها الماء في وقته ونقّاها من الشوك والأحجار، وبذل جهده في قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع، ثمّ جلس ينتظر كرم الله ولطفه سبحانه، مؤمّلاً أن يحصل له وقت الحصاد مائة قفيز؛ فهذا هو الرجاء الممدوح.

وأمّا من تغافل عن الزراعة واختار الراحة طول السنة، وصرف أوقاته في اللهو واللعب، ثمّ جلس منتظراً أن يُنْبِت الله له زرعاً من دون سعي وكدٍّ وتعبٍ، وكان طامعاً أن يحصل له كما حصل لصاحبه الذي صرف ليله ونهاره في السعي والكدّ والتعب؛ فهذا حُمْقٌ وغرور لا رجاءٌ.

فالدنيا مزرعة الآخرة، والقلب الأرض، والإيمان البذر، والطاعات هي الماء الذي يُسْقى به الأرض، وتطهير القلب من المعاصي والأخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الأرض من الشوك والأحجار والنباتات الخبيثة، ويوم القيامة هو وقت الحصاد؛ فاحذر أن يغرّك الشيطان، ويثبّطك عن العمل، ويُقَنّعك بمحض الرجاء والأمل، وانظر إلى حال الأنبياء والأولياء واجتهادهم في الطاعات، وصرفهم العمر في العبادات ليلاً ونهاراً، أما كانوا يرجون عفو الله ورحمته؟ بلى والله إنّهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأرجى لها منك ومن كلّ أحد، ولكن علموا أنّ رجاء الرحمة من دون العمل غرورٌ محض وسَفَهٌ بَحْتٌ، فصرفوا في العبادات أعمارهم، وقصّروا على الطاعات ليلهم ونهارهم[1].

---

(١) الوافي للفيض الكاشاني ٤: ٢٩٠/ في بيان على الحديث ١٩٦١.

الحديث الخامس عشر[1]

«فيما يُدعى به لقضاء الدين»

بالسند المتّصل إلى الشيخ الجليل محمّد بن بابويه، عن محمّد بن بكران النقّاش، عن أحمد بن محمّد الهمداني مولى بني هاشم، عن عبيد بن حمدون الرواسي، عن حسين بن نصر، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

أقول: أمّا محمّد بن بابويه، فهو المعروف بالصدوق في عبارات الأصحاب، ثقة عين.

وأمّا ابن بكران، فهو بن حمدان المعروف بالنقّاش، من مشايخ الصدوق، ممدوح[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٧٢/ المجلس الحادي والستّون ـ ح ١٠، وعنه في أمالي الطوسي: ٤٣٠/ المجلس الخامس عشر ـ ح ٢٠.

(٢) رجال الطوسي: ٤٤٤/ باب من لم يرو عن واحد من الأئمّة ـ ٧٣، تعليقة على منهج المقال للبهبهاني: ٣٠٢.

وأمّا الثلاثة الوسطى فمجاهيل.

وأمّا عمرو بن شمر، فضعيف جدّاً، زيّد أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها إليه، والأمر ملتبس[١].

أمّا جابر فشهد بدراً وثماني عشرة غزوة مع رسول الله ﷺ «ل، ي، ن، سين، ين، قر، جخ»[٢]، وعن «قي» أنّه من الأصفياء[٣]، ولا يخفى أنّه من الجلالة بمكان لا يحتاج إلى التوثيق، والباقي ظاهر.

قال: «شكوت إلى رسول الله ﷺ دَيْناً كان علَيّ، فقال: يا علي، قُل: اللّهمّ أغْنِني بِحَلالِكَ عَنْ حرامِكَ، وبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سواكَ؛ فلو كان عليك مثل صُبَير ديناً قضاه الله عنك، وصبير: جَبَلٌ باليمن، ليس باليمن جبلٌ أجل ولا أعظم منه».

«فيه ما يُدعى به لقضاء الدين مجرّب»

قال الشيخ البهائي عفى الله عنه: كَثُرَ علَيّ الدَّينُ في بعض السنين حتّى تجاوز ألفاً وخمسمائة مثقال ذهباً، وكان أصحابه متشدّدين في تقاضيه غاية التشدّد حتّى شغلني الاهتمام به عن أكثر أشغالي، ولم يكن في وفائه حيلةٌ، ولا إلى أدائه وسيلةٌ، فواظبت على هذا الدعاء، فكنت أُكرِّرهُ كلّ يوم بعد صلاة

---

(١) رجال النجاشي: ٢٨٧/ رقم الترجمة ٧٦٥.

(٢) رجال الطوسي: ٣١/ من أصحاب الرسول ﷺ ـ رقم الترجمة ٢، وص٥٩/ من أصحاب الإمام علي عليه السلام ـ رقم الترجمة ٣، وص٩٣/ من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام ـ رقم الترجمة ١، وص٩٩/ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ـ رقم الترجمة ١، وص١١١/ من أصحاب الإمام السجّاد عليه السلام ـ رقم الترجمة ١، وص١٢٩/ من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ـ رقم الترجمة ١.

(٣) حكاه عن البرقي الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ٣٠: ٤٣٧.

الصبح، وربّما دعوت به بعد الصلوات الأُخر أيضاً، فيسّر الله سبحانه قضائه، وعجّل أدائه في مدّة يسيرة، بأسباب غريبة، ما كانت تخطر بالبال ولا تمرّ بالخيال[1].

(١) حكاه عن الشيخ البهائي الكلباسي في الرسائل الرجاليّة ٢: ٤٩٩.

الحديث السادس عشر[1]

«في قول الحواريّين لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من نُجالِس؟»

بالسند المتّصل إلى الشيخ الجليل، أمين الإسلام، محمّد بن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد البرقي، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرّة، عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

أقول: أمّا الكليني فقد مرّ مراراً أنّه ثقة عين.

وأمّا عدّة الكليني عن أحمد بن محمّد البرقي فهم: عليّ بن إبراهيم، وعليّ ابن محمّد بن عبد الله بن أُذينة، وأحمد بن عبد الله بن أُميّة، وعليّ بن الحسن[2].

وعليّ بن إبراهيم ثقة[3]، فلا يضرّ كون مجهول معه في مرتبة، على أنّ اتّفاق الجماعة على الكذب بعيد جدّاً.

---

(١) الكافي ١: ٣٩/ باب مجالسة العلماء وصحبتهم ـ ح٣.

(٢) خلاصة الأقوال: ٤٣٠/ الفائدة الثالثة.

(٣) رجال النجاشي: ٢٦٠/ رقم الترجمة ٦٨٠.

وأمّا أحمد فهو أحمد بن محمّد بن خالد، ثقة في نفسه، يروي عن الضعفاء واعتمد المراسيل [١].

وأمّا شريف بن سابق، فهو ضعيف مضطرب الأمر [٢].

وأمّا فضل بن أبي قرّة، فهو أيضاً ضعيف لم يكن بذاك [٣].

قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت الحواريّون لعيسى: يا روح الله، مَن نُجالِس؟ قال: مَن يُذكِّركُمُ اللهَ رؤيتُهُ، ويزيدُ في عملِكُم منطقُهُ، ويُرغِّبُكُم في الآخرة عَمَلُهُ».

بيان: الحواريّون هم خواصّ عيسى عليه السلام، قيل: سمّوا حواريّين؛ لأنّهم كانوا قصّارين يحوّرون الثياب، أي يقصّرونها ويبيّضونها من الأوساخ وينقّونها، مشتقّ من الحور وهو البياض الخالص.

وعن بعض العلماء: أنّهم لم يكونوا قصّارين على الحقيقة، وإنّما إطلاق هذا الاسم عليهم رمزٌ، إلى أنّهم كانوا ينقّون نفوس الخلائق عن أوساخ الأوصاف الذميمة والكدورات، ويرقّونها إلى عالم النور من عالم الظلمات [٤].

وصف ﷺ من يجوز مجالسته بثلاثة أوصاف:

الأوّل: أن يكون رؤيته موجباً لذكر الله تعالى كما هو مشاهد من رؤية العبّاد والزهّاد والسالكين.

الثاني: أن يكون كلامه موجباً لازدياد علم من يجالسه.

---

(١) رجال النجاشي: ٧٦/ رقم الترجمة ١٨٢.

(٢) خلاصة الأقوال: ٣٥٨/ رقم الترجمة ٢.

(٣) رجال النجاشي: ٣٠٨/ رقم الترجمة ٨٤٢.

(٤) مجمع البحرين ٣: ٢٧٨ ـ حور.

الثالث: أن يكون عمله ممّا يرغّب في الآخرة، أي يكون رؤية أعماله وعباداته ممّا يوجب إقبال الرأي.

ولا يخفى أنّ المراد بالمجالسة في هذا الحديث ما يشمل الأُلفة والمخالطة والمصاحبة، وفيه إشعار بأنّ من لم يكن على هذه الصفات فلا ينبغي مجالسته ولا مخالطته، فكيف من كان موصوفاً بأضدادها، كأكثر أبناء زماننا؛ فطوبى لمن وفّقه الله سبحانه لمباعدتهم والاعتزال عنهم، والأُنس باللّه وحده، والوحشة منهم؛ فإنّ مخالطتهم تُميت القلب، وتُفسد الدين، وتحصل بسببها للنفس ملكاتٌ مُهلِكَةٌ مؤدّية إلى الخسران المبين.

وقد ورد في الحديث: «فرّ من الناس فرارك من الأسد»[1].

وقال معروف الكرخي لأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: أوصِني يابن رسول الله.

فقال: «أقْلِلْ معارِفك».

قال: زدني.

قال: «أنكِر مَن عَرَفْتَ منهم»[2].

وروى الشيخ الجليل زين السالكين، جمال الدين، أحمد بن فهد، في كتاب **التحصين**، عن أحمد بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليأتينّ على الناس زمانٌ، لا يسلم لذي دين دينُهُ، إلّا من يفرّ من شاهق إلى شاهق، ومن جُحْر إلى جُحْر، كالثعلب بأشباله».

---

(١) انظر مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: ١٠٧.

(٢) التحصين لابن فهد الحلّي: ١١/ح ٢١.

قالوا: ومتى ذلك الزمان؟

قال: «إذا لم تُنَل المعيشة إلّا بمعاصي الله، فعند ذلك حلّت العزوبة».

قالوا: يا رسول الله، أمرتنا بالتزويج؟!

قال: «بلى، ولكن إذا كان ذلك الزمان، فهلاك الرجل على يد أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدَي زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد، فعلى يَدَي قرابته وجيرانه».

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: «يعيّرونه بضيق المعيشة، ويكلفونه ما لا يطيق، حتّى يوردوه موارد الهلكة»[1].

---

(١) التحصين لابن فهد الحلّي: ١٣/ح ٢٥.

الحديث السابع عشر[1]

«في مرور عيسى بن مريم على قرية مات أهلها»

ما رواه الشيخ الجليل ثقة الإسلام، محمّد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن منصور بن العبّاس، عن سعد بن جناح، عن عثمان بن سعيد، عن عبد الحميد بن علي الكوفي، عن مهاجر الأسدي، عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

أقول: أمّا عدّة الكليني رحمه الله عن ابن خالد فهم: عليّ بن إبراهيم، وعليّ بن محمّد بن عبد الله بن أُذينة، وأحمد بن عبد الله بن أُميّة، وعليّ بن الحسن[2].

وعليّ بن إبراهيم ثقة[3]، فلا يضرّ كون مجهول معه في مرتبة.

وأمّا ابن العبّاس، فكان مضطرب الأمر[4].

---

(١) الكافي ٢: ٣١٨/ باب حبّ الدنيا والحرص عليها ـ ح ١١، وعنه في وسائل الشيعة ١٦: ٢٥٥/ الباب ٣٧ ـ ح ١، وبحار الأنوار ٧٠: ١٠/ ح ٣.

(٢) خلاصة الأقوال: ٤٣٠/ الفائدة الثالثة.

(٣) رجال النجاشي: ٢٦٠/ رقم الترجمة ٦٨٠.

(٤) رجال النجاشي: ٤١٣/ رقم الترجمة ١١٠٢.

وأمّا سعد بن جناح، فليس في كُتُب رجالنا، نعم الموجود فيها سعيد بن جناح مولى الأزد، ثقة، وفي «جش» أيضاً: سعيد بن جناح الأزدي مولاهم[١]، والظاهر أنّهما واحد.

وأمّا ابن سعيد، ففي «مشكا»[٢]: هو العُمري الثقة، مقارن لمن هو في طبقة أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني؛ لأنّه ممّن جرت خدمته على يديه[٣].

أقول: وفيه اشتباه واضح؛ لأنّه لم يجر لأبي جعفر محمّد بن علي الثاني خدمة على يديه، وإنّما جرى على يديه خدمة أبي الحسن الثالث، كما هو مذكور في «دي»[٤] والأصل في ذلك هو «مه» ﷺ في «صه»[٥] وتبعه الكاظمي من غير تأمّل[٦].

وعبد الحميد بن علي، ليس في كتب رجالنا.

والأسدي مجهول؛ لأنّه إمّا مهاجر بن زيد الأسدي أو مهاجر بن كثير الأسدي، وكلاهما مجهولان من أصحاب الصادق عليه السلام.

قال: «مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابّها، فقال: أما إنّهم لم يموتوا إلّا بِسُخْطَةٍ[٧]، ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا.

---

(١) رجال النجاشي: ١٨٢ و١٩١/ رقم الترجمة ٤٨١ و٥١٢.

(٢) مشكا: كتاب هداية المحدّثين إلى طريقة المحمّدين (مشتركات الكاظمي).

(٣) هداية المحدّثين: ١١٠، وعنه في منتهى المقال في أحوال الرجال ٤: ٢٩٦/ رقم الترجمة ١٨٨٥.

(٤) رجال الطوسي: ٣٨٩/ أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ـ رقم الترجمة ٣٦.

(٥) «مه» يقصد به العلّامة الحلّي، في «صه» خلاصة الأقوال.

(٦) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ٤: ٢٩٦.

(٧) السخط: خلاف الرضا، وقد سخط، أي غضب، وأسخطه: أي أغضبه (الصحاح ٣: ١١٣٠ ـ سخط).

فقال الحواريّون: يا روح الله وكلمته، أُدْعُ الله أن يُحييَهُم فيخبرونا ما كانت أعمالهم، فنجتنبها.

فدعا عيسى عليه السلام ربّه، فنُودي من الجوّ: أن نادهم، فقام عيسى عليه السلام بالليل[1] على شُرَفٍ من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مُجيبٌ: لبّيك يا روح الله وكلمته.

فقال: ويحكم! ما كانت أعمالكم؟

قال: عبادة الطاغوت، وحُبّ الدنيا مع خوفٍ قليل، وأملٍ بعيد، وغَفْلةٍ في لَهْو ولعب.

فقال: كيف كان حُبّكم للدنيا؟

قال: كَحُبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلتْ علينا فرِحْنا وسَرَرْنا، وإذا أدْبَرَت عنّا بكينا وحزنّا.

قال: كيف كانت عبادَتُكُم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كانت عاقبةُ أمركم؟

فقال: بِتْنا ليلةً في عافيةٍ وأصبحنا في الهاوية.

فقال: وما الهاوية؟

قال: سجّينٌ.

قال: وما سجّين؟

قال: جبال من جَمْر تُوقَدُ علينا إلى يوم القيامة.

---

(١) في «م» «ت» زيادة: (فوقف).

قال: فما قلتم؟ وما قيل لكم؟

قال: قلنا: ردّنا إلى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبْتُم.

قال: ويحك! كيف لم يكلِّمني غيرك من بينهم؟

قال: يا روح الله، إنّهم مُلجَمُون بِلُجُمٍ[١] من نارٍ، بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شداد، وإنّي[٢] كنت فيهم ولم أكُ منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا مُعلَّق بشَعْرَةٍ على شفير جهنّم، لا أدري أُكَبْكَبُ فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريّين فقال: يا أولياء الله، أكْلُ الخبزِ اليابِسِ بالمِلْحِ الجريش، والنَومُ على المزابل، خيرٌ كثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة».

«أما» بالتخفيف حرف استفتاح وتنبيه تدخل على الجُمَل لَتُنبّه المخاطب وطلب إصغائه إلى ما يُلقى إليه، وقد يحذف ألفها نحو «أَمَ والله زيد قائم».

و«السُخط» بالتحريك وبضمّ أوّله وسكون ثانيه: الغَضَبُ.

و«لتدافنوا» الظاهر أنّ تفاعَلَ هنا بمعنى فعل كتواني، ويمكن إبقائه على أصل المشاركة بتكلّف[٣].

و«الجوّ» ما بين السماء والأرض.

و«الشُرَف» المكان العالي، قيل: ومنه سمّي الشريف شريفاً تشبيهاً للعلوّ المعنوي بالعلوّ المكاني.

---

(١) في المصدر: (بلجام)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في وسائل الشيعة وبحار الأنوار.

(٢) في «م» «ت»: (وأنا)، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) بحار الأنوار ٧٠: ١١/من بيان على الحديث ٣.

و«ويح»[١] اسم فعل بمعنى الترحّم كما أنّ «ويل» كلمة عذاب، وبعض اللغويّين يستعمل كلّاً منهما مكان الأُخرى.

و«الطاغوت» فَلَعُوتٌ من الطغيان، وهو تجاوز الحدّ، وأصله طغيوت، فقدّموا لامه على عينه على خلاف القياس، ثمّ قلبوا الياء أَلِفاً فصار طاغوت، وهو يُطلَق على الكاهن والشيطان والأصنام، وعلى كلّ رئيس في الضلالة، وعلى كلّ ما يَصُدُّ عن عبادة الله تعالى، وعلى كلّ عبدٍ دون الله تعالى، ويجيء مفرداً كقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾[٢] وجمعاً كقوله تعالى[٣]: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾[٤][٥].

و«غفلة في لهو ولعب»، لفظة «في» هنا إمّا للظرفيّة المجازيّة كما في نحو «النجاة في الصدق»، أو بمعنى «مع» كما في قوله تعالى: ﴿ **ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ** ﴾[٦]، أو للسببيّة كقوله تعالى: ﴿ **فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾[٧][٨].

و«الشفير» حافّة الشيء وجانِبُهُ.

---

(١) في حاشية «م» «ت»: وويح كلمة ترحم، كما إن ويل كلمة عذاب. (منه ﷺ)، (الصحاح ١: ٤١٧ ـ ويح).

(٢) سورة النساء ٤: ٦٠.

(٣) (كقوله تعالى) أثبتناه من المصدر.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢٥٧.

(٥) بحار الأنوار ٧٠: ١٢ ـ ١٣.

(٦) سورة الأعراف ٧: ٣٨.

(٧) سورة يوسف ١٢: ٣٢.

(٨) بحار الأنوار ٧٠: ١٤.

و«أُكبكب فيها» على صيغة المبنيّ للمفعول أي: أُدْرَحُ فيها على وجهي.

و«بالملح الجريش»: أي الذي لم ينعم دَقَّهُ[١].

وما ذكره هذا الرجل المكلِّم لعيسى ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ في وصف أصحاب تلك القرية، وما كانوا عليه من الخوف القليل، والأمل البعيد، والغفلة، واللهو واللعب، والفرح بإقبال الدنيا، والحزن بإدبارها هو بعينه حالنا وحال أهل زماننا، بل أكثرهم خالٍ عن ذلك الخوف القليل أيضاً، نعوذ باللّه من الغفلة وسوء المنقلب.

وما أحسن ما نقله الشيخ الصدوق محمّد بن بابويه في كتاب «إكمال الدين وإتمام النعمة» عن بعض الحكماء في تشبيه حال الإنسان، واغتراره بالدنيا، وغفلته عن الموت وما بعده من الأهوال، وانهماكه في اللذّات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات، بشخص يُدلّى في بئر مشدود وسطه بحبلٍ، وفي أسفل ذلك البئر ثعبانٌ عظيم متوجّهٌ إليه، منتظرٌ سقوطه، فاتحٌ فاه لالتقامِه، وفي أعلى ذلك البئر جُرذان[٢] أبيض وأسود، لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً، ولا يفتُران عن قرضهِ آناً من الآنات، وذلك الشخص مع أنّه يرى ذلك الثعبان ويُشاهد انقراض الحبل آناً فآناً قد أقبل على قليل عسلٍ قد لُطِخَ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرةٌ، وهو مشغول بلطعِهِ، منهمكٌ فيه، مُلْتَذٌّ بما أصاب منه، مخاصِمٌ لتلك الزنابير عليه، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك، غير مُلْتَفِتٍ إلى ما فوقه وما تحته.

---

(١) بحار الأنوار ٧٠: ١٥.

(٢) في حاشية «م» «ت»: جرذ كصرد، وهو نوع من الفأرة. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ١: ٣٥١ ـ جرذ).

فالبئرُ هو الدنيا، والحبل هو العُمر، والثعبان الفاتح فاه هو الموت، والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار، والعسل المختلط بالتراب هو لذّات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام، والزنابير هم أبناء الزمان[1] المتزاحمون عليها[2].

ولعمري إنّ هذا المَثَل من أشدّ الأمثال انطباقاً على المُمَثَّل، ونسال الله البصيرة والهداية، ونعوذ باللّه من الغفلة والغواية.

---

(١) في المصدر: (الدنيا) بدل من: (الزمان).

(٢) حكاه عنه الفيض الكاشاني في الوافي ٥: ٨٩٥.

الحديث الثامن عشر[1]

«في مناهي رسول الله ﷺ من الأكل على الجنابة وغيرها»

ما رواه الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمّد بن بابويه القمّي، عن حمزة بن محمّد بن أحمد بن جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: حدّثنا أبو عبد الله عبد العزيز بن محمّد بن عيسى الأبهري، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن زكريّا الجوهري البصري، قال: حدّثنا شعيب ابن واقد، قال: حدّثنا الحسين بن زيد، عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أقول: أمّا حمزة بن محمّد فمختلفٌ فيه؛ لكثرة رواية الصدوق عنه مترضّياً. وأمّا أبو عبد الله عبد العزيز بن محمّد بن عيسى الأبهري فلم أجد في كتب

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٠٩/المجلس السادس والستّون ـ ح١، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣/ ح٤٩٦٨. هذا وقد نقل المصنّف الحديث مختصراً كما عليه الشيخ البهائي في الأربعين حديثاً: ٣٦٩ ـ ٣٧١/ الحديث الثلاثون، ولأهميّة حديث المناهي أضفنا بعض المقاطع التي لم ينقلها رحمه الله، وقد أشرنا لذلك في الهامش.

رجالنا، نعم الموجود في رجالنا عبد العزيز بن محمّد المدني، أسند عنه سنة ستّ وثمانين ومائة «ق»[١]، الظاهر أنّه غيره.

وأمّا ابن زكريّا فكان وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة[٢].

وأمّا شعيب بن واقد، فلم أر في كتب رجالنا.

وأمّا الحسين بن زيد فمختلفٌ فيه؛ لأنّ أبا عبد الله تبنّاه وربّاه وزوّجه بنت الأرقط[٣]، والباقي ظاهر.

قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الأكل على الجنابة؛ فإنّه[٤] يورث الفقر.

ونهى عن تقليم الأظافير بالأسنان، وعن السواك في الحمام، والتنخع في المساجد.

ونهى عن أكل سؤر الفأر[٥].

وقال: لا تجعلوا المساجد طُرُقاً حتّى تُصلُّوا فيها ركعتين.

ونهى أن يبولَ أحدٌ تحت شجرة مُثْمِرةٍ أو على قارعة الطريق.

ونهى أن يأكل الإنسان بشماله، وأن يأكل وهو متكئ.

ونهى أن تجصص المقابر ويصلّى فيها.

وقال: إذا اغتسل أحدكم في فضاء من الأرض فليحاذر على عورته، ولا يشربن أحدكم الماء من عند عروة الإناء، فإنّه مجتمع الوسخ.

---

(١) رجال الطوسي: ٢٣٩/أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ ١٨٩.

(٢) رجال النجاشي: ٣٤٦/رقم الترجمة ٩٣٦.

(٣) خلاصة الأقوال: ١١٨/الفصل ٦، الباب ٢ ـ ١٦.

(٤) في المصدر: (وقال: إنّه).

(٥) من قوله: (وعن السواك في الحمام) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى أن يبول أحد في الماء الراكد فإنّه يكون منه ذهاب العقل.

ونهى أن يمشي الرجل في فرد نعل، أو ينتعل وهو قائم[١].

ونهى أن يبول الرجل وفرجُهُ بادٍ للشمس أو للقمر.

وقال: إذا دخلتم الغائط فتجنّبوا القِبْلَة.

ونهى عن الرنة عند المصيبة.

ونهى عن النياحة والاستماع إليها.

ونهى عن اتّباع النساء الجنائز.

ونهى أن يمحى شيء من كتاب الله عزّ وجلّ بالبزاق أو يكتب منه.

ونهى أن يكذب الرجل في رؤياه متعمّداً، وقال: يكلّفه الله عزّ وجلّ يوم القيامة أن يعقد شعيرة وما هو بعاقدها.

ونهى عن التصاوير، وقال: من صوّر صورة كلّفه الله يوم القيامة أن ينفخ فيها وليس بنافخ.

ونهى أن يحرق شيء من الحيوان بالنار.

ونهى عن سبّ الديك، وقال: إنّه يوقظ للصلاة[٢].

ونهى أن يدخُل الرجل في سَوْم أخيه المؤمن[٣].

ونهى أن يكثرَ الكلام عند المجامعة، وقال: منهُ يكون خَرَسُ الولد.

وقال: لا تبيتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهاراً، فإنّها مقعد الشيطان.

---

(١) من قوله: (ونهى أن يأكل الإنسان بشماله) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) من قوله: (ونهى عن الرنة عند المصيبة) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٣) في المصدر: (المسلم) بدل من: (المؤمن). والسوم: المساومة بين البائع والمستثري على السلعة لفصل ثمنها.

وقال: لا يبيتنّ أحدكم ويده غمرة[١]، فإن فعل فأصابه لمم[٢] الشيطان فلا يلومنّ إلّا نفسه.

ونهى أن يستنجي الرجل بالروث.

ونهى أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها، فإن خرجت لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء تمرّ عليه من الجنّ والإنس حتّى ترجع إلى بيتها.

ونهى أن تتزيّن المرأة لغير زوجها، فإن فعلت كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يحرقها بالنار[٣].

ونهى أن تتكلّم المرأة عندَ غير زوجها وغير ذي مَحْرَمَ منها، أكثر مِن خمس كلماتٍ ممّا لابدّ لها منه.

ونهى أن تباشر المرأة المرأة ليس بينهما ثوب.

ونهى أن تحدّث المرأة المرأة بما تخلو به مع زوجها.

ونهى أن يجامع الرجل أهله مستقبل القبلة أو على طريق عامر، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ونهى أن يقول الرجل للرجل: زوّجني أختك حتّى أزوّجك أختي.

ونهى عن إتيان العرّاف، وقال: من أتاه وصدّقه فقد برئ ممّا أنزل الله على محمّد ﷺ.

ونهى عن اللعب بالنرد والشطرنج والكوبة والعرطبة ـ يعني الطنبور ـ والعود.

---

(١) غمرت اليد: تعلّق بها دسم اللحم أو ريحه.

(٢) اللمم: جنون خفيف، أو طرف من الجنون يلم بالإنسان.

(٣) من قوله: (وقال: لا تبيتوا القمامة في بيوتكم) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى عن الغيبة والاستماع إليها.

ونهى عن النميمة والاستماع إليها، وقال: لا يدخل الجنّة قتات، يعني نماماً.

ونهى عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم.

ونهى عن اليمين الكاذبة، وقال: إنّها تترك الديار بلاقع[١]، وقال: من حلف بيمين كاذبة صبراً ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان إلّا أن يتوب ويرجع.

ونهى عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر.

ونهى أن يدخل الرجل حليلته إلى الحمّام، وقال: لا يدخل أحدكم الحمّام إلّا بمئزر.

ونهى عن المحادثة التي تدعو إلى غير الله.

ونهى عن تصفيق الوجه[٢].

ونهى عن الشُّرْبِ في آنية الذهب والفضّة.

ونهى عن لَبْسِ الحرير والديباج والقزّ للرجال، وأمّا النساء فلا بأس.

ونهى أن تباع الثمار حتّى تزهو ـ يعني تصفر أو تحمر ـ.

ونهى عن المحاقلة ـ يعني بيع التمر بالرطب، والزبيب بالعنب وما أشبه ذلك ـ.

ونهى عن بيع النرد والشطرنج، وقال من فعل ذلك فهو كآكل لحم الخنزير.

---

(١) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.

(٢) من قوله: (ونهى أن تباشر المرأة المرأة ليس بينهما ثوب) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى عن بيع الخمر، وأن تشتري الخمر، وأن تسقى الخمر[١]، وقال: لعن الله الخَمْرَ وعاصِرها وغارِسِها، وشاربها وساقيها، وبائعها ومُشتريها، وآكِلِ ثمنها، وحاملها والمحمولة إليه، وقال ﷺ: من شربها لم تُقْبَل له صلاة أربعين يوماً، وإن مات وفي بطنه شيءٌ من ذلك، كان حقّاً على الله أن يُسقِيَهُ مِن طينة خبالٍ، وهو صديد أهل النار، وما يخرج من فروج الزُناةِ، فيجتمع ذلك في قدور جهنّم، فيشربه أهل النار، فيُصْهَرُ ما في بطونهم والجلود.

ونهى عن أكل الربا وشهادة الزور وكتابة الربا، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه.

ونهى عن بيع سلف.

ونهى عن بيعين في بيع.

ونهى عن بيع ما ليس عندك.

ونهى عن بيع ما لم يضمن.

ونهى عن مصافحة الذمّي.

ونهى أن ينشد الشعر، أو تنشد الضالة في المسجد.

ونهى أن يسل السيف في المسجد[٢].

ونهى عن ضربِ وجوهِ البهائم.

ونهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم، وقال: من تأمّل عورة أخيه لعنه سبعون ألف ملك.

---

(١) من قوله: (ونهى أن تباع الثمار حتّى تزهو) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) من قوله: (ونهى عن أكل الربا وشهادة الزور) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة.

ونهى أن ينفخ في طعام أو شراب، أو ينفخ في موضع السجود.

ونهى أن يصلّي الرجل في المقابر والطرق والأرحية والأودية ومرابط الإبل، وعلى ظهر الكعبة.

ونهى عن قتل النحل.

ونهى عن الوسم في وجوه البهائم.

ونهى أن يحلف الرجل بغير الله، وقال: من حلف بغير الله فليس من الله في شيء.

ونهى أن يحلف الرجل بسورة من كتاب الله، وقال: من حلف بسورة من كتاب الله فعليه بكلّ آية منها يمين، فمن شاء برّ، ومن شاء فجر[١].

ونهى أن يقول الرجل للرجلِ: لا وحياتك وحياة فلان.

ونهى أن يقعد الرجل في المسجد وهو جنب.

ونهى عن التعري بالليل والنهار.

ونهى عن الحجامة يوم الأربعاء والجمعة[٢]

ونهى عن الكلام يوم الجمعة والإمام يخطب، فمن فعل ذلك فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له.

ونهى عن التختم بخاتم صفر أو حديد.

ونهى أن ينقش شيء من الحيوان على الخاتم.

---

(١) من قوله: (ونهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) من قوله: (ونهى أن يقعد الرجل في مسجد وهو جنب) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى عن الصلاة في ثلاث ساعات: عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وعند استوائها.

ونهى عن صيام ستّة أيّام: يوم الفطر، ويوم الشكّ، ويوم النحر، وأيّام التشريق.

ونهى أن يشرب الماء كرعاً كما تشرب البهائم، وقال: اشربوا بأيديكم فإنّها أفضل أوانيكم.

ونهى عن البزاق في البئر التي يشرب منها[1].

ونهى أن يستعمل أجيرٌ حتّى يعلم ما أُجرتُهُ.

ونهى أن يختال الرجل في مشيته، وقال: من لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنّم، وكان قرين قارون؛ لأنّه أوّل من اختال فخسف الله به وبداره الأرض، ومن اختال فقد نازع الله في جبروته.

وقال ﷺ: من ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: عبدي زوجتك أمتي على عهدي، فلم توف بعهدي، وظلمت أمتي، فيؤخذ من حسناته، فيدفع إليها بقدر حقّها، فإذا لم تبق له حسنة أمر به إلى النار بنكثه للعهد ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[2].

ونهى ﷺ عن كتمان الشهادة، وقال: من كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُه﴾[3].

---

(١) من قوله: (فمن فعل ذلك فقد لغا) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٣٤.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٨٣.

وقال رسول الله ﷺ: من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة، ومأواه جهنّم وبئس المصير، ومن ضيّع حقّ جاره فليس منّا، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورثه، وما زال يوصيني بالمماليك حتّى ظننت أنّه سيجعل لهم وقتاً إذا بلغوا ذلك الوقت أعتقوا، وما زال يوصيني بالسواك حتّى ظننت أنّه سيجعله فريضة، وما زال يوصيني بقيام الليل حتّى ظننت أنّ خيار أمّتي لن يناموا.

ألا ومن استخفّ بفقير مسلم، فقد استخفّ بحقّ الله، والله يستخفّ به يوم القيامة، إلّا أن يتوب.

وقال ﷺ: من أكرم فقيراً مسلماً، لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض[1].

وقال ﷺ: من عرضتْ له فاحشةٌ أو شهوةٌ، فاجتنبها من مخافة الله عزّ وجلّ، حرّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه، في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2].

ألا ومن عرضت له دنيا وآخرة، فاختار الدنيا على الآخرة، لقي الله يوم القيامة وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن اختار الآخرة على الدنيا رضي الله عنه وغفر له مساوئ عمله[3].

ومن ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار، إلّا أن يتوب ويرجع.

وقال ﷺ: من صافح امرأة تحرم عليه، فقد باء بسخط من الله، ومن التزم امرأة حراماً، قرن في سلسلة من النار مع الشيطان، فيقذفان في النار.

---

(١) من قوله: (وقال: من لبس ثوباً فاختال فيه) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) سورة الرحمن ٥٥: ٤٦.

(٣) من قوله: (ألا ومن عرضت له دنيا وآخرة) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ومن غشّ مسلماً في شراء أو بيع فليس منّا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود؛ لأنّهم أغشّ الخلق للمسلمين.

ونهى رسول الله ﷺ أن يمنع أحد الماعون، وقال: من منع الماعون جاره منعه الله خيره يوم القيامة، ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فما أسوأ حاله!

وقال ﷺ: أيّما امرأة آذت زوجها بلسانها، لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتّى ترضيه، وإن صامت نهارها، وقامت ليلها، وأعتقت الرقاب، وحملت على جياد الخيل في سبيل الله، وكانت أوّل من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً.

ألا ومن لطم خدّ مسلم أو وجهه، بدّد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتّى يدخل جهنّم، إلّا أن يتوب.

ومن بات وفي قلبه غشّ لأخيه المسلم بات في سخط الله، وأصبح كذلك حتّى يتوب[1].

ونهى عن الغيبة وقال ﷺ: من اغتاب امرءاً مسلماً، بطل صومُهُ، ونقَضَ وضوءُهُ، وجاء يوم القيامة تفوحُ مِن فيه رائحةٌ أنتن من الجيفة، يتأذّى به أهلُ الموقف، فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلّاً لما حرّم الله.

وقال ﷺ: من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه وحلم عنه، أعطاه الله أجر شهيد، ألا ومن تطوّل على أخيه في غيبته سمعها فيه في مجلس فردّها عنه، ردّ الله عنه ألف باب من السوء في الدنيا والآخرة، فإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة.

---

(١) من قوله: (وقال ﷺ: من صافح امرأة تحرم عليه) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

ونهى رسول الله ﷺ عن الخيانة، وقال: من خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها، ثمّ أدركه الموت، مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان.

وقال ﷺ: من شهد شهادة زور على أحد من الناس، علق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

ومن اشترى خيانة وهو يعلم، فهو كالذي خانها.

ومن حبس عن أخيه المسلم شيئاً من حقّ حرّم الله عليه بركة الرزق إلّا أن يتوب.

ألا ومن سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها، ومن احتاج إليه أخوه المسلم في قرض وهو يقدر عليه، فلم يفعل، حرّم الله عليه ريح الجنّة.

ألا ومن صبر على خلق امرأة سيّئة الخلق، واحتسب في ذلك الأجر، أعطاه الله ثواب الشاكرين في الآخرة.

ألا وأيّما امرأة لم ترفق بزوجها، وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق، لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان.

ألا ومن أكرم أخاه المسلم فإنّما يكرم الله عزّ وجلّ.

ونهى رسول الله ﷺ أن يؤمّ الرجل قوماً إلّا بإذنهم، وقال: من أمّ قوماً بإذنهم وهم به راضون، فاقتصد بهم في حضوره، وأحسن صلاته بقيامه وقرائته وركوعه وسجوده وقعوده، فله مثل أجر القوم، ولا ينقص من أجورهم شيء.

ألا ومن أمّ قوماً بأمرهم ثمّ لم يتمّ بهم الصلاة، ولم يحسن في خشوعه وركوعه وسجوده وقراءته ردّت عليه صلاته ولم تجاوز ترقوته، وكانت منزلته كمنزلة إمام جائر معتد، لم يصلح إلى رعيّة، ولم يقم فيهم بحق، ولا قام فيهم بأمر.

وقال ﷺ: من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله، ليصل رحمه، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر مائة شهيد، وله بكلّ خطوة أربعون ألف حسنة، ويمحى عنه أربعون ألف سيئة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، وكأنّما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً.

ومن كفى ضريراً حاجة من حوائج الدنيا، ومشى له فيها حتّى يقضي الله له حاجة، أعطاه الله براءة من النفاق وبراءة من النار، وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدنيا، ولا يزال يخوض في رحمة الله عزّ وجلّ حتّى يرجع.

ومن مرض يوماً وليلة فلم يشك إلى عوّاده، بعثه الله يوم القيامة مع خليله إبراهيم خليل الرحمن حتّى يجوز الصراط كالبرق اللامع.

ومن سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضها، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، فقال رجل من الأنصار: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، فإن كان المريض من أهل بيته، أو ليس ذلك أعظم أجراً إذا سعى في حاجة أهل بيته؟

قال: نعم.

ألا ومن فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، فرّج الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب الآخرة، واثنتين وسبعين كربة من كرب الدنيا: أهونها المغص.

قال: ومن يبطل على ذي حقّ حقّه، وهو يقدر على أداء حقّه، فعليه كلّ يوم خطيئة عشار.

ألا ومن علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر، جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار طوله سبعون ذراعاً، يسلّط عليه في نار جهنّم وبئس المصير.

ومن اصطنع إلى أخيه معروفاً فأمتنّ به، أحبط الله عمله، وثبت وزره، ولم يشكر له سعيه، ثمّ قال ﷺ: يقول الله عزّ وجلّ: حرّمت الجنّة على المنّان والبخيل والقتّات، وهو النمّام.

ألا ومن تصدّق بصدقة، فله بوزن كلّ درهم مثل جبل أحد عن نعيم الجنّة، ومن مشى بصدقة إلى محتاج، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء.

ومن صلّى على ميّت صلّى عليه سبعون ألف ملك، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه، فإن أقام حتّى يدفن ويحثى عليه التراب، كان له بكلّ قدم نقلها قيراط من الأجر، والقيراط مثل جبل أحد[1].

وقال ﷺ: من ذرفت عيناه مِن خشية الله، كان له بكلّ قطرةٍ قطرت من دموعه قصراً في الجنّة مُكَلَّلٌ بالدرر والجواهر، فيه ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر.

ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة، كان له بكلّ خطوة سبعين ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، وإن مات وهو على ذلك، وكّل الله به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره، ويؤنسونه في وحدته، ويستغفرون له حتّى يبعث.

ألا ومن أذّن محتسباً، يريد بذلك وجه الله عزّ وجلّ، أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صدّيق، ويدخل في شفاعته أربعون ألف مسيء من أمّتي إلى الجنّة.

ألا وإنّ المؤذن إذا قال: أشهد أنّ لا إله إلّا الله، صلّى عليه تسعون ألف ملك، واستغفروا له، وكان يوم القيامة في ظلّ العرش حتّى يفرغ من حساب الخلائق، ويكتب ثواب قوله: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أربعون ألف ملك، ومن حافظ

---

(١) من قوله: (فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرم الله) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

على الصف الأوّل، والتكبيرة الأُولى، لا يؤذي مسلماً، أعطاه الله من الأجر ما يعطى المؤذن في الدنيا والآخرة.

ألا ومن تولّى عرّافة قوم، حبسه الله عزّ وجلّ على شفير جهنّم، بكلّ يوم ألف سنة، وحشر يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، فإن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإن كان ظالماً هوى به في نار جهنّم وبئس المصير[١].

وقال ﷺ: لا تُحَقِّروا شيئاً من الشرّ، وإن صَغُرَ في أعينكم، ولا تستكثروا الخير، وإن كَثُرَ في أعينكم.

وقال ﷺ: لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار».

بيان: «الغائط» المكان المطمئنّ: أي المنخفض من الأرض[٢]، وكان سكّان البادية يقصدونه لقضاء الحاجة، والمراد به مكان التخلّي كيف كان[٣]؛ سواء كان مرتفعاً أو منخفضاً.

«طينة خبال» بفتح الخاء المعجمة والباء الموحّدة، وهو في الأصل الفساد[٤].

«فيصهر ما في بطونهم» بالصاد المهملة من صهرت الشيء بمعنى أَذَبْتَهُ[٥]، والمراد أنّ ذلك الصديد يُذيب بحدّته أحشاء شاربيه وجلودهم[٦].

«يختال» أي يتبختر كما يفعله المتكبّرون، والنهي عن الاختيال والأُمور

---

(١) من قوله: (ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة) إلى هنا أثبتناه من المصدر.

(٢) مجمع البحرين ٤: ٢٦٣ ـ غوط.

(٣) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٢.

(٤) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٣، مجمع البحرين ٥: ٣٦٢ ـ خبل.

(٥) مجمع البحرين ٣: ٣٦٩ ـ صهر.

(٦) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٣.

المذكورة قبله محمول على الكراهة اتفاقاً، إلّا الكلام في أثناء الخطبة، وإلّا الدخول في سوم الأخ، فإنّ في تحريمها خلافاً.

«ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» المراد بـ«مقام ربّه» ـ والله أعلم ـ موقفه الذي يوقف فيه العباد للحساب، أو هو مصدر بمعنى قيامه أي علمه تعالى على أحوالهم ومراقبة لهم، أو المراد مقام الخائف عند ربّه، وفسّر الجنّتان بجنّة يستحقّها العبد بعقائده الحقّة، وأُخرى بأعماله الصالحة، أو إحداهما لفعل الحسنات والأُخرى لاجتناب السيّئات، أو جنّة يثاب بها وأُخرى يتفضّل بها عليه، أو جنّة روحانيّة وأُخرى جسمانيّة[1].

«ذرفت عيناه» أي سال دمعها.

تبصرةٌ: فسّر بعضهم «المثمرة» التي تضمّن الحديث النهي عن البول تحتها بما من شأنها الإثمار ولو في الاستقبال، وبنى ذلك على ما تقرّر في الأُصول من عدم اشتراط بقاء المعنى المشتقّ منه في صدق المشتقّ حقيقة، وهو بناءٌ عجيب، فإنّ ما ذكر في الأُصول ـ على تقدير تمامه ـ إنّما يقتضي المساواة في الكراهة بين المثمرة بالفعل وبين ما كانت مثمرة في وقتٍ مّا، لا بينها وبين ما من شأنها الإثمار في الاستقبال، فإنّ إطلاق المشتقّ على من يستصف بأصله مجازٌ اتفاقاً، وإنّما الخلاف في إطلاقه على من اتّصف به وقتاً مّا ثمّ زال الاتصاف[2].

تبيينٌ: لعلّ المراد بعدم قبول صلاة شارب الخمر أربعين يوماً، عدم ترتّب الثواب عليها في تلك المدّة لا عدم إجزائها، فإنّها مجزية اتفاقاً، فهو يؤيّد

---

(١) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٣، مجمع البحرين ٦: ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ قوم.

(٢) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٤.

ما يستفاد من كلام السيّد المرتضى علم الهدى ـ أنار الله برهانه ـ مِن أنّ قبول العبادة أمرٌ مغائر للإجزاء، فالعبادة المجزية هي المبرئة للذمّة المخرجةُ عن عهدة التكليف، والمقبولة هي ما يترتّب عليها الثواب، ولا تلازم بينهما ولا اتّحاد كما يظنّ، وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] مع أنّ عبادة غير المتّقي مجزية إجماعاً[2].

بسط مقال لتحقيق حال: نهيه ﷺ عن الغيبة محمول على التحريم في غير المواضع المستثناة بإجماع الأُمّة، وحكمه ﷺ بإبطالها الصوم ونقضها الوضوء مبنيّ على كمال المبالغة في نقصها من ثوابها، حتّى كأنّهما قد بطلا بالأصل.

وقد عُرِّفَتْ الغيبة بأنّها: التنبيه حال غيبة الإنسان المعيّن، أو بحكمه على ما يكره نسبته إليه ممّا هو حاصل فيه، ويعدّ نقصاً بحسب العرف قولاً أو إشارةً أو كنايةً، تعريضاً أو تصريحاً.

والتقييد بالمعيّن لإخراج المبهم من جمع غير محصور كأحد أهل البلد، وبحكمه لإدراج المبهم من محصور كأحد قاضي البلد فاسقٌ ـ مثلاً ـ فإنّ الظاهر أنّه غيبته ولم أجد أحداً تعرّض له.

وقولنا: «ممّا هو فيه» لإخراج البهت، وفائدة القيود الباقية ظاهرة.

---

(١) سورة المائدة ٥: ٢٧.

(٢) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٥ ـ ٣٧٦، وحكاه أيضاً عن السيّد المرتضى المجلسي في بحار الأنوار ٨١: ٣١٥ ـ ٣١٦.

«في الغيبة ومواضع جوازها»

وقد جُوِّزَت الغيبة في عشرة مواضع: الشهادة، والنهي عن المنكر، وشكاية المتظلّم، ونُصْحُ المستشير، وجرح الشاهد والراوي، وتفضيل بعض العلماء والصنّاع على بعض، وغيبة المتظاهر بالفسق الغير المستنكف على قولٍ، وذكر المشتهر بوصفٍ مُميِّزٍ له كالأعور والأعرج مع عدم قصد الاحتقار والذمّ، وذكره عند من يعرفه بذلك، بشرط عدم سماع غيره على قول، والتنبيه على الخطأ في المسائل العلميّة ونحوها بقصد أن لا يتبعه أحدٌ فيها[١].

«في معنى الإصرار»

تتميمٌ: وقد قسّم بعض الأعلام الإصرار إلى فعليّ وحُكميّ، وقال: الفعليّ هو الدوام على نوع واحدٍ من الصغائر بلا توبة، والإكثار من جنس الصغائر بلا توبة.

والحكميّ هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها، أمّا لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها فالظاهر أنّه غير مصرّ[٢].

نقل آراء: اختلف العلماء في تحقيق الكبائر اختلافاً لا يُرجى زواله، فقال قومٌ: هي كلّ ذنب توعّد الله عليه بالعقاب في الكتاب العزيز.

وقال بعضهم: هي كلّ ذنب رتّب عليه الشارع حدّاً أو صرّح فيه بالوعيد.

---

(١) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي: ٣٧٩، وحكاه البحراني في الحدائق الناضرة ١٠: ٥٣، والمازندراني في شرح أصول الكافي ٩: ٢٨١ عن الشهيد الأوّل في قواعده.

وقال طائفة: هي كلّ معصية تُؤذن بقلّة اكتراث فاعلها بالدين.

وقال آخرون: كلّ ذنب علم حرمته بدليل قاطع.

وقيل: كلّما تُوعّد عليه توعّداً شديداً في الكتاب والسنّة.

وعن ابن مسعود أنّه قال: اقرأوا من أوّل سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم﴾[1] فكلّ ما نهى عنه في هذه السورة إلى هذه الآية فهو كبيرة[2].

وقال جماعة: الذنوب كلّها كبائر؛ لاشتراكها في مخالفة الأمر والنهي، لكن قد يطلق الصغيرة والكبيرة على الذنب بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته؛ فالقُبْلَة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، وكبيرة بالنسبة إلى النظر بشهوة[3].

قال الشيخ الجليل أمين الإسلام أبو عليّ الطبرسي ـ طاب ثراه ـ في كتاب **مجمع البيان**، بعد نقل هذا القول: وإلى هذا ذهب أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبيرة من حيث كانت قبائح، لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة، وإنّما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر منه، ويستحقّ العقاب عليه[4].

وقال قومٌ: إنّها سبع: الشرك باللّه، وقتل النفس التي حرّم الله، وقذف

---

(١) سورة النساء ٤: ٣١.

(٢) نقل هذه الآراء الشهيد الثاني في استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار ٧: ١٤٧ ـ ١٤٨، والمحقّق السبزواري في ذخيرة المعاد ١: ٣٠٤، وكفاية الأحكام ١: ١٣٨، والطريحي في مجمع البحرين ٣: ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ كبر.

(٣) الدروس الشرعيّة للشهيد الأوّل ٢: ١٢٥، غاية المرام للصيمري ٤: ٢٧٧، الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة للشهيد الثاني ٣: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٧٠/ في تفسير الآية ٣١ من سورة النساء.

المحصَنَة، وأكل مال اليتيم، والزنا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين؛ وورد في ذلك حديثاً عن النبيّ ﷺ.

وزاد بعضهم على ذلك ثلاثة عشر أُخرى، وقد يزاد أربعة عشر أُخرى.

فهذه عشرة أقوال في ماهيّة الكبيرة، وليس على شيء منها دليل تطمئنّ به النفس، ولعلّ في إخفائها مصلحة لا تهتدي إليها عقولنا كما في إخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطى وغير ذلك.

وقد نقل أصحاب الحديث عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه سُئل عن الكبائر أَسَبْعٌ هي؟ فقال: إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبعة[1].

وقد ذكرنا بعض الكلام في **الدرّة النجفيّة**[2]، من أراد فعليه بملاحظته.

---

(١) نقل جميع هذه الآراء الشيخ البهائي في الأربعين حديثاً: ٣٨٠ ـ ٣٨٢، والطريحي في مجمع البحرين ٣: ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ كبر، والمجلسي في مرآة العقول ١٠: ٢ ـ ٣، عن الطبرسي في مجمع البيان، ولم نعثر عليه في المجمع المطبوع.

(٢) كتاب الدرّة النجفيّة «مخطوط».

الحديث التاسع عشر[1]

«فيما وعظ الله عزّ وجلّ به عيسى عليه السلام»

ما رواه ثقة الإسلام في **روضة الكافي**: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن أسباط، عنهم عليهم السلام.

أقول: أمّا عليّ بن إبراهيم فهو: عليّ بن إبراهيم بن هاشم، ثقة في الحديث، صحيح المذهب، وأضرّ في آخر عمره[2].

وأمّا أبوه فحَسَنٌ كصحيح؛ لأنّ ظاهر الأصحاب تلقّيهم روايته بالقبول[3]، وإن لم ينصّ على تعديله.

وأمّا ابن أسباط فكان أوثق الناس وأصدقهم لهجة، وكان فطحيّاً، ثمّ رجع[4].

قال: «فيما وعظ الله عزّ وجلّ به عيسى عليه السلام:

يا عيسى، أنا ربّك وربّ آبائك، اسمي واحد وأنا الأحد، المتفرّد بخلق كلّ شيء، وكلُّ شيء من صنعي، وكلٌّ إليّ راجعون.

---

(١) روضة الكافي ٨: ١٣١/ح١٠٣، وعنه في الوافي ٢٦: ١٣٠/ح٢٥٣٨٢.

(٢) رجال النجاشي: ٢٦٠/رقم الترجمة ٦٨٠.

(٣) منتهى المقال في أحوال الرجال ١: ٢١٤/رقم الترجمة ٩٢.

(٤) رجال النجاشي: ٢٥٢/رقم الترجمة ٦٦٣.

يا عيسى، أنت المسيح بأمري، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، وأنت تُحيي الموتى بكلامي؛ فكُن إليّ راغباً، ومنّي راهباً، ولن تجد منّي ملجئاً إلّا إليّ.

يا عيسى، أُوصيك وصيّة المتحنِّن عليك بالرحمة، حتّى حقَّتْ لك منّي الولايةُ، بتحرّيك منّي المسرّة، فبُورِكْتَ كبيراً، وبُوركتَ صغيراً حيث ما كنت أشهد أنّك عبدي ابن أَمَتي، أنزِلْني من نفسك كهمّك، واجعل ذكري لمعادك، وتقرّب إليّ بالنوافل، وتوكّل علَيّ أكْفِكَ؛ فلا تولِّ غيري[1] فأخذُلَكَ.

يا عيسى، اصبر على البلاء، وارض بالقضاء، وكُن كمسرّتي فيك، فإنّ مسرّتي أن أُطاع فلا أُعصىٰ.

يا عيسى، أحْيِ ذكري بلسانك، وليكن وُدّي في قلبك.

يا عيسى، تيقّظ في ساعات الغفلة، واحْكِم لي لطيف الحكمة.

يا عيسى، كُن راغباً راهباً، وأَمِتْ قلبك بالخشية.

يا عيسى، راعِ الليل لتحرّي مسرّتي، واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي.

يا عيسى، نافِس في الخير جهدك، تُعْرَفْ بالخير حيث ما توجّهت.

يا عيسى، أُحْكُم في عبادي بنصحي، وقُم فيهم بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان.

يا عيسى، لا تكن جليساً لكلّ مفتون.

يا عيسى، حقّاً أقول، ما آمنت بي خليقةٌ إلّا خشعت لي، ولا خشعت لي إلّا

---

(١) في المصدر: (ولا توكّل على غيري) بدل من: (فلا تولّ غيري)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في الوافي.

رَجَتْ ثوابي، فأَشهد أنّها آمِنة من عذابي[١] ما لم تُبدِّل ولا تُغَيِّرْ سنّتي.

يا عيسى ابن البكر البتول، إبكِ على نفسك بكاء مَنْ[٢] قد ودّع الأهل، وقلى الدنيا، وتركها لأهلها، وصارت رَغْبَتُهُ فيما عند إلهه[٣].

يا عيسى، كُن مع ذلك تُلين الكلام، وتُفشي السلام، يقظان إذا نامَتْ عيون الأبرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

يا عيسى، أُكْحُل عينيك بميل[٤] الحزن إذا ضحك البطّالون.

يا عيسى، كن خاشعاً صابراً؛ فطوبى لك إن نالك ما وُعِدَ الصابرون.

يا عيسى، رُحْ من الدنيا يوماً فيوماً، وذُق لما قد ذهب طعمه، فحقّاً أقول: ما أنت إلّا بساعتك ويومك، فَرُحْ من الدنيا بِبُلْغَة، وليكفك الخشن الجشب، فقد رأيتَ إلى ما تصير، ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت.

يا عيسى، إنّك مسئول؛ فارحم الضعيف كرحمتي إيّاك، ولا تقهر اليتيم.

يا عيسى، إبْكِ على نفسك في الخلوات، وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات، وأسْمِعْني لذاذة نطقك بذكري؛ فإنّ صنيعي إليك حَسَنٌ.

يا عيسى، كم مِن أُمّةٍ قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتُكَ منها.

يا عيسى، إرْفِقْ بالضعيف، وارفع طرفُكَ الكليل إلى السماء، وادعُني فإنّي

---

(١) في المصدر: (عقابي) بدل من: (عذابي)، وما أثبتناه من «م» «ت» موافق لما في الوافي.

(٢) (مَنْ) أثبتناها من المصدر.

(٣) في «م» «ت»: (الله)، وما أثبتناه من نسختي بدل منهما موافق لما في المصدر.

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (بمكحول) وكتب تحتها: أي المكحال.

منك قريب، ولا تدعني إلّا متضرّعاً إليّ، وهمّك همّاً واحداً، فإنّك متى تدعني كذلك أُجِبْكَ.

يا عيسى، إنّي لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك، ولا عقاباً لمن انتقمتُ منه.

يا عيسى، إنّك تفنى وأنا أبقى، ومنّي رزقك وعندي ميقات أجلك وإليّ إيابك ـ يا عيسى ـ وعلَيّ حسابك، فسلني ولا تسأل غيري فيَحْسُنُ منك الدعاء ومنّي الإجابة.

يا عيسى، ما أكثر البَشَر وأقلّ عدد مَن صَبَرَ، الأشجارُ كثيرة وطيّبها قليل، فلا يغرّنّك حُسنُ شجرة حتّى تذوق ثمرها.

يا عيسى، لا يغرّنّك المتمرّد علَيّ بالعصيان؛ يأكل رزقي ويعبد غيري، ثمّ يدعوني عند الكرب فأُجيبه، ثمّ يرجع إلى ما كان عليه؛ فَعَلَيّ يتمرّد أم بسخطي يتعرّض؟ فبي حَلَفْتُ لآخُذَنَّه أخذةً ليس له منها منجا ولا دوني ملجأ، أين يهرب من سمائي وأرضي؟

يا عيسى، قُل لظلمة بني إسرائيل: لا تدعونّي والسُّحت تحت أحضانكم[1]، والأصنام في بيوتكم، فإنّي آليت أن أُجيب مَن دعاني، وأن أجعل إجابتي إيّاهم لعناً عليهم حتّى يتفرّقوا.

يا عيسى، كم أُطيل النظر وأُحْسِنُ الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون، تخرج

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (أقدامكم).

الكلمة من أفواههم لا تَعِيَها قلوبهم، يتعرّضون لمقتي ويتحبّبون[١] بي إلى المؤمنين.

يا عيسى، ليكن لسانك في السرّ والعلانية واحداً، وكذلك فليكن قلبك وبصرك، واطْوِ قلبَكَ ولسانك عن المحارم، وكُفَّ بصرك عمّا لا خير فيه، فكم من ناظر نظرةً قد زرعت في قلبه شهوة، ووردت به موارد حياض الهلكة.

يا عيسى، كُن رحيماً مترحّماً، وكن للعباد[٢] كما تشاء أن يكون العباد لك، وأكثِر ذكر الموت ومفارقَةِ الأهلين، ولا تَلْهَ؛ فإنّ اللهو يُفْسدُ صاحبَهُ، ولا تغفل؛ فإنّ الغافل منّي بعيدٌ، واذكرني بالصالحات حتّى أذكرك.

يا عيسى، تُب إليّ بعد الذنب، وذكّر بي الأوّابين[٣]، وآمِن بي، وتقرّب بي إلى المؤمنين، ومُرهم يدعوني معك، وإيّاك ودعوةَ المظلوم؛ فإنّي آليتُ على نفسي أن أفتحَ لها باباً من السماء بالقبول، وأن أُجيبه ولو بعد حين.

يا عيسى، إعلَم أنّ صاحب السَوء يُعدي[٤]، وقرين السَوء يُردي، واعلم مَن تُقارِن، واخْتَر لنفسك إخواناً من المؤمنين.

يا عيسى، تُب إليّ فإنّي لا يتعاظَمُني ذنب أن أغفره وأنا أرحم الراحمين.

يا عيسى، إعْمَل لنفسك في مهلة من أجلك، قبل أن لا يعمل لها غيرك[٥]، واعبدني ليومٍ كألف سنةٍ ممّا تعدّون، فيه أجزي بالحسنة أضعافها، وإنّ السيّئة

---

(١) في حاشية «م» «ت»: أي بإظهار محبتي وعبادتي يطلبون محبّة المؤمنين لهم. (منه ﷺ)

(٢) (للعباد) لم ترد في المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (في الأذّابين).

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (يغوي).

(٥) (غيرك) أثبتناها من المصدر.

توبق صاحبها؛ فامْهِد لنفسك في مهلة، ونافس في العمل الصالح، فكم من مجلسٍ قد نهض أهله وهم مجازون من النار.

يا عيسى، ازهد في الفاني المنقطع، وطَأْ رسوم منازل مَن كان قبلك، وادْعُهُم وناجِهِم هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ، وخُذ موعظتك منهم، واعلم أنّك ستلحقهم في اللّاحقين.

يا عيسى، قل لِمَن تمرّد علَيّ بالعصيان وعمل بالإدهان ليتوقّع عقوبتي، وينتظر إهلاكي إيّاه، سيصطلم مع الهالكين.

طوبى لك يابن مريم، ثمّ طوبى لك إن أخذت بأدب إلٰهك، الذي يتحنّن عليك ترحّماً، وبدأك بالنعم منه تكرّماً، وكان لك في الشدائد، لا تَعْصِه ـ يا عيسى ـ فإنّه لا يحلّ لك عصيانه، قد عهدتُ إليك كما عهدتُ إلى من كان قبلك، وأنا على ذلك من الشاهدين.

يا عيسى، ما أكرمتُ خليقةً بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي.

يا عيسى، اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنّك إليّ راجع.

يا عيسى، أعطيتك بما أنعمتُ به عليك فيضاً من غير تكديرٍ، وطلبتُ منك قرضاً لنفسِكَ فَبَخِلْتَ به عليها، لتكون من الهالكين.

يا عيسى، تَزَيَّنْ بالدين وحبّ المساكين، وامشِ على الأرض هوناً، وصلِّ على البقاع فكلّها طاهر.

يا عيسى، شَمِّر فكلّ ما هو آتٍ قريب، واقرأ كتابي وأنت طاهرٌ، وأسمعني منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى، لا خير في لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول.

يابن مريم، لو رأتْ عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك، وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيّبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقرّبون، وهم ممّا يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون، دارٌ لا يتغيّر فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها.

يابن مريم، نافس فيها[1] مع المتنافسين فإنّها أُمنية المتمنّين، حسنةُ المنظر، طوبى لك ـ يابن مريم ـ إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم في جنّاتٍ ونعيم، لا تبغي بها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعلُ بالمتّقين.

يا عيسى، إهرب إليّ مع من يهرب من نار ذات لهبٍ، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها رَوْحٌ ولا يخرج منها غمّ أبداً، قِطَعٌ كقطع الليل المظلم، مَنْ يَنْجُ منها يَفُزْ، ولن ينجو منها[2] مَن كان من الهالكين، هي دار الجبّارين والُعتاة الظالمين، وكُلُّ فظٍّ غليظ، وكلُّ مختارٍ فخور.

يا عيسى، بئست الدار لِمَن ركن إليها، وبئس القرار دار الظالمين، إنّي أُحذِّرُك نفسك فكن بي خبيراً.

يا عيسى، كُن حيث ما كنت مراقباً لي، واشْهَدْ على أنّي خلقتك وأنت عبدي، وأنّي صوّرتك وإلى الأرض أهبطتك.

يا عيسى، لا يصلح لسانان في فمٍ واحد، ولا قلبان في صدرٍ واحد، وكذلك الأذهان.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (فيما).

(٢) (منها) أثبتناها من المصدر.

يا عيسى، لا تستيقظنّ عاصياً، ولا تستنبهنّ لاهياً، وافطِم نفسك عن الشهوات الموبقات، وكلّ شهوةٍ تباعدك منّي فاهجرها، واعلم أنّك منّي بمكان الرسول الأمين، فكن منّي على حذرٍ، واعلم أنّ دنياك مُؤدِّيَتك إليّ، وأنّي آخذك بعلمي، وكُن ذليل النفس عند ذكري، خاشع القلب حين تذكرني، يقظان عند نوم الغافلين.

يا عيسى، هذه نصيحتي إيّاك، وموعظتي لك، فخذها منّي وإنّي ربّ العالمين.

يا عيسى، إذا صَبَرَ عبدي في جَنبي، كان ثواب عمله علَيّ، وكنتُ عنده حين يدعوني، وكفى بي منتقماً ممّن عصاني، أين هرب منّي الظالمون؟

يا عيسى، أَطِبِ الكلامَ، وكُن حيث ما كنت عالماً متعلّماً.

يا عيسى، أَفِضْ بالحسنات إليّ حتّى يكون لك ذكرُها عندي، وتمسّك بوصيّتي فإنّ فيها شفاء للقلوب.

يا عيسى، لا تأمَن إذا مكرت مكري، ولا تَنْسَ عند خلوات الدنيا ذكري.

يا عيسى، حاسب نفسك بالرجوع إليّ حتّى تتنجّز ثواب ما عمله العاملون، أُولئك يُؤتَون أجرهم وأنا خير المؤتين.

يا عيسى، كنتَ خلقاً بكلامي، وَلَدَتْك مريم بأمري المرسل إليها روحي، جبرئيل الأمين من ملائكتي، حتّى قمت على الأرض حيّاً تمشي، كلّ ذلك في سابق علمي.

يا عيسى، زكريّا بمنزلة أبيك وكفيل أُمّك إذ يدخل المحراب فيجد عندها رزقاً، ونظيرك يحيى مِن خلقي وَهَبْتُهُ لأُمّه بعدَ الكبر من غير قوّة بها، أردتُ

بذلك أن يظهر لها سلطاني، ويظهر فيك قدرتي، أَحَبّكُم إليّ أطوَعُكُم لي، وأشدّكم خوفاً منّي.

يا عيسى، تيقّظ ولا تيأس من روحي، وسَبِّحْني مع مَن يُسبِّحني، وبطيب الكلام فقدِّسني.

يا عيسى، كيف يكفر العباد بي ونواصيهم في قبضتي وتقلّبهم في أرضي؟! يجهلون نعمتي، ويتولّون عدوّي، وكذلك يُهْلِك الكافرون.

يا عيسى، إنّ الدنيا سجنٌ ضيّقٌ مُنْتَنُ الريح، وحُسِّنَ فيها ما قد ترى ممّا قد تذابح عليه الجبّارون، وإيّاك والدنيا فكلّ نعيمها يزول، وما نعيمها إلّا قليل.

يا عيسى، ابغني عند وسادك تجدني، وادْعني وأنت لي محبّ؛ فإنّي أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دَعَوْني.

يا عيسى، خِفْني وخوِّف بي عبادي، لعلّ المذنبين أن يمسكوا عمّا هم عاملون به، فلا يهلكوا إلّا وهم يعلمون.

يا عيسى، إرْهَبني رَهْبَتُك من السُّبُع، والموتِ الذي أنت لاقيه، فكلّ هذا أنا خلقته؛ فإيّاي فارهبونِ.

يا عيسى، إنّ المُلْك لي وبيدي، وأنا المَلِكُ؛ فإن تُطِعني أدخلتك جنّتي في جوار الصالحين.

يا عيسى، إنّي إن غَضَبْتُ عليك لم ينفعُكَ رضا مَنْ رضي عنك، وإن رضيت عنك لم يضرّك غضبُ المُغضبين[1].

---

(١) في «م» «ت»: (المبغضين)، وما أثبتناه من المصدر.

يا عيسى، اذكرني في نفسك أذْكُرك في نفسي، واذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميّين.

يا عيسى، أُدْعُني دعاءَ الغريق الحزين الذي ليس له مغيث.

يا عيسى، لا تحلف بي كاذباً فيهتزّ عرشي غَضَباً، الدنيا قصيرةُ العمر، طويلة الأمل، وعندي دار خير ممّا تجمعون.

يا عيسى، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحقّ، وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها، وأعمال كنتم بها عاملين؟

يا عيسى، قل لظلمة بني إسرائيل: غَسَلْتُمْ وجوهكم، ودَنَسْتُم قلوبَكُم، أبي تغترّون أم عليّ تجترؤون؟ تُطَيِّبون بالطيّب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المُنتِنَةِ كأنّكم أقوام ميّتون.

يا عيسى، قُل لهم: قلِّموا أظفاركم من كَسْب الحرام، وأصمِّوا أسماعكم عن ذكر الخنا، وأقْبِلوا عليّ بقلوبكم فإنّي لستُ أُريد صوركم.

يا عيسى، افرَح بالحسنة فإنّها لي رضاً، وابكِ على السيّئة فإنّها شين، وما لا تحبّ أن يُصنَع بك فلا تَصْنَعْهُ بغيرك، وإن لُطِمَ خَدَّكَ الأيمن فأعطه الأيسر، وتقرَّب إليّ بالمودّة جُهْدَكَ، وأعْرِضْ عن الجاهلين.

يا عيسى، ذُلَّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها، وكُن عليهم شهيداً، وقُل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان[1] السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخُكُم قردة وخنازير.

يا عيسى، قُل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فَرَقاً منّي وأنتم بالضحك

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (إخوان).

تهجرون، أتَتْكُم براءتي أم لديكم أمان من عذابي، أم تعرضون لعقوبتي، فبي حلفتُ لأتركَنّكم مثلاً للغابرين.

ثمّ أُوصيك يابن مريم البكر البتول بسيّد المرسلين وحبيبي فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المُشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحيي المتكرّم، فإنّه رحمة للعالمين وسيّد ولد آدم يوم يلقاني، أكرم السابقين عليّ، وأقرب المرسلين منّي، العربيّ الأمين، الديّان بديني، الصابر في ذاتي، المجاهد المشركين بيده عن ديني.

يا عيسى، آمُرك[1] أن تُخبر به بني إسرائيل وتأمرهم أن يُصدِّقوا به، وأن يؤمنوا به، وأن يتّبعوه وأن ينصروه.

قال عيسى عليه السلام: يا إلهي، مَن هو حتّى أرضِيَه فلك الرضا بذلك[2]؟ قال: هو محمّد[3] رسول الله إلى الناس كافّة، أقربهم منّي منزلة، وأحضرهم شفاعة، وأوجبهم عندي شفاعة[4]، طوبى له من نبيّ، وطوبى لأُمّته إذ هم لقوني على سبيله، يحمده أهل الأرض، ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون طيّب مطيّب، خير الباقين عندي، يكون في آخر الزمان، إذا خرج أرختْ السماء عزاليها، وأخرجت الأرض زهرتها حتّى يَرَوْا البركة، وأُبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الأزواج، قليل الأولاد، يسكن بكّة[5] موضع أساس إبراهيم.

---

(١) قوله: (يا عيسى، آمُرك) لم يرد في المصدر.

(٢) (بذلك) لم ترد في المصدر.

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (إلهي من هو؟ قال: يا عيسى، ارضه فلك الرضا، قال: اللهمّ رضيت فمن هو؟ قال: محمّد).

(٤) (وأوجبهم عندي شفاعة) لم ترد في المصدر.

(٥) في نسختي بدل من «م» «ت»: (مكّة).

يا عيسى، دينه الحنيفيّة[١]، وقبلته يمانيّة، وهومن حزبي وأنا معه، فطوبى له، ثمّ طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر في جنّات عدنٍ، يعيش أكرم مَن عاش، ويُقْبَض شهيداً، له حوض أكبر من بكّة[٢] إلى مطلع الشمس، من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء، وأكواب مثل مدر الأرض، عذب فيه من كلّ شراب، وطعم كلّ ثمار في الجَنّة، مَنْ شرب منه شربة لم يظمأ أبداً، وذلك من قسمي له، وتفضّلي إيّاه على فترةٍ بينك وبينه، يوافق سرّه علانيته، وقوله فعله، لا يأمر الناس إلّا بما يبدأهم به، دينه الجهاد في عسرٍ ويسر، تُنقاد له البلاد، ويخضع له صاحب الروم، على دين إبراهيم، يُسمّي عند الطعام، ويُفشي السلام، ويُصلّي والناس نيام، له كلّ يوم خمس صلواتٍ متواليات، ينادى إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار، ويفتتح[٣] بالتكبير ويختتم[٤] بالتسليم، ويصفّ قدميه في الصلاة كما تصفّ الملائكة أقدامها، ويخشع لي قلبه ورأسه، النور في صدره، والحقّ على لسانه، وهو على الحقّ حيث ما كان، أصله يتيم ضالّ بُرهةً من زمانه عمّا يراد به، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له الشفاعة، وعلى أُمّته تقوم الساعة، ويدي فوق أيديهم، فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنّة، فمُر ظلمة بني إسرائيل ألّا يدرسوا كُتُبَهُ، ولا يُحرِّفوا سُنّته، وأن يقرؤوه السلام[٥]، فإنّ له في المقام شأناً من الشأن.

---

(١) في «م» «ت»: (الحنفيّة)، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في نسختي بدل من «م» «ت»: (أبعد من مكّة).

(٣) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ويفتح).

(٤) في نسختي بدل من «م» «ت»: (ويختم).

(٥) في «م» «ت» زيادة: (قال).

يا عيسى، كلّ ما يقرّبك منّي فقد دللتك عليه، وكلّ ما يُباعدك[١] منّي فقد نهيتك عنه، فارتَدْ لنفسك.

يا عيسى، إنّ الدنيا حُلْوَةٌ، وإنّما استعملتك فيها؛ فجانب منها ما حذّرتك، وخُذ منها ما أعطيتك عفواً.

يا عيسى، انظر في عملك نظر العبد المذنب الخاطئ، ولا تنظر في عمل غيرك بمنزلة الربّ، كُن فيها زاهد ولا ترغب فيها فتَعْطَبْ.

يا عيسى، إعْقِلْ وتفكّر وانظر في نواحي الأرض كيف كان عاقبة الظالمين.

يا عيسى، كلّ وصفي لك نصيحة، وكلّ قولي لك حقّ، وأنا الحقّ المبين، فحقّاً أقول: لئن أنت عَصَيْتَني بعد أن أنبأتُك مالك من دوني وليّ ولا نصير.

يا عيسى، أذلّ قلبك بالخشية، وانظر إلى مَن هو أسفل منك، ولا تنظر إلى مَن هو فوقك، واعلم أنّ رأس كلّ خطيئة أو ذنب[٢] هو حبّ الدنيا؛ فلا تحبّها فإنّي لا أُحبّها.

يا عيسى، أطب لي قلبك، وأكثر ذكري في الخلوات، واعلم أنّ سروري أن تُبَصْبِص إليّ، كُن في ذلك حيّاً ولا تكن ميّتاً.

يا عيسى، لا تشرك بي شيئاً، وكُن منّي على حَذَرٍ، ولا تغترّ بالنصيحة، ولا تغبط نفسك؛ فإنّ الدنيا كَفَيْءٍ زائل، وما أقبل منها كما أدبر؛ فنافس في الصالحات جُهْدَك، وكُن مع الحقّ حيث ما كان وإن قُطِّعتَ وأُحْرِقَتَ بالنار، فلا تكفر بي بعد المعرفة ولا تكوننّ من الجاهلين؛ فإنّ الشيء يكون مع الشيء.

---

(١) في نسختي بدل من «م» «ت»: (يبعدك).

(٢) في المصدر: (وذنب) بدل من: (أو ذنب).

يا عيسى، صُبَّ لي الدموع من عينيك، واخشع لي بقلبك.

يا عيسى، استغث بي في حالات الشدّة فإنّي أُغيث المكروبين، وأُجيب المضطرّين، وأنا أرحم الراحمين».

بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان[١] في هذا الحديث القدسي الجليل العظيم الشأن، وعلوّ مضامينه يشهد بصحّته، وإن لم يكن صحيحاً اصطلاحيّاً عند المتأخّرين.

«في تسمية المسيح عليه السلام»

قوله تعالى: «أنت المسيح بأمري»، قال الجزري: قد تكرّر فيه ذكر المسيح عليه السلام فسمّي به لأنّه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلّا برء، وقيل: لأنّه كان أمسح الرجل لا أخمص له، وقيل: لأنّه خرج من بطن أُمّه ممسوحاً بالدهن، وقيل: لأنّه كان يمسح الأرض أي يقطعها، وقيل: المسيح الصدّيق، وقيل: هو بالعبرانيّة مشيحا[٢] فعُرِّبت[٣]، وقد ذكر صاحب القاموس في اشتقاقه خمسين قولاً[٤].

«التحنّن»: الترحّم واللطف[٥].

---

(١) انظر هذا البيان في مرآة العقول للمجلسي ٢٥: ٣١٤ ـ ٣٤٠، وبحار الأنوار ١٤: ٢٩٩ ـ ٣٠٤.

(٢) في حاشية «م» «ت»: والمشيح المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره. (منه رحمه الله)، (القاموس المحيط ١: ٢٣٢ ـ مشح).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ مسح.

(٤) انظر القاموس المحيط ١: ٢٣٠.

(٥) انظر مجمع البحرين ٦: ٢٣٩ ـ حنن.

«حتّى حقّت»: أي ثبتت ووجبت لك ولايتي ومحبّتي بسبب أنّك تطلب مسرّتي ولا تفعل إلّا ما هو موجبٌ لرضاي، ففي قوله «منّي» التفات، وفي **الأمالي**: «حين حقّت»[1].

«فبوركت كبيراً»: البركة النموّ والزيادة، أي زيد في علمك وقربك وكمالك في صِغَرِك وكِبَرِكَ، أو جعلتك ذا بركة في صغرك وكبرك، فإنّه عليه السلام كانت إحدى معجزاته البركة في يده ولسانه بإحياء الموتى وإبراء ذوي العاهات، وتكثير القليل من الطعام والشراب.

«أنزلني من نفسك كَهَمّك»: أي اجعلني قريباً منك كقرب همّك وممّا يخطر ببالك منك، أو اهْتَمّ بأوامري كما تهتمّ بأُمور نفسك.

«واجعل ذكري لمعادك»: أي اذكرني ليكون ذخيرة لمعادك.

«ولا تولّ غيري»: أي لا تتّخذ غيري وَلِيّ أمرك.

«ولا تجعل حبّك لغيري فأخذلك»: أي أترك نصرك.

«وكن كمسرّتي فيك»: أي كن كما يسرّني أن تكون عليه.

«واحْكُم لي لطيف الحكمة»: أي أتْقِن لطائف الحكمة وبيّنها للخلق خالصاً لوجهي، وفي **الأمالي**: «واحكُمْ لي بلطيف الحكمة»[2]: أي اقْضِ واحكم بين الخلق بما عَلّمتك من لطائف الحكمة.

«وأمِتْ قلبك»: أي شهوات قلبك، أو قلبِك عن الشهوات.

المنافسة في الخير، الرغبة فيه.

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٦.

(٢) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٧.

«جُهدك»: أي بقدر وسعك وطاقتك.

«فقد أنزلته»: أي العدل أو الكتاب المشتمل.

«لكلّ مفتون»: أي بالدنيا وزخارفها.

«البتول»: المنقطعة عن الرجال، ومريم العذراء وفاطمة بنت سيّد المرسلين ـ عليها الصلاة والسلام ـ لانقطاعهما عن نساء الأُمّة فضلاً وديناً وحَسَباً، والمنقطعة عن الدنيا إلى الله.

«وقلي الدنيا»: أي أبغضها.

«كُن مع ذلك»: أي لا يكن زُهْدُك لنفرتك عن الخلق وسوء الخلق معهم، بل كن مع الزهد «تُلين الكلام» مع كلّ أحد، «وتفشي السلام» إلى كلّ من تلقاه.

«إذا نامت عيون الأبرار»: أي فكيف بالأشرار.

«حذراً» بفتح الذال ليكون مفعولاً لأجله، وبكسر الذال أي كن حذِراً.

«بميل الحزن» في بعض النسخ: «بمُلْمول» بضمّ الميمين بمعناه.

«رُحْ من الدنيا يوماً فيوماً»: أي اقطع كلّ يوم عنك شيئاً من تعلّقات الدنيا حتّى لا يصعب عليك مفارقتها عند أجلك، فإنّ الموت الاختياري أسهل من الموت الاضطراري وأنفع.

«وذق لما قد ذهب طعمه»، وفي **الأمالي**: «ما قد ذهب»[1] أي لا تتبّع اللذّات واقنع بالأشياء البشعة التي ذهب طعمها.

«ما أنت إلّا بساعتك»: أي لا تعلم وجودك وبقائك بعد تلك الساعة وهذا اليوم فاغتنمها.

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٧.

«فرُح من الدنيا ببلغة»: أي أُترُك الدنيا واكتف بالبلاغ والكفاف، أو كن بحيث إذا فارقت الدنيا لم تكن أخذت منها سوى البلغة، ويحتمل أن يكون المراد ما يبلغ الإنسان من زاد الآخرة إلى درجاتها الرفيعة.

و«طعام جشب»: أي غليظ، ويقال: هو الذي لا أُدْمَ معه.

«فقد رأيت إلى ما يصير» بالياء: أي الثوب والطعام، فإنّ مصير الأُولى إلى البِلى، والثاني إلى القذارة والأذى، وبالتاء: أي بدنك يصير إلى البلى.

«كرحمتي إيّاك» الكاف للتشبيه في أصل الرحمة لا في كيفيّتها وقدرها، أو للتعليل أي لرحمتي إيّاك.

و«مواقيت الصلوات»: أي مواضعها.

و«أسمعني لذاذة نطقك»: أي نطقك اللذيذ، أو التذاذك بذكري كما في حديث موسى.

و«أرفع طرفَكَ الكليل»: أي لا تُحْدِق النظر إلى السماء حياءً، بل انظر بتخشّع، ويحتمل أن يكون وصف الطرف بالكلال لبيان عجز قوى المخلوقين.

و«هَمّكَ همّاً واحداً»: أي اجعل همّك همّاً واحداً، وفي **الأمالي**: «همّ واحد»[1] وهو أظهر.

و«الإياب»: الرجوع.

«حتّى تذوق ثمرها»: أي لا تغيّر بحسن ظواهر الخلق حتّى تختبرهم وتظهر لك مكنونات أديانهم ونيّاتهم وأخلاقهم.

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٨.

«والسحتُ تحت أحضانكم» والحضن ما دون الإبط إلى الكشح، وهو كناية عن ضبط الحرام وحفظه وعدم ردّه إلى أهله.

«والأصنام في بيوتكم» لعلّ المراد بالأصنام، الدنانير والدراهم والذخائر التي[١] أحرزوها في بيوتهم ولا يؤدّون حقّ الله منها، ويتركون طاعة الله فيما، أمر فيها فكأنّهم عبدوها، كما ورد في الخبر: «ملعون من عبد الدينار والدرهم»[٢].

«حتّى يتفرّقوا»: أي عن الدعاء أو بالموت.

«كم أُطيل»، في **الأمالي**: «كم أُجمِل»[٣].

«لا تعيها»: أي لا تحفظها أو ترعاها بالعمل بها.

«ويتحبّبون بي»: أي بإظهار محبّتي وعبادتي يطلبون محبّة المؤمنين لهم.

و«كذلك فليكن قلبك وبصرك»: أي لا تظهر من قلبك ونظرك عند الناس خلاف ما في قلبك وما تفعله في خلواتك.

والإضافة في «موارد حياض الهلكة» إمّا بيانيّة أي الموارد التي هي حياض الهلاك، أو لاميّة بأن يكون المراد بالموارد أطراف تلك الحياض، وفي **الأمالي**: «موارد الهلكة»[٤].

«كن رحيماً مترحّماً» الرحم: رقّة القلب، والترحّم إعمالها وإظهارها.

«ولا تَلْهَ»: أي لا ترتكب ما يَلْهى ويوجب الغفلة عن الله.

---

(١) (والذخائر التي) أثبتناها من المصدر.

(٢) انظر الخبر في الكافي ٢: ٢٧٠/ح٩.

(٣) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٩.

(٤) انظر أمالي الصدوق: ٦٠٩.

«واذكرني بالصالحات»: أي بفعل الأعمال الصالحة فإنّها مسبّبة عن ذكره تعالى، وذكره تعالى إثابته، أو ذكره في الملأ الأعلى بخير.

«وذكّر بي الأوّابين» الأوبة: الرجوع، أي الذين يرجعون إلى الله بالتوبة والأعمال الصالحة.

«إنّ صاحب السَوْء يُعْدي» من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، و«السَوْء» بالفتح، وقيل يجوز الضمّ، أي المصاحب الشرّير السيّئ الخلق، «يُعدي» أي تؤثّر أخلاقه فيمن صحبه، يقال: أعداه الداء يعديه إعداءً وهو أن يصيبه مثل ما يصاحب الداء.

«قرين السَوء يُردي»: أي يهلك من يقارنه.

«قبل أن لا تعمل لها»: أي قبل أن لا تقدر على العمل بعد الوفاة.

«وهم مجاورون»: من أجاره الله من العذاب أنقذه.

«وطأْ رسوم»: أي امش على آثار «منازل من كان قبلك هل تحسّ منهم من أحد»: أي بل تشعر بأحد منهم وتراه وتسمع صوتهم.

«المداهنة»: إظهار خلاف ما تُضْمَرُ، ولعلّ المراد هنا المداهنة في الدين وترك النهي عن المنكر.

«الاصطلام»: الاستيصال.

«إن أخذت بأدب إلهك»: أي بالآداب التي أمرك بها إلهك أو تتخلّق بأخلاق ربّك.

«ما أكرمت خليقة بمثل ديني»: أي بشيء مثل ديني، وضمير «عليها» راجع إلى الخليقة، والظاهر أنّ المراد بالرحمة الجنّة، ويحتمل المغفرة.

«فيضاً»: أي كثيراً واسعاً وفيه استعارة مكنية.

و«التكدير» ترشيح، والفيض يطلق على كثرة الماء وسيلانه، والظاهر أنّ الغرض بهذا الخطاب أُمّة عيسى عليه السلام كما ورد في القرآن آيات كثيرة المخاطب بها الرسول صلى الله عليه وآله المراد بها أُمّته كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] وأضرابها.

«تزيّن بالدِّين»: أي بآثاره وأعماله وأخلاقه فإنّها زينة المتّقين، ومن أحسن زينتهم حبّ المساكين والمعاشرة معهم.

«هوناً» الهون: السكينة والوقار.

«وصلّ على البقاع» هذا خلاف ما هو المشهور من أنّ جواز الصلاة في كلّ البقاع من خصائص نبيّنا صلى الله عليه وآله بل كان يلزمهم الصلاة في بِيَعِهِم وكنايسهم، فيمكن أن يكون هذا الحكم فيهم مختصّاً بالفرائض أو بغيره عليه السلام من أُمّته.

«وزهقت نفسك»: أي هلكت واضمحلّت.

«مع آبائك»: أي تكون معهم أو طوبى لك مع آبائك.

«وأنكال» قال الفيروزآبادي: النِكْل ـ بالكسر ـ القيد الشديد، والجمع أنكال، أو قيد من نار[2].

«قِطَعٌ كقِطَع الليل المظلم»: أي ليس لنهارها نور.

«وعتا عتوّاً»: أي استكبر وجاوز الحدّ فهو عاتٍ.

و«الفظّ الغليظ»: الجافي السيّئ الخلق، القاسي الخشن الكلام، ورجل «مختال»: متكبّر.

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٦٥.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٦٠.

«بئست الدار»: أي النار، «لمن ركن»: مال إليها بارتكاب الفسوق.

«فكن بي»: أي بمعونتي، «خبيراً»: بعيوب نفسك، أو كن عالماً بي وبرحمتي ونعمتي وعقوبتي حتّى لا تغلبك نفسك ولا تخدعك.

«مراقباً»: أي منتظراً فضلي وإحساني، وتخاف عقوبتي وتعلم أنّي مطّلع على سرائر أمرك.

«لا يصلح لسانان في فمٍ واحد»: أي بأن تقول في حضور القوم كلاماً وفي غيبتهم كلاماً آخر.

«وتمزج القول الحقّ بالباطل» والطاعة من القول بالمعصية.

«ولا قلبان في صدر واحد»: أي لا تجتمع محبّة الله ومحبّة غيره من المال والجاه، وزخارف الدنيا وشهواتها في قلب واحدٍ، فلا يتصوّر الجمع إلّا بأن يكون لك قلبان وهو محال، كما قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[1].

«وكذلك الأذهان»: أي لا يجتمع شيئان متضادّان في ذهن واحدٍ كالتوجّه إلى الدنيا والتوجّه إلى الله.

«وافطم»: أي اقطع «نفسك» عن الشهوات «الموبقات»: أي المهلكات.

«مؤدّيتِكَ إليّ»: أي تردّك الدنيا إليّ بالموت وأُعاقبك بما عملت من معاصيك.

«في جنبي»: أي قربي وطاعتي.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٤.

«وأفِضْ»: من الإفضاء بمعنى الإيصال، أو من الإفاضة بمعنى الاندفاع والإسراع في السير، أي أقبِلْ إليّ بسبب حسناتك أو معها.

«بالرجوع إليّ»: أي بسبب أنّ مرجعك إلى ثوابك «ما عمله العاملون»: أي مثله.

«خلقتك بكلامي»: أي بلفظ «كن» من غير والد.

«كلّ ذلك في سابق علمي»: أي فعلت جميع ذلك لِلْحِكَم التي عَلِمْتُ فيها.

«ونظيرك يحيى»: أي في الزهد والعبادة وسائر الكمالات، أو في تولّده من شيخ كبير يَئِسَ من الولد، فكأنّه أيضاً خُلِقَ من غير والد.

«أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني»: أي عظمتي وقدرتي على ما أشاء.

«ونواصيهم بقبضتي»[1] الأخذ بالناصية بين العرب كناية عن القهر والقدرة؛ لأنّ من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذلّه ولا يستطيع الامتناع ممّا يريده منه.

«وتقلُّبُهم»: أي تصرّفهم في الأُمور وتحوّلهم من حال إلى حال.

و«حُسِّنَ»: أي زُيِّنَ للناس فيها «ما قد ترى» من زخارفها التي اقتتل عليها الجبّارون، وذبح بعضهم بعضاً لأجلها.

«إبغني عند وسادك»: أي اطلبني وتقرّب إليّ عند ما تتّكئ على وسادك للنوم بذكري.

«فلا يهلكون»: أي إن هلكوا وضلّوا وأصرّوا على المعاصي يكون بعد إتمام الحجّة عليهم.

---

(١) (نواصيهم بقبضتي) أثبتناها من المصدر.

«أذْكُرُكَ في نفسي»: أي أفيض عليك من رحماتي الخاصّة، من غير أن يطمع عليها غيري.

«أذكُرَك في ملأ خير من ملأ الآدميّين»، الملأ: الأشراف والعُليّة: والجماعة، والمراد ملأ الملائكة المقرّبين، والذكر في ذلك الملأ بالثناء عليه والمباهات به، أو إثابته بمشهد منهم، وخيريّة ذلك الملأ وفضله على ملأ الآدميّين؛ لكون جميعهم معصومين مطهّرين لا ينافي كون نادر من الآدميّين أشرف منهم.

«فيهتزُّ»: أي يتحرّك غَضَباً.

وقوله تعالى: «بسرائر» بدل من قوله: «بالحقّ».

«وقلِّموا أظفاركم» كناية عن قبض اليد عن الحرام.

«الخنا» الفحش في القول، «الشين» العيب والقبيح.

«وإن لَطَمَ»: أي ذلك الغير.

«الخِدْن» بالكسر وكأمير الصاحب، ومن يخادنك في كلّ أمر ظاهر وباطن، فيحتمل أن يكون من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة كما هو الشائع في مثله، وأن يكون المراد أنّهم محبّون للسوء مخادنون له، ولعلّ قوله: «والجلساء» بهذا أوفق وأنسب، فإنّ الضمير راجع إلى السوء فيكون السوء بضمّ السين.

«الحكمة تبكي» إسناد البكاء إلى الحكمة مجازيّ؛ لأنّها مسبّبة، ويمكن أن يكون بتقدير مضاف، أي أهل الحكمة، ويمكن أيضاً أن تُقْرَء: «تُبْكى» من باب الإفعال.

«الهجر»: الهزء وقبيح الكلام.

«الغابر»: الماضي والباقي، والمراد هنا الثاني.

و«الديّان بديني» الديّان القهّار والحاكم والقاضي، يقال: دِنْتَهُمْ فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا، أي يقهرهم على الدخول في دين الله، أو يحكم بينهم بحكم الله، أو يتعبّد الله بدين الحقّ، مِن دان بمعنى عبد.

وقوله: «أن تُخْبِر» بدل اشتمال من قوله: «سيّد المرسلين».

«وأحضرهم شفاعةً»: أي شفاعة حاضرة مهيّأة لكلّ من يستحقّها، وفي **الأمالي**: «وأوجبهم عندي شفاعة»[١] وهو أظهر.

«إذ هم لقوني»، وفي **الأمالي**: «إن هم لقوني»[٢] وهو أظهر.

«طيّبٌ»: أي خُلِقَ من طينة طيّبة مقدّسة «مطيّب»: أي من النقائص والرذائل.

«البركة من متواترات معجزاته»

«وأُبارك لهم» هذه المعجزة من متواتراته ﷺ حيث وضع على طعام قليل وأشبع منه خلقاً كثيراً في مواطن كثيرة، وعلى ماء قليل وأروى به جماعة جمّةٍ في مواضع عديدة.

«يسكن بكّة»، قال الفيروزآبادي: بَكَّهُ خَرَقَهُ وفرقه وفسخه وفلاناً زاحمه أو رَحِمَهُ ضدّ وردّ نِخْوَتَه ووضعه وعنقه دقّها، ومنه بكّة لمكّة أو لما بين جبليها أو للمطاف لدقّها أعناق الجبابرة، أو لازدحام الناس بها[٣].

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ٦١٢.

(٢) انظر الأمالي الصدوق: ٦١٢.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٢٩٥.

«في معنى الحنيف»

قوله تعالى: «دينه الحنيفيّه» الحنيف: المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام، وأصل الحنيف الميل، ومنه الحديث: «بُعِثْتُ بالحنيفيّة السمحة»(١)، وقيل: المراد الملّة المائلة عن الشدّة إلى السهولة.

«وقبلته يمانيّة»، قال الجزري: الأيمان يمانٍ، الحكمة يمانيّة، إنّما قال ذلك لأنّ الأيمان بدء من مكّة وهما من تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال للكعبة اليمانيّة(٢).

«في أنّ اليهوديّة سمّت النبي صلى الله عليه وآله»

«ويُقبَض شهيداً» يدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله مات شهيداً كما رواه الصفّار في كتاب **بصائر الدرجات** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سَمَّتِ اليهوديّة النبيّ صلى الله عليه وآله في ذراع»؛ قال: «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُحبّ الذراع والكتف ويكره الورك لقربها من المبال»، قال: «لمّا أُتي بالشوي أكل من الذراع وكان يحبّها، فأكل ما شاء الله، ثمّ قال الذراع: يا رسول الله، إنّي مسموم، فتركه، وما زال ينتقض به سمّه حتّى مات صلى الله عليه وآله»(٣).

---

(١) انظر مختلف الشيعة ٣: ١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٣٠٠ ـ يمن.

(٣) بصائر الدرجات: ٥٢٣/ باب ١٧، في الأئمّة أنّهم كلمهم غير الحيوانات ـ ح٦.

قال ابن شهرآشوب في كتاب **المناقب**[١]: روي أنّه أكل من الشاة المسمومة مع النبيّ ﷺ بشر بن البراء بن معرور ومات من ساعته، ودخَلَت أُمّه على النبيّ ﷺ عند وفاته، فقال: «يا أُمّ بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تُعاوِدني فهذا أوان قطعت أَبْهَري»[٢].

قوله: «حوض أكبر من بكّة إلى مطلع الشمس»: أي عرضه أكثر من هذه المسافة البعيدة، ويحتمل أن يكون المفضّل عليه مقدّر، أو يكون المذكور تحديداً له، أي له حوض أكبر من الحياض عرضه من مكّة إلى منتهى الأرض من جانب المشرق، وفي **الأمالي**: «أبعد من مكّة إلى مطلع الشمس»[٣]، وهو يؤيّد المعنى الأوّل.

«من رحيق مختوم»: أي من جنسه، الرحيق: من أسماء الخمر يريد خمر الجنّة، والمختوم: المصون الذي لم يتبدّل لأجل ختامه.

و«الكوب» بالضمّ كوز لا عروة له أو لا خرطوم له، والجمع أكواب.

«على دين إبراهيم»: أي هو على دين إبراهيم، أو يخضع له؛ لأنّه على دين إبراهيم.

قال الجزري: في الحديث: إنّ شعار أصحاب النبيّ ﷺ في الغزو: «يا منصور أَمِتْ»: أي علامتهم التي كانوا يتعارفون بها في الحرب[٤]، انتهى. وإنّما شبّه

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٨١.

(٢) في حاشية «م» «ت»: الأبهر، الظهر وعرق فيه ووريد العنق. (منه ﷺ)، (القاموس المحيط ١: ٣٧٨)، وقيل: عرق في القلب إذا انقطع مات.

(٣) انظر أمالي الصدوق: ٦١٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٧٩.

الأذان بالشعار لأنّه أيضاً شعار لمحاربة النفس والشيطان وهي الجهاد الأكبر.

«أصله يتيم»: أي بلا أبٍ، أو بلا نظير، أو منفرد عن الخلق.

«ضالٌّ برهة»: أي طائفةً من زمانه، «عمّا يراد به»: أي الوحي والبعثة، أو ضالّ من بين قومه لا يعرفونه بالنبوّة، فكأنّه ضلّ عنهم ثمّ وجدوه، كما روى الصدوق بإسناده عن الحسن بن الجهم عن الرضا عليه السلام قال: «قال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾[1] يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضالّاً﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدىٰ﴾ أي هداهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ يقول: أغناك بأن جعل دعائك مستجاباً»[2].

قال عليّ بن إبراهيم: اليتيم الذي لا مثل له ولذلك سُمِّيت الدرّة اليتيمة؛ لأنّه لا مثل لها[3].

«ووجدك عائلاً» فأغناك بالوحي لا تسأل عن شيءٍ أحداً.

«ووجدك ضالّاً» في قوم لا يعرفون فضل نبوّتك فهداهم الله بك.

قوله تعالى: «فارتد لنفسك» الارتياد: الطلب، أي اطلب لنفسك ما هو خير لك.

«عفواً»: أي فضلاً وإحساناً وحلالاً طيّباً، «العفو» أحلّ المال وأطيبه، وخيار الشيء وأجوده والفضل والمعروف.

«بمنزلة الربّ»: أي النظر في أعمال الغير ومحاسبتها شأن الربّ لا شأن العبد.

«كن فيها»: أي في النظرة في عمل الغير، أو في أعمال الغير، أو في الدنيا لظهورها بقرينة المقام.

---

(١) سورة الضحى ٩٣: ٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧٧/ باب ١٥ ـ ضمن ح ١.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٢٧.

«أو ذنب» لعلّ الترديد من الراوي، أو منه تعالى بأن يكون المراد بالخطيئة الكبيرة، وبالذنب الصغيرة.

«أطِبْ لي قلبك»: أي اجعل قلبك طيّبةً عن الأخلاق الذميمة والنيّات الفاسدة وحبّ الدنيا وزخارفها لمحبّتي ومعرفتي، أو خالصاً لوجهي.

«أن تُبَصْبِصَ إليّ» بصبَصَ الكلبُ بِذَنَبِهِ إذا حرّكه، وإنّما يفعل ذلك من خوف.

«ولا تغترّ بالنصيحة»: أي لا تَنْخَدِعُ عن النفس والشيطان بترك النصيحة، أو لا تغفل بنصح غيرك عن نصح نفسك، أو لا تعرض نفسك المهلكة بترك النصيحة، وفي **الأمالي**: «ولا تغترّ بالصحّة»[1]، وهو الأظهر.

«ولا تُغبِّط نفسك» الظاهر أنّه بالياء المشدّدة، يقال: غبّطهم، أي حملهم على الغبطة، أي لا تجعل نفسك في أُمور الدنيا بحيث يغبطها الناس، أو لا تجعل نفسك بحيث تغبط الناس على ما في أيديهم، والأوّل أظهر.

«فإنّ الشيء يكون مع الشيء»: أي لكلّ عمل جزاء، وكلّ شيء يكون مع ما يجانسه؛ فلا تجلس مع الجاهلين تكن منهم.

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ٦١٣.

الحديث العشرون[1]

«في المداراة»

ما رواه الشيخ الجليل شيخ الطائفة محمّد بن يعقوب، عن أبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام.

أقول: أمّا محمّد بن يعقوب، فهو الكليني المعروف، وقد مرّ مراراً أنّه من أوثق الناس.

أمّا أبو عليّ الأشعري، فهو أحمد بن إدريس القمّي، لا محمّد بن عيسى بن عبد الله الأشعري لرواية الكليني عنه، وكان أحمد ثقة فقيهاً في أصحابنا، كثير الحديث، صحيح الروايات[2].

وأمّا محمّد بن عبد الجبّار، فهو ابن أبي الصهبان، قمي ثقة[3].

وأمّا محمّد بن إسماعيل بن بزيع، فهو ثقة صحيح من أصحاب الرضا عليه السلام[4].

---

(١) الكافي ٢: ١١٧/ باب المداراة ـ ح ٤.

(٢) رجال النجاشي: ٩٢/ رقم الترجمة ٢٢٨.

(٣) رجال الطوسي: ٣٩١/ أصحاب أبي الحسن الثالث عليه السلام ـ رقم الترجمة ١٧.

(٤) رجال الطوسي: ٣٦٤/ أصحاب أبي الحسن الثاني ـ رقم الترجمة ٦.

وروي، عن ابن بكير عن الحسين بن خالد الصيرفي، فقال: كنّا عند الرضا عليه السلام ونحن جماعة، فذكر محمّد بن إسماعيل بن بزيع، فقال: «وددتُ أنّ فيكم مثله»[١].

وسُئِلَ عنه عليّ بن الحسن، فقال: ثقة ثقة[٢].

وقال حمدويه عن أشياخه، أنّ محمّد بن إسماعيل بن بزيع وأحمد بن حمزة كانا في عداد الوزراء، وكان عليّ بن النعمان أوصى بكتبه لمحمّد بن إسماعيل بن بزيع.

وقال محمّد بن يحيى العطّار: أخبرنا أحمد بن محمّد بن يحيى قال: كنت بفيد[٣]، فقال لي محمّد بن عليّ بن بلال: مُر بنا إلى قبر محمّد بن إسماعيل بن بزيع لنزوره، فلمّا أتيناه جلس عند رأسه مستقبل القبلة والقبر أمامه، ثمّ قال: أخبرني صاحب هذا القبر أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «مَن زار قبر أخيه ووضع يده على قبره وقرأ «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» سبع مرّات أَمِنَ من الفزع الأكبر»[٤].

وأمّا عبد الله بن سنان فهو ثقة من أصحابنا جليل، لا يطعن عليه في شيء، روى عن الصادق عليه السلام، وقيل عن الكاظم عليه السلام، وليس بثَبْت، وكان خازناً للمنصور والمهدي بعده والهادي والرشيد[٥].

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٣٢/ ضمن الترجمة ٨٩٣.

(٢) انظر رجال النجاشي: ٣٣١/ ضمن الترجمة ٨٩٣.

(٣) في حاشية «م» «ت»: فيد، منزل بطريق مكّة، ويقال بليدة بنجد على طريق الحاج العراقي. (منه رحمه الله)، (مجمع البحرين ٣: ١٢٣).

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٣٥ ـ ٨٣٦/ ح ١٠٦٥ و ١٠٦٦.

(٥) رجال النجاشي: ٢١٤/ رقم الترجمة ٥٥٨.

قال: «قال رسول الله ﷺ: أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض».

داريته مداراة بدون همزة، قد يهمز، لاطفته ولاينته، ومثله الخبر: رأس العقل بعد الإيمان باللّه مداراة الناس، أي ملائمة الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلّا ينفروا عنك[١].

واعلم أنّ المداراة مع الناس ثوابها جزيل، وأجرها جميل، وفضلها عظيم، وثمرها جسيم في الدنيا والآخرة، والتجربة شاهدة على أنّ عمل الدنيا بل الآخرة لا يتمّ إلّا بالمداراة مع الناس، نعم ما قيل:

آسايش دو گيتى تفسير اين دو حرف است

با دوستان مروّت، با دشمنان مدارا[٢]

وقد ورد في فضلها روايات كثيرة ونحن نكتفي بذكر بعضها:

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله به موسى بن عمران: يا موسى، اكتم مكتوم سرّي في سريرتك، وأظهِر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي وعدوّك عن خلقي، ولا تستسبّ لي عندهم بإظهار مكتوم سرّي فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي[٣].

---

(١) مجمع البحرين ١: ١٣٧ ـ درا.

(٢) راحة الدنيا والآخرة تفسير هذين الحرفين: استعمال المروّة مع الأصدقاء، والمداراة مع الأعداء.

(٣) في حاشية «م» «ت»: وفي حديث الولد مع والده، ولا تستب له أي لا تعرضه للسب، وتجره إليه بأن تسب أباً غيري، فيسب أباك مجازاة لك. (منه ﷺ)

وجاء جبرئيل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد، ربّك يُقرئك السلام، ويقول لك: دارِ خلقي»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَن لم يكنَّ فيه، لم يتمّ له عمل: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وخُلقٌ يداري به الناس، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش»، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «خالطوا الأبرار سرّاً، وخالطوا الفجّار جهراً، ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنّه سيأتي عليكم زمانٌ لا ينجو فيه من ذوي الدين إلّا من ظنّوا أنّه أبله، وصبّر نفسه على أن يقال: إنّه أبله لا عقل له»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «يا إسحاق، صانع[٤] المنافق بلسانك، وأخْلِص وُدّك للمؤمن، فإن جالسك يهوديّ فأحسِن مجالسته»[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لمحمّد بن الحنفيّة قال: «وأحسِن إلى جميع الناس كما تحبّ أن يُحسَن إليك، وارْضِ لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك، وحسِّن مع الناس خلقك حتّى إذا غبت عنهم حَنّوا إليك، وإذا متَّ بكوا عليك وقالوا: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ولا تكن من الذين يقال عند موته: الحمد للّه ربّ العالمين.

---

(١) الكافي ٢: ١١٧/ باب المداراة ـ ح ٣.

(٢) الكافي ٢: ١١٦/ باب المداراة ـ ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١١٧/ باب المداراة ـ ح ٥.

(٤) في حاشية «م» «ت»: والمصانعة، أن تصنع شيئاً له ليصنع لك شيئاً. (لغة منه رحمه الله)، (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٥٦).

(٥) الأمالي للصدوق: ٧٢٧/ ح ٩٩٦، من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٠٤/ ح ٥٨٧٢، الأمالي للمفيد: ١٨٥/ ح ١٠.

واعلم أنّ رأس العقل بعد الإيمان باللّه عزّ وجلّ مداراة الناس، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف مَن لابدّ من معاشرته حتّى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً، فإنّي وجدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملء مكيال ثلثاه استحسان وثلثه تغافل»[1].

وفي الحديث المرفوع: إنّ عليّ بن أبي طالب قال لبنيه: «يا بَنيّ، إيّاكم ومعاداة الرجال فإنّهم لا يخلونّ من ضربين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجّل عليكم، والكلام ذَكَرٌ والجواب أُنثى، فإذا اجتمع الزوجان فلابدّ من النتاج»، ثمّ أنشأ عليه السلام يقول:

«سليم العِرض من حذر الجوابا ومن داري الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا»[2]

وعن سفيان بن عيينة قال: قلت للزهريّ: لقيت عليّ بن الحسين عليه السلام؟ قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية.

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: لأنّي لم أجد أحداً وإن كان يحبّه إلّا وهو لشدّة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلّا وهو لشدّة مداراته له يداريه[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٧/ ضمن ح ٥٨٣٤، وعنه في وسائل الشيعة ٢٢: ٢٠٢/ ح ١٦٠٨٨.

(٢) الخصال: ٧٢/ باب الاثنين ـ ح ١١١، كنز العمّال ٣: ٦٩٥/ ح ٨٤٨٩.

(٣) علل الشرائع ١: ٢٣٠/ باب ١٦٥ العلّة التي من أجلها سمي عليّ بن الحسين زين العابدين ـ ح ٤.

المحتويات

مقدّمة المحقّق ٧

ترجمة المؤلّف، إبراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي ١٠

اسمه ونسبه وكنيته ١٠

الثناء عليه ١١

أساتذته ١٢

مرحلة مهمّة من حياته ١٤

مؤلّفاته ١٤

شهادته ١٥

عملنا في الكتاب ١٦

أ ـ النسخ المعتمدة في التحقيق ١٦

ب ـ منهج التحقيق ١٧

في الختام ١٩

فهرست ما في هذا الكتاب ٢٩

مقدّمة المؤلّف ٣٧

الحديث الأوّل: في العقل والجهل ، وفيه مباحث ٤٥
في حقيقة الروح ٤٧
في أسماء الروحانيين وأسماء هذا العالم المحسوس ٤٨
في مسئلة أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد ٤٩
في الرياضيّات ٥١
في المذهب الحق في خلق العالم ٥١
في إطلاقات العرش ٥٢
في الترقي إلى العقل الفعّال ٥٣
في تفسيرَي الجهل المركّب والبسيط ٥٤
في أنّ الشيء الواحد قد يسير عقلاً وعاقلاً ومعقولاً ٥٥
في حِكَم وأسرار خلقة الإنسان ٥٦
لايتيسّر الوصول إلى المقامات العالية إلّا بالانتقال من طور أخس إلى طور أشرف .. ٥٧
في سبب عداوة العاقل والجاهل والمؤمن والكافر ٥٩
في قسمي الوزارة ٦٧
في إطلاقات الإيمان والكفر ٦٩
إيراد وجواب على الرضا بقضاء الله ٧٨
واختلف في حدّ التوكّل ٨٤
في أقسام العلم ٩٠
في بيان الفهم ٩١
في تعريف الزهد ٩٣
ممّا يورّث الزهد تلاوة كتاب الله ٩٤
في حالات الإنسان في بدو خلقتها وأطوارها ١٠٣

في أنّ الإنسان مدني بالطبع ١٢٥
في الفرق بين الخضوع والخشوع والتواضع ١٣١
في سرّ وجوب محبّة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ١٣٣
في أنّ قصد العقل تسخير عالم الملك والملكوت ١٤١
في أسرار أفعال الصلاة ١٤٨
في معرفة ميزان الرجل هل يصير إلى خير أم إلى شرّ ١٦١
في تعريفات العلوم اجمالاً ١٧٩
في ذكر أسباب الفرقة ١٨١
في دفع الإشكال عن الدعاء ١٨٩

الحديث الثاني: في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وأُولوا العزم أيّهم أعلم؟ وفيه مطالب ٢٠٣
في أفضليّة الأئمّة عليهم السلام بعضهم على بعض اجمالاً ٢٠٩
في أنّ الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً قسّمها بين الأنبياء عليهم السلام ٢١٤
في أوصاف الإمام عليه السلام ٢٣٠
في عدم إمكان الوصول إلى مرتبة الإمامة بالسعي والاجتهاد ٢٣٩
في وجه الجمع بين الروايات المختلفة الدالّة على سبق أهل العصمة بينهم وبين الخلائق ٢٤٤

الحديث الثالث: في علم الأئمّة عليهم السلام ، فيه رواية لطيفة ٢٤٥
في كيفيّة تولّد الإمام عليه السلام ٢٦١
اختلاف العلماء في علمهم عليهم السلام الغيب ٢٨٩

اعتقادات المجلسي في إحاطة علم الإمام عليه السلام ٣٠٢

الحديث الرابع: في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله في الزبر السالفة ٣٠٥
في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله على لسان عيسى عليه السلام ٣١٢
في صحيفة آدم عليه السلام المذكور فيها أوصاف النبي صلى الله عليه وآله ٣٢٥
في ذكر عدد الشرائع ٣٢٦
في اختلاف أولاد آدم عليه السلام واختصاصهم في أنّ الخلق عند الله أكرم منزلةً ٣٣٠
في تابوت إبراهيم عليه السلام المتضمّن لأوصاف النبي صلى الله عليه وآله ٣٣٢
في ما أنزل على موسى عليه السلام من التوراة في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله ٣٣٤
في أوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله في إنجيل المسيح عليه السلام ٣٣٥
في وصف النبي صلى الله عليه وآله بأنّه كثير الأزواج، قليل الأولاد ٣٣٦

الحديث الخامس: في أصل حقيقة أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله ٣٦٥
الحديث السادس: في أنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى ٤٠٧
الحديث السابع: في أنّ خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى والناس نيام ٤٢٧
الحديث الثامن: في أنّ قضاء حوائج الإخوان موجب من الله سبحانه الزيادة وفيه استجابة دعاء الإمام عليه السلام ٤٢٩
الحديث التاسع: في أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون والفساد ٤٣٣
في أنّ الذنوب أسباب لما يحدث في عالم الكون والفساد ٤٣٩
في أنّ الذنوب منحصرة ٤٣٩

الحديث العاشر: في فضيلة الصلاة ووجوبها في تشهّد الصلاة واختيارها على غيرها من الأعمال ٤٤٤

في وجوب الصلاة على النبي وآله ٤٤٦

الحديث الحادي عشر: في تنزيه الأنبياء عليهم السلام ٤٥٧

الحديث الثاني عشر: في أنّ يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضاه ٤٦٩

الحديث الثالث عشر: في وصيّة عليّ عليه السلام ٤٧٣

في أنّ الفاكهة قبل الطعام أوفق بالطب وأبعد عن الضرر ٤٧٨

في الفرق بين الخوف والخشية ٤٨٠

نقل مقال لإزالة إشكال ٤٨٤

الحديث الرابع عشر: في الحديث القدسي قال الله عزّ وجلّ: «يا بني آدم، كلّكم ضالّ إلّا من هديت» ٤٨٦

في أنّ أقسام الهداية خمس ٤٨٩

في أنّ العجب من المهلكات العظيمة ٤٩٠

في ردّ الملائكة عن السماوات عمل الغير الخالص من الشوائب ٤٩١

الحديث الخامس عشر: فيما يُدعى به لقضاء الدين ٤٩٦

فيه ما يُدعى به لقضاء الدين مجرّب ٤٩٧

الحديث السادس عشر: في قول الحواريّين لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من نُجالِس؟ ٤٩٩

الحديث السابع عشر: في مرور عيسى بن مريم على قرية مات أهلها..... ٥٠٣
الحديث الثامن عشر: في مناهي رسول الله ﷺ من الأكل على الجنابة وغيرها..... ٥١٠
في الغيبة ومواضع جوازها..... ٥٢٦
في معنى الإصرار ٥٢٦

الحديث التاسع عشر: فيما وعظ الله عزّ وجلّ به عيسى عليه السلام..... ٥٢٩
في تسمية المسيح عليه السلام..... ٥٤٢
البركة من متواترات معجزاته..... ٥٥٢
في معنى الحنيف ٥٥٣
في أنّ اليهوديّة سمّت النبي ﷺ..... ٥٥٣

الحديث العشرون: في المداراة ٥٥٧
المحتويات..... ٥٦٣